مَعَارِجُ القَبُولُ

بشرح سُلّم الوُصُول ، إلى علم الأُصُول في التوحيـــــــد

تأليـــف

الشيخ حافظ بن أحمد الحَكَمِى

تحقيـق

طـه عبد الرءوف سعد

الجــزء الثاني

دار ابن خلدون
اسكندرية ☎ ٤٤٥٩٧٢٣

بسم الله الرحمن الرحيم

الإسلام والإيمان والإحسان

هذا فصل يجمع معنى حديث جبريل فى تعليمنا الدين وأنه ينقسم إلى ثلاث مراتب: الإسلام ، والإيمان،والإحسان، وبيان كل منها.

اعلم أن هذا الفصل مهم جدا جامع لأصول الدين وشرائعه ومراتبه وشعبه القولية والعملية، وهو معنى حديث جبريل فى سؤاله النبى ﷺ وجوابه إياه، وهو حديث عظيم الشأن جليل كبير جامع نافع، سمى النبىﷺ ما احتوى عليه « الدين » فقال « هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم ». وهو حديث مشهور فى كتب السنة عن جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو ذر وعبد الله بن عباس وأبو عامر الأشعرى وغيرهم رضى الله عنهم. وها نحن نذكر أحاديثهم بألفاظها مع بيان مخرجيها من أئمة الحديث، ثم نتكلم على الخصال التى فيها عند مواضعها من هذا المتن إن شاء الله تعالى، وهو المستعان وبه الثقة وعليه التكلان، ولا حول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم.

حديث جبريل - الحديث به عن عمر

فأما حديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأخرجه مسلم فى أول جامعه: حدثنى أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا وكيع عن كهمس عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر ح. وحدثنا عبيد الله بن معاذ العنبرى وهذا حديثه: حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: كان أول من قال فى القدر بالبصرة معبد الجهنى، فانطلقت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حاجين - أو معتمرين - فقلنا: لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ فسألناه عما يقول هؤلاء فى القدر، فوفق لنا عبد اللهبن عمر رضى الله عنهما داخلا المسجد، فاكتنفته أنا وصاحبى أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله، فظننت صاحبى سيكل الكلام إلى، فقلت: أبا عبد الرحمن إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم. وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لاقدر وأن الأمر أنف. قال: فاذا لقيت أولئك فأخبرهم أنى برىء منهم وأنهم برآء منى، والذى يحلف به عبد الله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه فى سبيل الله ماقبله اللهمنه حتى يؤمن بالقدر. ثم قال: حدثنى أبى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لايرى عليه أثر السفر ولايعرفه منا أحد. حتى جلس إلى النبى ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال

يا محمد أخبرنى عن الإسلام، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لاإله إلا اللهوأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا. قال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدّقه. قال: فأخبرنى عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت، فأخبرنى عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. قال: فأخبرنى عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرنى عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان. قال ثم انطلق فلبثت مليا ثم قال لى: ياعمر أتدرى من السائل؟ قلت : اللهورسوله أعلم. قال: فانه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم.

حدثنى محمد بن عبيد الغُبرى وأبو كامل الجحدرى وأحمد بن عبدة قالوا: حدثنا حماد بن زيد عن مطر الوراق عن عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر قال: لما تكلم معبد بما تكلم به فى شأن القدر أنكرنا ذلك. قال فحججت أنا وحميد بن عبد الرحمن الحميرى حجة. وساقوا الحديث بمعنى حديث كهمس وإسناده. وفيه بعض زيادة ونقصان أحرف.

وحدثنى محمد بن حاتم يحيى بن سعيد القطان حدثنا عثمان بن غياث حدثنا عبد الله ابن بريدة عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن قالا: لقينا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فذكرنا القدر ومايقولون فيه، فاقتص الحديث كنحو حديثهم عن عمر رضى الله عنه عن النبىﷺ، وفيه شىء من زيادة وقدنقص منه شيئا.

وحدثنى حجاج بن الشاعر حدثنا يونس بن محمد حدثنا المعتمر عن أبيه عن يحيى بن يعمر عن ابن عمر عن عمر عن النبى ﷺ بنحو حديثهم.

هذه طرقه فى مسلم بكمالها، ولم يخرجه البخارى رحمه الله تعالى.

ورواه أبو داود من حديث كهمس فقال فى كتاب السنة من سننه: حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبى حدثنا كهمس عن ابن بريدة فذكره. وفيه: لايرى عليه أثر السفر ولانعرفه. وفيه : فلبثت ثلاثا.

ومن حديث عثمان بن غياث فقال: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عثمان بن غياث قال حدثنى عبد الله بن بريدة. وفيه: فذكر نحوه، وزاد: قال وسأله رجل من مزينة أو جهينة فقال: يارسول الله فيم نعمل، أفى شىء قد خلا أو مضى أو شىء يستأنف الآن؟ قال فى شىء قد خلا ومضى. فقال الرجل أو بعض القوم: ففيم العمل؟ قال: إن أهل الجنة ييسرون لعمل أهل الجنة، وإن أهل النار ييسرون لعمل أهل النار[1].

(١) رواه أحمد فى المسند وأبو داود .

ومن حديث سليمان بن بريدة عن ابن يعمر بهذا الحديث يزيد وينقص: قال فما الإسلام؟ قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصوم رمضان والاغتسال من الجنابة.

ورواه النسائي من كتاب الإيمان وشرائعه من مجتبى سننه فقال: باب نعت الإيمان، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم قال حدثنا النضر بن شميل قال أنبأنا كهمس بن الحسن - فذكر حديث عمر بن الخطاب كلفظ مسلم - ولم يذكر حميدا ولم يذكر كلام يحيى ابن يعمر ولاكلام ابن عمر قبله.

ورواه الترمذي في أبواب الإيمان فقال: باب ماوصف جبريل للنبي ﷺ الإيمان والإسلام: حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث الخزاعي أخبرنا وكيع عن كهمس بن الحسن، فذكر بمعنى لفظ مسلم غير أنه قال: فألزق ركبتيه بركبتيه ثم قال: يامحمد ماالإيمان؟ ثم قال فما الإسلام؟ ثم قال: فما الإحسان؟ وفيه كل ذلك يقول له: صدقت. قال : فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال فمتى الساعة؟ وقال فما أماراتها. وفي آخره فلقيني النبي ﷺ بعد ذلك بثلاث فقال: ياعمر هل تدرى من السائل؟ ذاك جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم. وفي نسخة: معالم دينكم.

حدثنا أحمد بن محمد أخبرنا ابن المبارك أخبرنا كهمس بن الحسن بهذا الاسناد نحوه بمعناه.

حدثنا محمد بن المثنى أخبرنا معاذ بن هشام عن كهمس بهذا الاسناد نحوه بمعناه وفي الباب عن طلحة بن عبيد الله وأنس بن مالك وأبي هريرة هذا حديث حسن صحيح قد روى من غير وجه نحو هذا. وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر عن النبي ﷺ والصحيح هو عن ابن عمر عن النبي ﷺ .

ورواه ابن ماجه في باب الإيمان: حدثنا على بن محمد حدثنا وكيع عن كهمس بن الحسن فذكره كلفظ الترمذي، غير أنه لم يذكر حميدا ولانفس القصة ولاكلام ابن عمر قبل الحديث. وفيه: قال وكيع في قوله « أن تلد الأمة ربتها » يعني تلد العجم العرب.

ورواه عبد الله ابن الإمام أحمد: حدثني أبي حدثنا محمد بن جعفر حدثنا كهمس عن ابن بريدة. ويزيد بن هارون حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر سمع ابن عمر قال: حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن. الحديث.

والحاصل أن راويه عن عمر بن عبد الله وعنه يحيى بن يعمر وحميد الحميري، وعن يحيى بن يعمر عبد الله بن بريدة وسليمان بن بريدة وسليمان بن طرخان.

وعن عبد الله بن بريدة كهمس ومطر الوراق وعثمان بن غياث، وعن كهمس وكيع ومعاذ العنبري والنضر بن شميل ومحمد بن جعفر ويزيد بن هارون ثم اشتهر عن كل من

هؤلاء والله أعلم.

الحديث به عن ابن عمر

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فهو الذى أشار إليه الترمذى وقد رواه الإمام أحمد من طرق عن يحيى بن يعمر قال: قلت لابن عمر رضى الله عنهما إنا نسافر فى الآفاق فنلقى قوما يقولون لاقدر، فقال ابن عمر رضى الله عنهما: إذا لقيتموهم فأخبروهم أن عبد الله بن عمر منهم برىء وأنهم منه برآء (ثلاثا) ثم إنه أنشأ يحدث: بينما نحن عند رسول الله ﷺ فجاء رجل فذكر من هيئته، فقال رسول الله ﷺ ادنه فدنا، فقال ادنه فدنا فقال ادنه فدنا حتى كاد ركبتاه تمسان ركبتيه، فقال: يارسول الله أخبرنى ما الإيمان أو عن الإيمان قال: تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر. قال سفيان: أراه قال خيره وشره. قال فما الإسلام؟ قال إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان وغسل من الجنابة، كل ذلك قال: صدقت صدقت. قال القوم: مارأينا رجلا أشد توقيرا لرسول الله ﷺ من هذا كأنه يعلّم رسول الله ﷺ. ثم قال: يارسول الله أخبرنى عن الإحسان. قال أن تعبد الله أوتعبده كأنك تراه، فإلا تراه فانه يراك. كل ذلك نقول مارأينا رجلا أشد توقيرا لرسول الله ﷺ من هذا، فيقول: صدقت صدقت. قال: أخبرنى عن الساعة. قال: ماالمسؤول عنها بأعلم بها من السائل.قال فقال: صدقت ذلك مرارا، ما رأينا رجلا أشد توقيرا لرسول الله ﷺ من هذا. ثم ولى. قال سفيان فبلغنى أن رسول الله ﷺ قال: التمسوه، فلم يجدوه.قال هذا جبريل جاءكم يعلمكم دينكم. ما أتانا فى صورة إلا عرفته غير هذه الصورة (١) . وإسناده: حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا أبو نعيم حدثنا سفيان عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن يحيى بن يعمر الخ.

وفى رواية قال: قلت لابن عمر إن عندنا رجالا يزعمون أن الأمر بأيديهم فان شاءوا عملوا وإن شاءوا لم يعملوا. فقال: أخبرهم أنى منهم برىء وأنهم منا برآء. ثم قال: جاء جبريل إلى النبى ﷺ فقال: يامحمد ما الإسلام. فقال: تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت. قال: فإذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال نعم. قال صدقت. قال فما الإحسان قال: تخشى الله كأنك تراه فان لاتك تراه فإنه يراك. قال: فاذا فعلت ذلك فأنا محسن؟ قال نعم. قال صدقت. قال: فما الإيمان؟ قال تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث من بعد الموت والجنة والنار والقدر كله. قال فاذا فعلت ذلك فأنا مؤمن؟ قال نعم. قال صدقت.

زاد فى رواية: وكان جبريل يأتى النبى ﷺ فى صورة دحية. وسند هذه الرواية: حدثنا عبد الله حدثنى أبى حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا على بن زيد عن يحيى بن

(١) رواه أحمد فى المسند .

يعمر قلت لابن عمر الخ.

وفي أخرى عن ابن عمر رضي عنهما أن جبريل قال للنبي ﷺ: ماالإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال له جبريل عليه السلام صدقت. قال فتعجبنا منه يسأله ويصدقه. قال فقال النبي ﷺ: ذاك جبريل أتاكم يعلمكم معالم دينكم. وسند هذه الرواية حدثنا عبد حدثني أبي الله حدثنا وكيع حدثنا كهمس عن ابن بريدة عن يحيى بن يعمر الخ.

ورواية عن يحيى بن يعمر وحميد بن عبد الرحمن الحميرى قال: لقينا عبد الله بن عمر رضي اللهعنهما فذكرنا القدر ومايقولون فيه فقال لنا: إذا رجعتم إليهم فقولوا لهم إن ابن عمر منكم برىء وأنتم منه برآء (ثلاث مرار) ثم قال: أخبرني عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنهم بينما هم جلوس أو قعود عند النبي ﷺ جاءه رجل يمشي حسن الوجه حسن الشعر عليه ثياب بيض فنظر القوم بعضهم إلى بعض مانعرف هذا وماهذا بصاحب سفر. ثم قال: يارسول الله آتيك؟ قال نعم. فجاء فوضع ركبتيه عند ركبتيه ويديه على فخذيه وساق الحديث بنحو ماتقدم فى الصحيح والسنن، وزاد فى آخره سؤال الرجل من جهينة أو مزينة كما تقدم في رواية أبي داود.

الحديث به عن أبي هريرة

وأما الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد قال حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال أخبرنا أبو حيان التيمي عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ بارزا يوما للناس فأتاه رجل فقال ما الإيمان؟ قال الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث. قال: ما الإسلام؟ قال: الإسلام أن تعبد الله ولاتشرك به وتقيم الصلاة تكن الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال : ما الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تراه فانه يراك. قال متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم فى البنيان فى خمس لايعلمهن إلا الله تعالى. ثم تلا النبي ﷺ ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** ﴾ ثم أدبر فقال: ردوه فلم يروا شيئا، فقال: هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم. قال أبو عبد الله: جعل ذلك كله من الإيمان، وترجم عليه: باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة وبيان النبي ﷺ له. ثم قال: جاء جبريل يعلمكم دينكم، فجعل ذلك كله دينا[١].

وأخرجه في تفسير سورة لقمان فقال: باب قول الله تعالى ﴿ **إن الله عنده علم الساعة**﴾ حدثني اسحاق عن جرير عن أبي حيان الحديث. وفيه إذ أتاه رجل يمشي فقال: يارسول الله

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ، من تحقيقنا ، كتاب التفسير سورة لقمان .

ما الإيمان؟ وفيه : قال يارسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل. ولكن سأحدثك عن أشراطها، إذا ولدت الأمة ربتها فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس فذاك من أشراطها، في خمس لايعلمهن إلا الله **﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام ﴾** ثم انصرف الرجل فقال ردوا علي، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا: فقال هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم.

ورواه مسلم فقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب جميعا عن ابن علية قال زهير: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم عن أبي حيان الحديث وزاد: وإذا تطاول رعاة البهم في البنيان فذاك من أشراطها في خمس لايعلمهن إلا الله . ثم تلا رسول الله ﷺ **﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾** قال ثم أدبر إلخ.

وقال حدثنا محمد بن عبد الله بن نمير حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان التيمي بهذا الاسناد مثله، غير أن في روايته « إذا ولدت الأمة بعلها» يعني السراري.

وقال حدثني زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة وهو ابن القعقاع عن أبي زرعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : سلوني. فهابوه أن يسألوه. فجاء رجل فجلس عند ركبتيه فقال: يارسول الله ما الإسلام؟ قال لاتشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان. قال صدقت. قال يارسول الله ماالإيمان؟ قال أن تؤمن بالله وملائكته وكتابه ولقائه ورسله وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله. قال صدقت. قال: يارسول الله ماالإحسان؟ قال أن تخشى الله كأنك تراه، فانك إلا تكن تراه فانه يراك. قال صدقت. قال يارسول الله متى تقوم الساعة؟ قال ماالمسئول عنها بأعلم من السائل. وسأحدثك عن أشراطها: إذا رأيت الأمة تلد ربها فذاك من أشراطها، وإذا رأيت الحفاة العراة الصم البكم ملوك الأرض فذاك من أشراطها. وإذا رأيت رعاء البهم يتطاولون في البنيان فذاك من أشراطها في خمس من الغيب لايعلمهن إلا الله ثم قرأ **﴿ إن ا عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن ا عليم خبير ﴾** قال ثم قام الرجل فقال رسول الله ﷺ ردوه علي، فالتمس فلم يجدوه، فقال رسول الله ﷺ : هذا جبريل أراد أن تعلموا إذ لم تسألوا.

وأشار إليه الترمذي في باب حديث ابن عمر عن عمر. ورواه ابن ماجه باسناد مسلم ولفظه إلى الآخر الآية: ورواه الإمام أحمد عن إسماعيل حدثنا أبو حيان عن أبي زرعة بن عمر عن جرير عن أبي هريرة رضي الله عنه الخ وفيه « وإذا كانت العراة الحفاة الجفاة ».

الحديث به عنه وعن أبي ذر

وأما حديثه مع أبي ذر رضي الله عنهما فقال النسائي في كتاب الإيمان من مجتبى سننه: صفة الإيمان والإسلام. أخبرنا محمد بن قدامة عن جرير عن أبي فروة عن أبي زرعة عن أبي هريرة وأبي ذر رضي الله عنهما قالا كان رسول الله ﷺ يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيئ الغريب فلايدرى أيهم هو حتى يسأل، فطلبنا إلى رسول الله ﷺ أن نجعل له مجلسا يعرفه الغريب إذا أتاه، فبنينا له دكانا من طين كان يجلس عليه، وإنا لجلوس ورسول الله ﷺ في مجلسه إذ أقبل رجل أحسن الناس وجها وأطيب الناس ريحا كأن ثيابه لم يمسها دنس حتى سلم في طرف البساط فقال: السلام عليك يامحمد، فرد عليه السلام قال: أدنو يامحمد؟ قال أدنه. فما زال يقول أدنو مرارا ويقول له أدن حتى وضع يده على ركبتي رسول الله ﷺ قال: يامحمد أخبرني ماالإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد اللهولاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان. قال إذا فعلت ذلك فقد أسلمت؟ قال نعم. قال صدقت. فلما سمعنا قول الرجل « صدقت » أنكرنا. قال: يامحمد أخبرني ما الإيمان. قال الإيمان بالله وملائكته والكتاب والنبيين وتؤمن بالقدر. قال: فاذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال رسول الله ﷺ نعم. قال صدقت. قال: يامحمد أخبرني ما الإحسان. قال أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فانه يراك. قال صدقت. قال يامحمد أخبرني متى الساعة. قال فنكس فلم يجبه شيئا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا، ثم أعاد فلم يجبه شيئا ورفع رأسه فقال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها علامات تعرف بها: إذا رأيت الرعاء البهم يتطاولون في البنيان، ورأيت الحفاة العراة ملوك الأرض، ورأيت الأمة تلد ربها في خمس لايعلمها إلا الله ﴿ **إن الله عنده علم الساعة** – إلى قوله – **إن اللهعليم خبير** ﴾ ثم قال: لا والذى بعث محمدا بالحق هاديا وبشيرا ماكنت بأعلم به من رجل منكم، وإنه لجبريل نزل في صورة دحية الكلبي رضي الله عنه(1).

وقال أبو داود في باب القدر من كتاب السنة من سننه: حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن فروة عن أبي زرعة بن عمر بن جرير عن أبي ذر وأبي هريرة قال كان رسول الله ﷺ الحديث. وفيه: فبنينا له دكانا من طين فجلس عليه. وكنا نجلس بجنبتيه. وذكر نحو هذا الخبر فأقبل رجل فذكر هيئته حتى سلم من طرف السماط فقال: السلام عليك يامحمد، قال فرد عليه النبي ﷺ.

فحاصل طرق حديث أبي هريرة وحده ومع أبي ذر رضي الله عنهما أبو زرعة عن أبي هريرة وعنه أبي حيان وأبو فروة وعمارة بن القعقاع، وعن أبي حيان إسماعيل بن إبراهيم ابن علية وجرير ومحمد بن بشر، وعن إسماعيل ومسدد وأبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن

(1) رواه أبو داود والنسائي .

حرب وأحمد بن حنبل، وعن جرير واسحاق وزهير بن حرب ومحمد بن قدامة وعثمان بن أبى شيبة، وعن محمد وبشر محمد بن نمير، وعن كل من عماره وأبى فروة وجرير والله أعلم.

الحديث به عن ابن عباس

وأما حديث ابن عباس:فقال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر حدثنا عبد الحميد حدثنا شهر حدثنى عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قال: جلس رسول اللهﷺ مجلسا فجاء جبريل عليه السلام فجلس بين يدى رسول اللهﷺ واضعا كفيه على ركبتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله حدثنى ما الإسلام؟ قال رسول اللهﷺ: الإسلام أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله. قال: إذا فعلت ذلك فأنا مسلم؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد أسلمت. قال. يارسول الله فحدثنى ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان وتؤمن بالقدر كله خيره وشره. وقال: فاذا فعلت ذلك فقد آمنت؟ قال: إذا فعلت ذلك فقد آمنت. قال: يارسول الله حدثنى ما الإحسان؟ قال رسول الله ﷺ: الإحسان أن تعمل لله كأنك تراه، فانك إن لم تره فانه يراك. قال: يارسول الله فحدثنى متى الساعة؟ قال رسول اللهﷺ : سبحان الله فى خمس من الغيب لايعلمهن إلا الله ﴿ **إن ا عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن ا عليم خبير** ﴾ ولكن إن شئت حدثتك بمعالم لها دون ذلك، قال أجل يارسول الله فحدثنى. قال رسول اللهﷺ : إذا رأيت الأمة ولدت ربتها أو ربها. ورأيت أصحاب الشاء تطاولوا بالبنيان، ورأيت الحفاة الجياع العالة كانوا رءوس الناس فذلك من معالم الساعة وأشراطها. قال: يارسول الله ومن أصحاب الشاء والحفاة الجياع العالة؟ قال العرب[1]. وحسنه الحافظ العسقلانى.

الحديث به عن أبى عامر

وأما حديث أبى عامر فقال الإمام أحمد أيضا: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب قال: حدثنا عبد الله بن أبى حسين حدثنا شهر بن حوشب عن عامر أو أبى عامر أو أبى مالك رضى الله عنه أن النبى ﷺ بينما هو جالس فى مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل عليه السلام فى غير صورته يحسبه رجلا من المسلمين فسلم عليه فرد عليه السلام، ثم وضع جبريل يده على ركبتى النبى ﷺ فذكر الحديث بنحو حديث عمر بن الخطاب. وفيه: فلما ولى أى السائل فلما لم نر طريقه بعد قال، أى النبى ﷺ: سبحان الله ثلاثا: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم. وحسنه والحافظ أيضا وهو من مفردات أحمد رحمه الله

(١) رواه أحمد فى المسند

تعالى. وأما الأحاديث التي قبله فقد خرجها غير من ذكرنا، وإنما اقتصرنا على روايات الأمهات لشهرتها وفى الباب عن جماعة من الصحابة غير من ذكر، منهم طلحة بن عبيد الله وأنس ابن مالك وجرير بن عبد الله البجلي رضى عنهم، وسنذكر إن شاء الله تعالى ماتيسر من النصوص فى كل مسألة من مسائله عند ذكرها فى المتن، فنقول وبالله التوفيق:

الإيمان قول وعمل

﴿ اعلم بأن الدين قول وعمل فاحفظه وافهم ماعليه ذا اشتمل ﴾

(اعلم) يا أخى وفقنى الله وإياك والمسلمين (بأن الدين) الذى بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، ورضيه لأهل سمواته وأرضه، وأمر أن لايعبد إلا به، ولايقبل من أحد سواه، ولايرغب عنه إلا من سفه نفسه، ولاأحسن دينا ممن التزمه واتبعه هو (قول) أى بالقلب واللسان (وعمل) أى بالقلب واللسان والجوارح. فهذه أربعة أشياء جامعة لأمور دين الإسلام:

الأول: قول القلب وهو تصديقه وإيقانه، قال الله تعالى ﴿ **والذى جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون. لهم مايشاءون عند ربهم ذلك جزاء المحسنين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكذلك نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا** ﴾ صدّقوا ثم لم يشكوا. وفى حديث الدرجات العلى «بلى والذى نفسى بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين». وقال تعالى ﴿ **والذين يؤمنون بالغيب** ﴾. وقال تعالى ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾ وغير ذلك من الآيات. وفى حديث الشفاعة «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه من الخير مايزن شعيرة» الحديث. وفى الحديث الآخر «فيقال انطلق فمن كان فى قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان، ثم من كان فى قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان» وقال تعالى فى المكذبين ﴿ **أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون** ﴾ وقال تعالى فى المرتابين الشاكين ﴿**يقولون بأفواههم ما ليس فى قلوبهم** ﴾ وقال فيهم ﴿ **ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم** ﴾ وقال تعالى فيهم ﴿ **إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد إن المنافقين لكاذبون** ﴾ أى فى قولهم نشهد، أى كذبوا، انهم لايشهدون بذلك بقلوبهم، إنما هو بألسنتهم تقية ونفاقا ومخادعة.

الثاني: قول اللسان وهو النطق بالشهادتين شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، والإقرار بلوازمها. قال الله ﴿ **وقولوا آمنا** ﴾، ﴿ **وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق** ﴾، ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب** ﴾، وقال تعالى ﴿ **إلا من شهد بالحق** ﴾، ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون** ﴾، وقال ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» وما في معناه مما سنذكر ومما لانذكر.

الثالث: عمل القلب، وهو النية والاخلاص والمحبة والانقياد والاقبال على الله عز وجل والتوكل عليه ولوازم ذلك وتوابعه، قال اللهتعالى ﴿ **ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾، ﴿ **وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى** ﴾، ﴿ **إنما نطعمكم لوجه الله** ﴾، ﴿ **الذين إذا ذكر اللهوجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا** ﴾، ﴿ **والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون** ﴾، ﴿ **الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم، ثم تل جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله** ﴾، ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ألا لله الدين الخالص** ﴾، « **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين** »، « **قل أعبد مخلصا له ديني** ﴾، وقال تعالى ﴿ **والذين آمنوا أشحيا لله** »،« **يحبهم ويحبونه إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله** »، « **ولكن الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن** ﴾، ﴿ **ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى** ﴾، ﴿ **فالهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين** ﴾، ﴿ **فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾، وقال النبي ﷺ « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء مانوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ماهاجر إليه»[1] وقال ﷺ «قال الله تعالى: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» وقد تقدم جملة من نصوص الإخلاص في الكلام على لا إله إلا الله، وتقدم هناك بيانه وما ينافيه من الشرك الأكبر وما ينافي كماله من الشرك الأصغر، وقال ﷺ «أحبوا الله من كل قلوبكم» وقال ﷺ « ثلاث من كنَّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما» الحديث، وقال ﷺ «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين». وكان ﷺ يقول «اللهم إني أسألك حبك وحب من يحبك وحب كل عمل يقربني إلى حبك». وقال ﷺ «اللهم حبِّب إلينا

الإيمان وزينه في قلوبنا، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان واجعلنا من الراشدين». وقال ﷺ «لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به» وهذا غاية الانقياد إذا لم يكن هوى غير ما جاء به الرسول ﷺ. وقد تقدمت النصوص في التوكل والخوف والرجاء والخشية والخضوع وغير ذلك من أعمال القلوب.

الرابع: عمل اللسان والجوارح، فعمل اللسان مالا يؤدّى إلا به كتلاوة القرآن وسائر الأذكار من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير والدعاء والاستغفار وغير ذلك، وعمل الجوارح مالا يؤدّى إلا بها مثل القيام والركوع والسجود والمشى فى مرضاة الله كنقل الخطا إلى المساجد وإلى الحج والجهادفى سبيل الله عز وجل والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وغير ذلك مما يشمله حديث شعب الإيمان. قال الله تعالى ﴿ **إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **واتل ما أوحى إليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته** ﴾، وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين** ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ **وقل الحمد لله الذى لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيرا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا** ﴾ وهى «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله_ والله و أكبر الله ولاحول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم»، وقال تعالى ﴿ **ادعوا ربكم تضرعا وخفية** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **واستغروا الله إن غفور الله رحيم** ﴾، وقال تعالى ﴿ **الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم** ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ **وقوموا لله قانتين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. وجاهدوا فى الله حق جهاده** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما. والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فَيقتلون ويُقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين** ﴾، والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا ليس هذا موضع بسطها، وإنما المقصود تقرير هذه الأمور من أصول الدين، فاذا حققت هذه الأمور الأربعة

تحقيقا بالغا وعرفت مايراد بها معرفة تامة وفهمت فهما واضحا ثم أمعنت النظر في أضدادها ونواقضها تبين لك أن أنواع الكفر لاتخرج عن أربعة: كفر جهل وتكذيب، وكفر جحود، وكفر عناد واستكبار، وكفر نفاق. فأحدها يخرج من الملة بالكلية، وإن اجتمعت في شخص فظلمات بعضها فوق بعض والعياذ بالله من ذلك، لأنها إما أن تنتفي هذه الأمور كلها - قول القلب وعمله وقول اللسان وعمل الجوارح - أو ينتفي بعضها، فان انتفت كلها اجتمع أنواع الكفر غير النفاق، قال الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون. ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم** ﴾. وإن انتفى تصديق القلب مع عدم العلم بالحق فكفر الجهل والتكذيب، قال الله تعالى ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون**﴾. وإن كتم الحق مع العلم بصدقه فكفر الجحود والكتمان، قال الله تعالى ﴿ **وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين**﴾. وإن انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع انقياد الجوارح الظاهرة فكفر نفاق سواء وجد التصديق المطلق أو انتفى وسواء انتفى بتكذيب أو شك، قال الله تعالى ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين - إلى قوله - ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم إن الله على كل شيء قدير** ﴾. وإن انتفى عمل القلب وعمل الجوارح مع المعرفة بالقلب والاعتراف باللسان فكفر عناد واستكبار، ككفر إبليس وكفر غالب اليهود الذين شهدوا أن الرسول حق ولم يتبعوه أمثال حُيَيّ بن أخطب وكعب بن الأشرف وغيرهم، وكفر من ترك الصلاة عنادا واستكبارا، ومحال أن ينتفي انقياد الجوارح بالأعمال الظاهرة مع ثبوت عمل القلب، قال النبي ﷺ « إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، إلا وهي القلب»، ومن هنا يتبين لك أن من قال من أهل السنة في الإيمان هو التصديق على ظاهر اللغة أنهم إنما عنوا التصديق الإذعاني المستلزم للانقياد ظاهرا وباطنا بلا شك، لم يعنوا مجرد التصديق، فان إبليس لم يكذب في أمر الله تعالى له بالسجود وإنما أبى عن الانقياد كفرا واستكبارا، واليهود كانوا يعتقدون صدق الرسولﷺ ولم يتبعوه، وفرعون كان يعتقد صدق موسى ولم ينقد بل جحد بآيات الله ظلما وعلوا، فأين هذا من تصديق من قال الله تعالى فيه ﴿ **والذي جاء بالصدق وصدّق به أولئك هم المتقون** ﴾ الآيات. وأين تصديق من قال الله

تعالى فيهم ﴿ قالوا سمعنا وعصينا ﴾ ، ﴿ وقالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم ﴾ من تصديق من قالوا ﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾والله الموفق.

﴿ كفاك ماقد قاله الرسول إذ جاءه يسأله جبريل ﴾
﴿ على مراتب ثلاث فصله جاءت على جميعه مشتمله ﴾
﴿ الإسلام والإيمانِ والإحسانِ والكل مبنى على أركان ﴾

(كفاك) أيها الطالب الحق (ماقد قاله الرسول) محمد ﷺ (إذ) حين (جاءه يسأله)عن مراتب الدين وشرائعه (جبريل) عليه السلام كما فى الأحاديث السابقة عن جماعة من الصحابة (على مراتب ثلاث فصله) فى تلك الأجوبة الصريحة (جاءت) أى الثلاث المراتب (على جميعه) أى على جميع الدين (مشتملة) ولهذا سمى النبى ﷺ تلك الأمور «الدين» فقال «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».

(الإسلام) بالخفض بدل مفصل من مجمل مراتب، ويقال له بدل بعض من كل، وما بعده معطوفان عليه. هذه هى المرتبة الأولى فى حديث عمر وما وافق لفظه. والإسلام لغة: الانقياد والإذعان، وأما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان: (الحالة الأولى) أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإيمان،فهو حينئذ يراد به الدين كله أصوله وفروعه من اعتقاداته وأقواله وأفعاله،كقوله تعالى ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقوله تعالى ﴿ ورضيت لكم الإسلام دينا ﴾ وقوله ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ﴾ وقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ﴾ أى فى كافة شرائعه، ونحو ذلك من الآيات. وكقوله ﷺ لما سأله معاوية بن حيدة: ما الإسلام؟ قال «أن تقول أسلمت وجهى لله وتخليت» الحديث، وفى حديث عمرو بن عبسة رضى الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما الإسلام؟ قال «أن يسلم قلبك لله عز وجل، وأن يسلم المسلمون من لسانك ويدك»[1] قال: فأى الإسلام أفضل؟ قال «الإيمان» قال: وما الإيمان؟ قال« تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت» فجعل ﷺ الإيمان من الإسلام وهو أفضله، وقوله ﷺ «إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها» الحديث. فان الانقياد ظاهرا بدون إيمان لايكون حسن إسلام بل هو النفاق، فكيف تكتب له حسنات أو تمحى عنه سيئات؟ ونحو ذلك من الأحاديث. (الحالة الثانية) أن يطلق مقترنا بالاعتقاد، فهو حينئذ يراد به الأعمال والأقوال الظاهرة كقوله تعالى ﴿قالت

---

(١) رواه أحمد فى مسنده .

الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ الآية، وكقوله ﷺ لما قال له سعيد رضى الله عنه: مالك عن فلان، فو الله إنى لأُراه مؤمنا. فقال ﷺ «أو مسلم» يعنى أنك لم تطلع على إيمانه، وإنما اطلعت على إسلامه من الأعمال الظاهرة.وفى رواية النسائى «لاتقل مؤمن وقل مسلم» ،وكحديث عمر هذا، وغير ذلك من الآيات والأحاديث.

(والإيمان) هذه المرتبة الثانية فى الحديث المذكور، والإيمان لغة التصديق قال إخوة يوسف لأبيهم ﴿ وما أنت بمؤمن لنا ﴾ يقول بمصدق، وأما فى الشريعة فلإطلاقه حالتان: (الحالة الأولى) أن يطلق على الإفراد غير مقترن بذكر الإسلام فحينئذ يراد به الدين كله، كقوله عز وجل ﴿ الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور ﴾ وقوله ﴿ والله ولى المؤمنين ﴾ وقوله تعالى ﴿ ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ﴾ وقوله ﴿وعلى الله فليتوكل المؤمنون ﴾ ، ﴿ وعلى الله فتوكلوا إن كنتم مؤمنين ﴾ وقوله ﷺ «لايدخل الجنة إلا نفس مؤمنة». ولهذا حصر الله الإيمان فيمن التزم الدين كله باطنا وظاهرا فى قوله عز وجل﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم، وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا، وعلى ربهم يتوكلون. الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ وقوله عز وجل ﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ وقوله تعالى ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذُكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لايستكبرون. تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون ﴾ وفسرهم بمن اتصف بذلك كله فى قوله عز وجل ﴿ الم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين. الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون، أولئك على هدى من ربكهم وأولئك هم المفلحون . وفى قوله عز وجل ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. الذين ينفقون فى السرّاء والضرّاء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم، ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون. أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا

يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ قد أفلح المؤمنون، الذين هم فى صلاتهم خاشعون، والذين هم عن اللغو معرضون، والذين هم للزكاة فاعلون، والذين هم لفروجهم حافظون، إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون، والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ وفى قوله عز وجل ﴿ طس تلك آيات القرآن وكتاب مبين. هدى وبشرى للمؤمنين. الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وبالآخرة هم يوقنون ﴾ وغيرها من الآيات. وقد فسر الله تعالى «الإيمان» بذلك كله فى قوله تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾. وروى ابن أبى حاتم أن أبا ذر سأل النبى ﷺ: ما الإيمان؟ فتلا عليه رسول الله ﷺ ﴿ ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ﴾ إلى آخر الآية. ثم سأله أيضا، فتلاها عليه، ثم سأله فقال «إذا عملت حسنة أحبها قلبك، وإذا عملت سيئة أبغضها قلبك» رواه المسعودى بنحوه، وفسره النبى ﷺ بذلك كله فى حديث وفد عبد القيس فى الصحيحين وغيرهما فقال «آمركم بالإيمان بالله وحده» قال «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال. شهادة أن لاإله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تؤدوا من المغنم الخمس»[1] ، وقد جعل ﷺقيام رمضان إيمانا واحتسابا من الإيمان،وكذا قيام ليلة القدر، وكذا أداء الأمانة، وكذا الجهاد والحج واتباع الجنائز. وغير ذلك. وفى الصحيحين «الإيمان بضع وسبعون شعبة، فأعلاها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» ، وهذه الشعب المذكورة قد جاءت فى القرآن والسنة فى مواضع متفرقة، منها ما هو من قول القلب وعمله، ومنها ماهو من قول اللسان، ومنها ماهو من عمل الجوارح. ولما كانت الصلاة جامعة لقول القلب وعمله وقول اللسان وعمله وعمل الجوارح سماها الله تعالى إيمانا فى قول الله عز وجل ﴿ وما كان الله ليضيع إيمانكم ﴾ يعنى صلاتكم كما

---

(١) رواه أبو داود ، وأحمد فى المسند .

يعلم من سبب نزول الآية، وروى سعيد بن منصور عن عبد الرحمن بن يزيد: كنا عند عبد الله بن مسعود فذكرنا أصحاب محمد ﷺوماسبقونا به، فقال عبد الله : إن أمر محمد ﷺ كان بينا لمن رآه، والذى لا إله غيره ما آمن أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بالغيب، ثم قرأ ﴿ **الم. ذلك الكتاب – إلى قوله – المفلحون** ﴾ والآيات والأحاديث فى هذا الباب يطول ذكرها، وإنما أشرنا إلى طرف منها يدل على ماوراءه وبالله التوفيق. وهذا المعنى هو الذى قصده السلف الصالح بقولهم رحمهم اللهتعالى: إن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وإن الأعمال كلها داخلة فى مسمى الإيمان. وحكى الشافعى على ذلك إجماع الصحابة والتابعين ومن بعدهم ممن أدركهم. وأنكر السلف على من أخرج الأعمال عن الإيمان إنكاراً شديداً، وممن أنكر ذلك على قائله وجعله قولا محدثا ممن سمى لنا سعيد بن جبير، وميمون بن مهران، وقتادة، وأيوب السختياني، والنَّخَعى، والزهرى، وإبراهيم، ويحيى بن أبى كثير، والثورى، والأوزاعى، وعمر بن عبد العزيز وغيرهم. قال الثورى: هو رأى محدث، أدركنا الناس على غيره. وقال الأوزاعى: كان من مضى من السلف لايفرقون بين العمل والإيمان. وكتب عمر بن عبد العزيز إلى الأمصار: أما بعد فان الإيمان فرائض وشرائع، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. وهذا المعنى هو الذى أراد البخارى إثباته فى كتاب الإيمان وعليه بوّب أبوابه كلها فقال: «باب أمور الإيمان» و «باب الصلاة من الإيمان» و «باب الزكاة من الإيمان» و «باب الجهاد من الإيمان» و «باب حب الرسول ﷺ من الإيمان» و «باب الحياء من الإيمان» و «باب قيام ليلة القدر من الإيمان» و «باب قيام رمضان من الإيمان» وباب صوم رمضان احتساباً » وباب اتباع الجنائز من الإيمان و « باب أداء الخمس من الإيمان» وسائر أبوابه وكذلك صنع النسائى فى المجتبى وبوب الترمذى على حديث وفد عبد القيس باب ما جاء فى إضافة الفرائض إلى الإيمان وكلام أئمة الحديث وتراجمهم فى كتبهم يطول ذكره وهو معلوم مشهور، ومما قصدوه بذلك الرد على أهل البدع ممن قال هو مجرد التصديق فقط كابن الراوندى ومن وافقه من المعتزلة وغيرهم، إذ على هذا القول يكون اليهود الذين أقروا برسالة محمد ﷺ واستيقنوها ولم يتبعوه مؤمنين بذلك، وقد نفى الله الإيمان عنهم. وقال جهم بن صفوان وأتباعه: هو المعرفة بالله فقط. وعلى هذا القول ليس على وجه الأرض كافر بالكلية، إذ لايجهل الخالقَ سبحانه أحد. وما أحسن ما قاله العلامة ابن القيم رحمه الله فى نونيته الكافية الشافية:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاّقهم هو منتهى الإيمان
والناس فى الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان

فاسأل أبا جهل وشيعته ومن | والاهمو من عابدى الأوثان
وسل اليهود وكل أقلف مشرك | عبد المسيح مقبل الصلبان
واسأل ثمود وعاد بل سل قبلهم | أعداء نوح أمة الطوفان
واسأل أبا الجن اللعين أتعرف | الخلاق أم أصبحت ذا نكران
واسأل شرار الخلق أقبح أمة | لوطية هم ناكحو الذكران
واسأل كذاك إمام كل معطل | فرعون مع قارون مع هامان
هل كان فيهم منكر للخالق | الربّ العظيم مكوّن الأكوان
فليبشروا مافيهمو من كافر | هم عند جهم كاملو الإيمان

وقالت المرجئة والكرّامية: الإيمان هو الاقرار باللسان دون عقد القلب، فيكون المنافقون على هذا مؤمنين، وقد قال تعالى فيهم ﴿ **ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبدا ولاتقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله** – إلى قوله – **وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ وغير ذلك من الآيات، وهم قد نطقوا بالشهادتين بألسنتهم فقط وكذّبهم الله عز وجل فى دعواهم فى غير موضع من القرآن. وقال آخرون: التصديق بالجنان والاقرار باللسان. وهذا القول مخرج لأركان الإسلام الظاهرة المذكورة فى حديث جبريل، وهو ظاهر البطلان. وذهب الخوارج والعلاف ومن وافقهم إلى أنه الطاعة بأسرها فرضا كانت أو نفلا، وهذا القول مصادم لتعليم النبى ﷺ لوفود العرب السائلين عن الإسلام والإيمان. وكل مايقول له السائل فى فريضة: هل على غيرها؟ قال «لا» إلا أن تطّوع شيئا». وذهب الجبائى وأكثر المتعزلة البصرية إلى أنه الطاعات المفروضة من الأفعال والتروك دون النوافل. وهذا أيضا يدخل المنافقين فى الإيمان وقد نفاه الله عنهم. وقال الباقون منهم: العمل والنطق والاعتقاد. والفرق بين هذا وبين قول السلف الصالح أن السلف لم يجعلوا كل الأعمال شرطا فى الصحة، بل جعلوا كثيرا منها شرطا فى الكمال كما قال عمر بن عبد العزيز فيها: من استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان. والمعتزلة جعلوها كلها شرطا فى الصحة والله أعلم.

و(**الحالة الثانية**) أن يطلق الإيمان مقرونا بالإسلام، وحينئذ يفسر بالاعتقادات الباطنة كما فى حديث جبريل هذا ومافى معناه، وكما فى قول الله عز وجل ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فى غير ما موضع من كتابه، وكما فى قول النبى ﷺ فى دعاء الجنازة «اللهم من أحييته منا فأحيه على الإسلام، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان» وذلك أن الأعمال بالجوارح، وإنما يتمكن منها فى الحياة فأما عند الموت فلايبقى غير قول القلب وعمله .وكحديث أنس عند أحمد عن النبى ﷺ قال «الإسلام علانية، والإيمان فى القلب» والحاصل أنه إذا أفرد كل من الإسلام والإيمان بالذكر فلافرق بينهما حينئذ،

بل كل منهما على انفراد يشمل الدين كله، وإن فرق بين الاسمين كان الفرق بينهما بما فى هذا الحديث الجليل، والمجموع مع الإحسان هو الدين كما سمى النبى ﷺ ذلك كله دينا، وبهذا يحصل الجمع بين هذا الحديث وبين الأحاديث التى فيها تفسير الإيمان بالإسلام والإسلام بالإيمان، وبذلك جمع بينه وبينها أهل العلم. قال ابن رجب رحمه الله : وأما وجه الجمع بين هذه النصوص وبين حديث سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام والإيمان وتفريق النبى ﷺ بينهما وإدخال الأعمال فى مسمى الإسلام دون الإيمان فأنه يتضح بتقرير أصل، وهو أن من الأسماء مايكون شاملا لمسميات متعددة عند إفراده وإطلاقه، فاذا قرن ذلك الاسم بغيره صار دالا على بعض تلك المسميات، والاسم المقرون به دالا على باقيها، وهذا كاسم الفقير والمسكين فاذا أفرد أحدهما دخل فيه كل من هو محتاج، فاذا قرن أحدهما بالآخر دل أحد الاسمين على بعض أنواع ذوى الحاجات والآخر على باقيها، فهكذا اسم الإسلام والإيمان إذا أفرد أحدهما دخل فيه الآخر ودل بانفراده على ما يدل عليه الآخر بأنفراده ودل الآخر على الباقى. قال: وقد صرح بهذا المعنى جماعة من الأئمة، قال أبو بكر الإسماعيلى فى رسالته إلى أهل الجبل: قال كثير من أهل السنة والجماعة إن الإيمان قول وعمل، والإسلام فعل مافرض الله تعالى على الإنسان أن يفعله إذا ذكر كل اسم على حدته مضموما إلى الآخر، فقيل المؤمنون والمسلمون جميعا مفردين أريد بأحدهما معنى لم يرد به الآخر وإذا ذكر أحد الاسمين شمل الكل وعمهم. وقد ذكر هذا المعنى أيضا الخطابى فى كتابه معالم السنن وتبعه عليه جماعة من العلماء من بعده. قلت: كلام الخطابى الذى أشار إليه ابن رجب ذكره النووى فى شرح مسلم قال: قال الامام أبو سليمان أحمد بن محمد بن إبراهيم الخطابى البستى الفقيه الأديب الشافعى المحقق رحمه الله تعالى فى كتابه معالم السنن: ما أكثر مايغلط الناس فى هذه المسألة، فأما الزهرى فقال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل. واحتج بالآية يعنى قوله عز وجل ﴿ **قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم** ﴾ وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شىء واحد واحتج بقوله تعالى ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين، فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين** ﴾ قال الخطابى: وقد تكلم فى هذا الباب رجلان من كبراء أهل العلم وصار كل واحد منهما إلى قول من هذين، ورد الآخر منهما على المتقدم وصنف كتابا يبلغ عدد أوراقه المئين. قال الخطابى: والصحيح من ذلك أن يقيد الكلام فى هذا ولايطلق، وذلك أن المسلم قد يكون مؤمنا فى بعض الأحوال ولايكون مؤمنا فى بعضها، والمؤمن مسلم فى جميع الأحوال، فكل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا. وإذا حملت الأمر على هذا استقام لك تأويل الآيات واعتدل القول فيها ولم يختلف شىء منها. وأصل الإيمان التصديق، وأصل الإسلام الاستسلام والانقياد، فقد يكون المرء مستسلما فى الظاهر غيرمنقاد فى الباطن، وقد يكون

مصدقا فى الباطن غير منقاد فى الظاهر. قلت مارواه الخطابى عن الزهرى أنه قال: الإسلام الكلمة، والإيمان العمل، هذا عندى فيه نظر، فانه غير قيم المبنى ولا واضح المعنى، والزهرى إمام عظيم من كبار حملة الشريعة لايجهل مثل هذا وليس هذه العبارة محفوظة عنه من وجه يصح بهذه الحروف، فان صح النقل عنه ففى الكلام تصحيف واسقاط لعل الصواب فيه هكذا: الإسلام الكلمة والإيمان والعمل، فسقطت الواو العاطفة للعمل على الإيمان، وهذا متعين لموافقته قول أهل السنة قاطبة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل. والزهرى من أكبر أئمتهم وقد تقدم قوله معهم فيما روى الشافعى عنهم رحمهم تعالى الله، ويكون عنى بالإسلام الدين كله كما عنى غيره بالإيمان الدين كله، ومما يدل على ذلك استدلاله بالآية المذكورة فانه لايستقيم إلاعلى هذا ولايستقيم على معنى الأول لإهمال الاعتقاد فيه الموجود فى قوله تعالى ﴿ **ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم** ﴾ الآية. وأما قوله: وذهب غيره إلى أن الإسلام والإيمان شىء واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئا واحد، فهذا إن أراد بذلك الغير من أهل السنة فهم لم يجعلوهما شيئا واحدا إلا عند الانفراد وعدم الاقتران لشمول أحدهما معنى الآخر كما قدمنا، وأما عند اقتران أحدهما بالآخر ففرقوا بينهما بما فرق به الرسول ﷺ فى حديث جبريل عليه السلام. وأن أراد من أهل البدع فاطلاق التسوية بينهما والاتحاد فى كل حال من الأحوال هو رأى المعتزلة، وهم المحتجون على ذلك بآيتى الذاريات وهو احتجاج ضعيف جدا، لأن هؤلاء كانوا قوما مؤمنين وعند أهل السنة أن كل مؤمن مسلم ولاينعكس فاتفق الاسمان ههنا لخصوصية الحال، ولايلزم ذلك فى كل حال والله أعلم. وقال الخطابى رحمه الله أيضا فى قول النبى ﷺ « الإيمان بضع وسبعون شعبة»: فى هذا الحديث بيان أن الإيمان الشرعى اسم لمعنى ذى شعب وأجزاء، له أعلى وأدنى، والاسم يتعلق ببعضها كما يتعلق بكلها، والحقيقة تقتضى جميع شعبه وتستوفى جملة أجزائه، كالصلاة الشرعية لها شعب وأجزاء والاسم يتعلق ببعضها، والحقيقة تقتضى جميع أجزائها وتستوفيها عليه قوله ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان» وفيه إثبات التفاضل فى الإيمان وتباين المؤمنين فى درجاته. انتهى وما أحسن ماقال الإمام أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعى رحمه الله تعالى فى تفسير سورة البقرة لما ذكر هذا الحديث عند قوله عز وجل ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ الآيات، قال: فالنبى ﷺ جعل الإسلام فى هذا الحديث اسما لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسما لما بطن من الاعتقاد، وليس ذلك لأن الأعمال ليست من الإيمان والتصديق بالقلب ليس من الإسلام، بل ذلك تفصيل لجملة هى كلها شىء واحد وجماعها الدين، ولذلك قال «ذاك جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» انتهى وقال الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى: قوله ﷺ «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن

محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، والإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: هذا بيان لأصل الإيمان، وهو التصديق الباطن. وبيان لأصل الإسلام وهو الاستسلام والانقياد الظاهر، وحكم الإسلام فى الظاهر يثبت بالشهادتين، وإنما أضاف إليهما الصلاة والزكاة والصوم والحج لكونها أظهر شعائر الإسلام وأعظمها، وبقيامها به يتم استسلامه، وتركه لها يشعر بانحلال قيد انقياده أو اختلاله. ثم إن اسم الإيمان يتناول مافسر به الإسلام فى هذا الحديث وسائر الطاعات لكونها ثمرات التصديق الباطن الذى هو أصل الإيمان ومقويات ومتممات وحافظات، ولهذا فسر ﷺ الإيمان فى حديث وفد عبد القيس بالشهادتين والصلاة والزكاة وصوم رمضان وإعطاء الخمس من المغنم، ولهذا لايقع اسم المؤمن المطلق على من ارتكب كبيرة أو ترك فريضة لأن اسم الشيء مطلقا يقع على الكل منه، ولايستعمل فى الناقص ظاهرا الا بقيد، ولذلك جاز إطلاق نفيه عنه فى قوله ﷺ «لايسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن»، واسم الإسلام يتناول أيضا ماهو أصل الإيمان وهو التصديق الباطن، ويتناول أصل الطاعات، فان ذلك كله استسلام، قال: فخرج مما ذكرناه وحققناه أن الإيمان والإسلام يجتمعان ويفترقان، وأن كل مؤمن مسلم وليس كل مسلم مؤمنا. قال: وهذا تحقيق واف بالتوفيق بين متفرقات نصوص الكتاب والسنة الواردة فى الإيمان والإسلام التى طال ما غلط فيها الخائضون، وما حققناه من ذلك موافق لمذهب جماهير العلماء من أهل الحديث وغيرهم. انتهى وقال ابن رجب الحنبلى رحمه الله تعالى فى الكلام على هذا الحديث: قد تقدم أن الأعمال تدخل فى مسمى الإسلام ومسمى الإيمان أيضا، وذكرنا مايدخل فى ذلك من أعمال الجوارح الظاهرة، ويدخل فى مسماها أيضا أعمال الجوارح الباطنة فيدخل فى أعمال الإسلام إخلاص الدين لله تعالى والنصح له ولعباده وسلامة القلب لهم من الغش والحسد والحقد وتوابع ذلك من أنواع الأذى، ويدخل فى مسمى الإيمان وجل القلوب من ذكر الله عز وجل، وخشوعها عند سماع ذكره وكتابه، وزيادة الإيمان بذلك وتحقيق التوكل على اللهعز وجل، وخوف الله سرا وعلانية، والرضا بالله ربا وبالاسلام دينا ومحمد ﷺ رسولا، واختيار تلف النفوس بأعظم أنواع الآلام على الكفر، واستشعار قرب الله من العبد ودوام استحضاره، وإيثار محبة الله ورسوله على محبة ماسواهما، والحب فى الله والبغض فيه والعطاء له والمنع له، وأن يكون جميع الحركات والسكنات له، وسماحة النفوس بالطاعة المالية والبدنية، والاستبشار بعمل الحسنات والفرح بها والمساءة بعمل السئيات والحزن عليها، وإيثار المومنين لرسول الله ﷺ على أنفسهم وأموالهم، وكثرة الحياء وحسن الخلق، ومحبة مايحبه لنفسه لإخوانه

المؤمنين، ومواساة المؤمنين خصوصا الجيران ومعاضدة المؤمنين ومناصرتهم والحزن بما يحزنهم. ثم ساق من النصوص فى ذلك جملة وافية. قال: والرضا بربوبية الله تعالى تتضمن الرضا بعبادته وحده لاشريك له، والرضا بتدبيره للعبد واختياره له، والرضا بالإسلام دينا يتضمن اختياره على سائر الأديان، والرضا بمحمد ﷺ رسولا يتضمن الرضا بجميع ماجاء به من عند الله وقبول ذلك بالتسليم والانشراح، كما قال تعالى ﴿ **فلا وربك لايؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما** ﴾ انتهى . ونصوص الكتاب والسنة وأقوال أئمة الدين – سلفا وخلفا – فى هذا الباب يطول ذكرها.

ثم اعلم يا أخى أرشدنا الله وإياك أن التزام الدين الذى يكون به النجاة من خزى الدنيا وعذاب الآخرة وبه يفوز العبد بالجنة ويزحزح عن النار إنما هو ماكان على الحقيقة فى كل ماذكر فى حديث جبريل ومافى معناه من الآيات والأحاديث. ومالم يكن منه على الحقيقة ولم يظهر منه ماينافضه أجريت عليه أحكام المسلمين فى الدنيا ووكلت سريرته إلى الله تعالى. قال الله عز وجل ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ وفى الآية الأخرى ﴿ **فاخوانكم فى الدين** ﴾ وغيرها من الآيات. وقال رسول الله ﷺ لأسامة فى قتله الجهنى بعد أن قال لا إله إلا الله ، فقال رسول الله ﷺ «أقال لا إله إلا الله وقتلته» قال قلت: يارسول الله إنما قالها خوفا من السلاح. قال «أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا» ، الحديث بطوله فى الصحيحين من طرق بألفاظ[1]. وفى بعضها: فقال يارسول الله استغفر لى، قال« وكيف تصنع بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة». ولما أن استأذنه عمر رضى عنه فى قتل الرجل الذى انتقد عليه حكمه ﷺ فى قسمه الذهبية قال « معاذ الله أن يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى»، وقال له خالد بن الوليد رضى الله عنه فيه: يارسول الله ألا أضرب عنقه؟ فقال «لعله أن يكون يصلى» قال خالد: وكم من مصلّ يقول بلسانه ماليس فى قلبه. فقال رسول الله ﷺ «إنى لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم» الحديث فى الصحيحين أيضا من طرق بألفاظ. وفى صحيح البخارى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فاذا قالوا وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» وفى رواية عن أنس نفسه وله حكم المرفوع – بل قد رفعه النسائى كما سيأتى – «من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو المسلم، له ما للمسلم وعليه ماعلى المسلم»، ورواه أبو داود فى الجهاد بلفظ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا

(١) رواه مسلم فى الإيمان .

عبده ورسوله وأن يستقبلوا قبلتنا وأن يأكلوا ذبيحتنا وأن يصلوا صلاتنا، فاذا فعلوا ذلك حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين» وفي رواية «أمرت أن أقاتل المشركين» بمعناه. ورواه النسائي في تحريم الدم ولفظه قال «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله الله وأن محمدا رسول الله ، فاذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا فقد حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها، لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم». وفيه قول ميمون بن سياه لأنس بن مالك: يا أبا حمزة ما يحرم دم المسلم وماله؟ فقال: من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فهو مسلم له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين. ورفعه في كتاب الإيمان عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ «من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم» ورواه الترمذي أيضا. وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله عز وجل» وفي موطأ مالك ومسند أحمد بسند جيد: عن عبيد الله بن عديّ بن الخيار «أن رجلا من الأنصار حدثه أنه أتى رسول الله ﷺ وهو في مجلس فسارّه يستأذنه في قتل رجل من المنافقين، فجهر رسول الله ﷺ فقال: أليس يشهد أن لا إله إلا الله فقال : الانصاري: بلى يارسول الله، ولاشهادة له، قال رسول الله ﷺ: أليس يشهد أن محمداً رسول الله قال بلى يا رسول الله أليس يصلي؟ قال: بلى يارسول الله ولاصلاة له. فقال رسول الله ﷺ : أولئك الذين نهاني الله عن قتلهم» وفي الباب عن جماعة من الصحابة أحاديث من الصحاح والحسان وفيما ذكرنا كفاية. وأمر الله رسوله ﷺ في القرآن بالإعراض عن المنافقين في غير ماموضع مع إخباره بصفاتهم وتعريفه بسيماهم وعلاماتهم، ولم يقتل النبي ﷺ أحدا منهم، وأجرى عليهم في الدنيا أحكام المسلمين الظاهرة، وكانوا يخرجون معه للحج والجهاد والصلاة وغير ذلك ويقيم الحدود عليهم، غير أنه نهى عن الصلاة عليهم والاستغفار لهم. والله أعلم.

(والإحسان) هذه المرتبة الثالثة من مراتب الدين في هذا الحديث. والإحسان لغة إجادة العمل وإتقانه وإخلاصه. وفي الشريعة هو مافسره النبي ﷺ بقوله« أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تك تراه فإنه يراك»وسيأتي إن شاء تعالى الله بحثه والنصوص فيه عند ذكره في آخر هذا الفصل. والمقصود أنه ﷺ فسر الإسلام هنا بالأقوال والأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأقوال والأعمال الباطنة، والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، ومجموع ذلك هو الدين،

والكل من هذه المراتب (مبنى على أركان) لا قوام له إلا بقيامها، وسنتكلم على كل منها إجمالا وتفصيلا، ونحيل ماقدم بيانه منها على موضعه إن شاء الله .

﴿ فقد أتى الإسلام مبنيا على	خمس فحقق وادر ماقد نقلا ﴾
﴿ أولها الركن الاساس الأعظم	وهو الصراط المستقيم الاقوم ﴾
﴿ ركن الشهادتين فاثبت واعتصم	بالعروة الوثقى التى لاتنفصم ﴾
﴿ وثانيا إقامة الصلاة	وثالثا تأدية الزكاة ﴾
﴿ والرابع الصيام فاسمع واتبع	والخامس الحج على من يستطع ﴾

وهذه أركان المرتبة الأولى مرتبة الإسلام، وهى على قسمين: قولية، وعملية. فالقولية الشهادتان، والعملية الباقى. وهى ثلاثة أقسام: بدنية وهى الصلاة والصوم، ومالية وهى الزكاة، وبدنية مالية وهى الحج. وقول القلب وعمله شرط فى ذلك كله كما تقدم. والنصوص فى هذه الأمور الخمسة كثيرة جدا، وهى على نوعين: قسم شامل لجميعها، وقسم يخص كل خصلة منها. فلنبدأ بالقسم الأول ماتيسر منه على حدته، والقسم الثانى مع حل ألفاظ المتن إن شاء الله تعالى، فمن ذلك حديث جبريل السابق ذكره عن الجم الغفير من الصحابة والتابعين فمن بعدهم، ومنها حديث وفد عبد القيس وقد تقدم أيضا، ومنها حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «بنى الإسلام على خمس[1]: شهادة أن لا إله إلا وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» فقال له رجل: والجهاد فى سبيل الله؟ فقال ابن عمر: الجهاد حسن. هكذا حدثنا رسول الله ﷺ : ومنها حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه عند أحمد وغيره قال: رسول الله ﷺ يقول «بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله الله إلا وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان» وإسناده صحيح. ومن ذلك حديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال«كنا نهينا أن نسأل رسول الله ﷺ عن شيء، فكان يعجبنا أن يجيء الرجل من أهل البادية العاقل فيسأله ونحن نسمع، فجاء رجل من أهل البادية فقال: يامحمد، أتانا رسولك فزعم لنا أنك تزعم أن الله تعالى أرسلك.قال ﷺ : صدق . قال : فمن خلق السماء؟ قال: الله. قال فمن خلق الأرض؟ قال: الله. قال فمن نصب هذه الجبال وجعل فيها ماجعل؟ قال: اللهقال: فالبذى خلق السماء وخلق الأرض ونصب هذه الجبال آلله أرسلك؟ قال ﷺ: نعم قال: فزعم رسولك أن علينا خمس صلوات فى يومنا وليلتنا. قال ﷺ: صدق. قال: فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم قال وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان فى سنتنا. قال ﷺ

(١) رواه البخارى فى الإيمان ، ومسلم فى أركان الإسلام .

نعم صدق . قال فبالذى أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال ﷺ نعم. قال وزعم رسولك أن علينا حج البيت من استطاع إليه سبيلا. قال ﷺ. صدق. قال ثم ولى فقال: والذى بعثك بالحق نبيا لا أزيد عليهن شيئا ولا أنقص منهن شيئا. فقال النبى ﷺ: «لئن صدق ليدخلن الجنة» رواه الجماعة وهذا لفظ أحمد. وفى رواية قال «آمنت بما جئت به وأنا رسول من ورائى من قومى» قال «وأنا ضمام بن ثعلبة أخو بنى سعد بن بكر». وفى الصحيحين وغيرهما عن طلحة بن عبيد الله « أن أعرابيا جاء إلى رسول الله ﷺ ثائر الرأس فقال: يارسول الله أخبرنى ماذا فرض الله على من الصلاة؟ فقال: الصلوات الخمس، إلا أن تطوّع شيئا. فقال أخبرنى مافرض الله على من الصيام. فقال: شهر رمضان، إلا أن تطوع شيئا. فقال أخبرنى مافرض الله على من الزكاة. قال فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذى أكرمك لا أتطوع شيئا ولا أنقص مما فرض الله على شيئا. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق. أو دخل الجنة إن صدق» هذا لفظ البخارى فى كتاب الصوم. وله عن أبى أيوب رضى الله عنه «أن رجلا قال للنبى ﷺ أخبرنى بعمل يدخلنى الجنة. «قال: ماله ماله» وقال النبى ﷺ «أرب ماله، تعبد الله ولاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصل الرحم» رواه مسلم وغيره. ولهما عن أبى هريرة رضى الله عنه « أن أعرابيا أتى النبى فقال دلنى على عمل إذا عملته دخلت الجنة، قال: تعبد الله لاتشرك به شيئا وتقيم الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة وتصوم رمضان. قال. والذى نفسى بيده لا أزيد على هذا. فلما ولى قال النبى ﷺ: من سره أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا». وفى حديث ابن المنتفق رضى الله عنه فى وفادته على رسول الله ﷺ قال«قلت ثنتان أسألك عنهما: ماينجينى من النار وما يدخلنى الجنة؟ قال فنظر رسول الله ﷺ إلى السماء ثم نكس رأسه ثم أقبل علىّ بوجهه قال: لئن كنت أوجزت فى المسألة لقد أعظمت وأطولت فاعقل عنى إذا، اعبد الله لاتشرك به شيئا وأقم الصلاة المكتوبة وأد الزكاة المفروضة وصم رمضان، وماتحب أن يفعله بك الناس فافعل بهم وماتكره أن يأتى إليك الناس فذر الناس منه» رواه أحمد(١). وفى رواية «لئن كنت قصرت فى الخطبة لقد أبلغت فى المسألة، اتق الله لاتشرك بالله شيئا وتقيم الصلاة وتؤدى الزكاة وتحج البيت وتصوم رمضان» ولعل ابن المتفق هذا هو الرجل المبهم فى رواية أبى أيوب المتقدمة فى الصحيح فان فى مسلم أن ذلك الرجل أخذ بخطام ناقة رسول الله ﷺ أو بزمامها، وفى آخرها قول النبى ﷺ دع الناقة بعد أن علمه. وابن المنتفق قال فأخذت بخطام راحلة رسول الله ﷺ أو قال زمامها، وفى آخره قال ﷺ «خل سبيل الراحلة». وفى الرواية الأخرى «خل طريق الركاب» فيشبه أن يكون هو صاحب القصة وقد حفظ الصوم والحج زيادة على مافى حديث أبى أيوب ورجاله رجال الصحيح،

---

(١) وإيضا الشيخان والنسائى .

وهو السائل، أعلم بجواب النبى ﷺ وأوعى له وأحفظ له وأضبط من غيره. و الله أعلم.

وعن ربعى بن حراش عن رجل من بنى عامر رضى الله عنه أنه استأذن على النبى ﷺ فقال: ألج؟ فقال النبى ﷺ لخادمه «اخرجى إليه فانه لايحسن الاستئذان فقولى له فليقل السلام عليكم، أأدخل» قال فسمعته يقول ذلك فقلت: السلام عليكم أأدخل؟ قال فإذن لى، أو قال فدخلت فقلت: بم أتيتنا به، قال لم آتكم إلا بخير، أتيتكم بأن تعبدوا الله وحده لاشريك له. قال شعبة: وأحسبه قال وحده لاشريك له، وأن تدَعوا اللات والعزى، وأن تصلوا بالليل والنهار خمس صلوات، وأن تصوموا من السنة شهرا، وأن تحجوا البيت، وأن تأخذوا من مال أغنيائكم فتردوها على فقرائكم. قال فقال: فهل بقى من العلم شىء لاتعلمته؟ قال قد علمنى الله عز وجل خيرا وإن من العلم ما لا يعلمه إلا الله عز وجل ﴿ **إن الله عنده الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير** ﴾ رواه أحمد ورجاله ثقات أئمة. وروى أبو داود طرفا منه.

وعن السدوسى بن الخصاصية رضى الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ لأبايعه، فاشترط علىَّ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، وأن أقيم الصلاة، وأن أؤدى الزكاة، وأن أحج حجة الإسلام، وأن أصوم شهر رمضان، وأن أجاهد فى سبيل الله. فقلت: يارسول الله أما اثنتان فو الله ما أطيقهما: الجهاد والصدقة، فانهم زعموا أن من ولّى الدُبرَ فقد باء بغضب من الله ، فأخاف إن حضرت تلك جشعت نفسى وكرهت الموت، والصدقة فو الله مالى إلا غنيمة وعشر ذَودهن رِسْل أهلى وحمولتهم. قال فقبض رسول الله ﷺ يده ثم حرك يده ثم قال: فلا جهاد ولا صدقة، فلم تدخل الجنة اذا؟ قال قلت: يارسول أنا أبايعك، قال فبايعت عليهن كلهن».

وعن زياد بن نعيم الحضرمى قال: قال رسول الله ﷺ « أربع فرضهن الله فى الإسلام، فمن جاء بثلاث لم يغنين عنه شيئا حتى يأتى بهن جميعا: الصلاة والزكاة وصيام شهر رمضان وحج البيت». رواه أحمد مرسلا فى الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة لايخفى.

وعن جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ، فلما برزنا من المدينة اذا راكب يوضع نحونا، فقال رسول الله ﷺ «كأن هذا الراكب إياكم يريد» قال فانتهى الرجل إلينا فسلم فرددنا عليه، فقال له النبى ﷺ «من أين أقبلت؟» قال: من أهلى وولدى وعشيرتى، قال «فأين تريد؟» قال: أريد رسول الله ﷺ. قال «فقد أصبته» قال: يارسول الله علمنى ما الإيمان؟ قال «تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت» قال: قد أقررت. قال ثم إن بعيره دخلت يده فى شبكة

جرذان فهوى بعيره وهوى الرجل فوقع على هامته فمات، فقال رسول اللهﷺ «عليّ بالرجل» فوثب إليه عمار بن ياسر وحذيفة فأقعداه فقالا: يارسول الله قبض الرجل. قال فأعرض عنه رسول اللهﷺ ثم قال لهما رسول اللهﷺ «أما رأيتما إعراضى عن الرجل، فانى رأيت ملكين يدسان فى فيه من ثمار الجنة، فعلمت أنه مات جائعاً، ثم قال رسول اللهﷺ «هذا والله من الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ ثم قال ﷺ: «دونكم أخاكم» قال فاحتملناه إلى الماء فغسلناه وحنطناه وكفناه وحملناه إلى القبر، فجاء رسول اللهﷺ، الحديث. رواه أحمد، وفى اسناده أبو جناب مختلف فيه، والمتن صحيح. والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة يطول استقصاؤها وفيما ذكرنا كفاية.

الشهادتـــــــان

(**أولهما**) أو أول هذه الأركـان (الركن الأسـاس الأعظم) الركن فى اللغـة الجـانب الأقوى وهو بحسب مايطلق فيه كركن البناء وركن القوم ونحو ذلك، فمن الأركان ما لايتم البناء إلا به، ومنها ما لا يقوم بالكلية إلا به. وإنما قيل لهذه الخمسة الأمور أركان ودعائم لقوله ﷺ «بنى الإسلام على خمس» فشبهه بالبنيان المركب على خمس دعائم، وهذا الركن هو أصل الأركان الباقية ولهـذا قلنا (الأساس) الذى لايقـوم البناء إلا عليه ولايمكن إلا به ولايحصل بدونه. (الأعظم) هذه الصيغة مشعرة بتعظيم بقية الأركان وإنما هذا أعظمـهـا، فانها كلها تابعة له، ولايدخل العبد فى شىء من الشريعة إلا به .(وهو الصراط) الطريق الواضح (المستقيم) الذى لااعوجاج فيه ولاغبارعليه بل هو معتدل جلى نير. (الأقوم) أى الأعدل، من سلكه أوصله إلى جناب النعيم، ومن انحرف عنه هوى فى قعر الجحيم. فان من لم يثبت عليه فى الدنيا لم يثبت على جسر جهنم يوم القيامة، وذلك الركن المشار إليه هو (ركن الشهادتين) هذا من إضافة الشىء إلى نفسه أى الركن الذى هو الشهادتان، وهما شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول اللهﷺ ، فلا يدخل العبد فى الإسلام إلا بهما، ولايخرج منه إلا بمناقضتهما إما بجحود لما دلتا عليه أو باستكبار عما استلزمتاه، ولهذا لم يدع الرسول ﷺ إلى شىء قبلهما، ولم يقبل الله تعالى ولارسول اللهﷺ من أحد شيئا دونهما، فبالشهادة الأولى يعرف المعبود ومايجب له، وبالثانية يعرف كيف يعبده وبأى طريق يصل إليه، وكيف يؤمن بالعبادة أحد قبل تعريفه بالمعبود، وكيف يؤديها من لم يعرف كيف أمر الله أن يعبد؟ ففى الشهادة الأولى توحيد المعبود الذى ماخلق الخلق إلا ليعبدوه وحده لاشريك له، وفى الشهادة الثانية توحيد الطريق الذى لايوصل إلى الله تعالى إلا منه ولايقبل دينا ممن ابتغى غيره ورغب عنه، فان عبادة الله تعالى التى خلق

الخلق لها وقضى عليهم إفراده تعالى بها هى أمرجامع لكل مايحبه تعالى ويرضاه اعتقادا وقولا وعملا، ومعرفة محابّة تعالى ومرضاته لاتحصل إلا من طريق الشرع الذى أرسل به رسوله وأنزل به كتابه ﴿ **قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم** ﴾. وقد قدمنا فى النوع الثانى من أنواع التوحيد تحقيق الشهادتين وبيان تلازمهما وتوضيح نواقضهما، وبسطنا الكلام هناك وحررنا من الأدلة مايغنى عن الإعادة هنا. (فاثبت) أيها العبد المريد نجاة نفسه من النار والفوز بالجنة على هذا الصراط المستقيم النير الواضح الجلى، ولاتستوحش من قلة السالكين ، وإياك أن تنحرف عنه فتهلك مع الهالكين، فان الله عز وجل ينادى يوم القيامة: يا آدم. فيقول لبيك وسعديك. فيقول: أخرج بعث النار. فيقول: من كم؟ فيقول من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. فالناجى حينئذ واحد من ألف فاغتنم أن تكون من تلك الآحاد، واحذر أن تغتر بجموع الضلاله فتكون من حطب جهنم وبئس المهاد. (واعتصم) أى استمسك (بالعروة) أى بالعقد الأوثق فى الدين، والسبب الموصل إلى رب العالمين (الوثقى) تأنيث الأوثق (التى لاتنفصم) أى لاتنقطع، وقد تقدم فى الكلام على لا إله إلا الله أنها هى العروة الوثقى، وذلك واضح فى قوله تعالى ﴿ **فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم** ﴾ وتقدم أن شهادة أن محمدا رسول الله ﷺ والإيمان به هو شرط فى الإيمان بالله، وما كان من شرط فى الشهادة الأولى فهو شرط فى الثانية.

و(**ثانيا**) من الأركان الخمسة (إقامة الصلاة) بجميع حقوقها ولوازمها.(**وثالثا تأدية الزكاة**) إعطاؤها على الوجه المشروع، وقد تقرر اقتران هذين الركنين بالتوحيد وتقديمهما بعده على غيرهما فى غير موضع من القرآن أمرا وخبرا قال الله تعالى : ﴿ **هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولاهم يحزنون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون** ﴾ وقال تعالى: ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾ وفى حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه لما بعثه النبى ﷺ إلى اليمن قال له «إنك تأتى قوما من أهل الكتاب فليكن أول ماتدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله. فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم ولية. فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد فى فقرائهم. فان هم أطاعوا لذلك فاياك وكرائم

أموالهم. واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب. وفى رواية «فليكن أول ماتدعوهم إليه عبادة الله عز وجل فإذا عرفوا الله تعالى أخبرهم» الحديث ولنذكر طرفاً من النصوص المتعلقة بالصلاة على انفرادها، ثم نذكر ماتيسر من نصوص الزكاة و الله المستعان.

اعلم هدانا الله وإياك أن الصلاة قد اشتملت على جل أنواع العبادة من الاعتقاد بالقلب والانقياد والاخلاص والمحبة والخشوع والخضوع والمشاهدة والمراقبة والإقبال على الله عز وجل وإسلام الوجه له والصمود إليه والاطراح بين يديه. وعلى أقوال اللسان وأعماله من الشهادتين وتلاوة القرآن والتسبيح والتحميد والتقديس والتمجيد والتهليل والتكبير والأدعية والتعوذ والاستغفار والاستغاثة والاستعانة والافتقار إلى الله تعالى والثناء عليه والاعتذار من الذنب إليه والإقرار بالنعم له وسائر أنواع الذكر. وعلى عمل الجوارح من الركوع والسجود والقيام والاعتدال والخفض والرفع وغير ذلك. هذا مع ما تضمنته من الشرائط والفضائل — منها الطهارة الحسية من الأحداث والأنجاس الحسية، والمعنوية من الإشراك والفحشاء والمنكر وسائر الأرجاس — وإسباغ الوضوء على المكاره ونقل الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة وغير ذلك مما لم يجتمع فى غيرها من العبادات. ولهذا قال النبى ﷺ «وجعلت قرة عينى فى الصلاة» ولاشتمالها على معانى الإيمان سماها الله إيماناً فى قوله عز وجل ﴿ **وما كان الله ليضيع إيمانكم**﴾ وهى ثانية أركان الإسلام فى الفرضية، فانها فرضت فى ليلة المعراج بعد عشر من البعثة لم يدع الرسول ﷺ قبلها إلى شيء غير التوحيد الذى هو الركن الأول، ففرضت خمسين، ثم خففها الله عز وجل إلى خمس كما تواترت النصوص بذلك فى الصحيحين وغيرهما. وهى ثانية فى الذكر، فما ذكرت شرائع الإسلام فى آية من الآيات أو حديث من السنة الا وبدىء بها بعد التوحيد قبل غيرها كما فى الآيات أو حديث من السنة الا وبدىء بها بعد التوحيد قبل غيرها كما فى الآيات السابقة وكما فى حديث جبريل وحديث «بنى الإسلام» وحديث وفد عبد القيس وحديث معاذ ابن جبل وحديث «أمرت أن أقاتل الناس» وغيرها مما لايحصى. وهى ثانية فى آيات الأمر بالجهاد وفى آيات وعيد الكفار كما فى قوله تعالى ﴿ **فان تابوا وأقاموا الصلاة** ﴾ الآية، وقوله ﴿ **كلوا وتمتعوا قليلا انكم مجرمون، ويل يومئذ للمكذبين. واذا قيل لهم اركعوا لا يركعون، ويل يومئذ للمكذبين** ﴾. وهى ثانية فى مدح المؤمنين كما فى قوله تعالى ﴿**قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون** ﴾ وفى ذم الكفار بتركها كما فى قوله عز وجل ﴿ **فما لهم لايؤمنون، وإذا قرئ عليهم القرآن لا يسجدون** ﴾ ، وقوله ﴿ **فلا صدق ولا صلى، ولكن كذب وتولى** ﴾ وكذا فى ذم المنافقين بعدم اهتمامهم لها كما فى قوله تعالى ﴿ **إن المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالى**

يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا ﴾، وهى ثانية فى حساب العبد يوم القيامة كما فى قوله ﷺ « أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة صلاته، فان تقبلت منه تقبل منه سائر عمله، وان ردت عليه رد عليه سائر عمله». ومعنى قوله «أول ما يسأل عنه العبد» أى بعد التوحيد. وهى ثانية فيما يذكر المجرمون أنهم عوقبوا به كما فى قوله تعالى ﴿ فى جنات يتساءلون عن المجرمين ماسلككم فى سقر، قالوا لم نك من المصلين ﴾ الآيات. والنصوص فى شأنها كثيرة لاتحصى وهى متنوعة، فمنها مافيه الأمر بها كقوله ﴿ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين ﴾ وقوله ﴿ وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر ﴾ ﴿ وأقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً ﴾ ومافى معناها. ومنها مافيه بيان محلها من الدين كالنصوص السابقة وكقوله ﷺ لمعاذ «رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد فى سبيل الله» ومنها فى ثواب أهلها كقول الله عز وجل ﴿ والذين هم على صلواتهم يحافظون، أولئك هم الوارثون، الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون ﴾ ومنها مافيه ذكر نجاتهم من النار كقوله ﷺ فى عصاة الموحدين «فيعرفونهم بآثار السجود، تأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود»، ومنها مافيه عقاب تاركها كقوله عز وجل ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾ وقوله تعالى ﴿ فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًا. الا من تاب ﴾ الآية، وقوله تعالى ﴿ يوم يكشف عن ساق ويدعون إلى السجود فلا يستطيعون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون﴾ ومنها ما فيه تكفير تاركها ونفى الإيمان عنه وإلحاقه بإبليس كقوله تعالى ﴿ فسوف يلقون غيا إلا من تاب وآمن وعمل صالحا ﴾ فانه لو كان مضيع الصلاة مؤمنا لم يشترط فى توبته الإيمان. وقوله ﴿ فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ﴾ فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوه للمؤمنين فلا يكونون مؤمنين. وقال تعالى ﴿ إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم وهم لا يستكبرون ﴾ وقوله تعالى ﴿ فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «اذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكى يقول: ياويله – وفى رواية: ياويلى – أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت بالسجود فأبيت فلى النار»[1] وفيه عن جابر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك

(١) رواه أيضا ابن ماجه وأحمد فى مسنده والبيهقى .

الصلاة »، ورواه الترمذى وقال حسن صحيح، وله عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ «العهد الذى بيننا وبينهم الصلاة، فمن تركها فقد كفر» قال وفى الباب عن أنس رضى الله عنه وابن عباس هذا حديث حسن صحيح غريب. وروى الإمام أحمد والنسائى عن محجن بن الأدرع الأسلمى «انه كان فى مجلس مع النبى ﷺ فأذّن بالصلاة فقام النبى ﷺ ثم رجع ومحجن فى مجلسه، فقال له: مامنعك أن تصلى، ألست برجل مسلم؟ قال: بلى، ولكن صليت فى أهلى. فقال له: اذا جئت فصلِّ مع الناس وان كنت قد صليت فجعل الفارق بين المسلم والكافر الصلاة. ولفظ الحديث يتضمن أنك لو كنت مسلماً لصليت. وفى المسند والأربع السنن عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه ذكر الصلاة يوماً فقال له «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهاناً ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولابرهان ولانجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبيّ بن خلف»، ورجال أحمد ثقات. وتقدم الحديث الذى فى البخارى فى صفة المسلم «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا» الحديث. وقال الترمذى رحمه الله : حدثنا قتيبة أخبرنا بشر بن المفضل عن الجريرى عن عبد الله بن شقيق العقيلى قال: كان أصحاب محمد ﷺ لايرون شيئا من الأعمال تركه كفر غير الصلاة. ومنها مافيه التصريح بوجوب قتله، كقوله عز وجل ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة** ﴾ الآية، وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» الحديث وغير ذلك من الآيات والأحاديث. وأما الآثار فى شأنه عن الصحابة والتابعين ومن بعدهم فأكثر من أن تحصر، وقد أجمعوا على قتله كفرا اذا كان تركه الصلاة عن جحود لفرضيتها أو استكبار عنها وإن قال لاإله إلا الله ، لما تقدم من الآيات والأحاديث السابقة، ولدخوله فى التارك لدينه المفارق للجماعة وفى قوله ﷺ « من بدل دينه فاقتلوه » فانه بذلك يكون مرتداً مبدلا لدينه وأما إن كان تركه لها لالجحود ولا لاستكبار بل لنوع تكاسل وتهاون كما هو حال كثير من الناس فقال النووى رحمه الله تعالى فى شرح مسلم: قد اختلف العلماء فيه، فذهب مالك والشافعى رحمهما الله تعالى والجماهير من السلف والخلف إلى أنه لايكفر بل يفسق ويستتاب، فان تاب وإلا قتلناه حدا كالزانى المحصن، ولكنه يقتل بالسيف. وذهب جماعة من السلف إلى أنه يكفر وهو مروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهى إحدى الروايتين عن أحمد بن حنبل رحمه الله وبه قال عبد الله بن المبارك وإسحاق بن راهويه وهو وجه لبعض أصحاب الشافعى رضوان الله عليه، وذهب أبو حنيفة وجماعة من أهل الكوفة والمزنى صاحب الشافعى رحمهم الله تعالى إلى أنه لايكفر ولايقتل بل يقرر ويحبس حتى يصلى. قال رحمه الله: واحتج من قال بكفره بظاهر حديث جابر « ان بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة » وبالقياس على كلمة التوحيد واحتج من قال

لايقتل بحديث « لايحل دم امرىء مسلم إلا بإحدى ثلاث » وليس فيه الصلاة. واحتج الجمهور على أنه لايكفر بقوله تعالى ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ وبقوله ﷺ «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، ومن مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة، ولايلقى الله عبد بهما غير شاكٍّ فيحجب عن الجنة، وحرم الله على النار من قال لا إله إلا الله وغير ذلك، واحتجوا على قتله بقوله تعالى ﴿ **فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم** ﴾ وقوله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلو ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم» وتأوّلوا قوله ﷺ «بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة» على معنى أنه يستحق بترك الصلاة عقوبة الكافر وهي القتل، أو أنه محمول على المستحلّ، أو على أنه قد يؤول به إلى الكفر، أو أن فعله فعل الكفار والله أعلم انتهى كلامه، وقد قدمنا في شروط لا إله إلا الله وفي بيان مراتب الدين وفي بيان أنواع الكفر مافيه غنية، وذكرنا هنا ماتيسر من النصوص في شأنها. وقد بسط الحافظ ابن القيم في كتاب الصلاة الكلام على هذ المسألة بسطاً حسناً فليراجع.

وأما الزكاة فقد تقدم ذكرها في نصوص الصلاة وغيرها، ومما يتعلق بها على انفرادها قوله عز وجل ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم والله سميع عليم** ﴾ وقوله في صفات عباده المؤمنين ﴿ **والذين هم للزكاة فاعلون** ﴾ وقوله تعالى في ذم الكفار ووعيدهم ﴿ **وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة** ﴾ وان كانت هذه الآية في زكاة النفوس فهي عامة لزكاة الأموال أيضاً وقد فسرت بها، وقوله تعالى في وعيد مانعيها مطلقا ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** ﴾ يوضح ذلك الحديث الذى فيه « ما أديت زكاته فليس بكنز» وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما من صاحب ذهب ولافضة لايؤدى منها حقها الا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله فالإبل؟ قال: ولا صاحب إبل لايؤدى منها حقها، ومن حقها حلبها يوم وردها. الا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر أوفر ماكانت لايفقد منهافصيلا واحدا تطأه بأخفافها وتعضه بأفواهما، كلما مرّ عليه أولاها أعيد عليه آخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. قيل: يارسول الله فالبقر والغنم؟ قال ولاصاحب بقر ولاغنم لايؤدى منها حقها، الا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر لايفقد منها شيئا ليس فيها عفصاء ولاجلحاء ولاعضباء تنطحه بقرونها وتطأه بأظلافها كلما مر عليه أولاها

رد عليه آخراها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضى بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة وإما إلى النار. الحديث بطوله وفيه عن جابر رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « مامن صاحب إبل ولابقر ولاغنم لايؤدى حقها إلا أقعد لها يوم القيامة بقاع قرقر تطأه ذات الظلف بظلفها وتنطحه ذات القرن بقرنها، ليس فيها يومئذ جماء ولامكسورة القرن» الحديث. وفيه «ولا من صاحب مال لايؤدى زكاته إلا تحول يوم القيامة شجاعا أقرع يتبع صاحبه حيثما ذهب وهو يفر منه ويقال هذا مالك الذى كنت تبخل به. فاذا رأى أنه لابد منه أدخل يده فى فيه فجعل يقضمها كما يقضم الفحل» ، وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ « ولايأتى أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يعار، فيقول: يامحمد، فأقول: لاأملك لك شيئاً، قد بلغت. ولايأتى أحدكم ببعير يحمله على رقبته له رغاء فيقول يامحمد، فأقول لاأملك لك شيئا قد بلغت [1]» وفيه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة، ثم يأخذ بلهزمتيه - يعنى شدقيه - ثم يقول : أنا مالك، أنا كنزك. ثم تلا ﴿ **ولا يحسبن الذين يبخلون** ﴾ الآية وفيه عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فقال أعرابى: أخبرنى عن قول الله تعالى ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل فبشرهم بعذاب أليم** ﴾ قال ابن عمر: من كنزها فلم يؤد زكاتها فويل له، إنما كان هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله تعالى طهرة للأموال. وقد ثبتت البيعة عليها بعد الصلاة كما قال البخارى رحمه الله تعالى «باب البيعة على إيتاء الزكاة ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ حدثنا ابن نمير قال حدثنى أبى قال حدثنا اسماعيل عن قيس قال: قال جرير بن عبد الله رضى الله عنه: بايعت رسول ﷺ على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم «والنصوص فيها كثيرة وفى ماتقدم كفاية. وأما حكم تاركها فان كان منعه إنكارا لوجوبها فكافر بالاجماع بعد نصوص الكتاب والسنة، وان كان مقرا بوجوبها وكانوا جماعة ولهم شوكة قاتلهم الإمام لما فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما توفى رسول الله ﷺ : وكان أبوبكر رضى الله عنه وكفر من كفر من العرب فقال عمر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قالها فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل » فقال:والله لاقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فان الزكاة حق المال، ولو منعونى عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ

---

(١) وهذا وإن كان واردا فى الغلول وعقوبته فهو فى الزكاة كذلك إذ الجزاء من جنس العمل والله تعالى أعلم. ا هـ مؤلفه.

لقاتلتهم على منعها. قال عمر رضى عنه: فوالله ماهو إلا أن قد شرح الله صدر أبى بكر رضى الله عنه فعرفت أنه الحق – وفى رواية– فوالله ماهو ألا أن رأيت الله قد شرح صدرأبى بكر للقتال فعلمت أنه الحق. وهذا الذى استنبطه أبو بكر رضى الله عنه مصرح به فى منطوق الأحاديث الصحيحة المرفوعة كحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، فاذا فعلوا ذلك عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل». وغيره من الأحاديث. وقد جهز النبى ﷺ خالد بن الوليد لقرو بنى المصطلق حين بلغه أنهم منعوا الزكاة ولم يكن مابلغه عنهم حقا، فروى الإمام أحمد قال: حدثنا محمد بن سابق حدثنا عيسى بن دينار حدثنى أبى أنه سمع الحارث بن ضرار الخزاعى رضى الله عنه يقول : قدمت على رسول الله ﷺ فدعانى إلى الإسلام فدخلت فيه وأقررت به، ودعانى إلى الزكاة فاقررت بها وقلت: يارسول الله أرجع إليهم فأدعوهم إلى الإسلام وأداء الزكاة، فمن استجاب لى جمعت زكاته. وترسل إلى يارسول الله رسولا إبان كذا وكذا ليأتيك بما جمعت من الزكاة فلما جمع الحارث الزكاة ممن استجاب له وبلغ الإبان الذى أراد رسول الله ﷺ أن يبعث إليه احتبس عليه الرسول ولم يأته وظن الحارث أنه قد حدث فيه سخطة من الله تعالى ورسول الله ﷺ ، فدعا بسروات قومه فقال لهم: إن رسول الله ﷺ كان وقت لى وقتاً يرسل إلى رسوله ليقبض ما كان عندى من الزكاة وليس من رسول الله ﷺ الخلف، ولاأرى حبس رسوله إلا من سخطة، فانطلقوا نأتى رسول الله ﷺ . وبعث رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى الحارث ليقبض ماكان عنده مما جمع من الزكاة فلما أن سار الوليد حتى بلغ بعض الطريق فرق – أى خاف – فرجع حتى أتى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله إن الحارث قد منعنى الزكاة وأراد قتلى، فغضب رسول الله ﷺ وبعث البعث إلى الحارث رضى اللهعنه وأقبل الحارث بأصحابه حتى اذا استقبل البعث وفصل عن المدينة لقيهم الحارث فقالوا: هذا الحارث، فلما غشيهم قال لهم إلى من بعثتم؟ قالوا إليك. قال ولم؟ قالوا إن رسول الله ﷺ بعث إليك الوليد بن عقبة فزعم أنك منعته الزكاة وأردت قتله. قال رضى الله عنه.: لا والذى بعث محمدا ﷺ بالحق ما رأيته بتة ولا أتانى. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولى، قال رضى الله عنه: لا والذى بعث محمدا ﷺ بالحق مارأيته بتة ولا أتانى. فلما دخل الحارث على رسول الله ﷺ قال: منعت الزكاة وأردت قتل رسولى، قال رضى الله عنه: لا والذى بعثك بالحق ما رأيته ولا أتانى ولا أقبلت الا حين احتبس علىّ رسول رسول الله ﷺ خشيت أن يكون كانت سخطة من الله تعالى ورسوله ﷺ. قال فنزلت الحجرات **﴿ يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا ﴾ إلى قوله « حكيم ﴾** ، ورواه ابن أبى حاتم عن المنذر بن شاذان التمار عن محمد بن سابق به. ورواه الطبرانى من حديث محمد

بن سابق به. وقال ابن جرير رحمه الله تعالى حدثنا أبو كريب حدثنا جعفر بن عون عن موسى بن عبيدة عن ثابت مولى أم سلمة رضى الله عنها قالت بعث رسول الله ﷺ رجلا فى صدقات بنى المصطلق بعد الوقيعة فسمع بذلك القوم فتلقوه يعظمون أمر رسول الله ﷺ قالت فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله قالت فرجع إلى رسول الله ﷺ فقال إن بنى المصطلق قد منعونى صدقاتهم. فغضب رسول الله ﷺ والمسلمون، قالت: فبلغ القوم رجوعه فأتوا رسول الله ﷺ فصفوا له حين صلى الظهر فقالوا: نعوذ بالله من سخط الله وسخط رسوله، بعثت إلينا رجلا مصدقا فسررنا بذلك وقررت به أعيننا، ثم أنه رجع من بعض الطريق فخشينا أن يكون ذلك غضبا من الله تعالى ومن رسوله ﷺ . فلم يزالوا يكلمونه حتى جاء بلال فأذن بصلاة العصر، قالت ونزلت ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين**﴾. وروى ابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال: كان رسول الله ﷺ بعث الوليد بن عقبة بن أبى معيط إلى بنى المصطلق ليأخذ منهم الصدقات، وأنهم لما أتاهم الخبر فرحوا وخرجوا يتلقونه رجع الوليد إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله آلهى الدابة مطلق قد نحو الصدقة فغضب . رسول الله ﷺ من ذلك غضباً شديداً، فبينما هو يحدث نفسه أن يغزوهم اذ أتاه الوفد فقالوا: يارسول الله إنا حدثنا ان رسولك رجع من نصف الطريق وانا خشينا أنما رده كتاب جاء منك لغضب غضبته علينا وإنا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، وان النبى ﷺ استغشهم وهم بهم، فأنزل تبارك الله وتعالى عذرهم فى الكتاب فقال ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا** ﴾ إلى آخر الآية وقال مجاهد وقتادة: أرسل رسول الله ﷺ الوليد بن عقبة إلى بنى المصطلق ليصدقهم فقتلوه بالصدقة فرجع فقال ان بنى المصطلق قد جمعت لكم لتقاتلك ــ زاد قتادة : وانهم قد ارتدوا عن الاسلام ــ فبعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه اليهم وأمره أن يثبت ولايعجل، فانطلق حتى أتاهم ليلاً فبعث عيونه، فلما جاءوا أخبروا خالدا رضى الله عنه أنهم مستمسكون بالإسلام وسمعوا أذانهم وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم خالد رضى الله عنه فرأى الذى يعجبه فرجع إلى رسول الله ـ ﷺ فأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى هذه الآية وفى تفسير الحجرات لابن كثير رحمه الله تعالى وذكر البغوى رحمه الله تعالى نحو حديث ابن عباس وفيه : فغضب رسول الله ﷺ وهم أن يغزوهم فبلغ القوم رجوعه فأتى رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدى اليه ما قبلناه من حق الله تعالى . فبدا له فى الرجوع فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب عضبته علينا وإنا نعوذ . له من غضبه وعضب رسوله، فاتهمهم رسول الله ﷺ وبعث خالد ابن الوليد إليهم خفية فى

عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدوم قومه وقال له انظر فان رأيت منهم مايدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وان لم تر ذلك فاستعمل فيهم مايستعمل فى الكفار. ففعل ذلك خالد. ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتى المغرب والعشاء فأخذ منهم صدقاتهم ولم ير منهم الا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا** ﴾ الآية. وأما ان كان الممتنع عن أداء الزكاة فردا من الأفراد فأجمعوا على أنها تؤخذ منه قهرا، واختلفوا من ذلك فى مسائل: إحداها هل يكفر أم لا؟ فقال عبد الله بن شقيق: كان أصحاب رسول اللهﷺ لايرون من الأعمال شيئاً تركه كفر إلا الصلاة. وقال أبو أيوب السختيانى: ترك الصلاة كفر لايختلف فيه، وذهب إلى هذا القول جماعة من السلف والخلف وهو قول ابن المبارك وأحمد واسحاق وحكى اسحاق عليها إجماع أهل العلم، وقال محمد بن نصر المروزى: هو قول جمهور أهل الحديث، وذهب طائفة منهم إلى أن من ترك شيئاً من أركان الإسلام الخمس عمدا أنه كافر. وروى ذلك عن سعيد بن جبير ونافع والحكم وهو رواية عن الإمام أحمد اختارها طائفة من أصحابه وهو قول ابن حبيب من المالكية، وخرج الدراقطنى وغيره من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال «قيل: يارسول الله الحج فى كل عام؟ قال: لو قلت نعم لوجب عليكم ولو وجب عليكم ما أطقتموه ولو تركتموه لكفرتم» وعن ابن مسعود أن تارك الزكاة ليس بمسلم، وعن أحمد رواية أن ترك الصلاة والزكاة كفر دون الصيام والحج. وقال ابن عيينة: المرجئة سموا ترك الفرائض ذنبا بمنزلة ركوب المحارم، وليس سواء، لأن ركوب المحارم متعمدا من غير استحلال معصية، وترك الفرائض من غير جهل ولاعذر كفر. وبيان ذلك فى أمر إبليس، وعلماء اليهود الذين أقروا ببعث النبى ﷺ بلسانهم ولم يعملوا بشرائعه. المسألة الثانية هل يقتل أم لا؟ الأول هو المشهور عن أحمد رحمه اللهتعالى، ويستدل له بحديث ابن عمر رضى الله عنهما «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله» الحديث. والثانى لايقتل، وهو قول مالك والشافعى ورواية عن أحمد رحمهم الله تعالى. وروى اللالكائى من طريق مؤمل قال: حدثنا حماد بن زيد بن عن عمرو بن مالك البكرى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس ولا أحسبه إلا رفعه قال: عرى الإسلام وقواعد الدين ثلاثة عليهن أسس الإسلام، شهادة أن لا إله إلا الله، والصلاة، وصوم رمضان. من ترك منهن واحدة فهو بها كافر ويحل دمه، وتجده كثير المال لم يحج فلا يزال بذلك كافرا ولايحل بذلك دمه، وتجده كثير المال ولايزكى فلا يزال بذلك كافرا ولايحل دمه. ورواه قتيبة بن سعيد عن حماد بن زيد مرفوعاً مختصرا، ورواه سعيد بن زيد أخو حماد بن زيد عن عمرو بن مالك بهذا الإسناد مرفوعاً، وقال: من ترك منهن واحدة – يعنى الثلاث

الأول – فهو بالله كافر ولايقبل منه صرف ولاعدل وقد حل دمه وماله. ولم يذكر مابعده.

المسألة الثالثة لمن لم ير قتله هل ينكل بأخذ شيء من ماله مع الزكاة؟ وقد روى في خصوص المسألة حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «في كل سائمة إبل في أربعين بنت لبون، لاتفرق إبل عن حسابها، من أعطاها مؤتجراً بها فله أجرها، ومن منعها فإنا آخذوها وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا، لايحل لآل محمد منها شيء» رواه أحمد وأبو داود والنسائي وصححه الحاكم، وعلق الشافعي القول به على ثبوته فانه قال: لايثبته أهل العلم بالحديث، ولو ثبت لقلنا به.

﴿ والرابع الصيام فاسمع واتبع والخامس الحج على من يستطع ﴾

الركن الرابع من أركان الإسلام الصيام، وهو في اللغة الإمساك، وفي الشرع إمساك مخصوص في زمن مخصوص بشرائط مخصوصة. وكان فرض صوم شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة هو والزكاة قبل بدر، قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون أياما معدودات، فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين، فمن تطوع خيرا فهو خير له، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون. شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، فمن شهد منكم الشهر فليصمه** ﴾ إلى آخر الآيات، وقد تقدمت الأحاديث فيه، وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع كفر من جحد فرضيته، وتقدم القول بقتل تاركه مع الإقرار والاعتراف بوجوبه، وقوله فاسمع واتبع مأخوذ من قول الله عز وجل ﴿ **فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾(1).

الركن الخامس الحج، وهو (على من يستطع) أى من استطاع إليه سبيلا، قال الله تعالى ﴿ **ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا، ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين** ﴾ وقد ذكر الله تعالى تفصيله في سورة البقرة من قوله تعالى ﴿ **وأتموا الحج والعمرة لله** » إلى قوله « **إليه تحشرون** ﴾ واشتراط الاستطاعة فيه مصرح به في الآيات وفى حديث جبريل وفى حديث معاذ وغيرها، وفسره النبي ﷺ بالزاد والراحلة، ولاخلاف في كفر من جحد فرضيته، وتقدم الخلاف في كفر تاركه مع الإقرار بفرضيته. وروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تعجلوا الحج – يعنى الفريضة – فان أحدكم لايدرى مايعرض له». ورواه أبو داود بلفظ «من أراد الحج فليتعجل». وروى الإسماعيلي باسناد صحيح عن عبد الرحمن بن غنم أنه سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه يقول: من أطاق الحج فلم يحج فسواء عليه مات يهوديا أو نصرانيا.

---

(1) الآيتان : ١٧ ، ١٨ من سورة الزمر ، وقد وردت في الأصل بإثبات ياء « عبادى » وما أثبتناه اتباعا لرسم المصحف .

وروى سعيد بن منصور فى سننه عن الحسن البصرى قال: قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لقد هممت أن أبعث رجالا إلى هذه الأمصار فينظروا إلى كل من كان عنده جدة فلم يحج فيضربوا عليهم الجزية، ماهم بمسلمين. وروى البغوى عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال« من لم تحبسه حاجة ظاهرة أو مرض حابس أو سلطان جائر ولم يحج فليمت إن شاء يهوديا أو نصرانيا» وروى الإمام أحمد عن أبى هريرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال « أيها الناس، قد فرض عليكم الحج فحجوا »[1] فقال رجل: أكل عام يارسول الله ؟ فسكت. حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله ﷺ «لو قلت نعم لوجبت، ولما استطعتم » ثم قال «ذرونى ماتركتم، فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، واذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، واذا نهيتكم عن شيء فدعوه ». ورواه مسلم بنحو هذا والله أعلم. وروى أحمد وأبو داود والنسائى وابن ماجه والحاكم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: خطبنا رسول الله ﷺ فقال «يا أيها الناس، ان الله تعالى كتب عليكم الحج. فقام الأقرع بن حابس فقال: يارسول الله أفى كل عام؟ فقال: لو قلتها لوجبت، ولو وجبت لم يعلموا بها، ولن تستطيعوا أن يعملوا بها. الحج مرة فمن زاد فهو تطوع».

ذكر أمور تدخل فى مسمى الإيمان والإسلام من الأوامر والمناهى والأخبار

قال الله عز وجل﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين، الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين. والذين اذا فعلوا فاحشة أوظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون. واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين. أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرأون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون. واذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم سلام عليكم لا نبتغى الجاهلين ﴾. وقال تعالى ﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين يبيتون لربهم سُجَّدا وقياما، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً، إنها ساءت مستقراً ومُقاماً. والذين اذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قَواماً، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرّم الله إلا بالحق ولا يزنون

(١) رواه مسلم فى الحج ، وأحمد فى مسنده .

ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً. إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما. ومن تاب وعمل صالحا فانه يتوب إلى الله متاباً. والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مروا كراماً. والذين إذا ذُكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا. والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما. أولئك يجزون الغرفة بما صبروا ويُلَقَّون فيها تحية وسلاماً. خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاماً ﴾ وقال تعالى ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم، التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الإنسان خلق هلوعاً. إذا مسه الشر جزوعاً. وإذا مسه الخير منوعاً. إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون. والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم. والذين يصدقون بيوم الدين. والذين هم من عذاب ربهم مشفقون. إن عذاب ربهم غير مأمون. والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فانهم غير ملومين. فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون. والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. والذين هم بشهاداتهم قائمون. والذين هم على صلاتهم يحافظون. أولئك فى جنة مكرمون ﴾ وقال تعالى ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم » إلى قوله « الوارثون ﴾ الآيات . وقال تعالى ﴿ إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لايشركون. والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون، ولا نكلف نفسا إلا وسعها ﴾ وقال تعالى ﴿ ان المتقين فى جنات وعيون. آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين، كانوا قليلا من الليل ما يهجعون. وبالأسحار هم يستغفرون. وفى أموالهم حق للسائل والمحروم ﴾ وقال تعالى ﴿ ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضرّاء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم

والحافظات والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً ﴾[1] وقال تعالى ﴿ وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » إلى قوله « ولله عاقبة الأمور ﴾ وقال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضواناً وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوأوا الدارَ والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوقَ شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوّي وعدوّكم أولياء ﴾ إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم، إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا ﴾ وقال تعالى ﴿ وذروا ظاهر الإثيم وباطنه، إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون ﴾ . وقال تعالى ﴿ قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم: أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ولا تقتلوا أولادكم من إملاقٍ نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ماظهر منها ومابطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلابالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها، وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا، ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون. وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ . وقال تعالى ﴿ وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا إمّا يبلغن عندك الكبرَ أحدُهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولاتنهرْهما وقل لهما قولا كريما. واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيرا. ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين، فإنه كان للأوّابين غفورا.وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذّر تبذيرا. إن المبذّرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا، وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسورا. إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه كان بعباده خبيرا بصيرا، ولا تقتلوا أولادكم

(١) الآية : ٣٥ من سورة الأحزاب و « والقانتين والقانتات » ساقطة من الأصل .

خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطئاً كبيرا، ولاتقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلا، ولاتقتلوا النفس التى حرّم الله إلا بالحق ومن قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصوراً. ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى احسن حتى يبلغ أشده، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولاً. وأوفوا الكيل إذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تأويلاً. ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا. ولاتمش فى الأرض مرحا إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا. كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها. ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة، ولا تجعل مع الله إلها آخر فتلقى فى جهنم ملوماً مدحوراً﴾ وقال تعالى ﴿ قل إنما حرّم ربى الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثمَ والبغيَ بغير الحق، وأن تشركوا بالله ما لم ينزّل به سلطانا، وأن تقولوا على الله ما لا الله تعلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى، يعظكم لعلكم تذكرون. وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا، إن الله يعلم ما تفعلون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾ وقال تعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء ﴾ وقال تعالى ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور رحيم ﴾ الآيتين. وقال تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ وآيات القرآن فى هذا الباب كثيرة وشهيرة لاتخفى، بل القرآن كله فى تقرير الدّين من فاتحته إلى خاتمته: دعوة وبشارة ونذارة، وأمرا ونهيا وخبرا، كله لايخرج عن شأن الدين: إما دعوة إليه، أو بشارة لمن اتبعه برضاء الله والجنة، أو نذارة لمن أبى عنه من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، أو أمرا بشرائعه أصولها وفروعها وآدابها وأحكام كل منها، أو نهيا عن نواقضه جميعه أو نواقض شيء منها أو مايوجب أدنى خلل فيه أو فى شيء من شرائعه، أو خبرا عن نصر من جاء به وصدّق به وحفظه وتأييده فى الدنيا، أو خبرا عما أعدّ الله لهم فى الآخرة من الفوز والنعيم والنجاة من عذاب الجحيم. أو خبراً عن إهلاك من استكبر عنه فى الدنيا وما أحله الله بهم من غضبه عاجلا من الخسف والمسخ والقذف وغير ذلك، وما أعده لهم فى الآخرة من العذاب والعقاب. وما فاتهم وحرموه من الثواب وغير ذلك.

وأما الأحاديث فمنها قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة: فأعلاها قولا لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان» وقوله ﷺ «بايعونى على

أن لاتشركوا بالله شيئا ولاتسرقوا ولا تزنوا ولاتقتلوا أولادكم من إملاق ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم ولاتعصوا في معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب في الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه» قال عبادة بن الصامت: فبايعناه على ذلك. وقوله ﷺ « من يبايعني على هذه الثلاث الآيات ﴿ **قل تعالوا أتلُ ما حرّم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئاً** ﴾ الآيات وقوله ﷺ لمعاوية بن حيدة لما قال له « ما الذى بعثك الله به؟ قال: الإسلام. قلت: وما الإسلام؟ قال: أن تسلم قلبك لله تعالى، وأن توجه وجهك لله، وأن تصلى الصلاة المكتوبة وتؤدى الزكاة المفروضة»[1] وفي رواية قال «وما آية الإسلام؟ قال: أن تقول أسلمت وجهي لله وتخليت، وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة، وكل المسلم على المسلم حرام» وقوله ﷺ «ثلاث لايغل عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين فإن دعوتهم تحيط من ورائهم» وقوله ﷺ في جواب أى المسلمين أفضل؟ قال «من سلم المسلمون من لسانه ويده» وقوله «لاتحاسدوا، ولاتباغضوا، ولاتدابروا، ولايبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم: لايظلمه، ولا يخذله، ولايحقره. التقوى ههنا - وأشار إلى صدره ثلاثا - بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم». وقوله ﷺ «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر مانهى الله عنه» وقوله ﷺ في جواب من قال أى الإسلام خير؟ قال «أن تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» وقوله ﷺ «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه » وقوله ﷺ في جواب من سأله: قل لى فى الإسلام قولا لا أسأل عنه أحدا غيرك، قال «قل آمنت بالله ثم استقم». وقوله ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً» وقوله ﷺ «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لايحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف فى النار» وقوله «لايؤمن أحدكم حتى أكون أحبَّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»، وفى رواية من أهله وماله. وفى حديث أبي رزين قال: قلت يارسول الله ما الإيمان؟ قال « أن تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن يكون الله ورسوله أحبَّ إليك مما سواهما، وان تحترق فى النار أحبُّ إليك من أن تشرك بالله شيئا. وأن تحب غير ذى نسب لاتحبه إلا لله. فاذا كنت كذلك فقد دخل حب الإيمان فى قلبك كما دخل حب الماء للظمآن في اليوم القائظ. قلت: يارسول الله كيف لى بأن أعلم أنى مؤمن؟ قال« مامن أمتى - أو قال هذه الأمة - عبد يعمل حسنة فيعلم أنها حسنة وأن الله

(١) رواه أحمد فى المسند .

مجازيه بها خيرا، ولايعمل سيئة فيعلم أنها سيئة ويستغفر الله منها ويعلم أنه لايغفرها إلا الله إلا وهو مؤمن»، وقوله ﷺ «من سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مؤمن»[1]. وقوله ﷺ «صريح الإيمان إذا أسأت أو ظلمت عبدك أو أمتك أو أحداً من الناس صمت أو تصدقت، واذا أحسنت استبشرت»، وقوله ﷺ «المؤمنون فى الدنيا على ثلاثة أجزاء: الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله، والذى يأمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، ثم الذى إذا أشرف على طمع تركه لله عز وجل، وفى حديث عمرو بن عبسة « قلت: يارسول الله ما الإسلام؟ قال: طيب الكلام، وإطعام الطعام. فقلت: ما الإيمان؟ قال الصبر والسماحة. قلت: أى الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده. قلت أى الإيمان أفضل؟ قال: خلق حسن، وقوله ﷺ « أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقاً » وقوله ﷺ « ثلاث مَن فعلهن فقد طعم طعم الإيمان: مَن عبد الله وحده بأنه لا إله إلا هو، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه فى كل عام» الحديث. وفى آخره «فقال رجل: فما تزكية المرء نفسه يارسول الله ؟ قال: أن يعلم أن الله معه حيثما كان» وقوله ﷺ «مثل المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» وفى رواية «المؤمنون كرجل واحد – وفى أخرى – كرجل واحد، إذا اشتكى عينه اشتكى كله، وان اشتكى رأسه اشتكى كله» وقوله ﷺ «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً – وشبك بين أصابعه»، وقوله ﷺ «المؤمن فى أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد يألم المؤمن لأهل الإيمان كما يألم الجسد لما فى الرأس» وقوله ﷺ «المؤمن مرآة المؤمن، أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه»، وقوله ﷺ «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وقوله ﷺ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه، ومن كان يومن بالله واليوم الآخر فليكرم جاره». وقوله ﷺ « والله لايؤمن، والله لايؤمن، والله لايؤمن. قالوا: مَن ذلك يارسول الله؟ قال من لايأمن جاره بوائقه»، وقوله ﷺ ليس المؤمن الذى يشبع وجاره جائع «من أعطى لله، ومنع لله، وأحب لله ، وأبغض لله، فقد استكمل إيمانه» وسئل ﷺ عن أفضل الإيمان فقال « أن تحبَّ لله وتبغض لله وتعمل لسانك فى ذكر الله » فقال: وماذا يارسول الله؟ قال « أن تحب للناس ماتحب لنفسك، وتكره لهم ماتكره لنفسك » وفى رواية « وأن تقول خيرا أو تصمت »، وقوله ﷺ « لا يستحق العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله، فاذا أحبّ لله وأبغض لله فقد استحق الولاية من الله تعالى » وقوله ﷺ « أوثق عرى الإيمان أن تحب فى الله وتبغض فى الله » وقوله ﷺ لمعاذ بعد ما أخبره بأركان الإسلام قال « ألا أدلك على أبواب الخير؟

(١) رواه الترمذى والبيهقى .

الصوم جُنّة، والصدقة تطفيء الخطيئة كما يطفيء الماء النار. وصلاة الرجل في جوف الليل، ثم تلا ﴿ **تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ ثم قال « ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه؟ رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله » ثم قال له « ألا أخبرك بملاك ذلك كله؟» فأخذ بلسان نفسه وقال « كف عليك هذا ».

ويناسب هنا أن ننقل شرح حديث شعب الإيمان وكلام العلماء في إحصائها من فتح الباري[1]:

﴿ فتلك خمسة وللإيمان	ستة أركان بلا نكران ﴾
﴿ إيماننا بالله ذى الجلال	وما له من صفة الكمال ﴾
﴿ وبالملائكة الكرام البرره	وكتبه المنزلة المطهره ﴾
﴿ ورسله الهداة للأنام	من غير تفريق ولا إيهام ﴾

(فتلك) الأركان المتقدمة التي هي شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت من استطاع إليه سبيلا (خمسة) فسر النبي ﷺ بها الإسلام فاعلمها واحتفظ بها واعملها وعلمها، فسوف تسأل عنها وتحاسب عليها، فأعدد للسؤال جواباً، وإياك أن تخل بشيء منها فتكون من الظالمين. (وللايمان ستة أركان) فسره بها النبي ﷺ في حديث جبريل وغيره (بلا نكران) للنقل ولاتكذيب للخبر ولاشك في الاعتقاد ولا استكبار عن الانقياد. الأول منها (إيماننا بالله) بإلهيته وربوبيته لاشريك له في الملك ولا منازع له فيه ولا إله غيره ولارب سواه، واحد أحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولدا ولايشرك في حكمه أحداً، ولا ضد له ولا ند ولم يكن له كفواً أحد (ذى الجلال) ذى العظمة والكبرياء الذى هو أهل أن يجل فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر ويوحد فلا يشرك معه غيره ولا يوالى إلا هو ﴿ **قل أغير الله أبغى ربا وهو رب كل شيء – قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض – أفغير الله أبتغى حكما – أفغير الله تأمرونى أعبد أيها الجاهلون، ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل. لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير** ﴾، (و) الإيمان بـ (ماله) تعالى (من صفة الكمال) مما وصف به نفسه ووصف به رسوله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى وإمرارها كما جاءت بلا تكييف ولاتمثيل ولاتحريف ولاتعطيل وأن كل ماسمى الله تعالى ووصفه به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ الكل حق على حقيقته على ما أراد الله وأراد رسوله وعلى مايليق بجلال الله وعظمته ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا** ﴾ وقد تقدم مايسره الله تعالى من

---

(١) انظره من تحقيقنا ط دار الغد العربي .

تقرير الكلام فى توحيد الإلهية والربوبية والأسماء والصفات وأنواع الشرك المضادة له فليراجع وبالله التوفيق (و) الثانى الإيمان (بالملائكة) الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (الكرام) خلقا وخلقا والكرام على الله تعالى (البررة) الطاهرين ذاتا وصفةً وأفعالاً المطيعين لله عز وجل وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته ليسوا بناتا لله عز وجل ولا أولادا، ولاشركاء معه ولا أندادا تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوا كبيرا، قال الله تعالى ﴿**وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه بل عباد مكرمون. لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون. يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون، ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزى الظالمين**﴾ وقال تعالى ﴿ **ألا إنهم من إفكهم ليقولون ولد الله وإنهم لكاذبون، أصطفى البنات على البنين، مالكم كيف تحكمون. أفلا تذكرون** ﴾ إلى قوله ﴿ **وما منا إلا له مقام معلوم. وإنا لنحن الصافون. وإنا لنحن المسبحون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وجعلوا له من عباده جزءاً إن الانسان لكفور مبين. أم اتخذ مما يخلق بنات وأصفاكم بالبنين** ﴾ إلى قوله ﴿ **وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم ستكتب شهادتهم ويسألون** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون. ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فان استكبروا فالذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون، يسبحون الليل والنهار لا يفترون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **الحمد لله فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد فى الخلق ما يشاء إن الله على كل شىء قدير** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ويوم تشقق السماء بالغمام ونُزّل الملائكة تنزيلا، الملك يومئذ الحق للرحمن** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين. ويقولون حجراً محجوراً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وما نتنزل إلا بأمر ربك له مابين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ويوم يحشرهم جميعا ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون**﴾ وقال تعالى ﴿ **من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين** ﴾ والآيات فى ذكر الملائكة فى القرآن كثيرة.

ثم هم بالنسبة إلى ما هيأهم الله تعالى له ووكلهم به على أقسام:

فمنهم الموكل بالوحى من الله تعالى إلى رسله عليهم الصلاة والسلام، وهو الروح الأمين جبريل عليه السلام، قال الله تعالى ﴿ **من كان عدوا لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين، بلسان عربى مبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل نزله روح القدس من ربك بالحق** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى، ذو مرّة فاستوى، وهو بالأفق الأعلى. ثم دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى** ﴾ وهذا فى رؤية النبى ﷺ له فى الأبطح حين تجلى له على صورته التى خلق عليها، له ستمائة جناح قد سد عظم خلقه الأفق، ثم رآه ليلة المعراج أيضا فى السماء كما قال تعالى ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** ﴾ ولم يره ﷺ فى صورته إلا هاتين المرتين، وبقية الأوقات فى صورة رجل، وغالباً فى صورة دحية الكلبى رضى الله عنه. وقال تعالى فيه ﴿ **إنه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين. وما صاحبكم بمجنون، ولقد رآه بالأفق المبين** ﴾ الايات. وقال تعالى ﴿ **حتى إذا فُزّع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم، قالوا الحق وهو العلى الكبير** ﴾ تقدم الحديث فى معنى الآية. وفيه: قال النبى ﷺ «فيكون أول من يرفع رأسه جبريل، فيكلمه تعالى من وحيه بما أراد، ثم يمر جبريل بأهل السموات، كلما مر بسماء سأله ملائكتها: ماذا قال ربنا ياجبريل؟ فيقول جبريل عليه السلام: قال الحق وهو العلى الكبير» فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل. ثم ينتهى جبريل بالوحى إلى حيث أمره الله عز وجل وهو فى الصحيحين، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر بعض الأحاديث فى بدء الوحى من الفصل الآتى.

ومنهم الموكل بالقَطر وتصاريفه إلى حيث أمره الله عز وجل، وهو ميكائيل عليه السلام، وهو ذو مكانة علية ومنزلة رفيعة وشرف عند ربه عز وجل، وله أعوان يفعلون ما يأمرهم به بأمر ربه، ويصرّفون الرياح والسحاب كما يشاء الله عز وجل. وقد جاء فى بعض الآثار: ما من قطرة تنزل من السماء إلا ومعها ملك يقررها فى موضعها من الأرض، وفى حديث ابن عباس عند الطبرانى أنه ﷺ قال لجبريل «على أى شيئ ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر» ولأحمد عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام «مالى لم أر ميكائيل ضاحكا قط؟ فقال عليه السلام: ماضحك ميكائيل منذ خلقت النار»(١) عياذا بالله منها.

ومنهم الموكل بالصور، وهو اسرافيل عليه السلام، ينفخ فيه ثلاث نفخات بأمر ربه عز وجل: الأولى نفخة الفزع، والثانية نفخة الصعق، والثالثة نفخة القيام لرب العالمين، كما سيأتى إن شاء الله تعالى بسطه فى موضعه، ولأحمد والترمذى من حديث عطية العوفى

(١) رواه أحمد فى المسند .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته وانتظر أن يؤذن له. قالوا كيف نقول يارسول الله ؟ قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا»، وهؤلاء الثلاثة من الملائكة هم الذين ذكرهم النبى ﷺ فى دعائه من صلاة الليل «اللهم رب جبريل ومكيائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم».

ومنهم الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، وقد جاء فى بعض الآثار تسميته عزرائيل، قال الله تعالى ﴿ **قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون، ثم رُدّوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكةُ يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ان الذين توفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم** » إلى قوله تعالى « **إن الذين توفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ وغيرها من الآيات.وقد جاء فى الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، ان كان محسنا ففى أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئا ففى أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها فى يده بل يضعونها فى أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى ﴿ **كلا إذا بلغت الحلقوم وأنتم حينئذ تنظرون، ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون. فلولا إن كنتم غير مدينين، ترجعونها إن كنتم صادقين. فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين، فنزل من حميم وتصلية جحيم. إن هذا لهو حق اليقين . فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله.

ومنهم الموكل بحفظ العبد فى حله وارتحاله وفى نومه ويقظته وفى كل حالاته، وهم المعقبات، قال الله تعالى ﴿ **سواء منكم من أسرّ القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله، إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن** ﴾ ، وقال تعالى ﴿ **وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة** ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما فى الآية الأولى ﴿ **له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله** ﴾ : والمعقبات من هم الملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه،

فاذا جاء قدر الله تعالى خلوا عنه. وقال مجاهد: ما من عبد إلا له ملك موكل بحفظه فى نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام، فما منها شيء يأتيه إلا قال له الملك وراءك، وإلا شيء أذن الله فيه فيصيبه، وقال تعالى **﴿ قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن ﴾** قال ابن كثير: أى بدل الرحمن، يمتنُّ سبحانه وتعالى بنعمته على عبيده وحفظه لهم بالليل والنهار وكلاءته وحراسته بعينه التى لاتنام. أ.هـ.

ومنهم الموكل بحفظ عمل العبد من خير وشر، وهم الكرام الكاتبون، وهؤلاء يشملهم مع ماقبلهم قوله عز وجل **﴿ ويرسل عليكم حفظة ﴾** وقال تعالى فيهم **﴿ أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، بلى ورسلنا لديهم يكتبون ﴾** وقال تعالى **﴿ إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد، ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد ﴾** فالذى عن اليمين يكتب الحسنات، والذى عن الشمال يكتب السيئات. وقال تعالى **﴿ وإن عليكم لحافظين، كراماً كاتبين، يعلمون ما تفعلون ﴾**، عن علقمة عن بلال بن الحارث المزنى رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى مايظن أن تبلغ مابلغت، يكتب الله عز وجل له بها رضوانه إلى يوم يلقاه. وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى مايظن أن تبلغ مابلغت، يكتب الله تعالى عليه بها سخطه إلى يوم يلقاه. فكان علقمة يقول: كم من كلام قد منعنيه حديث بلال بن الحارث، رواه أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه. وقال الترمذى: حسن صحيح. وروى البغوى عن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول « كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشرا، وإن عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبّح أو يستغفر»، وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « إن الله تعالى تجاوز لى عن أمتى ماحدثت به أنفسها مالم يتكلموا أويعملوا به »[1] وفى رواية « ما لم تعمل أو تكلم به » وفيه عنه رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ « قال الله عز وجل إذا همّ عبدى بسيئة فلا تكتبوها عليه، فان عملها فاكتبوها سيئة. وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فان عملها فاكتبوها عشرا» وفى رواية «قال الله عز وجل: إذ همّ عبدى بحسنة فلم يعملها كتبتها له حسنة، فان عملها كتبتها عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف. واذا هم بسيئة ولم يعملها لم أكتبها عليه، فان عملها كتبتها سيئة واحدة ». وفى أخرى « قال الله عز وجل: اذا تحدّث عبدى بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة مالم يعمل، فاذا عملها فانا أكتبها بعشر أمثالها. واذا تحدث بأن يعمل

---

(١) رواه الشيخان .

سيئة فانا أغفرها له مالم يعملها. فاذا عملها فأنا أكتبها له بمثلها. وقال رسول الله ﷺ « قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة - وهو تعالى أبصر به - فقال ارقبوه، فان عملها فاكتبوها له بمثلها، وان تركها فاكتبوها له حسنة، انما تركها من جرّاى» وقال رسول الله ﷺ « إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله عز وجل» ، وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يرويه عن ربه عز وجل قال«ان الله تبارك وتعالى كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن همّ بحسنة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وإن همّ بها فعملها كتبها الله عز وجل عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة. وان هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله عنده حسنة كاملة، وان هم بها فعملها كتبها سيئة واحدة - زاد فى رواية - أو محاها الله . ولايهلك على الله إلا هالك »، وقال الحسن البصرى رحمه الله تعالى وتلا هذه الآية **﴿عن اليمين وعن الشمال قعيد﴾**: يا بن آدم بسطت لك صحيفة، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذى عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذى عن يسارك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت أقلل أو أكثر، حتى اذا مت طويت صحيفتك وجعلت فى عنقك معك فى قبرك حتى تخرج يوم القيامة، فعند ذلك يقول الله تعالى **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشوراً، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾**، ثم يقول: عدل والله فيك من جعلك حسيب نفسك أ.هـ. ويناسب ذكر المعقبات والحفظة ماروى البخارى رحمه الله تعالى فى « باب قول الله عز وجل تعرج الملائكة والروح إليه» قال : حدثنا إسماعيل حدثنى مالك عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار، ويجتمعون فى صلاة العصر وصلاة الفجر، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادى؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون»(1). ورواه مسلم أيضا وفيهما عن أبى موسى رضى الله عنه قال « قام فينا رسول الله ﷺ بأربع كلمات فقال: إن الله لاينام ولاينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل » الحديث تقدم فى العلوّ. والأحاديث فى ذكر الحفظة كثيرة.

ومنهم الموكلون بفتنة القبر وهم منكر ونكير، وسيأتى إن شاء الله تعالى ذكر النصوص فى ذلك قريباً، نسأل الله تعالى الثبات والتوفيق.

ومنهم خزنة الجنة ومقدمهم رضوان عليهم السلام، قال الله تعالى **﴿ وسيق الذين اتقوا**

---

(1) رواه الشيخان .

ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاءوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ﴾ وقال تعالى ﴿ جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾ .

ومنهم المبشرون للمؤمنين عند وفاتهم، وفي يوم القيامة. كما قال تعالى ﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون. نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ماتشتهى أنفسكم ولكم فيها ماتدّعون. نزلا من غفور رحيم ﴾، وقال تعالى فيهم ﴿ لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذى كنتم توعدون ﴾

ومنهم خزنة جهنم عياذاً بالله منها، وهم الزبانية، ورؤساؤهم تسعة عشر، ومقدمهم مالك عليهم السلام، قال الله تعالى ﴿ وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً، حتى اذا جاءوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ وقال الذين فى النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب، قالوا أولَم تك تأتيكم رسلكم بالبينات. قالوا: بلى. قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ﴾ وقال تعالى ﴿ فليدعُ ناديَهُ سندعُ الزبانية ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وما أدراك ماسقر، لاتبقى ولاتذر، لوّاحة للبشر، عليها تسعة عشر. وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ﴾ وقال تعالى ﴿ ونادوا يامالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون ﴾، وفى صحيح مسلم «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، كل زمام فى يد سبعين ألف ملك يجرونها ».

ومنهم الموكلون بالنطفة فى الرحم كما فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه قال «حدثنا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يرسل إليه الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد»(١) الحديث. وفى بابه من الأحاديث كثير، وفيها « أن الملك يقول يارب مخلّقة أو غير مخلقة؟ واحد أو توأم؟ ذكر أم أنثى؟ شقى أو سعيد؟ ما الرزق وما الأجل؟ فيقضى الله تعالى مايشاء. فيكتب الملك ما أمره الله عز وجل فلا يغير ولايبدل» ومنهم حملة العرش والكروبيون وهم الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون

---

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ، من تحقيقنا ح ٣٠٣٦ .

بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما، فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴾** ويؤيد ذلك ماروى الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ «صدق أمية بن الصلت فى شيئ من شعره . فقال : رجل وثور تحت رجل يمينه والنسر للأخرى وليث مرصد .

فقال رسول الله ﷺ صدق فقال :

والشمس تطلع كل آخر ليلة حمراء يصبح لونها يتورد
تأبى فما تطلع لتافى رسلها إلا معذبة وإلا تجلد

فقال رسول الله ﷺ صدق وهذا إسناده جيد. لكن قد ورد مايدل على أنهم فى الدنيا أيضا ثمانية، وهو حديث العنان الذى رواه أبو داود وغيره وقد تقدم فى العلوّ وفيه « ثم فوق السماء السابعة بحر بين أسفله واعلاه مثل مابين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أخلافهم وركبهن مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك. وله عن جابر ابن عبد الله رضى الله عنهما «ان رسول الله ﷺ أذن لى أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش أن مابين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام، وقال ابن عباس وسعيد بن جبير والشعبى وعكرمة والضحاك وابن جريج: ثمانية صفوف من الملائكة. وقال الضحاك عن ابن عباس: الكروبيون ثمانية أجزاء، كل جزء منهم بعدة الإنس والجن والشياطين والملائكة. وفى حديث الصور الطويل قال رسول الله ﷺ « فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسًا شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس، حتى اذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا، وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى اذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون: لا، وهو آت. ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبّار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة، فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل فى تسبيحهم، يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لايموت، سبحان الذى يميت الخلائق ولايموت. سبوح° قدوس قدوس قدوس.سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح. سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولايموت. الحديث رواه ابن جرير والطبراني وغيرهما.

ومنهم ملائكة سياحون يتبعون مجالس الذكر، فاذا وجدوا قوما يذكرون الله عز وجل تنادوا : هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم بهم منهم: مايقول عبادى؟ قالوا: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك » الحديث تقدم فى العلوّ وقال ﷺ «وما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فى من عنده »[1] الحديث بطوله فى الصحيح عن أبى هريرة.

ومنهم الموكل بالجبال، وقد ثبت ذكره في حديث خروج النبى ﷺ إلى بنى عبدياليل وعوده منهم،وفيه قول جبريل له ﷺ « ان الله قد سمع قول قومك لك وماردوه عليك» . وفيه قول ملك الجبال «ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين» فقال ﷺ « بل استأنِ بهم لعل أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله لايشرك به شيئا»

ومنهم زوار البيت المعمور الذى أقسم الله تعالى به فى كتابه، ثبت ذلك فى حديث المعراج، وهو بيت فى السماء السابعة بحيال الكعبة فى الأرض لو سقط لوقع عليها، حرمته فى السماء كحرمة الكعبة فى الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون إليه آخر ما عليهم» ، يعنى لاتحول نوبتهم لكثرتهم والحديث بألفاظه فى الصحيحين.

ومنهم ملائكة قيام صفوف لايفترون، وقيام لايركعون، وركّع وسجّد لايرفعون، ومنهم غير ذلك ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو، وما هى إلا ذكرى للبشر** ﴾ روى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنى أرى مالا ترون، وأسمع ما لا تسمعون. أطّت السماء وحق لها أن تئطّ، مافيها موضع أربع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما تلذذتم بالنساء على الفرشات ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى» فقال أبو ذر: والله لوددت أنى شجرة تعضد. وقال الترمذى غريب. ويروى عن أبى ذر موقوفا. قلت: وله حكم الرفع، ومن أين لأبى ذر رضى الله عنه مثل هذا إلا عن توقيف والله أعلم وعن حكيم بن حزام قال: بينما رسول الله ﷺ مع أصحابه اذ قال لهم «هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: مانسمع من شيء. فقال رسول الله ﷺ : أسمع أطيط السماء وما تلام أن تئطّ، مافيها موضع شبر إلا وعليه مالك راكع أو ساجد. وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ « مافى السماء الدنيا موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم ، وذلك قول الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم، وإنا لنحن الصافّون، وإنا لنحن المسبحون، وعن العلاء بن سعد وقد شهد الفتح وما بعده أن النبى ﷺ قال يوما لجلسائه « هل تسمعون ما أسمع؟ قالوا: وماتسمع يارسول الله ؟ قال: أطّت السماء وحق لها أن تئط، إنه ليس فيها موضع قدم إلا وعليه ملك قائم أو

(١) رواه أبو داود والترمذى .

راكع أو ساجد. وقالت الملائكة: وإنا لنحن الصافُّون وإنا لنحن المسبحون. وعن رجل صحب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «ان لله تعالى ملائكة ترعد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلى وإن منهم ملائكة سجودا منذ خلق الله السموات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولايرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السموات والأرض ولايرفعونها إلى يوم القيامة، فاذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل فقالوا: سبحانك ماعبدناك حق عبادتك، واسناده لابأس به، وهو والذى قبله أخرجهما محمد بن نصر المروزى. وفى الصحيح عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال رسول الله ﷺ «ألا تصفُّون كما تصفُّ الملائكة عند ربها؟ فقلنا: يارسول الله وكيف تصف الملائكة عند ربها؟ قال: يتمون الصفوف الأول ويتراصون فى الصف» وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «خلقت الملائكة من نور العرش، وخلق الجان من مارج من نار،وخلق آدم مما وصف لكم»

(و) الثالث الإيمان (بكتبه المنزلة) على رسله (المطهرة) من الكذب والزور ومن كل باطل ومن كل مالا يليق بها، قال الله تعالى ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزلنا إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لانفرّق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل** ﴾ إلى آخر الآية. وقال تعالى ﴿**ياأيها الذين آمَنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذين أنزل من قبل، ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيداً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فآمنوا بالله ورسوله والنور الذى أنزلنا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والذين كذبوا بالكتاب وبما أرسلنا به رسلنا فسوف يعلمون** ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** ﴾ ومعنى الإيمان بالكتب التصديق الجازم بأن كلها منزل من عند الله عز وجل على رسله إلى عباده بالحق المبين والهدى المستبين، وأنها كلام الله عز وجل لاكلام غيره، وأن الله تعالى تكلم بها حقيقة كما شاء وعلى الوجه الذى أراد، فمنها المسموع منه من وراء حجاب بدون واسطة، ومنها مايسمعه الرسول الملَكى ويأمره بتبليغه منه إلى الرسول البشرى كما قال تعالى ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء، إنه عليم حكيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكلم الله موسى تكليماً** ﴾، ﴿ **ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه** ﴾، ﴿ **ياموسى إنى**

اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى ﴾ ﴿ فأوحى إلى عبده ما أوحى ﴾ ، ﴿وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا ﴾ ﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ﴾، ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا ﴾ ومنها ما خطه بيده عز وجل كما قال تعالى ﴿ وكتبنا له فى الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلاً لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها ﴾.

والايمان بكل مافيها من الشرائع وانه كان واجبا على الأمم الذين نزلت اليهم الصحف الأولى الانقياد لها والحكم بما فيها قال تعالى ﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشونولا تشتروا بآياتى ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ إلى قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، وقفينا على آثارهم بعيسى ابن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الإنجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين، وليحكم أهل الانجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم عما جاءك من الحق، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى ا مرجعكم جميعاً فينبؤكم بما كنتم فيه تختلفون، وأن احكم بينهم بما أنزل ا ولاتتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل ا إليك﴾ وأن جميعها يصدق بعضها بعضاً لا يكذبه كما قال تعالى فى الانجيل ﴿ مصدقاً لما بين يديه من التوراة ﴾ وقال فى القرآن ﴿ مصدق لما بين يدينه من الكتاب ومهيمناً عليه ﴾ وان كل من كذب بشيء منها أو أبى عن الانقياد لها مع تعلق خطابه به يكفر بذلك كما قال تعالى ﴿ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتفتح لهم أبواب السماء ولايدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾ وأن نسخ الكتب الأولى بعضها ببعض حق كما نسخ بعض شرائع التوراة بالانجيل قال الله تعالى فى عيسى عليه السلام ﴿ ويعلّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل ورسولا إلى بنى إسرائيل إنى قد جئتكم ببينة من ربكم ﴾ إلى قوله ﴿ ومصدقا لما بين يدى من التوراة ولأحلّ لكم بعض الذى حرّم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ وكما نسخ كثير من شرائع التوراة والانجيل والقرآن كما قال تعالى ﴿ عذابى أصيب به من أشاء ورحمتى وسعت كل شيء فأسكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم شيء فأسكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم

بآياتنا يؤمنون. الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والانجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرِّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزّروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون. قل يا أيها الناس انى رسول إليكم جميعاً ﴾ الآية. وأن نسخ القرآن بعض آياته ببعض حق كما قال تعالى ﴿ **ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾** وقال تعالى ﴿ **واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا إنما أنت مفتر بل أكثرهم لايعلمون ﴾** الآيات، وكما قال تعالى **﴿الآن خفف عنكم وعلم أن فيكم ضعفاً فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين بإذن الله ﴾** بعد قوله ﴿ **يا أيها النبى حرِّض المؤمنين على القتال إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ﴾** والناسخ والمنسوخ آيات مشهورات مذكورات فى مواضعها من كتب التفسير وغيرها، وانه لايأتى كتاب بعده ولامغير ولامبدل لشىء من شرائعه بعده، وأنه ليس لأحد الخروج عن شىء من أحكامه، وأن من كذب بشئ منه من الأمم الأولى فقد كذب بكتابه . كما أن من كذب بما أخبر عنه القرآن من الكتب فقد كذب به، وأن من اتبع غير سبيله ولم يقتفِ أثره ضل قال تعالى ﴿ **المص، كتاب أنزل إليك فلا يكن فى صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين . اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ما تذكرون ﴾.**

ثم الإيمان بكتب الله عز وجل يجب إجمالا فيما أُجمل وتفصيلا فيما فصل، فقد سمى الله تعالى من كتبه التوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على داود فى قوله تعالى ﴿ **وآتينا داود زبورا ﴾** والقرآن على محمد ﷺ، وذكر صحف ابراهيم وموسى، وقد أخبر تعالى عن التنزيل على رسله مجملا فى قوله ﴿ **والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ﴾** وقال تعالى ﴿ **قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا ﴾** إلى قول﴿ **وما أوتى النبيون من ربهم لانفرّق بين أحد منهم ﴾** وقال ﴿ **وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب ﴾** فنقول كما أمرنا ربنا عز وجل: آمنا بما أنزل الله من كتاب وما أرسل من رسول وقال تعالى فى القرآن والسنة ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾**، ﴿ **والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ﴾** فلا بد فى الإيمان به من امتثال أوامره واجتناب مناهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه والاعتبار بأمثاله والاتعاظ بقصصه والعمل بمحكمه والتسليم لمتشابهه والوقوف عند حدوده وتلاوته آناء الليل والنهار والذب عنه لتحريف الغالين وانتحال المبطلين والنصيحة له ظاهرا وباطنا بجميع معانيها،

نسأل الله تعالى أن يرزقنا كل ذلك ويوفقنا له ويعيننا عليه ويثبتنا به وجميع إخواننا المسلمين إنه ولي التوفيق.

(و) الرابع الإيمان (برسله) وهم كل من أوحى إليه وأمر بالتبليغ، أما من أوحى إليه ولم يؤمر بالتبليغ فهو نبى فقط وليس برسول، فكل رسول نبى ولا كل نبى رسول (الهداة) جمع هاد والمراد به هداية الدعوة والدلالة والارشاد إلى سبيل الهدى كما قال تعالى ﴿ **إنما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله** ﴾ وأما هداية التوفيق والتسديد والتثبيت فليست إلا بيد الله عز وجل هو مقلب القلوب ومصرّف الأمور ليس لملك مقرب ولا لنبى مرسل تصريف فى شىء منهما فضلا عمن دونهما، ولذا قال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **ليس عليك هداهم ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنك لاتهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ والإيمان برسل الله عز وجل متلازم من كفر بواحد منهم فقد كفر بالله تعالى وبجيمع الرسل عليهم السلام قال تعالى ﴿ **آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لانفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير** ﴾ .وقال تعالى﴿ **إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا أليما، والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدا** ﴾ ، وقال تعالى ﴿**وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم، قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى إسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدىّ من التوراة ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يُدعى إلى الإسلام والله لايهدى القوم الظالمين**﴾، وقال الله تعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنّه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين . فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾، ومعنى الإيمان بالرسل هو التصديق الجازم بأن الله تعالى بعث فى كل أمة رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له والكفر بما يعبد من دونه، وأن جميعهم صادقون مصدقون بارُون راشدون كرام بررة أتقياء أمناء هداة مهتدون، وبالبراهين

الظاهرة والآيات الباهرة من ربهم مؤيدون، وأنهم بلّغوا جميع ما أرسلهم الله به، لم يكتموا منه حرفا ولم يغيروه ولم يزيدوا فيه من عند أنفسهم حرفاً ولم ينقصوه، فهل على الرسل إلا البلاغ المبين، وانهم كلهم كانوا على الحق المبين، والهدى المستبين، وأن الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا، واتخذ محمدا ﷺ خليلا، وكلم موسى تكليماً، ورفع إدريس مكاناً علياً، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الله تعالى فضل بعضهم على بعض ورفع بعضهم على بعض درجات. وقد اتفقت دعوتهم من أولهم إلى آخرهم في أصل الدين وهو توحيد الله عز وجل بإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، ونفي مايضاد ذلك أو ينافي كماله كما تقدم ذلك في تقرير توحيد الطلب والقصد. وأما فروع الشرائع من الفرائض والحلال والحرام فقد تختلف فيفرض على هؤلاء مالا يفرض على هؤلاء ويخفف على هؤلاء ماشدد على أولئك ويحرم على أمة مايحل للأخرى وبالعكس لحكمة بالغة وغاية محمودة قضاها ربنا عز وجل ليبلوكم فيما آتاكم، أيكم ليبلوكم أحسن عملا. وقد ذكر الله تعالى في كتابه منهم آدم ونوحا وإدريس وهودا وصالحا وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف ولوطا وشعيبا ويونس وموسى وهرون وإلياس وزكريا ويحيى واليسع وذا الكفل وداود وسليمان وأيوب، وذكر الأسباط جملة، وعيسى ومحمدا ﷺ، وقص علينا من أنبائهم ونبّأنا من أخبارهم مافيه كفاية وعبرة وموعظة إجمالا وتفصيلا ثم قال ﴿ **ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك، وكلم الله موسى تكليما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا رسلا من قبلك منهم من قصصنا عليك** ﴾ فنؤمن بجميعهم تفصيلا فيما فصل وإجمالا فيما أجمل.

﴿ أولهم نوح بلا شك كما أن محمدا لهم قد ختما ﴾

(أولهم) يعني أول الرسل عليهم السلام (نوح بلا شك) وهو نوح بن لامك بن متوشلخ بن أخنوخ بن يرد بن مهلاييل بن قاين بن أنوش بن شيث بن آدم عليه السلام. والمعنى أن نوحا أول الرسل والنبيين بعد الاختلاف، قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ لأن أمته أول من اختلف وغير وبدل وكذب كما قال تعالى ﴿ **كذبت قبلهم قوم نوح والأحزاب من بعدهم** ﴾ وإلا فآدم قبله كان نبيا رسولا، وكان الناس أمة واحدة على دينه ودين وصيه شيث عليه السلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة ومجاهد وغيرهم رضي الله عنهم في قوله تعالى ﴿ **كان الناس أمة واحدة** ﴾ الآية قالوا : كان بين نوح وآدم عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين (كما أن محمدا) ﷺ (لهم) أي للرسل (قد ختما) فلا نبي بعده كما قال تعالى ﴿ **ما كان محمد**

أبا أحد من رجالكم ولكن رسول ا ِوخاتم النبيين ﴾ وسيأتى إن شاء الله تعالى تقرير ذلك فى موضعه من هذا المتن.

﴿ وخمسة منهم أولوا العزم الأُلَى فى سورة الأحزاب والشورى تلا ﴾

(وخمسة منهم) أى من الرسل (أولو) أى أصحاب (العزم) يعنى الحزم والجد والصبر وكمال العقل، ولم يرسل الله تعالى من رسول إلا وهذه الصفات فيه مجتمع، غير أن هؤلاء الخمسة أصحاب الشرائع المشهورة كانت هذه الصفات فيهم أكمل وأعظم من غيرهم، ولذا خصوا بالذكر (فى سورة الأحزاب) يعنى قوله تعالى ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم ﴾ فذكر تعالى أخذه الميثاق على جميع النبيين جملة ونص منهم على هؤلاء الخمسة محمد ﷺ وهو خاتمهم ونوح وهو فاتحهم وابراهيم وموسى وعيسى وهم بينهما (و) وكذا ذكرهم على وجه التخصيص فى سورة (الشورى) إذ يقول تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ماوصى به نوحاً والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه ﴾ وهؤلاء الخمسة هم الذين يتراجعون الشفاعة بعد أبيهم آدم عليه السلام حتى تنتهى إلى نبينا محمد ﷺ فيقول « أنا لها » كما سيأتى بيان ذلك فى موضعه إن شاء الله، وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ فى قول الله ﴿ وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ﴾ الآية قال النبى ﷺ « كنت أول النبيين فى الخلق وآخرهم فى البعث فبدأ بى قبلهم » وفيه ضعف ويروى مرسلا وموقوفا على قتادة، وللبزار عنه رضى الله عنه موقوفا عليه قال «خيار ولد آدم خمسة: نوح وابراهيم وموسى وعيسى ومحمد » ﷺ وعليهم أجمعين، وخيرهم محمد ﷺ ، والقول بأن أولى العزم هم هؤلاء الخمسة هو قول ابن عباس وقتادة ومن وافقهما وهو الأشهر، وقال الكلبى هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين، وقيل هم ستة: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وموسى عليه السلام، وهم الذكورون على النسق فى سورة الأعراف وهود والشعراء، وقال مقاتل: هم ستة نوح صبر على أذى قومه وابراهيم صبر على النار وإسحاق صبر على الذبح (كذا) ويعقوب صبر على فقد ولده وذهاب بصره ويوسف صبر على البئر والسجن وأيوب صبر على الضر. قلت وقول إسحاق صبر على الذبح هو قول مرجوح أو مردود وإنما كان الذبيح إسماعيل عليه السلام كما فى سورة الصافات وهود، وقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولى عزم، لم يبعث الله نبيا إلا كان ذا عزم وحزم ورأى وكمال عقل، وإنما أدخلت من للتجنيس لا للتبعيض كما يقال اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز، وقال قوم هم نجباء الرسل المذكورون فى سورة الأنعام وهم ثمانية عشر لقوله تعالى بعد ذكرهم ﴿ أولئك الذين

هدى الله فبهداهم اقتده ﴾ وروى ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها: ظل رسول الله ﷺ صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم طواه ثم ظل صائما ثم قال «يا عائشة، إن الدنيا لاتنبغي لمحمد ولالآل محمد ياعائشة، إن الله تعالى لم يرض من أولي العزم من الرسل إلا بالصبر على مكروهها والصبر على محبوبها، ثم لم يرض مني إلا أن يكلفني ماكلفهم فقال﴿ **فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل** ﴾ وإني والله لأصبرن كما صبروا جهدي، ولاقوة إلا بالله»

﴿ وبالمعـــــــاد ايقـن بـلاتـردد	ولا ادعـــا علم بوقت الموعـــد ﴾
﴿ لكننا نؤمن من غـيـــر امـتـــرا	بكل مـاقـد صح عن خـيـر الورى ﴾
﴿ من ذكـــر آيات تكون قـبلهـــا	وهي عـــلامـــات وأشـــراط لهـــا ﴾

(وبالمعاد) هو المردُّ إلى الله عز وجل والإياب اليه (ايقن) استيقن بذلك يقينا جازماً (بلا تردد)، هذا هو الركن الخامس من أركان الإيمان، وهو الإيمان باليوم الآخر وما يدخل فيه، قال الله تعالى ﴿ **والذين يؤمنون بما أنزل إليك ما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر** ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا لايقدرون على شيء مما كسبوا والله لايهدي القوم الكافرين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **واتقوا يوما ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما عملت وهم لايظلمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكّر إلا أولوا الألباب. ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب. ربنا إنك جامع الناس ليوم لاريب فيه إن الله لايخلف الميعاد** ﴾ وقال تعالى﴿ **فكيف إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لايظلمون**﴾ وقال تعالى ﴿ **والذين ينفقون أموالهم رئاء الناس ولايؤمنون بالله ولاباليوم الآخر، ومن يكن الشيطان له قرينا فساء قرينا، وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وأنفقوا مما رزقهم الله** ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ **الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه، ومن أصدق من الله حديثا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه** ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ **ان الذين لايؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم فهم يعمهون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وماخلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة**

لآتية فاصفح الصفح الجميل ﴾ وقال تعالى ﴿ ان الساعة آتية أكاد أخفيها لتجزى كل نفس بما تسعى. فلا يصدنك عنها من لايؤمن بها واتبع هواه فتردى ﴾ وقال تعالى ﴿ وان الساعة آتية لاريب فيها، وان الله يبعث من فى القبور﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذى تستعجلون﴾ وقال تعالى فى الآية الأخرى ﴿ قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون. ويقولون متى هذا الفتح إن كنتم صادقين. قل يوم الفتح لاينفع الذين كفروا إيمانهم ولاهم ينظرون. فأعرض عنهم وانتظر إنهم منتظرون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة، ذلك يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود. وما نؤخره إلا لأجل معدود ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا، إن وعد الله حق فلا تغرّنكم الحياة الدنيا ولا يغرّنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور ﴾ وقال تعالى ﴿ إن ماتوعدون لآت وما أنتم بمعجزين ﴾ وقال تعالى ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه ﴾ وقال تعالى ﴿ أمّن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ﴾ وقال تعالى ﴿ إن الساعة آتية لاريب فيها ولكن أكثر الناس لايؤمنون ﴾ وقال تعالى ﴿ فاصبر صبراً جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون ﴾ الآيات، وقال ﴿ إذا وقعت الواقعة ﴾ الخ السورة، وقال تعالى ﴿ يُوفون بالنذر ويخافون يوما كان شرُّه مستطيراً ﴾ إلى آخر السورة، وقال تعالى ﴿ والذاريات ذروا، فالحاملات وقرا، فالجاريات يُسراً، فالمقسّمات أمرا، إنما توعدون لصادق، وان الدين لواقع ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما توعدون لواقع، فإذا النجوم طمست، وإذا السماء فرجت، واذا الجبال نسفت، واذا الرسل أُقّتت، لأى يوم أجلت، ليوم الفصل، واذا الجبال ، وما أدراك مايوم الفصل، ويل يومئذ للمكذّبين ﴾ إلى آخر السورة والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها والتى تليها وغيرها من الآيات بل وغيرها من السور، وسيأتى إن شاء الله مزيد نصوص فى اللقاء والبعث والنشور. (و) بـ (لاادعا) بالقصر للوزن وهو مصدر ادّعى يدّعى ادّعاء (علم) بوقت الموعد متى هو، فإن ذلك من مفاتح الغيب التى لايعلمها إلا الله عز وجل، قال الله تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ﴾ ﴿ يسألونك عن الساعة أيّان مُرْساها، قل إنما علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها إلا هو، ثقلت فى السموات والأرض لاتأتيكم إلا بغتة، يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ والتى بعدها. وقال تعالى

﴿بل تأتيهم بغتة فتبهتهم فلا يستطيعون ردّها ولا هم ينصــرون﴾ وقال تعــالى **﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث ويعلم مافى الأرحام ﴾** الآية، وقال تعالى **﴿ إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وماتحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولاتستعجل لهم كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ﴾** وقال تعالى **﴿ وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾** وقـال **﴿ ومايدريك لعل الساعة قريب يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق، ألا إن الذين يمارون فى الساعة لفى ضلال بعيد ﴾** وقال تعالى **﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. قل إنما العلم عند الله، وإنما أنا نذير مبين. فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفــروا وقيــل هذا الذى كنتم به تدّعـون ﴾** وقـال الله تعـالى **﴿ يسألونك عن الساعة أيان مرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها. إنما أنت منذر من يخشاها. كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها ﴾** وغيرها من الآيات. وتقدم حديث جبريل المشهور قوله عليه السلام للنبى ﷺ: «أخبرنى عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل» الحديث. وروى الإمام أحمد فى مسنده عن بريدة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول « خمس لايعلمها إلا الله عز وجل: إن الله عنده علم الساعة وينزّل الغيث، ويعلم ما فى الأرحام، وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا، وماتدرى نفس بأى أرض تموت. إن الله عليم خبير وروى البخارى عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: رسول الله ﷺ «مفاتيح الغيب خمس، ثم قرأ: إن الله عنده علم الساعة» وفى الصحيحين أن أعرابيا أتى النبى ﷺ فناداه بصوت جَهورىّ فقال: يامحمد، قال له رسول الله ﷺ : هاؤم– على نحو من صوته – قال: يامحمد . متى الساعة؟ فقال له رسول الله ﷺ: ويحك إن الساعة آتية فما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها كبير صلاة ولاصيام، لكنى أحب الله ورسوله . فقال له رسول الله: المرء من أحب ، فما فرح المسلمون بشيء فرحهم بهذا الحديث، ففيه أنه عليه الصلاة والسلام كان إذا سئل عن هذا الذى لايحتاجون إلى علمه أرشدهم إلى ماهو الأهم فى حقهم وهو الاستعداد لوقوع ذلك والتهيؤ له قبل نزوله وان لم يعرفوا تعيين وقته. ولمسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: كانت الاعراب إذا قدموا على رسول الله ﷺ سألوه عن الساعة متى الساعة، فينظر إلى أحدث انسان منهم فيقول: «إن يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم»[1]، يعنى بذلك موتهم الذى يفضى بهم إلى الحصول فى برزخ الدار الآخرة. وله عن أنس رضى الله عنه أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال رسول الله ﷺ «ان يعش هذا الغلام فعسى أن

(١) رواه الشيخان

لايدركه الهرم حتى تقوم الساعة» وفى رواية ان رجلا سأل النبى ﷺ قال متى الساعة؟ فسكت رسول ﷺ هنيهة، ثم نظر إلى غلام بين يديه من أزد شنوءة فقال «إن عمر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة» قال أنس ذلك الغلام من أترابى وفى رواية عن أنس قال: مر غلام للمغيرة بن شعبة وكان من أترابى، فقال النبى ﷺ «إن يؤخر هذا لم يدركه الهرم حتى تقوم الساعة»، وفى صحيح البخارى عن أنس رضى الله عنه أن رجلا من أهل البادية أتى النبى ﷺ فقال: يارسول الله متى الساعة قائمة؟ قال«ويلك وما أعددت لها؟ قال ما أعددت لها إلا أنى أحب الله ورسوله. قال: إنك مع من أحببت. فقلنا: ونحن كذلك؟ قال: نعم. ففرحنا يومئذ فرحا شديدا. فمر غلام للمغيرة وكان من أقرانى فقال: «إن أخر هذا فلن يدركه الهرم حتى تقوم الساعة». قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وهذا الإطلاق فى هذه الروايات محمول على التقييد بساعتكم فى حديث عائشة رضى الله عنها. وقال ابن جرير أخبرنى أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر «تسألون عن الساعة، وإنما علمها عند الله وأقسم بالله ما على وجه ظهر الارض اليوم من نفس منفوسةتأتى عليها مائة سنة» رواه مسلم. وفى الصحيحين عن ابن عمر مثله، قال ابن عمر: وانما أراد رسول الله ﷺ انخرام ذلك القرن. وروى أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:«لقيت ليلة أسرى بى ابراهيم وموسى وعيسى، فتذاكروا أمر الساعة، قال فردّوا أمرهم إلى ابراهيم عليه السلام، فقال لاعلم لى بها، فردّوا أمرهم إلى موسى، فقال لاعلم لى بها، فردّوا أمرهم إلى عيسى فقال عيسى: أما وجبتها فلم يعلم أحد إلا الله عز وجل، وفيما عهد إلى ربى عز وجل أن الدجال خارج، قال ومعى قضيبان، فإذا رآنى ذاب كما يذوب الرصاص، قال فيهلكه الله عز وجل، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، قال فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيطأون بلادهم لايأتون على شىء إلا أهلكوه، ولايمرون على ماء إلا شربوه، قال ثم يرجع الناس إلىّ فيشكونهم، فأدعو الله عز وجل عليهم فيلكهم ويميتهم، حتى تجوى الأرض من نتن ريحهم، أى تنتن. قال فينزل الله عز وجل المطر فيجترف أجسادهم حتى يقذفهم فى البحر.قال الإمام أحمد قال يزيد بن هارون «ثم تنسف الجبال وتمد الأرض مد الأديم» ثم رجع إلى حديث هشيم قال «ففيما عهد إلىّ ربى عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك فان الساعة كالحامل المتم لايدرى أهلها متى تفجأهم بولادتها ليلاً أو نهاراً. ورواه ابن ماجه بنحوه. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: هؤلاء أكابر أولى العزم من الرسل ليس عندهم علم بوقت الساعة على التعيين وإنما ردوا الأمرإلى عيسى عليه السلام فتكلم على أشراطها لأنه ينزل فى آخر هذه الأمة منفّذا لأحكام رسول الله ﷺ، ويقتل المسيح الدجال ويجعل الله

هلاك يأجوج ومأجوج ببركة دعائه، فأخبر بما أعلمه الله تعالى به وروى الإمام أحمد عن حذيفة قال: سئل رسول اللهﷺ عن الساعة فقال «علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها إلا هو. ولكن سأخبركم بمشاريطها ومايكون بين يديها، إن بين يديها فتنة وهرجاً. قالوا: يارسول الله الفتنة قد عرفناها فما الهرج؟ قال بلسان الحبشة القتل. قال ويلقى بين الناس التناكر فلا يكاد أحدهم يعرف أحداً. وروى النسائى عن طارق بن شهاب قال: كان رسول اللهﷺ لايزال يذكر من شأن الساعة حتى نزلت ﴿ **يسألونك عن الساعة أيان مرساها** ﴾ الآية واسناده جيد قوى، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : فهذا النبى الأمى سيد الرسل وخاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه نبى الرحمة ونبى التوبة ونبى الملحمة والعاقب والمقفى والحاشر الذى تحشر الناس على قدميه مع قوله فيما يثبت عنه فى الصحيح ومن حديث أنس وسهيل بن سعد رضى الله عنهما «بعثت أنا والساعة كهاتين. وقرن بين إصبعيه السبابة والتى تليها» ومع هذا كله قد أمره الله تعالى أن يردّ علم الساعة اليه اذا سئل عنها فقال ﴿ **قل إنما علمها عند ربى لايجلّيها لوقتها إلا هو ثقلت فى السموات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفى عنها قل إنما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لايعلمون** ﴾ أ.هـ.

(لكننا نؤمن) ونصدق (من غير امترا) من غير شك (بكل ماقد صح) سنده وصح لفظه (عن خير الورى) نبينا محمد ﷺ الذى لاينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى (من ذكريات) أمارات (تكون) تقع (قبلها) قبل الساعة (وهى) أى تلك الأمارات (علامات) لمجىء الساعة وقربها ودنوها (وأشراط لها) أى لاقترابها. وقد أشار القرآن إلى قربها ودنوه وكثير من علاماتها قال الله تعالى ﴿ **أتى أمر الله فلا تستعجلوه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون** ﴾ الآيات. وقد ذكر الله تعالى أن بعثة نبينا ﷺ من أشراطها كما قال عز وجل ﴿ **هذا نذير من النذر الأولى - أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فهل ينظرون إلاّ الساعة أن تأتيهم بغتة فقد جاء أشراطها فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **اقتربت الساعة وانشق القمر** ﴾ الآيات. وانشقاق القمر من معجزات نبينا بمكة من قبل أن يهاجر إلى المدينة، وذكر تعالى من كبار أشراطها الدخان ونزول عيسى لقتل الدجال وخروج يأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من مغربها وخروج دابة الأرض وغيرها كما قال تعالى ﴿ **فارتقب يوم تأتى السماء بدخان مبين** ﴾ الآيات، وقال تعالى فى شأن عيسى ﴿ **بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيماً. وان من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا** ﴾ وقال تعالى فى شأن يأجوج ومأجوج ﴿ **ثم أتبع سبباً حتى اذا بلغ بين**

السدّين وجد من دونهما قوماً لايكادون يفقهون قولا. قالوا ياذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض فهل نجعل لك خرجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سدا. قال مامكنى فيه ربى خير فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردماً، آتونى زبر الحديد، حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله ناراً قال آتونى أفرغ عليه قِطراً. فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقباً. قال هذا رحمة من ربى. فإذا جاء وعد ربى جعله دكّاء وكان وعد ربى حقاً. وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ وقال تعالى ﴿ **حتى اذا فتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون، واقترب الوعد الحق ﴾** الآيات، وقال تعالى ﴿ **هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك أو يأتى بعض آيات ربك، يوم يأتى بعض آيات ربك لاينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى إيمانها خيراً، قل انتظروا إنا منتظرون ﴾**، وقال تعالى ﴿ **واذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لايوقنون ﴾** وقال تعالى ﴿ **والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم﴾** وأما الأحاديث فى أشراط الساعة فكثيرة متواترة، وقد تقرر فى حديث جبريل على اختلاف ألفاظه وتباين طرقه ذكره ﷺ من أماراتها: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون فى البنيان وقد تقدم قوله ﷺ «بعثت أنا والساعة كهاتين»[1] وأشار بالسبابة والوسطى، وفى صحيح مسلم وغيره عن حذيفة رضى الله عنه قال «قام فينا رسول الله ﷺ مقاماً ماترك شيئا يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلاّ حدث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابى هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل اذا غاب ثم اذا رآه عرفه، وفيه عن أبى زيد عمرو بن أخطب الانصارى رضى الله عنه قال «صلى بنا رسول الله الفجر وصعد المنبر فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن فأعلمنا أحفظنا. وفيه عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال «لاتقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عليه فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون ويقول كل رجل منهم لعلى أكون أنا الذى أنجو – وفى رواية: فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا»، وفى رواية عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال« لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق – أو بدابق – فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم، فيقول المسلمون: لا والله لانخلى بينكم وبين إخواننا، فيقاتلونهم فينهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبدا ويقتل ثلث هم أفضل

---

(١) رواه البخارى ومسلم

الشهداء عند الله ويفتتح الثلث لايفتنون أبداً فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل فاذا جاءوا الشام خرج، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسيا بن مريم ﷺ فيأمُّهم فاذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته، والأعماق قال في القاموس: بلد بين حلب وانطاكية مصب مياه كثيرة لاتجف إلا صيفاً وهو العمق جمع بأجزائه ا.هـ. وقال أيضاً: دابق كصاحب وهاجرَ قرية بحلب، وفي الأصل اسم نهر، ودويبق قرية بقربها. وفيه عن يسير بن جابر قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة فجاء رجل ليس له هجيرى إلا «ياعبد الله بن مسعود جاءت الساعة» قال فقعد وكان متكئا فقال: ان الساعة لاتقوم حتى لايُقسم ميراث ولايفرح بغنيمة، ثم قال بيده هكذا ونحاها نحو الشام فقال: عدوّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام. قلت: الروم تعنى؟ قال: نعم، وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة فيشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل فيفيئ هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب وتفنى الشرطة، ثم يشترط المسلمون شرطة للموت لاترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يمسوا فيفيىء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فاذا كان اليوم الرابع نهد اليهم بقية أهل الاسلام فيجعل الله الدبرة عليهم فيقتتلون مقتله إما قال لايرى مثلها، وإما قال لم ير مثلها، حتى ان الطائر ليمر بجنباتهم فما يخلفهم حتى يخر ميتا، فيتعادٌ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد فبأى غنيمة يفرح أو أى ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك اذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك فجاءهم الصريخ أن الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون مافي أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ: إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، هم خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ - أو من خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ، وفيه عن حذيفة بن أسيد الغفارى رضى الله عنه قال «طلع النبى ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: ماتذاكرون؟ قالوا نذكر الساعة. قال: انها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات. فذكر الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب. وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم»[1] وفي رواية «ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس» زاد في أخرى «تنزل

---

(1) رواه أبو داود والترمذى

معهم اذا نزلوا وتقيل معهم حيث قالوا»وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة. وفى رواية: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم»، وقال البخارى رحمه الله تعالى «باب لاينفع نفسا إيمانها. حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد حدثنا عمارة حدثنا أبو زرعة حدثنا أبو هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاتقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فاذا رآها الناس آمن من عليها، فذاك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل» وقال أيضا رحمه الله تعالى فى كتاب الفتن «حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: لاتقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل – وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذى يعرضه عليه: لا أرب لى به، وحتى يتطاول الناس فى البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: ياليتنى مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين لاينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أوكسبت فى إيمانها خيراً. ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولايطويانه، ولتقومنّ الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومنّ الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقى فيه، ولتقومنّ الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها. وفى الصحيحين عن ابراهيم التيمى عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال قال النبى ﷺ لأبى ذر حين غربت الشمس «أتدرى أين تذهب؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فانها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها أرجعى من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى﴿ **والشمس تجرى لمستقرّ لها ذلك تقدير العزيز العليم** ﴾ وفى صحيح مسلم عن أبى زرعة عن عبد الله بن عمرو قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على أثرها قريباً» وفيه عن فاطمة بنت قيس – وكانت من المهاجرات الأول رضى الله عنها – قالت: سمعت نداء المنادى منادى رسول الله ﷺ ينادى: الصلاة جامعة، فخرجت إلى المسجد فصليت مع رسول الله ﷺ فكنت فى صفّ

النساء التى تلى ظهور القوم، فلما قضى رسول الله ﷺ صلاته جلس على المنبر وهو يضحك، فقال: ليلزم كل انسان مصلاه، ثم قال: أتدرون لم جمعتكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: انى والله ماجمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الدارى كان رجلا نصرانيا فجاء فبايع وأسلم، وحدثنى حديثا وافق الذى كنت أحدثكم عن مسيح الدجال(1)، حدثنى أنه ركب فى سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا فى البحر ثم ارفأوا إلى جزيرة فى البحر حتى مغرب الشمس فجلسوا فى أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتهم دابة أهلب كثير الشعر لايدرون ماقبله من دبره من كثرة الشعر، فقالوا: ويلك ما أنت؟ فقالت: أنا الجسّاسة. قالوا: وما الجسّاسة؟ قالت: أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل فى الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال لما سمت لنا رجلا فرقنا منها أن تكون شيطانة، قال: فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير فاذا فيه أعظم إنسان رأيناه قط خلقاً وأشده وثاقا، مجموعة يداه إلى عنقه مابين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبرى، فأخبرونى ما أنتم؟ قالوا نحن أناس من العرب ركبنا فى سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلم فلعب بنا الموج شهرا ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه فجلسنا فى أقربها فدخلنا الجزيرة فلقينا دابة أهلب كثيرة الشعر لايدرى ماقبله من دبره من كثرة الشعر، فقلنا ويلك ما أنت؟ فقالت أنا الجساسة. قلنا وما الجساسة؟ قالت اعمدوا إلى هذا الرجل فى الدير فانه إلى خبركم بالأشواق. فاقبلنا إليك سراعاً. وفزعنا منها ولم نأمن أن تكون شيطانة. فقال: أخبرونى عن نخل بيسان. قلنا عن أى شأنها تستخبر؟ قال: أسألكم عن نخلها هل يثمر؟ قلنا له: نعم. قال: أما انه يوشك أن لايثمر. قال: أخبرونى عن بحيرة طبرية. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء؟ قالوا هى كثيرة الماء. قال أما ان ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبرونى عن عين زغر. قالوا: عن أى شأنها تستخبر؟ قال هل فيها ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا له: نعم هى كثيرة الماء، وأهلها يزرعون من مائها. قال أخبرونى عن نبى الأميين مافعل؟ قالوا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتله العرب؟ قلنا: نعم قال كيف صنع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال لهم: قد كان ذلك؟ قلنا نعم. قال: أما ان ذلك خير لهم أن يطيعوه. وانى مخبركم عنى، إنى أنا المسيح، وانى أوشك أن يؤذن لى فى الخروج، فاخرج فأسير فى الأرض فلا أدع قرية إلا هبطتها فى أربعين ليلة، غير مكة وطيبة فهما محرمتان علىّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدة أو واحدة منهما استقبلنى ملك بيده

---

(1) انظر كتاب « المسيح الدجال وعلامات الساعة الصغرى والكبرى » تأليف طه عبد الرءوف سعد وممدوح حسن محمد ، مكتبة العلم والإيمان

السيف صلتا يصدُّني عنها، وإن على كل نقب منها ملائكة يحرسونها. قالت قال رسول اللهﷺ وطعن بمخصرته فى المنبر: هذه طيبة، هذه طيبة، هذه طيبة. يعنى المدينة. ألا هل كنت حدثتكم ذلك؟ فقال الناس نعم: قال فانه أعجبنى حديث تميم أنه وافق الذى كنت أحدثكم عنه وعن المدينة ومكة، ألا أنه فى بحر الشام أو بحر اليمن لابل من قبل المشرق ماهو من قبل المشرق ماهو من قبل المشرق ماهو، وأومأبيده إلى المشرق. قالت: فحفظت هذا من رسول اللهﷺ . قال النووى رحمه الله تعالى الأهلب الغليظ الشعر كثيره، وسميت الجساسة لتجسسها الأخبار للدجال. وجاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنها دابة الأرض المذكورة فى القرآن والله أعلم. وفيه عن ابن شهاب أخبرنى عروة بن الزبير أن زينب بنت أبى سلمة أخبرته أن أم حبيبة بنت أبى سفيان أخبرتها أن زينب بنت جحش زوج النبى ﷺ قالت «خرج رسول ﷺ يوماً فزعا محمرًا وجهه يقول: لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه – وحلق بأصبعه الابهام والتى تليها – قالت فقلت: يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث وفيه عن النواس بن سمعان قال «ذكر رسول اللهﷺ الدجال ذات غداة فخفض فيه ورفع حتى ظنناه فى طائفة النخل فلما رحلنا اليه عرف ذلك فينا فقال ما شأنكم فينا فقال : ما شأنكم ؟ قلنا : يا رسول الله ذكرت الدجال غداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه فى طائفة النخل ، فقال غير الدجال أخوفنى عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وان يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه واللهخليفتى على كل مسلم، إنه شاب قطط عينه طافئة كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعاث يميناً وعاث شمالاً، ياعباد الله فاثبتوا. قالنا: يارسول الله ومالبثه فى الأرض؟ قال أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم. قلنا: يارسول الله فذلك اليوم الذى كسنة أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: لا، أقدروا له قدره. قلنا: يارسول اللهوما إسراعه فى الأرض؟ قال كالغيث استدبرته الريح، فيأتى على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت درًا وأسبغه ضروعاً وأمده خواصر، ثم يأتى القوم فيدعوهم فيردون عليه قوله فينصرف عنهم فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة فيقول لها أخرجى كنوزك فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلا ممتلئاً شباباً فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه يضحك. فبينما هو كذلك اذ بعث اللهالمسيح بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرقى دمشق. بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذ طأطأ رأسه

قطر وإذا رفعه تحدر منه جمان كجمان اللؤلؤ فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة، فبينما هو كذلك اذ أوحى الله إلى عيسى انى قد أخرجت عباداً لى لايدان لأحد بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور. ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون مافيها، ويمر آخرهم فيقول: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحضر نبى الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النَّغَف فى رقابهم فيصبحون فرس كموت نفس واحدة. ثم يهبط نبى الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون فى الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبى الله عيسى وأصحابه إلى الله عز وجل، فيرسل الله تعالى طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لايكنّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتى ثمرك وردى بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها، ويبارك فى الرِّسْل حتى ان اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفى القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفى الفخذ من الناس، فبينما هم كذلك اذ بعث الله ريحاً طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة. زاد فى رواية بعد قوله «لقد كان بهذه مرة ماء» : ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون: لقد قتلنا من فى الأرض، هلم فلنقتل من فى السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً. وفيه عن ابن عمر رضى الله عنهما « أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهرانى الناس فقال: ان الله تعالى ليس بأعور، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبة طافية». وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مامن نبى إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه ك ف ر»، وفى رواية قال رسول الله ﷺ «الدجال ممسوح العين مكتوب بين عينيه كافر - ثم تهجاها ك ف ر - يقرأه كل مسلم» ، وفيه عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله «لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان، أحدهما رأى العين ماء أبيض، والآخر رأى العين نار تأجج، فإما أدركهما أحد فليأت النهر الذى يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطىء رأسه فيشرب منه، فانه ماء بارد. وان الدجال ممسوح العين عليها ظفرة غليظة مكتوب بين عينيه « كافر» يقرأه كل مؤمن كاتب وغير كاتب» قال النووى: ظفرة بفتح

الظاء المعجمة والفاء وهى جلدة تغشى البصر، وقال الأصمعى: لحمة تنبت عند المآقى. وفيه عن أبى سعيد الخدرى قال «حدثنا رسول اللهﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: يأتى وهو محرّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهى إلى بعض السباخ التى تلى المدينة فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس – أو من خير الناس – فيقول له: أشهد أنك الدجال الذى حدثنا رسول اللهﷺ ، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون فى الأمر؟ فيقولون: لا، قال فيقتله ثم يحييه فيقول حين يحييه: والله ماكنتُ فيك قط أشدَّ بصيرة منى الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط عليه. ورواية قال: قال رسول الله ﷺ «يخرج الدجال فيتوجه قبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسائح مسائح الدجال فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذى خرج، قال فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: مابربنا خفاء فيقولون اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدا دونه قال فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال: يا أيها الناس هذا الدجال الذى ذكره رسول اللهﷺ قال فيأمر الدجال به فيشج فيقول: خذوه وشجوه، فيوسع ظهره وبطنه ضربا، قال فيقول: أو ما تؤمن بى؟ فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه، قال ثم يمشى بين القطعتين ثم يقول قم ، فيستوى قائما، قال ثم يقول له: أتؤمن بى؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال ثم يقول يا أيها الناس إنه لايفعل بعدى بأحد من الناس. قال فيأخذه الدجال ليذبحه فيجعل مابين رقبته إلى ترقوته نحاسا فلا يستطيع إليه سبيلا. قال فيؤخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وانما ألقى فى الجنة؟ فقال رسول اللهﷺ : هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين. وفيه عن النعمان بن سالم قال: سمعت يعقوب بن عاصم بن عروة بن مسعود الثقفى يقول: سمعت عبد اللهبن عمرو وجاءه رجل فقال:ما هذا الحديث الذى تحدث به تقول إن الساعة تقوم كذا وكذا فقال سبحان الله– أو لا إله إلا اللهأو كلمة نحوها – لقد هممت أن لا أحدّث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت إنكم سترون بعد قليل أمرا عظيما، يحرق البيت ويكون ويكون. ثم قال : قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال فى أمتى فيمكث أربعيين ـ لا أدرى أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً – فيبعث الله تعالى عيسى بن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه. ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين عداوة، ثم يرسل الله عز وجل ريحاً باردة من قبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد فى قلبه مثقال ذرة من خير – أو ايمان – إلا قبضت حتى لو أن أحدكم دخل فى كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه، قال سمعتها من رسول اللهﷺ قال:«فيبقى شرار الناس فى خفة الطير وأحلام السباع

لايعرفون معروفاً ولاينكرون منكرا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان وهم فى ذلك دار رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا. قال وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال فيصعق ويصعق الناس ثم يرسل الله - أو قال ينزل الله - عز وجل مطرا كأنه الطَّل أو الظِّل (نعمان الشاكّ) فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم، وقفوهم انهم مسئولون، قال: ثم يقال أخرجوا بعث النار، فيقال من كم؟ فيقال من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين، قال فذاك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق. وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «ليس من بلد الا سيطأه الدجال، إلا مكة والمدينة، وليس نقب من أنقابها إلا عليه الملائكة صافّين تحرسها، فينزل بالسبخة، فترجف المدينة ثلاث رجفات يخرج اليه منها كل كافر ومنافق» وفى رواية «فيأتى سبخة الجرف فيضرب رواقه وقال فيخرج إليه كل منافق ومنافقة» قال النووى: فيضرب رواقه أى ينزل هناك ويضع ثقله. والجرف قال فى القاموس: موضع بقرب المدينة وموضع قرب مكة وموضع باليمن وموضع باليمامة والمقصود فى الحديث هو الأول. وفيه عنه رضى اللهعنه أن رسول اللهﷺ قال:«يتبع الدجال من يهود اصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة» . فيه عن أم شريك أنها سمعت النبى ﷺ يقول« ليفرنّ الناس من الدجال فى الجبال. قالت أم شريك يارسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال: هم قليل»، وفيه عن عمران بن حصين قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول «مابين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال» ، والأحاديث فى ذكر الدجال وصفته والإنذار منه والتحذير عنه أكثر من أن تحصى، وأعظم من أن تستقصى.وكذا الأحاديث فى الفتن والملاحم بين يدى القيامة وغيرها من أشراط الساعة. وقد أمرنا رسول اللهﷺ بالاستعاذة من فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال فى كل صلاة فريضة أو نافلة، وفى الترمذى عن محرز بن هارون عن عبد الرحمن الأعرج عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال«بادروا بالأعمال سبعاً: هل تنتظرون إلا إلى فقر منسى، أو غنى مطغى، أو هرم مفند، أو الدجال فشرّ غائب ينتظر، أو الساعة فالساعة أدهى وأمر» ثم قال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه من حديث الأعرج عن أبى هريرة الا من حديث محرز بن هارون. وروى معمر هذا الحديث عمن سمع سعيدا المقبرى عن أبى هريرة رضى عنه عن النبىﷺ نحو هذا.

﴿ ويدخل الإيمان بالموت وما   من بعده على العباد حتما ﴾

(ويدخل) فى الإيمان باليوم الآخر (الإيمان بالموت) الذى هو المفضى بالعبد إلى منازل

الآخرة وهو ساعة كل إنسان بخصوصه، ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث المتقدم «ان يعيش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم» والإيمان بالموت يتناول أموراً: منها تحتمه على من كان في الدنيا من أهل السموات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال الله تعالى **﴿كل شيء هالك إلا وجهه، له الحكم وإليه ترجعون﴾** وقال تعالى **﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ﴾** وقال تعالى **﴿ كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور ﴾** وقال تعالى لنبيه ﷺ **﴿ إنك ميت وإنهم ميتون. ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾** قال تعالى **﴿ وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد، أفإن مت فهم الخالدون. كل نفس ذائقة الموت، ونبلوكم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون ﴾**، قال تعالى **﴿ ياعبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فإياي فاعبدون. كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون ﴾** وقال تعالى **﴿ قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾** وفي الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول «أعوذ بعزتك الذي لا إله إلا أنت الذي لايموت، والجن والانس يموتون».

ومنها إن كلاً له أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لايتجاوزه ولايقصر عنه، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه الملك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه في أي مكان يكون وفي أي زمان فلا يزاد فيه ولاينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كل انسان مات أو قتل أو حرق أوغرق أو بأي حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفةعين، وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قدره تعالى عليه وقضاه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولامحيص عنه ولا مفر له ولامهرب ولافكاك ولاخلاص، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص، قال الله تعالى **﴿ وما كان لنفس أن تموت إلا باذن الله كتابا مؤجلا، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها، ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها ﴾** الآية وقال تعالى **﴿ قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم ﴾** الآيات وقال تعالى **﴿ أين ما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة ﴾** وقال تعالى **﴿ حتى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لايفرطون. ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين ﴾** وقال تعالى **﴿ ولكل أمة أجل، فإذا جاء أجلهم لايستأخرون ساعة ولايستقدمون ﴾** في مواضع من القرآن - وقال تعالى **﴿ كل يجري إلى أجل مسمى ﴾** وقال تعالى **﴿ ولولا كلمة سبقت**

من ربك لكان لزاماً وأجل مسمى ﴾ وقال تعالى ﴿ وكل شيء عنده بمقدار ﴾ وقال تعالى ﴿ قل ان الموت الذى تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ اللهيتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، ان فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئوكم بما كنتم تعملون ﴾ وغيرها من الآيات. وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضى اللهعنها «اللهم متعنى بزوجى رسول اللهﷺ ، وبأبى أبى سفيان.، وبأخى معاوية» فقال لها رسول اللهﷺ « انك سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لايعجل شىء منها قبل حله ولايؤخر منها يوما بعد حله، ولو سألت الله تعالى أن يعافيك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر لكان خيرا لك» ، وفى رواية « قد سألت اللهلآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئا قبل حله أو يؤخر شيئا عن حله، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب فى النار أو عذاب فى القبر كان خيراً أو أفضل» وفى أخرى «وآثار مبلوغة». وعن ابن عباس رضى الله عنهما فى قول الله تعالى ﴿ وما يعمر من معمّر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير ﴾ يقول: ليس أحد قضيت له بطول العمر والحياة إلا هو بالغ ماقدرت له من العمر، وقد قضيت ذلك له فانما ينتهى إلى الكتاب الذى كتبت له، فذلك قوله تعالى ﴿ ولاينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير﴾ يقول كل ذلك فى كتاب عنده. وهكذا قال الضحاك بن مزاحم. وأما حديث أنس فى الصحيحين وغيرهما قال: سمعت رسول اللهﷺ يقول «من سره أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى أثره فليصل رحمه » فانه مفسر بحديث أبى الدرداء رضى الله عنه عبد ابن أبى حاتم رحمه الله تعالى قال: ذكرنا عند رسول اللهﷺ الزيادة فى العمر فقال «ان اللهتعالى لايؤخر نفساً إذا جاء أجلها، وإنما زيادة العمر بالذرية الصالحة يرزقها العبد فيدعون له من بعده فيلحقه دعاؤهم فى قبره فذلك زيادة العمر».

ومنها الإيمان بان ذلك الأجل المحتوم والحد المرسوم لانتهاء كل عمر إليه لا اطلاع لنا عليه ولا علم لنا به، وأن ذلك من مفاتح الغيب التى استأثر الله تعالى بعلمها عن جميع خلقه فلا يعلمها إلا هوكما قال تعالى ﴿ وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ وماتدرى نفس ماذا تكسبُ غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ الآية وتقدمت الأحاديث فى معناها. وفى الحديث المشهور عند أحمد والترمذى وغيرهما عن

جماعة من الصحابة قال رسول الله ﷺ «اذا أراد الله تعالى قبض روح عبد بأرض جعل له فيها - أو قال بها - حاجة»

ومنها ذكر العبد الموت وجعله على باله كما هو الردم بينه وبين آماله وهو المفضى به إلى أعماله وإلى الحسن والقبيح من أقواله وأفعاله وإلى الجزاء الأوفى من الحكم العدل فى شرعه وقدره وقضائه ووعده ووعيده فلا يعاقب أحدا بذنب غيره ولايهضمه ذرة من حسن أعماله، وفى حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند الترمذى والنسائى وابن حبان وصححه قال: قال رسول الله «أكثروا ذكر هاذم اللذات»[1] الموت، وقال البخارى رحمه الله تعالى فى كتاب الرقاق من صحيحه: باب قول النبى ﷺ «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» حدثنا على عن عبد الله حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو المنذر الطفاوى عن سليمان الأعمش قال حدثنى مجاهد عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: أخذ رسول الله ﷺ بمنكبى فقال «كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل» وكان ابن عمر رضى الله عنهما يقول «اذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، واذا أصبحت فلا تنتظر المساء. وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك» ثم قال: باب فى الأمل وطوله وقوله وقوله الله تعالى ﴿ **فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور** ﴾ بمزحزحه بمباعده. وقوله تعالى ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾ ، وقال على رضى الله عنه: ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة منهما بنون. فكونوا من أبناء الآخرة ولاتكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل ولاحساب، وغداً حساب ولاعمل. حدثنا صدقة بن الفضل أخبرنا يحيى بن سعيد عن سفيان قال حدثنى أبى عن منذر عن ربيع خيثم عن عبد الله عنه قال: خط النبى ﷺ خطا مربعاً وخط خطا فى الوسط خارجاً منه وخط خططا صغارا إلى هذا الذى فى الوسط من جانبه الذى فى الوسط وقال « هذا الانسان، وهذا أجله محيط به أو قد أحاط به. وهذا الذى هو خارج أمله، وهذه الخطط الصغار الأغراض فان أخطأه هذا نهشه هذا وإن أخطأه هذا نهشه هذا»، حدثنا مسلم حدثنا همام عن اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن أنس رضى الله عنه قال: خط النبى ﷺ خطوطا فقال « هذا الأمل، وهذا أجله، فبينما هو كذلك اذ جاءه الخط الأقرب».

ومنها - وهو المقصود الأعظم - التأهب له قبل نزوله، والاستعداد لما بعده قبل حصوله، والمبادرة بالعمل الصالح والسعى النافع قبل دهوم البلاء وحلوله، اذ هو الفيصل بين هذه الدار وبين دار القرار وهو الفصل بين ساعة العمل والجزاء عليه، والحد الفارق بين أوان تقديم الزاد والقدوم عليه، اذ ليس بعده لأحد من مستعتب ولااعتذار، ولازيادة فى الحسنات

(١) رواه أحمد فى مسنده

ولانقص من السيئات، ولا حيلة ولا افتداء ولادرهم ولادينار ولامعقد ولامنزل إلا القبر وهو إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار إلى يوم البعث والجزاء وجمع الأولين والآخرين وأهل السموات والأرضين والموقف الطويل بين يدى القوى المتين، يوم يقوم الناس لرب العالمين الحكيم العليم المقسط العدل الحكيم الذى لايحيف ولايجور ولايظلم مثقال ذرة إن ربى على صراط مستقيم، ثم إما نعيم مقيم فى جنات النعيم وإما عذاب أليم فى نار الجحيم، وان لكل ظاعن مقرا ولكن نبأ مستقر وسوف تعلمون، قال الله تعالى **﴿حتى اذا جاء أحدهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون. وأنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصّدق وأكن من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها، والله خبير بما تعملون.﴾** ، **﴿ وترى الظالمين لما رأوا العذاب يقولون هل إلى مَرَدٍّ من سبيل ﴾** وهذا سؤالهم الرجعة عند الاحتضار، وكذلك يسألون الرجعة عند معاينة العذاب يوم القيامة كما قال تعالى **﴿ وأنذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل، أولم تكونوا أقسمتم من قبل مالكم من زوال ﴾** الآيات، وكذلك يسألون الرجعة اذا وقفوا على النار ورأوا مافيها من عظيم الأهوال وشديد الانكال والمقامع والأغلال والسلاسل الطوال وما لا يصفه عقل ولايعبر عنه مقال ولايغنى بالخبر عنه ضرب الأمثال كما قال تعالى **﴿ ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نردُّ ولانكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين. بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو رُدُّوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون ﴾** الآيات، وكذلك يسألون الرجعة اذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رءوسهم بين يديه كما قال تعالى **﴿ ولو ترى اذ المجرمون ناكسو رءوسهم عند ربهم ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون ﴾** الآيات، وكذلك يسألون الرجعة وهم فى غمرات الجحيم وعذابها الأليم كما قال تعالى **﴿ وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل، أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل ﴾** وغيرها من الآيات. ويجمع كل ذلك قوله تعالى **﴿ هل ينتظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل، قد**

خسروا أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ﴾ وغيرها من الآيات. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « ما من أحد يموت إلا ندم» قالوا: وماندامته يارسول الله ؟ قال «إن كان محسنا ندم أن لايكون ازداد، وان كان مسيئاً ندم أن لايكون نزع» رواه الترمذى وغيره، وله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت ربه أو تجب عليه فيه زكاة فلم يفعل سأل الرجعة عند الموت.فقال رجل: ياابن عباس اتق الله فإنما يسأل الرجعة الكفار، فقال سأتلو عليك بذلك قرآنا **﴿ يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدَكم الموتُ فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصّدق وأكنْ من الصالحين. ولن يؤخر الله نفساً اذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾** قال: فما يوجب الزكاة؟ قال: اذا بلغ المال مائتين فصاعدا، قال: فما يوجب الحج؟ قال: الزاد والبعير. وقال قتادة فى قوله تعالى **﴿ حتى إذا جاء أحدهم الموت ﴾** قال كان العلاء ابن زياد يقول: لينزل أحدكم نفسه أنه قد حضره الموت فاستقال ربه فأقاله فليعمل بطاعة ربه تعالى.وقال قتادة: والله ماتمنى إلا أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فانظروا أمنية الكافر المفرط فاعملوا بها ولاحول ولاقوة إلا بالله. وروى ابن أبى حاتم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: اذا وضع – يعنى الكافر – فى قبرهِ فيرى فى مقعده من النار قال فيقول رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً،قال فيقال قد عمّرت ماكنت معمراً. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام أو يفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها. وروى الإمام أحمد والنسائى من حديث أبى بكر بن عياش عن الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «كل أهل النار يرى مقعده من الجنة فيقول لو أن الله هدانى، فتكون عليه حسرة. قال وكل أهل الجنة يرى مقعده من النار فيقول لولا أن هدانى الله قال فيكون لهم الشكر» وقد تقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه عند مسلم«بادروا بالأعمال ستا: طلوع الشمس من مغربها» الحديث، وحديثه عند الترمذى «بادروا بالأعمال سبعاً، هل تنتظرون إلا إلى فقر منس» الحديث. وفى صحيح البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»[1] وللحاكم عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل وهو يعظه «اغتنم خمساً قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك» ، يعنى ان هذه الخمس أيام الشباب والصحة والغنى والفراغ والحياة هى أيام العمل والتأهب والاستعداد والاستكثار من الزاد، فمن فاته العمل فيها لم يدركه عند مجىء أضدادها، ولاينفعه التمنى للأعمال، بعد التفريط منه والاهمال فى زمن الفرضة والامهال ، فإن بعد كل شباب هرماً وبعد كل صحة سقماً وبعد كل غنى فقرا،

(١) رواه البخارى والترمذى وابن ماجه وأحمد فى المسند .

وبعد كل فراغ شغلا، وبعد كل حياة موتاً، فمن فرط في العمل أيام الشباب لم يدركه في أيام الهرم، ومن فرط فيه في أوقات الصحة لم يدركه في أوقات السقم، ومن فرط فيه في حالة الغنى فلم ينل القرب التي لم تنل إلا بالغنى لم يدركه في حالة الفقر، ومن فرط فيه في ساعة الفراغ لم يدركه عند مجيء الشواغل، ومن فرط في العمل في زمن الحياة لم يدركه بعد حيلولة الممات، فعند ذلك يتمنى الرجوع وقد فات، ويطلب الكرة وهيهات، وحيل بينه وبين ذلك وعظمت حسراته حين لامدفع للحسرات ولقد حثنا الله عز وجل أعظم الحث وحضنا أشد التحضيض ودعانا إلى اغتنام الفرص في زمن المهلة وأخبرنا أن من فرط في ذلك تمناه وقد حيل بينه وبينه اذ يقول تعالى في محكم كتابه داعيا عباده إلى بابه يامن يسمع صريخ خطابه ويتأمل لطيف عتابه ﴿ **قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطومن رحمة الله ، وإن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون. أن تقول نفس ياحسرتى على مافرّطت في جنب الله وإن كنتُ لمن الساخرين. أو تقول لو أن الله هدانى لكنت من المتقين. أو تقول حين ترى العذاب لو أن لى كرة فأكون من المحسنين. بلى قد جاءتك آياتى فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامردَّ له من الله** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿**استجيبوا لربكم من قبل أن يأتى يوم لامردّ له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير** ﴾ الآيات. وغيرها.

ومنها الإيمان بـ (ما) الذى (من بعده) أى من بعد الموت (على العباد حتما) من أحول الاحتضار إلى البعث والنشور إلى أن يقضى الله بين عباده ويستقر كل من الفريقين فريق في الجنة وفريق في السعير. ونذكر ماتيسر من التقدير على كل أمر منها في محله من هذه الأبيات الآتية إن شاء الله تعالى، وهذا أولها:

وان كل مقعد مسئول	ما الرب ماالدين وما الرسول
وعند ذا يثبِّت المهيمن	بثابت القول الذين آمنوا
ويوقن المرتاب عند ذلك	بانما مورده المهالك

في هذه الأبيات المسألة العظيمة، وهى إثبات سؤال القبر وفتنته وعذابه ونعيمه، وقد تظاهرت بذلك نصوص الشريعة كتاباً وسنة وأجمع على ذلك أئمة السنة من الصحابة والتابعين فمن بعدهم من أهل السنة والجماعة، وإن أنكر ذلك بشر المريسى وأضرابه

وأتباعهم من المعتزلة وحملوا على فاسد فهمهم قول الله عز وجل ﴿ **لايذوقون فيها الموت الا الموتة الأولى** ﴾ وقوله ﴿ **وما أنت بمسمع من فى القبور** ﴾ قالوا فى الآية الأولى: لو صاروا أحياء فى القبور لذاقوا الموت مرتين لاموتة واحدة. وقالوا فى الآية الثانية: إن الغرض من سياقها تشبيه الكفرة بأهل القبور فى عدم الاسماع، ولو كان الميت حيا فى قبره أو حاساً لم يستقم التشبيه. قالوا: وأما من جهة العقل فإنا نرى شخصا يصلب ويبقى مصلوباً إلى أن تذهب أجزاؤه ولانشاهد فيه إحياء ومسألة، والقول لهم بهما مع المشاهدة سفسطة ظاهرة، وأبلغ منه من أكلته السباع والطيور وتفرقت أجزاؤه فى بطونها وحواصلها، وأبلغ منه من أحرق حتى يفتت وذرى أجزاؤه المتفتتة فى الرياح العاصفة شمالا وجنوبا وقبولا ودبوراً فانا نعلم عدم إحيائه ومسألته وعذابه ضرورة. هذه خلاصة شبههم الداحضة ومحصل آرائهم الكاسدة، وأفهمامهم الفاسدة، وأذهانهم البائدة، ولاعجب ولا استغراب ممن ألحد فى أسماء الله وصفاته، وجحد ماصرح به تعالى فى محكم آياته، ورد ماصح عن الرسولﷺ من أقواله وأفعاله وتقريراته، وحكم العقل فى الشرع، وعارض الوحى الرحمانى بالحدس الشيطانى، وقدم الآراء السّقيمة، على السنن المستقيمة، وآثر الأهواء الذميمة على الحجة القويمة، فلبس بعجيب ولاغريب ممن هذا شأنه أن ينكر عذاب القبر وغيره من أنباء الغيب التى لايشاهدها، وما له لاينكر ذلك وهو لايعرف من الإنسان الا هذا الجسم الذى هو الجلد واللحم والعظم والعروق والأعصاب والشرايين ونحوها مما يمتلىء بكثرة الطعام والشراب فيه ويخلو بقلتهما عليه، وما له لاينكر ذلك وهو لايقر بموجود إلا مسموعاً متكلما به مبصرا مشموماً ملموساً، وما له لاينكر ذلك وطريقته فى النصوص أبدا تأويل الصريح وتضعيف الصحيح، وأنها آحاد ظنية لاتفيد اليقين وليست بأصل بزعمه عند المحققين. ولاذنب للنصوص ومانقم منها إلا أنها خالفت هواه، وصرحت بنقض دعواه، وسدت عليه باب مغزاه وأوجبت عليه نبذ أقوال شيوخه، وهدمت عليه ماقد بناه، وألزمته باطراح كل قول غير ما قاله الله أوﷺ ونادت عليه بأبلغ صوت ﴿ **أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله** ﴾ والجواب عن الشبهة الأولى أن الآية لا تدل على مدعاهم بوجه، فانها فى صفة أهل الجنة ومالهم فيها من كمال النعيم والخلد المقيم، وأنهم لايذوقون فيها الموت بل ينعمون ولاييأسون ويخلدون فلا يموتون، وأين هذا من نفى عذاب القبر الذى ادّعوه، وقوله ﴿ **إلا الموتة الأولى** ﴾ تاكيد لنفى الموت عنهم فى الجنة، وما المانع من كون الروح تتصل بالجسد فى البرزخ اتصالا خاصاً ليتألم الجسد بما يتإلم به من دون أن تكون حياته كالحياة الدنيوية، بل ما المانع من كونها حياة مستقرة لاتشبه الحياة الدينا وهى أعظم منها فحجب الله تعالى رؤية ذلك عن عباده رحمة منه بهم كما

يدل عليه ما أخبر به ﷺ في الأحاديث الآتية من الإقعاد والمخاطبة والسؤال والجواب كفاحاً كما يشاء الله عز وجل والفتح لباب الجنة للمؤمن وفرشه منها وفتح باب النار للمرتاب وقمعه بالمطارق والمرازب وغير ذلك مما سيأتي إن شاء الله تعالى بسطه. وأيضا فأهل الجنة المشار اليهم بقوله ﴿ **لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** ﴾ قد وردت فيهم الأحاديث الصحيحة أن أرواحهم تسرح في الجنة في حواصل طيور خضر كما روى الإمام أحمد عن الإمام محمد بن ادريس الشافعي عن الإمام مالك بن أنس عن الإمام محمد بن شهاب الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه عن رسول ﷺ قال «إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى إلى جسده يوم يبعثه»، وفيهم الشهداء الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **ولاتقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لاتشعرون** ﴾ يقول تعالى الله لنبيه ﷺ وأصحابه ﴿ **ولكن لاتشعرون** ﴾ فهل شعرتم بذلك يامعاشر الزنادقة دونهم؟ ويقول تعالى فيهم ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ الآيات، وذلك بخلاف الذين كفروا فانهم كما قال الله تعالى فيهم ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ والموتة الثانية على أحد التفسيرين هي موتتهم بعد فتنة القبر، وتفسير الجمهور لاينافي ذلك فانهم حملوا الموتة الأولى على العدم الذي قبل وجودهم والثانية على الخروج من الدنيا ولم يعدّوا نومتهم بعد الفتنة في القبر موتة مستقلة لأن حال البرزخ من الموتة الثانية وليس هو من دار الدنيا ولا دار الآخرة بل هو حاجز بينهما، والتفسير الأول محمول على موتتين بعد الوجود خلا حالة العدم المحض قبل إيجادهم. وروى ابن أبي حاتم بسنده عن أبي هريرة قال: اذا وضع – يعني الكافر – في قبره مقعده من النار، قال فيقول: رب ارجعون أتوب وأعمل صالحاً، قال فيقال قد عمّرت ما كنت معمّرا. قال فيضيق عليه قبره ويلتئم فهو كالمنهوش ينام ويفزع تهوى إليه هوام الأرض وحياتها وعقاربها.

وعن الشبهة الثانية الجواب من وجهين: الأول أن قوله ﴿ **وما أنت بمسمع من في القبور** ﴾ نفي لاستطاعة الرسول ﷺ أن يسمعهم، وليس ذلك بمحال في قدرة الله أن يسمعهم كما أسمع أهل القليب تبكيته ﷺ بقوله ﷺ «هل وجدتم ماوعد ربكم» الحديث سيأتي ان شاء الله ، وهذا إذا حمل على نفي مطلق السماع بالكلية. الوجه الثاني أنه لم ينف مطلق السماع، وإنما نفى سماع الاستجابة كما يدل عليه قوله ﷺ في حديث القليب «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لايجيبون» وبهذا يتضح تشبيه الكفار بهم فان الكفار كانوا يسمعون كلام النبي ﷺ ويسمعون منه كلام الله تعالى وهو يتلوه عليهم ولكن ليس ذلك بسماع استجابة، ولهذا أثبت تعالى هذا السماع الظاهر لهم

فى قوله تعالى ﴿ **يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كأن لم يسمعها** ﴾ ولو كان الكفار لم يسمعوا مطلقاً لاسماع استجابة ولامطلقاً لم يكن القرآن حجة عليهم ولم يكن الرسول بلّغهم لأنهم ماسمعوه منه، ولا أفسد من قولٍ هذا لازمه.

وأما شبهتهم العقلية فهى لاتليق الابعقولهم السخيفة، فان الروح التى عليها العذاب أو النعيم المتصل بالجسم ألمه ليس بمدرك فى الدنيا ولايعلمه إلا الله ، فمن كان لايدرك روح من يمشى معه ويكلمه ويأتمنه ويعامله فيكف يدركه اذا صار من عالم الآخرة ليس من عالم الدنيا؟ وأيضا فاحتجاب ذلك عن أهل الدنيا من حكمة الله تعالى البالغة ورحمته بهم وقد قال النبىﷺ «لولا أن لاتدافنوا لدعوت عز وجل أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع»[1] وأيضاً فأكثر أمور الإيمان اعتقادات باطنة منا لأمور غائبة عنا وهى أعلى صفات أهل الإيمان ﴿ **الذين يؤمنون بالغيب** ﴾ وذلك غائب عنا فى الحياة الدنيا ونحن نعلمه عن الله علم اليقين، فاذا خرجنا من هذه الدار صار الغيب شهادة ورأينا ذلك عين اليقين ﴿ **بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويلة كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين** ﴾ والذى احرقت أعضاؤه وتفرقت أجزاؤه يجمعه الذى أبدأه من لاأجزاء ولا أعضاء، وسيأتى الحديث فيه ان شاء الله تعالى. ولا فرق بين من كذب بجمع هذا وبين من كذب بجمع الناس ليوم لاريب فيه ﴿ **هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل** ﴾ الآية. فيا أيها الطالب الحق المتحرى الإنصاف، إليك نصوص الآيات المحكمة، والسنن القائمة، فألق لها سمعك وأحضر قلبك، وانظر بما ذا عارضها الذين فى قلوبهم زيغ وكيف تتبعوا ماتشابه، وأعرضوا عن المحكم ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله كما أخبر الله تعالى عنهم، فردوا المحكم بالمتشابه ولم يردوا علم ماعزب عنهم علمه إلى عالمه، وأحمد الله تعالى إذا هداك لما اختلفوا فيه ووفقك لما انحرفوا عنه من الحق المبين، وقل كما قال الراسخون فى العلم ﴿ **آمنا به كل من عند ربنا - ربنا لاتزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب** ﴾.

قال تبارك الله تعالى ﴿ **ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون** ﴾ الآية. قال أئمة التفسير ﴿ **والملائكة باسطوا أيديهم** ﴾ أى اليهم بالضرب والنكال وأنواع العذاب حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم ﴿ **أخرجوا أنفسكم** ﴾ وذلك أن الكافر اذا

---

(١) رواه أحمد فى المسند .

احتضر بشّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتابى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿ **أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون عليعلى الله غير الحق** ﴾ أى اليوم تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون علىالله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله، وسياتى فى الأحاديث كيفية احتضار المؤمن والكافر قريباً ان شاء الله . ووجه الدلالة من هذه الآية أنه اذا كان يفعل به هذا وهو محتضر بين ظهرانى أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لايرون شيئاً من ذلك ولايسمعون شيئاً من ذلك التقريع والتوبيخ ولايدرون بشىء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه لايعلمون بشىء مما يقاسى من الشدائد فلأن يفعل به فى قبره ذلك وأعظم منه ولايعلمه من كشف عنه أولى وأظهر، لأنهم لم يطلعوا على مايناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم، فلابد للمخالف من أحد أمرين إما أن يقر بما أخبر الله تعالى به فى المحتضر فيلزمهم ماورد فى عذاب القبر، أو يجحد هذا وهذا فيكفر بتكذيبه الله ورسوله فبشره بتاويل هذه الآية اذا صار إلى ماصار إليه المكذبون.

وقال ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾ وهذه الآية نصها فى عذاب القبر بصريح الأحاديث الآتية وباتفاق أئمة التفسير من الصحابة فالتابعين فمن بعدهم، وأن المراد بالتثبيت هو عند السؤال فى القبر حقيقة، وان من أنكر ذلك اعتماداً على كونه لايراه ولايسمعه فقد أنكر أن يكون الله يفعل مايشاء.

وقال تعالى ﴿ **حتى اذا جاء أحدَهم الموتُ قال رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت، كلا إنها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ روى ابن أبى حاتم بسنده عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ويل لأهل المعاصى من أهل القبور، تدخل عليهم فى قبورهم حيات سود – أو دُهم – حية عند رأسه وحية عند رجليه يقرصانه حتى يلتقيا فى وسطه، فذلك العذاب فى البرزخ الذى قال الله تعالى ﴿ **ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون** ﴾ وتقدم حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى ذلك قريباً وسيأتى الأحاديث فيه، وقال تعالى ﴿ **قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين** ﴾ ذكرالعينى هذه الآية فى شرح هذا الباب من صحيح البخارى وقال: فان الله تعالى ذكر الموتة مرتين وهما لا تتحققان إلا أن يكون فى القبر حياة وموت حتى تكون إحدى الموتتين مايتحصل عقيب الحياة فى

الدنيا، والأخرى مايتحصل عقيب الحياة التى فى القبر أ.هـ. قلت وهذا هو تفسير السدّى فى هذه الآية حيث قال: أميتوا فى الدنيا ثم أحيوا فى قبورهم فخوطبوا ثم أميتوا فأحيوا يوم القيامة أ.هـ. والآية تحتمله، لكن المشهور عن ابن مسعود وابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم أن هذه الآية كقوله عز وجل ﴿ **كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾ وقد قدمنا الجمع بين هذين التفسيرين ولله الحمد والمنة.

وقال تعالى ﴿ **سنعذبهم مرتين** ﴾ قال ابن مسعود وأبو مالك وابن جريج والحسن البصرى وسعيد وقتادة وابن اسحاق ما حاصله: أن المراد بذلك عذاب الدنيا وعذاب القبر ثم يردّون إلى عذاب عظيم هو عذاب النار. وقال تعالى ﴿ **ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر** ﴾ قال البراء بن عازب ومجاهد وأبو عبيدة: يعنى به عذاب القبر. وقال تعالى فى قوم نوح ﴿ **مما خطيئاتهم أغرقوا فادخلوا ناراً فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وحاق بآل فرعون سوء العذاب . النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب** ﴾ روى ابن أبى حاتم عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: إن أرواح الشهداء فى أجواف طيور خضر تسرح بهم فى الجنة حيث شاءوا، وإن أرواح ولدان المؤمنين فى أجواف عصافير تسرح فى الجنة حيث شاءت فتأوى إلى قناديل معلقة فى العرش ، وإن أرواح آل فرعون فى أجواف طيور سود تغدو على جهنم وتروح عليها، فذلك عرضها. وفى حديث الإسراء الطويل الذى أخرجه البيهقى وابن جرير وابن أبى حاتم من رواية أبى هرون العبدى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال فيه «ثم انطلق بى إلى خلق كثير من خلق الله عز وجل، رجال كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم مصفدون على سابلة آل فرعون، وآل فرعون يعرضون على النار غدوّا وعشيا ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وآل فرعون كالابل المسوّمة يخبطون الحجارة والشجر ولايعقلون» وفى حديث عائشة فى قصة اليهودية التى قالت لها وقاك الله من عذاب القبر، فأنكرت عائشة رضى الله عنها ذلك، فلما رأت النبى ﷺ قالت له، فقال ﷺ «لا» قالت عائشة رضى الله عنها: ثم قال لنا رسول الله ﷺ بعد ذلك «وانه أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم» وسيأتى ان شاء الله قريبا. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: فيقال ما الجمع بين هذا وبين كون الآية مكية وفيها الدلالة على عذاب البرزخ؟ والجواب أن الآية دلت على عرض الأرواح على النار غدوّا وعشيا فى البرزخ، وليس فيها دلالة – يعنى تامة – على اتصال تألمها بأجسادها فى القبور، اذ قد يكون ذلك مختصا بالروح، فأما حصول ذلك للجسد فى البرزخ وتألمه بسببه فلم يدل عليه إلا السنة فى

الأحاديث المرضية. وقد يقال: ان هذه الآية إنما دلت على عذاب الكفار فى البرزخ، ولايلزم من ذلك أن يعذب المؤمن فى قبره بذنبه. وهذا الجواب هو الراجح عندى لما يدل عليه قولهﷺ «انما يفتن يهود»، وذلك قبل أن يوحى إليه أن أمته تفتن. والجواب الأول مرجوح لأن الآيات أيضا صريحة فى اتصال عذاب القبر بالروح والجسد، وما ليس صريحا منها فمحتمل يحمل على الصريح اذا لم يجىء فى آية تخصيصه بالروح دون الجسد ونفيه عن الجسد، وقال الله تعالى ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ماكنا نعمل من سوء، بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون. فادخلوا أبواب جهنم خالدين فلبئس مثوى المتكبرين** ﴾[1] قال ابن كثير رحمه الله تعالى وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم فى قبورها من حرها وسمومها، فاذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم ﴿ **لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من عذابها** ﴾ الآية. وكذلك قال تعالى ﴿ **الذى تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى** ﴾.

(فصل) وأمانصوص السنة فى اثبات عذاب القبر فقد بلغت الأحاديث فى ذلك مبلغ التواتر، إذ رواها أئمة السنة وحملة الحديث ونقاده عن الجم الغفير والجمع الكثير من أصحاب رسول اللهﷺ، منهم أنس بن مالك وعبد الله بن عباس والبراء بن عازب وعمر بن الخطاب وابنه عبد الله وعائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبى بكر وأبو أيوب الأنصارى وأم خالد وأبو هريرة وأبو سعيد الخدرى وسمرة بن جندب وعثمان وعلى وزيد بن ثابت وجابر ابن عبد الله وسعد بن أبى وقاص وزيد بن أرقم وأبو بكرة وعبد الرحمن بن سمرة وعبد الله ابن عمرو بن العاص وأبوه عمرو وأم مبشر وأبو قتادة وعبد الله بن مسعود وأبو طلحة وأسماء أيضا وعبد الرحمن بن حسنة وتميم الدارى وحذيفة وأبو موسى والنعمان بن بشير وعوف ابن مالك.

فأما حديث أنس بن مالك رضى الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عياش ابن عبد الأعلى حدثنا سعيد. قال وقال لى خليفة حدثنا ابن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «العبد اذا وضع فى قبره وتولى وذهب أصحابه حتى انه ليسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل

---

(١) الآيتان: ٢٨، ٢٩ من سورة النحل، وورد فى الأصل: إن الذين توفاهم الملائكة ».

محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد انه عبد الله ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعدا من الجنة. قال النبى ﷺ : فيراهما جميعا. وأما الكافر أو المنافق فيقول: لا أدرى، كنت أقول مايقول الناس. فيقال: لادريت ولاتليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين» ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه «قال قتادة: وذكر لنا أنه يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً – يعنى المؤمن – ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون». ولهما عنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ « وأعوذ بك من عذاب القبر » والمسلم عنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «لولا أن لاتدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع»(1).

وأما حديث عبد الله بن عباس فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا جرير عن الأعمش عن مجاهد عن طاووس قال ابن عباس رضى الله عنهما «مر النبى ﷺ على قبرين فقال: إنهما ليعذبان، وما يعذبان فى كبير» ثم قال «بلى أما أحدهما فكان يسعى بالنميمة، وأما الآخر فكان لايستتر من بوله» ثم قال «أخذ عوداً رطبا فكسره باثنتين ثم غرز كل واحد منهما على قبر ثم قال: لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» رواه فى مواضع من صحيحه. ورواه مسلم أيضا وغيره ولهما وللنسائى عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم الدعاء كما يعلم السورة من القرآن قولوا: اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات».

وأما حديث البراء به عازب فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا حفصُ ابن عمر حدثنا شعبة عن علقمة بن مرثد عن سعد بن عبيد عن البراء بن عازب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال:« اذا أقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله عن وأن محمدا رسول الله فذلك قوله ﴿ **يثبت ا الذين آمنوا بالقول الثابت** ﴾ رواه فى مواضع ووافقه عليه مسلم وغيره. وروى الإمام أحمد عنه رضى‌الله عنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رءوسنا الطير وفى يده عود ينكث به فى الأرض، فرفع رأسه فقال «استعيذوا بالله من عذاب القبر» – مرتين أو ثلاثا – ثم قال «ان العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا واقبال إلى الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم

---

(1) سبق تخريجة قريباً .

كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان - قال - فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها، فاذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط، ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الريح الطيبة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا به إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له، فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى بها إلى السماء السابعة، فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين، وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال فتعاد روحه، فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله ، فيقولان له ما دينك؟ فيقول دينى الإسلام. فيقولان له ماهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله ﷺ .فيقولان له وماعلمك؟ فيقول قرأت كتاب الله تعالى فآمنت به وصدقت. فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة. فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد البصر، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول: أبشر بالذى يسّرك، هذا يومك الذى كنت توعد. فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذى يجيء بالخير، فيقول أنا عملك الصالح، فيقول رب أقم الساعة، رب أقم الساعة، حتى أرجع إلى أهلى ومالى - قال - وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال إلى الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب. قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السّفود من الصوف المبلول فيأخذها، فاذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح، ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ماهذه الروح الخبيثة؟ فيقولون: فلان ابن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى بها إلى السماء الدنيا، فيستفتح فلا يفتح له. ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿ لاتفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط ﴾** فيقول الله عز وجل: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى، فيطرح روحه طرحاً، ثم قرأ **﴿ ومن يشرك بالله فكأنما خرّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق ﴾** فتعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان

له من ربك؟ فيقول: هاه هاه، لا أدرى. فيقولان: مادينك؟ فيقول هاه هاه لا أدرى. فيقولان: ماهذا الرجل الذى بعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى. فينادى مناد من السماء أن كذب عبدى. فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومك الذى كنت توعد. فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذى يجيء بالشر. فيقول: أنا عملك الخبيث. فيقول: رب لاتقم الساعة. زاد فى رواية فى قصة المؤمن «حتى إذا خرج روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء، وفتحت له أبواب السماء، وليس من أهل باب إلا وهم يدعون عز وجل أن يعرج بروحه من قبلهم» وزاد فى قصة الكافر «ثم يقيّض له أعمى أصم أبكم فى يده مرزبة لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة فيصير ترابا. ثم يعيده الله عز وجل كما كان فيضربه ضربة أخرى فيصيح صيحة يسمعها كل شيء إلا الثقلين – قال البراء – ثم يفتح له باب من النار ويمهد له فراش من النار». ورواه أبو داود والنسائى وابن ماجه بنحوه.

وأما حديث عمر بن الخطاب فرواه مسلم من طرق عنه رضى الله عنه قال « إن رسول الله ﷺ كان يرينا مصارع أهل بدر بالأمس يقول : هذا مصرع فلان غداً إن شاء الله تعالى . قال فقال عمر : فوالذى بعثه بالحق ما أخطأوا الحدود التى حد رسول الله ﷺ قال فجعلوا فى بئر بعضهم على بعض ، وانطلق رسول الله ﷺ حتى انتهى إليهم فقال : يافلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان ، هل وجدتم ما وعدكم الله ورسوله حقا ؟ فاني وجدت ما وعدنى الله حقاً . قال عمر يا رسول الله كيف تكلم أجياداً لا أرواح فيها ؟ قال : ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ، غير أنهم لا يستطيعون أن يردوا على شيئاً » . ولأبى داود والنسائى وابن ماجه عنه رضى الله عنه أن النبى ﷺ كان يتعوذ من الجبن والبخل وعذاب القبر وفتنة الصدر .

وأما حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما فقال البخارى رحمه تعالى « باب الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى. حدثنا إسماعيل قال: حدثنى مالك عن نافع عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: ان أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». وله عنه رضى الله عنه قال «اطلع النبى ﷺ على أهل القليب فقال: وجدتم ما وعدكم ربكم حقاً، فقيل له: تدعو أمواتاً؟ فقال: ما أنتم بأسمع منهم ولكن لايجيبون.

وأماحديث عائشة أم المؤمنين فقال البخارى رحمه الله تعالى «باب التعوذ من عذاب القبر فى الكسوف. حدثنا عبد الله بن مسلمة عن مالك عن يحيى بن سعيد عن عمرة بنت عبد الرحمن عن عائشة زوج النبى ﷺ أن يهودية جاءت تسألها فقالت لها: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ أيعذب الناس فى قبورهم؟ فقال رسول ﷺ عائذاً بالله من ذلك - ثم ذكر حديث الكسوف بطوله وفيه آخره - ثم أمرهم أن يتعوذوا من عذاب القبر. ورواه مسلم بنحوه، وقال البخارى أيضا «حدثنا عبدان أخبرنى أبى سمعت الأشعث عن أبيه عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها أن يهودية دخلت عليها فذكرت عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر فقال: عذاب القبر، حق - قالت عائشة: فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلىّ صلاة إلا تعوذ من عذاب القبر» ووافقه عليه مسلم وغيره. وقال مسلم أيضاً «حدثنا هارون بن سعيد وحرملة بن يحيى، قال هارون حدثنا - وقال حرملة أخبرنا - ابن وهب أخبرنى يونس بن يزيد عن ابن شهاب قال حدثنى عروة بن الزبير أن عائشة رضى الله عنها قالت: دخل علىّ رسول الله ﷺ وعندى امرأة من اليهود وهى تقول: هل شعرتِ أنكم تفتنون فى القبور؟ قالت فارتاع رسول الله ﷺ وقال: انما تفتن يهود . قالت عائشة فلبثنا ليالى ثم قال رسول الله ﷺ . هل شعرت أنه أُوحى إلى أنكم تفتنون فى القبور. قالت عائشة رضى الله عنها: فسمعت رسول الله ﷺ بعدُ يستعيذ من عذاب القبر، وقال رحمه الله تعالى أيضاً « حدثنا زهير بن حرب وإسحق بن ابراهيم. كلاهما عن جرير، قال زهير حدثنا جرير عن منصور عن أبى وائل عن مسروق عن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت علىّ عجوزان من عجز يهود المدينة فقالتا: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم. قالت فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل على رسول الله ﷺ فقلت له: يارسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علىّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذاباً تسمعه البهائم، ثم قالت فما رأيته بعدُ صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر. ولهما عنها رضى الله عنها أن النبى ﷺ كان يقول «اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمأثم والمغرم ومن فتنة القبر وعذاب القبر ومن فتنة النار وعذاب النار ومن شر فتنة الغنى، وأعوذ بك من فتنة الفقر وأعوذ بك من فتنة المسيخ الدجال، اللهم اغسل عنى خطاياى بماء الثلج والبرد، ونق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وباعد بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب» ولمسلم عنها من حديثها فى الكسوف، وفيه قوله ﷺ فى خطبته « ولقد رأيت جهنم يحطم بعضها بعضا حين رأيتمونى تأخرت، ورأيت فيها ابن لُحَىٍّ وهو الذى سيّب السوائب.

وأما حديث أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما فقال البخارى رحمه الله تعالى «حدثنا يحيى بن سليمان حدثنا ابن وهب قال أخبرني يونس عن ابن شهاب أخبرني عروة بن الزبير أنه سمع أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما تقول: قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة». ولهما عنها رضى الله عنها حديث الكسوف بطوله، وفيه: «فلما انصرف رسول الله ﷺ حمد الله وأثنى عليه ثم قال: ما من شيء كنت لم أره إلا قد رأيته في مقامي هذا حتى الجنة والنار، لقد أوحى إلي أنكم تفتنون في القبور مثل - أو قريباً من - فتنة الدجال. لا أدرى أيتهما قالت أسماء. يؤتى أحدكم فيقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن - أو الموقن، لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول: محمد رسول جاءنا بالبينات والهدى، فأجبنا وآمنا واتبعنا. فيقال له: نم صالحاً، فقد علمناك كنت لموقناً، وأما المنافق - أو المرتاب، لا أدرى أى ذلك قالت أسماء - فيقول: لا أدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته قوله «لا أدرى أى ذلك الخ» التردد فيه من فاطمة بنت المنذر الراوية عن أسماء رضى الله عنهما.

وأما حديث أبي أيوب الأنصارى فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا ابن المثنى حدثنا يحيى عن شعبة قال: حدثني عون بن أبي جحيفة عن البراء بن عازب عن أبي أيوب رضى الله عنهم قال خرج النبي ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتاً، فقال: يهود تعذب في قبورها» رواه مسلم من طريق جماعة عن شعبة به.

وأما حديث أم خالد فقال البخارى رحمه الله تعالى : حدثنا معلى حدثنا وهيب عن موسى بن عقبة قال «حدثتني ابنة خالد بن سعيد بن العاصى أنها سمعت النبي ﷺ وهو يتعوذ من عذاب القبر». وقال في كتاب الدعوات: حدثنا الحميدى حدثنا سفيان حدثنا موسى بن عقبة به الخ.

وأما حديث أبي هريرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبيد الله بن عمر القواريرى حدثنا حماد بن زيد حدثنا بديل عن عبد الله بن شقيق عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدانها» قال حماد: فذكر من طيب ريحها وذكر المسك قال «ويقول أهل السماء: روح طيبة جاءت من قبل الأرض، صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه. فينطلق به إلى ربه عز وجل. ثم يقول: انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال: وان الكافر إذا خرجت روحه قال حماد وذكر من نتنها وذكر لعناً «ويقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض. قال: فيقال انطلقوا به إلى آخر الأجل. قال أبو هريرة: فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت عليه على أنفه هكذا. ولهما عنه رضى الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ يدعو: اللهم انى أعوذ بك من عذاب القبر ومن عذاب النار ومن فتنة المحيا

والممات ومن فتنة المسيح الدجال. وقال الترمذى رحمه الله تعالى: باب ما جاء فى عذاب القبر. حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف البصرى أخبرنا بشر بن المفضل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إذا قبر الميت – أو قال أحدكم – أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول ماكان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله. فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا. ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعاً فى سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له نم فيقول أرجع إلى أهلى فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذى لايوقظه إلاأحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدرى. فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض التئمى عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك. وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد عن ابن أبى ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «إن الميت يحضره الملائكة فإذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجى أيتها النفس الطيبة كانت فى الجسد الطيب، اخرجى حميدة وأبشرى بروح وريحان، ورب غير غضبان. قال فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج، ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال: من هذا؟ فيقال فلان. فيقولون مرحباً بالروح الطيبة كانت فى الجسد الطيب، ادخلى حميدة وأبشرى بروح وريحان ورب غير غضبان – قال: فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهى بها إلى السماء التى فيها الله عز وجل، وإذا كان الرجل السوء والعياذ بالله قالوا: اخرجى أيتها النفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، اخرجى ذميمة وأبشرى بجحيم وغساق وآخر من شكله أزواج، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال هذا فلان فيقولون لامرحبا بالنفس الخبيثة كانت فى الجسد الخبيث، ارجعى ذميمة فإنه لاتفتح لك أبواب السماء، فيرسل من السماء ثم يصير إلى القبر(١).

وقال ابن حبان فى صحيحه: حدثنا عمرو بن محمد الهمدانى حدثنا زيد بن أخرم حدثنا معاذ بن هشام حدثنى أبى عن قتادة عن قسام بن زهير عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إن المؤمن إذا قبض أتته ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجى إلى روح الله، فتخرج كأطيب ريح مسك، حتى أنه ليناوله بعضهم بعضا يشمونه حتى يأتوا به باب السماء فيقال: ماهذه الريح الطيبة التى جاءت من قبل الأرض؟ ولايأتون

(١) رواه النسائى .

السماء إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين فلهم أشد فرحاً به من أهل الغائب بغائبهم فيقولون: مافعل فلان؟ فيقولون دعوه حتى يستريح فانه كان فى غم فيقول قد مات أما أتاكم؟ فيقولون ذهب به إلى أمه الهاوية. وأما الكافر فيأتيه ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجى إلى غضب الله تعالى فتخرج كأنتن ريح جيفة فيذهب به إلى باب الأرض، زاد فى رواية «وأما الكافر إذا قبضت نفسه وذهب بها إلى باب الأرض تقول خزنة الأرض ماوجدنا ريحاً أنتن من هذه فيبلغ الأرض السفلى». وقال حماد بن سلمة عن محمد بن عمر عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾** قال « ذلك إذا قيل له فى القبر: من ربك، ومادينك، ومن نبيك؟ فيقول: ربى الله ، ودينى الإسلام، ونبيى محمد ﷺ جاءنا بالبينات من عند الله فآمنت به وصدقت. فيقال له: صدقت، على هذا عشت وعليه مت وعليه تبعث». وقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنا مجاهد بن موسى والحسن بن محمد قالا حدثنا يزيد أخبرنا محمد بن عمرو عن أبى سلمة عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « والذى نفسى بيده، إن الميت ليسمع خفق نعالكم حين تولون عنه مدبرين، فإن كان مؤمناً كانت الصلاة عند رأسه والزكاة عن يمينه والصوم عن يساره وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه، فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلى مدخلى، فيؤتى عن يمينه فتقول الزكاة: ماقبلى مدخل فيؤتى عن يساره فيقول الصيام: ماقبلى مدخل، فيؤتى من رجليه فيقول فعل الخيرات: ماقبلى مدخل، فيقال له: اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس قد دنت للغروب فيقال: اخبرنا عما نسئلك، فيقول: دعنى حتى أصلى، فيقال له: إنك ستفعل فأخبرنا عما نسألك، فيقول: وعم تسألونى؟ فيقال: أرأيت هذا الرجل الذى كان فيكم ما ذا تقول فيه، وماتشهد به عليه؟ فيقول، أمحمد؟ فيقال له: نعم فيقول: أشهد أنه رسول الله وأنه جاءنا بالبينات من عند الله فصدقناه، فيقال له: على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعليه تبعث إن شاء الله تعالى. ثم يفسح له فى قبره سبعون ذراعا وينور له ويفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى ماأعد الله لك فيها، فيزداد غبطة وسرورا، ثم تجعل نسمته فى النسم الطيب، وهى طير خضر يعلق بشجر الجنة، ويعاد الجسد إلى مابدأ من التراب، وذلك قول الله عز وجل **﴿ يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ﴾** ورواه ابن حبان من طريق المعتمر بن سليمان عن محمد بن عمرو، وذكر جواب الكافر وعذابه. وقال البزار رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن بحر القراطيسى حدثنا الوليد بن القاسم حدثنا يزيد بن كيسان عن أبى حازم عن أبى هريرة أحسبه رفعه قال «إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين

مايعاين فيودلو خرجت – يعني نفسه – والله يحب لقاءه. وإن المؤمن يصعد بروحه إلى السماء فتأتيه أرواح المؤمنين فتستخبره عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال تركت فلاناً في الأرض أعجبهم ذلك، وإذا قال إن فلاناً قد مات قالوا ما جيء به الينا. وإن المؤمن يجلس في قبره فيسأل من ربك؟ فيقول ربي الله عز وجل. ويسأل من نبيك؟ فيقول محمد ﷺ نبيي، فيقال: ماذا دينك؟ قال ديني الإسلام. فيفتح له باب في قبره فيقول أو يقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر فكأنما كانت رقدة. وإذا كان عدوا لله نزل به الموت وعاين ماعاين فإنه لايحب أن تخرج روحه أبداً والله يبغض لقاءه، فإذا جلس في قبره أو أجلس فيقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدري، فيقال لادريت، فيفتح له باب إلى جهنم ثم يضرب ضربة تسمعها كل دابة إلا الثقلين، ثم يقال له: نم كما ينام المنهوش، قلت لأبي هريرة: ما المنهوش؟ قال الذي تنهشه الدواب والحيات، ثم يضيق عليه قبره، ثم قال: لانعلم رواه إلا الوليد بن مسلم، وفي بعض النسخ ابن قاسم.

وأما حديث أبي سعيد وسلمان فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن أبي الأسود حدثنا معتمر سمعت أبي حدثنا قتادة عن عقبة بن عبد الغافر عن أبي سعيد عن النبي ﷺ «أنه ذكر رجلا فيمن سلف وفي من كان قبلكم قال كلمة يعني أعطاه الله مالا وولداً، فلما حضرته الوفاة قال لبنيه: أي أب كنت لكم؟ قالوا خير أب. قال فانه لم يبتئر عند الله خيرا[1] وان يقدر الله عليه يعذبه، فانظروا إذا مت فأحرقوني حتى إذا صرت فحما فاسحقوني – أو قال فاسحكوني – فاذا كان يوم ريح عاصف فاذروني فيها. فقال نبي الله ﷺ: فأخذ مواثيقهم على ذلك وربي. ففعلوا ثم أذروه في يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فاذا هو رجل قائم، قال الله: أي عبدي ماحملك على أن فعلت مافعلت؟ قال: مخافتك، أو فرق منك. قال فما تلافاه أن رحمه عندها. وقال مرة أخرى « فما تلافاه» فحدثت به أبا عثمان فقال سمعت هذا من سلمان غير أنه زاد فيه « اذروني في البحر» أو كما حدّث – وفي رواية له عن أبي سعيد قال « ففعلوا فجمعه الله عز وجل فقال: ما حملك؟ قال: مخافتك. فتلقاه برحمة» وقال رحمه الله تعالى «باب كلام الميت على الجنازة، حدثنا قتيبة عن الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه أنه سمع أبا سعيد الخدري رضي الله عنه يقول «قال رسول الله ﷺ: إذا وضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فان كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وان كانت غير صالحة قالت: ياويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق. وقال الإمام أحمد حدثنا أبو عامر حدثنا عباد بن راشد عن داود بن أبي هند عن أبي نضرة عن أبي

---

(١) أي لم يقدم لنفسه خبيئة خير

سعيد رضى الله عنه قال «شهدنا مع رسول اللهﷺ جنازة فقال رسول اللهﷺ: يا أيها الناس، إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فاذا الإنسان دفن وتفرّق عنه أصحابه جاءه ملك فى يده مطراق من حديد فأقعده فقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فان كان مؤمناً قال أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، فيقول له صدقت. ثم يفتح له باب إلى الجنة،فيقول كان هذا فذلك لو كفرت بربك فأما إذ آمت فهذا فذلك ، فيفتح له بابا إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن أسكن، ويفسح له فى قبره. وإن كان كافراً أو منافقاً يقول له : ما تقول فى هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدرى سمعت الناس يقولون شيئاً ، فيقول : لا دريت ولا تليت ولا اهتديت ثم يفتح له بابا إلى الجنه فيقول هذا منزلك لو كنت آمنت بربك، فأما إذ كفرت به فان الله عز وجل أبدلك به هذا، فيفتح له بابا إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق فيصيح صيحة يسمعها خلق الله عز وجل كلهم غير الثقلين: فقال بعض القوم: يارسول الله ما أحد يقوم عليه ملك فى يده مطراق إلا هيل عند ذلك، فقال رسول اللهﷺيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت. ولابن مردويه عنه رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ «يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة فى القبر».

وأما حديث سمرة بن جندب رضى الله عنه فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا جرير بن حازم حدثنا أبو رجاء عن سمرة بن جندب رضى الله عنه قال«كان النبى ﷺ إذا صلى أقبل علينا بوجهه فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟ قال فان رأى أحد قصها، فيقول: ما شاء الله. فسألنا يوما فقال: هل رأى أحد منكم رؤيا؟ قلنا لا. قال: لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخرجانى إلى الأرض المقدسة، فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده – قال بعض أصحابنا عن موسى – كلوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعل بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا، فيعود فيضع مثله. قلت ما هذا؟ قالا: انطلق. فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بفهر – أو صخرة – فيشرخ به رأسه، فاذا ضربه تدهده الحجر، فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد اليه . قلت من هذا ؟ قالا انطلق فانطلقنا إلى ثقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يتوقد تحته ناراً ، فاذا اقترب ارتفعوا حتى كاد أن يخرجو فاذا خمدت رجعوا فيها، وفيها رجال ونساء عراة، فقلت من هذا؟ قالا انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه ورجل قائم على وسط النهر ورجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى. فى فيه بحجر فيرجع كما

كان، فقلت: ما هذا قالا انطلق. فانطلقنا حتى انتهينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعدا بى فى الشجرة وأدخلانى داراً لم أر قط أحسن منها. فيها رجال شيوخ وشباب ونساء وصبيان، ثم أخرجانى منها فصعدا بى إلى الشجرة فأدخلانى داراً هى أحسن وأفضل فيها شيوخ وشبان. قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت. قالا: نعم، أما الذى رأيته يشق شدقه فكذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق، فيصنع به ما رأيت إلى يوم القيامة. والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القرآن فنام عنه بالليل ولم يعمل فيه بالنهار يفعل به إلى يوم القيامة. والذى رأيته فى الثقب فهم الزناة. والذى رأيته فى النهر آكلوا الربا. والشيخ فى أصل الشجرة إبراهيم عليه السلام. والصبيان حوله فأولاد الناس، والذى يوقد النار مالك خازن النار، والدار الأولى التى دخلت دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل، فارفع رأسك، فرفعت رأسى فاذا فوقى مثل السحاب، قالا: ذاك منزلك. قلت دعانى أدخل منزلى، قالوا: انه بقى لك عمر لم تستكمله، فلو استكملت أتيت منزلك.

وأما حديث عثمان رضى الله عنه فقال أبو داود: حدثنا ابراهيم بن موسى الرازى حدثنا هشام هو ابن يوسف عن عبد الله بن بجير عن هانئ مولى عثمان عن عثمان رضى الله عنه قال«كان النبى ﷺ إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فانه الآن يسأل» قال ابن حجر: صححه الحاكم.

وأما حديث على بن أبى طالب رضى الله عنه فقال الترمذى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن حاتم المؤدب أخبرنا على بن ثابت حدثنى قيس بن الربيع وكان من بنى أسد عن الأغر بن الصباح عن خليفة بن حصين عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال«أكثر مادعا به رسول الله ﷺ عشية عرفة فى الموقف: اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول. اللهم لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى، وإليك مآبى ولك رب تراثى. اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر ووسوسة الصدر وشتات الأمر، اللهم إنى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح.

وأما حديث زيد بن ثابت فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وأبو بكر ابن أبى شيبة جميعاً عن ابن علية. قال ابن أيوب: حدثنا ابن علية قال وأخبرنى سعيد الجريرى عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى عن زيد بن ثابت قال أبو سعيد ولم أشهده من النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحن معه إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة - قال كذا كان يقول الجريرى - فقال: من يعرف أصحاب

هذه الأقبر؟ فقال رجل أنا. قال: فمتى مات هؤلاء؟ قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: ان هذه الأمة تُبتلى فى قبورها. ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوّذوا بالله من عذاب النار. قالوا نعوذ بالله من عذاب النار. فقال: تعوذوا بالله من عذاب القبر. قالوا. نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: تعوذوا بالله من الفتن ماظهر منها وما بطن. قالوا: نعوذ بالله من الفتن ماظهر منها ومابطن. قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال. قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال.

وأما حديث جابر بن عبد الله فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج أخبرنى أبو الزبير أنه سأل جابر بن عبد الله عن فتانى القبر فقال: سمعت رسول اللهﷺ يقول« إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها، فاذا أدخل المؤمن قبره وتولى عنه أصحابه جاء ملك شديد الانتهار فيقول له ماكنت تقول فى هذا الرجل؟ فأما المؤمن فيقول: انه رسول الله وعبده فيقول له الملك: انظر إلى مقعدك الذى كان لك فى النار قد أنجاك الله منه،وأبدلك بمعقدك الذى ترى من النار مقعدك الذى ترى من الجنة. فيراهما كليهما. فيقول المؤمن: دعونى أبشر أهلى. فيقال له: اسكن. وأما المنافق فيقعد إذا تولى عنه أهله فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، أقول كما يقول الناس. فيقال له: لادريت، هذا مقعدك الذى كان لك فى الجنة أبدلك مكانه مقعدك من النار. قال جابر: فسمعت النبى ﷺ يقول: يبعث كل عبد فى القبر على مامات. المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه.

ولمسلم عنه من حديث الكسوف وفيه «وعرضت علىّ النار، فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تعذّب فى هرة لها ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض، ورأيت أبا ثمامة عمرو بن مالك يجر قصبه فى النار – وفى رواية – لقد جيء بالنار وذلكم حين رايتمونى تأخرت مخافة ان يصيبنى من لفحها. وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه فى النار، كان يسرق الحاج بمحجنه، فان فطن له قال: انما تعلق بمحجنى، وان غُفل عنه ذهب به. وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التى ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، الحديث.

وأما حديث سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فرواه البخارى من عدة طرق عن مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال «كان النبى ﷺ يعلمنا هؤلاء الكلمات كما تعلم الكتابة: الهم إنى أعوذ بك من البخل، وأعوذ بك من الجبن، وأعوذ بك من أن أردّ إلى أرذل العمر، وأعوذ بك من فتنة الدنيا وعذاب القبر».

وأما حديث زيد بن أرقم فقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى فى صحيحه: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة وإسحق بن إبراهيم ومحمد بن نمير واللفظ لابن نمير، قال اسحق

أخبرنا – وقال الآخران حدثنا – أبو معاوية عن عاصم عن عبد الله بن الحارث، وعن أبي عثمان النهدى عن زيد بن أرقم رضى اللهعنه قال: «لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول، كان يقول: اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل، والجبن والبخل والهرم، وعذاب القبر. اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها. اللهم إنى أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعوة لايتسجابُ لها» رواه النسائي.

وأما حديث أبي بكرة فأخرجه النسائي رضى الله عنه عن النبي ﷺ أنه كان يقول فى أثر الصلاة «اللهم إنى أعوذ بك من الكفر، والفقر، وعذاب القبر»[1].

وأما حديث عبد الرحمن بن سمرة فقال أبو عبد الله الحكيم الترمذى فى كتابه (نوادر الأصول): حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن نافع عن ابن أبي فديك عن عبد الرحمن بن عبد الله عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن فى مسجد المدينة فقال «إنى رأيت البارحة عجباً، رأيت رجلا من أمتى جاء ملك الموت ليقبض روحه، فجاء برُه بوالديه فردَّ عنه. ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك. ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين، فجاءه ذكر الله عز وجل فخلصه من بينهم. ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب، فجاءته صلاته فانقذته من أيديهم. ورأيت رجلا من أمتى يلتهب عطشاً، كلما ورد حوضاً منع منه، فجاءه صيامه فسقاه وأرواه. ورأيت رجلا من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن شماله ظلمة ومن فوقه ظلمة ومن تحته ظلمة، وهو متحير فيها، فجاءته حجته وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه النور. ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين فلا يكلمونه، فجاءته صلة الرحم فقالت: يامعشر المؤمنين كلموه، فكلموه. ورأيت رجلا من أمتى يتقى وهج النار وشررها بيده عن وجهه، فجاءته صدقته فصارت له ستراً على وجهه وظلا على رأسه. ورأيت رجلا من أمتى أخذته الزبانية من كل مكان، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذاه من أيديهم وأدخلاه مع ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتى جاثياً على ركبتيه، بينه وبين الله حجاب، فجاءه حسن خلقه فأخذ بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلا من أمتى قد هوت صحيفته من قِبَل شماله، فجاءه خوفه من الله تعالى فأخذ صحيفته فجعلها فى يمينه. ورأيت رجلا من أمتى قد خف ميزانه، فجاءته أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلا من أمتى قائماً على شفير جهنم، فجاءه وجله من الله فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلا من أمتى هوى فى النار،

---

(1) رواه الشيخان.

فجاءته دموعه التى بكت من الله خشية الله فى الدنيا فاستخرجته من النار. ورأيت رجلا من أمتى قائماً على الصراط يرعد كما ترعد السعفة، فجاء حسن ظنة بالله فسكن رعدته ومضى. ورأيت رجلا من أمتى على الصراط يزحف أحياناً ويحبو أحياناً، فجاءته صلاته فأخذت بيده فأقامته ومضى على الصراط. ورأيت رجلا من أمتى انتهى إلى باب الجنة فغلقت الأبواب دونه، فجاءته شهادة أن لاإله إلا الله ففتحت له الأبواب وادخلته الجنة. ورواه القرطبى رحمه الله فى تذكرته وقال: هذا حديث عظيم ذكر فيه اعمالا خاصة تنجى من أهوال خاصة.

وأما حدثث عبد الله بن عمرو بن العاص فرواه النسائى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول« اللهم إنى أعوذ بك من الكسل والهرم والمغرم والمأثم، وأعوذ بك من شر المسيح الدجال، وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من عذاب النار.

وللحكيم الترمذى عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر فتانى القبر، فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: أتردُّ لنا عقولنا يارسول الله ؟ قال: نعم كهيئتكم اليوم. فقال عمر فى فيه الحجر. وروى البغوى عنه رضى الله عنه موقوفا عليه: إذا توفى العبد المؤمن ارسل الله عز وجل ملكين، وارسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: اخرجى يا أيتها النفس المطمئنة، اخرجى إلى روح وريحان ورب عنك راض. فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد فى أنفه، والملائكة على أرجاء السماء يقولون: قد جاء من الأرض روح طيبة – أو نسمة طيبة – فلا تمر بباب إلا فتح لها، ولا بملك إلا صلى عليها، حتى يؤتى بها الرحمن عز وجل فتسجد، ثم يقال لميكائيل: اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين. ثم يؤمر فيوسع عليه قبره، سبعون ذراعاً عرضه، وسبعون ذراعاً طوله، وينبذ له الريحان، وان كان معه شيء من القرآن كفاه نوره، وان لم يكن جعل له نور مثل الشمس فى قبره، ويكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظة إلا أحبُّ أهله إليه. وإذا توفى الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل قطعة من بجاد أنتن وأخشن من كل خشن فيقال: يا أيتها النفس الخبيثة، اخرجى إلى جهنم وعذاب أليم، ورب عليك غضبان.

وأما حديث عمرو بن العاص فرواه مسلم فى قصة وفاته مطولا، وفيه: «فاذا أنا متُّ فلا تصحبنى نائحة ولانار، فاذا دفنتمونى فشنُّوا علىَّ التراب شنّاً، ثم أقيموا حول قبرى قَدْر ما تنحر جزور ويقسم لحمها، حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربى عز وجل».

وأما حديث أم مبشر فأخرجه عنها ابن أبى شيبة فى مصنفه قالت: دخل على النبى ﷺ وأنا فى حائط من حوائط بنى النجار فيه قبور منهم قد ماتوا فى الجاهلية، قالت: فخرج فسمعته يقول «استعيذوا بالله من عذاب القبر» قلت: يارسول الله وللقبر عذاب؟ قال «انهم ليعذبون عذاباً فى قبورهم تسمعه البهائم».

وأما حديث أبي قتادة رضي الله عنه فقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن عثمان بن حكيم الأودي حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد البجلي عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه في قوله تعالى ﴿ **يثبت ا الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ الآية قال: إن المؤمن إذا مات أجلس في قبره فيقال له: من ربك؟ فيقول: الله عز وجل. فيقال له: من نبيك؟ فيقول: محمد بن عبد الله ﷺ. فيقال له ذلك مرات، ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك من النار لو زغت، ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال له: انظر إلى منزلك من الجنة إذا ثبتَّ. وإذا مات الكافر أجلس في قبره فيقال له: من ربك، من نبيك؟ فيقول: لا أدري، كنت أسمع الناس يقولون، فيقال له: لادريت. ثم يفتح له باب إلى الجنة فيقال: انظر إلى مجلسك من الجنة لو ثبتَّ. ثم يفتح له باب إلى النار فيقال له: انظر إلى منزلك إذ زغت. فذلك قوله ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾.

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان أبي شيبة حدثنا جرير عن الحسن بن عبيد الله عن ابراهيم بن سويد عن عبد الرحمن بن يزيد عن عبد الله رضي الله عنه قال: كان نبي الله ﷺ إذا أمسى قال «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا إله إلا الله وحده لاشريك له» قال أراه قال فيهن «له الملك وله الحمد وهوعلى كل شيء قدير. رب أسألك خير مافي هذه الليلة وخير مابعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر مابعدها. رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكِبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبور» ، وإذا أصبح قال ذلك أيضاً، «أصبحنا وأصبح الملك لله» حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن الحسن بن عبيد الله الخ بنحوه، وفيه «اللهم انى أعوذ بك من الكسل والهرم وسوء الكبر وفتنة الدنيا وعذاب القبر» . وقال النسائي: اخبرنا محمد بن عبد العزيز قال حدثنا الفضل بن موسى عن زكريا عن أبي اسحق عن عمرو بن ميمون عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: « كان النبي ﷺ يتعوّذ من خمس: من البخل، والجبن، وسوء العمر، وفتنة الصدر، وعذاب القبر» . وروى الطحاوى عنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ «أمر بعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة، فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ عليه قبره ناراً» الحديث ذكره العيني في شرح البخاري، و الله أعلم بصحته. وعزاه في التبصرة إلى أبي القاسم الحريري، وتقدم عنه قريباً حديث ام حبيبة وفيه الاستعاذة من عذاب القبر.

واما حديث أبي طلحة فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثني عبد الله بن محمد سمع روح بن عبادة حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة قال: ذكر لنا انس بن مالك عن أبي طلحة «ان نبي الله ﷺ امر يوم بدر بأربعة وعشرين رجلا من صناديد قريش فقذفوا في طوى من اطواء بدر خبيث مخبث، وكان إذا ظهر على قوم اقام بالعرصة ثلاث ليال. فلما

كان ببدر اليوم الثالث امر براحلته فشد عليها رحلها، ثم مشى واتبعه اصحابه وقالوا: مانرى ينطلق إلا لبعض حاجة، حتى قام على شفة الركى فجعل يناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم: يا فلان ابن فلان، يافلان ابن فلان، أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله، فانا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا؟ قال فقال عمر: يارسول الله ماتكلم من أجساد لا أرواح لها؟ قال رسول الله ﷺ: والذى نفس محمد بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم. قال قتادة: أحياهم الله تعالى حتى أسمعهم قوله توبيخاً وتصغيرا ونقمة وحسرة وندماً.

وأما حديث أسماء الآخر فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حجين بن المثنى حدثنا عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون عن محمد بن المنكدر قال: كانت أسماء – يعنى بنت الصديق رضى الله عنها – تحدث عن النبى ﷺ قالت: قال إذا دخل الإنسان قبره فان كان مؤمناً أحف به عمله الصلاة والصيام، قال فيأتيه الملك من نحو الصلاة فتردّه، ومن نحو الصيام فيرده، قال: فيناديه: اجلس، فيجلس، فيقول له: ماذا تقول فى هذا الرجل؟ يعنى النبى ﷺ قال: من؟ قال: محمد. قال: أشهد أنه رسول الله. قال فيقول: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. وإن كان فاجراً أو كافراً جاءه الملك ليس بينه وبينه شىء يرده فأجلسه فيقول له: ماذا تقول فى هذا الرجل؟ قال: أى رجل؟ قال: محمد. قال يقول : والله ماأدرى، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته. قال له الملك: على ذلك عشت وعليه مت وعليه تبعث. قال ويسلط عليه دابة فى قبره معها سوط ثمرته جمرة مثل عرف البعير تضربه ماشاء الله صماء لاتسمع صوته فترحمه والأنسب لمكان هذا الحديث أن ينقل عند حديثى أسماء الأولين.

وأما حديث عبد الرحمن ابن حسنة فقال أبو داود: حدثنا مسدد حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا الأعمش عن زيد بن وهب عن عبد الرحمن بن حسنة قال «انطلقت أنا وعمرو بن العاص إلى النبى ﷺ، فخرج ومعه درقة ثم استتر بها ثم بال، فقلنا انظروا إليه يبول كما تبول المرأة، فسمع ذلك فقال ألم تعلموا مالقى صاحب بنى اسرائيل، كانوا إذا أصابهم البول قطعوا ما أصابه البول منهم فنهاهم فعذب فى قبره، رواه النسائى وابن ماجه.

وأما حديث تميم الدارى فرواه أبو يعلى الموصلى بسنده عنه مطولا بسياق عجيب ومتن غريب وغالب معناه فى الأحاديث الصحيحة فلا نطيل بسياقه استغناء عنه بغيره ولله الحمد والمنة.

وأما حديث حذيفة فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن عبد الملك بن عمير عن ربعى بن حراش قال: قال عقبة لحذيفة «ألا تحدثنا ماسمعت من النبى ﷺ؟قال: سمعته يقول: إن رجلا حضره الموت لما يئس من الحياة أوصى أهله إذا مت فاجمعوا إلى حطباً كثيراً ثم أوروا ناراً حتى إذا أكلت لحمى وخلصت إلى عظمى فخذوها

فاطحنوها فذرونى فى اليم فى يوم حار أو راح، فجمعه الله فقال: لم فعلت؟ قال: خشيتك. فغفر له. قال عقبة وأنا سمعته يقول: حدثنا موسى حدثنا أبو عوانة عبد الملك وقال «فى يوم راح». وقد تقدمت هذه القصة من حديث أبى سعيد الخدرى.

وقد رواها البخارى رحمه الله تعالى أيضاً من حديث أبى هريرة فقال: حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا هشام أخبرنا معمر عن الزهرى عن حميد بن عبد الرحمن عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال«كان رجل يسرف على نفسه، فلما حضره الموت قال لبنيه: إذا أنا مت فأحرقونى ثم اطحنونى ثم ذرونى فى الريح، فوالله لئن قدر عليَّ ربى ليعذبنى عذاباً ما عذبه أحداً. فلما مات فعل به ذلك. فأمر الله تعالى الأرض فقال: اجمعى مافيك منه، ففعلت، فاذا هو قائم، فقال: ماحملك على ما صنعت؟ فقال: يارب خشيتك حملتنى. فغفر له. وقال غيره «مخافتك يارب» ومحل هذا الحديث مع أحاديث أبى هريرة المتقدمة فلينقل إلى هناك.

وأما حديث أبى موسى فرواه أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه وهذا لفظ أحمد: عن أبى موسى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال«الميت يعذب ببكاء الحى، إذا قالت النائحة: واعضداه، واناصراه، واكاسباه، جبذ الميت وقيل: أنت عضدها، أنت ناصرها، أنت كاسبها؟». ولفظ الترمذى «مامن ميت يموت فيقوم باكيه فيقول: واجبلاه واسنداه أو نحو ذلك إلا وكل به ملكان يلهزانه: أهكذا كنت؟».

وأما حديث النعمان بن بشير فرواه الشيخان البخارى ومسلم عنه رضى الله عنه قال «أغمى على عبد الله بن رَواحة، فجعلت أخته عمرة تبكى: واجبلاه» واكذا واكذا تعدد عليه، فقال حين أفاق: ما قلتِ شيئاً إلا قيل لى: أنت كذلك؟ فلما مات لم تبك عليه رضى الله عنه».

وأما حديث عوف بن مالك فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنى هرون بن سعيد الأيلى أخبرنى ابن وهب أخبرنى معاوية بن صالح عن حبيب بن عبيد عن جبير بن نفير سمعه يقول سمعت عوف بن مالك يقول «صلى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نزله ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره وأهلا خيراً من أهله وزوجاً خيراً من زوجه، وأدخله الجنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» قال حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت. وفى رواية «وقه فتنة القبر وعذاب النار».

أى ويدخل فى الإيمان باليوم الآخر الإيمان بلقاء الله عز وجل الحاصل فيه، قال الله تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والذين هم بلقاء ربهم يؤمنون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى إذا جاءتهم الساعة بغتة قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لايرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **من كان يرجو لقاء الله فان أجل الله لآت وهو السميع العليم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقو الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنهم كانوا لايرجون حساباً** ﴾ وغيرها من الآيات.

وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول اللهﷺ «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يابنى أكراهية الموت؟ فكلنا نكره الموت. فقال «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذ بشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه وإن الكافر إذا بشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه – وفى رواية – والموت قبل لقاء الله». وفيه عن شريح بن هانىء عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «من أحب لقأ الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قال فأتيت عائشة فقلت: يا أم المؤمنين، سمعت أبا هريرة يذكر عن رسول اللهﷺ حديثا إن كان كذلك فقد هلكنا. فقالت: إن الهالك من هلك بقول رسول اللهﷺ ، وما ذاك؟ قال: قال رسول اللهﷺ «م أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» وليس من أحد إلا وهو يكره الموت. فقالت: قد قاله رسول اللهﷺ ،وليس بالذى تذهب إليه، ولكن إذا شخص البصر وحشرج الصدر واقشعر الجلد وتشنجت الأصابع فعند ذلك من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه. وفيه عن عبادة بن الصامت وأبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ المرفوع منه دون شرحه.

وفيه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال« قالوا: يارسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال: هل تضارُّون فى رؤية الشمس فى الظهيرة ليست فى سحابة؟ قالوا:لا. قال: فهل

تضارون في رؤية ربكم إلا كما تضارون في رؤية أحدهما. قال فيلقى العبد فيقول أى فل ألم أكرمك وأسوّدك وأزوّجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى. قال فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول فاني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثاني فيقول أى فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول بلى أى رب. فيقول: أفظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول. لا. فيقول فاني أنساك كما نسيتني. ثم يلقى الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول: يارب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع، فيقول: ههنا إذاً. قال ثم يقال له: الآن نبعث شاهدنا عليك. ويتفكر في نفسه من الذى يشهد على؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه ولحمه وعظامه انطقي، فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعلمه، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك المنافق،وذلك الذى يسخط الله عليه. وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة «بلغوا قومنا عنا أن قد لقينا ربنا فرضى عنا ورضينا عنه». وروى أنه كان قرآنا فنسخت تلاوته. والآيات والأحاديث في إثبات لقاء الله عز وجل كثيرة جداً، ومن كذب بذلك كفر (والبعث والنشور) أى ويدخل في الإيمان باليوم الآخر. الإيمان بالبعث والنشور، قال الله تبارك وتعالى لبني اسرائيل ﴿ **وإذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثنا كم من بعد موتكم لعلكم تشكرون**﴾ وقال تعالى ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لايشكرون** ﴾ وقال تعالى ﴿**كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم إليه ترجعون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ألم تر إلى الذى حاجّ إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذى يحيي ويميت، قال أنا أحيي وأميت، قال إبراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب، فبهت الذى كفر، والله لايهدى القوم الظالمين، أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها، فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثتَ قال لبثت يوماً أو بعض يوم، قال بل لبثتَ مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنّه، وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس، وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً، فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير.وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أولم تؤمن، قال بلى ولكن ليطمئن قلبي، قال فخذ أربعة من الطير فصرْهُنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادْعهنّ يأتينك سعياً، واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وهو الذى**

يرسل الرياح بشرى بين يدى رحمته، حتى إذا أقلّت سحاباً ثقالا سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات، كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﴾، وقال تعالى ﴿ وان تعجب فعجب قولهم أإذا كنا تراباً أإنا لفي خلق جديد. أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾. وقال تعالى ﴿ وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين. ولو ترى إذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق، قالوا بلى وربنا، قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون. قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ولا تحسبنّ الله مُخلف وعده رُسُلَه، إن الله عزيز ذو انتقام، يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات ﴾ ، الآيات. وقال تعالى ﴿ وإنا لنحن نحيى ونميت ونحن الوارثون. ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخرين. وان ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستُرَدُّون إلى عالم الغيب والشهادة فينبؤكم بما كنتم تعملون ﴾ وقال تعالى ﴿ وقالوا أإذا كنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون خلقاً جديداً. قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذى فطركم أول مرة فسينغضون إليك رءوسهم ويقولون متى هو، قل عسى أن يكون قريباً. يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون إن لبثتم إلا قليلا ﴾ وقال تعالى ﴿ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبَتْ زدناهم سعيرا. ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أإذا كنا عظاماً ورفاتاً أإنا لمبعوثون خلقا جديداً. أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه ﴾ وقال تعالى ﴿ فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفاً ﴾ وقال تعالى ﴿ ثم بعثناهم لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمداً ﴾ وقال تعالى ﴿ وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم، قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم، قالوا ربكم أعلم بما لبثتم﴾ إلى قوله ﴿ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لاريب فيها ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم نسيِّر الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً. وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعداً ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ويقول الإنسان أإذا مامتُّ لسوف أُخرج حياً. أولا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً. فوربك لنحشرنّهم والشياطين ثم لنحضرنهم حول جهنم جثياً ﴾ الآيات إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة

أخرى ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم ينفخ فى الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا يتخافتون بينهم إن لبثتم إلا عشرا. نحن أعلم بما يقولون إذ يقول أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوماً. ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً. فيذرها قاعاً صفصفاً لاترى فيها عوجاً ولا أمتا. يومئذ يتبعون الداعى لاعوج له وخشعت الأصوات للرحمن فلاتسمع إلا همساً ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ اقترب للناس حسابهم وهم فى غفلة معرضون ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. لو يعلم الذين كفروا حين لايكفون عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم ولا هم ينصرون ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم نطوى السماء كطىِّ السجل للكتب، كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم. يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد. ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد. كتب عليه أنه من تولاه فأنه يضله ويهديه إلى عذاب السعير. يا أيها الذين آمنوا إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلَّقة وغير مخلَّقة لنبين لكم ونقرُّ فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يُتوفى ومنكم من يردُّ إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً. وترى الأرض هامدة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج. ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيى الموتى وأنه على كل شىء قدير. وأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور ﴾ وقال تعالى ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين. ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر. فتبارك الله أحسن الخالقين. ثم إنكم بعد ذلك لميتون. ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾ وقال تعالى عن كفر عاد ﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذّبوا بلقاء الآخرة. وأترفناهم فى الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذاً لخاسرون أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً أنكم مخرجون. هيهات هيهات لما توعدون. إنْ هى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومانحن بمبعوثين ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون. بل قالوا مثل ماقال الأولون. قالوا أإذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أإنا لمبعوثون. لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل، إنْ هذا إلا أساطير الأولين ﴾ وقال تعالى ﴿ قال كم لبثتم فى الأرض عدد سنين. قالوا لبثنا يوماً أو بعض يوم فاسأل العادّين. قال

إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون. أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً وأنكم إلينا لاترجعون فتعالى الله الملك الحق لا إله هو رب العرش الكريم ﴾ وقال تعالى ﴿ألا إن الله مافي السموات والأرض، قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبؤهم بما عملوا، و الله بكل شيء عليم ﴾ وقال تعالى ﴿ واتخذوا من دونه آلهة لايخلقون شيئا وهم يخلقون. ولايملكون لأنفسهم موتاً ولاحياة ولانشوراً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم نحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم، قد خسر الذين كذّبوا بلقاء الله وماكانوا مهتدين ﴾ وقال تعالى ﴿ قل هل من شركائكم من يبدأ الخلق ثم يعيده، قل الله يبدأ الخلق ثم يعيده فأنى تؤفكون ﴾ وقال تعالى ﴿ أمّن يبدأ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من السماء والأرض، أإله مع الله ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ بل ادّارك علمهم في الآخرة، بل هم في شك منها، بل هم منها عمون. وقال الذين كفروا أإذا كنا تراباً وآباؤنا أإنا لمخرَجون. لقد وُعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلاأساطير الأولين ﴾ إلى قوله ﴿ قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم بعضُ الذى تستعجلون ﴾ إلى قوله ﴿ ويوم ينُفَخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، وكل أتوه داخرين ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ألم يروا كيف يبدأ الله الخلق ثم يعيده، إن ذلك على الله يسير. قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة، إن الله على كل شيء قدير. يعذّب من يشاء ويرحم من يشاء وإليه تقلبون. وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء ومالكم من دون الله من ولي ولانصير ﴾ وقال تعالى ﴿ وعد الله لايخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لايعلمون. يعلمون ظاهراً من الحياة وهم عن الآخرة هم غافلون. أولم يتفكروا في أنفسهم ماخلق الله السموات والأرض ومابينهما إلا بالحق وأجل مسمّى وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون ﴾ إلى قوله ﴿ الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه ترجعون ﴾ الآيات – إلى قوله ـ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون. وله من في السموات والأرض كل له قانتون. وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ إلى قوله ﴿ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ والله خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ وقال تعالى ﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فاذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله المبلسين. فانظر إلى آثار

رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها، إن ذلك لمحيي الموتى، وهو على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون مالبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون. وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لاتعلمون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ماخَلْقُكُم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير ﴾ وقال تعالى ﴿ وقالوا أإذا ضللنا في الأرض أإنا لفي خلق جديد، بل هم بلقاء ربهم كافرون. قل يتوفاكم ملك الموت الذى وكل بكم ثم إلى ربكم ترجعون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله، وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً ﴾ وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين . قل لكم ميعاد يوم لاتستأخرون عنه ساعة ولاتستقدمون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت وأخذوا من مكان قريب ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ وقال الذين كفروا هل ندلكم على رجل ينبؤكم إذا مزقتم كل ممزق انكم لفي خلق جديد ﴾ وقال تعالى ﴿ والله الذى أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور ﴾ وقال تعالى ﴿ إنا نحن نحيي الموتى ونكتب ماقدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين. ماينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون. فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون. ونفخ في الصور فاذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ماوعد الرحمن وصدق المرسلون. إن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿أوَلَم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذى أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم. الذى جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فاذا أنتم منه توقدون، أوليس الذى خلق السموات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم، بلى وهو الخلاق العليم. إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون، فسبحان الذى بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون ﴾ وقال تعالى ﴿ أهم أشد خلقاً أم من خلقنا، إنا خلقناهم من طين لازب، بل عجبتَ ويسخرون، وإذا ذُكروا لايَذْكرون، وإذا رأوا آية يستسخرون، وقالو إنْ هذا إلا سحر مبين، أإذا متنا وكنا تراباً وعظاما أإنا لمبعوثون، أوآباؤنا الأولون، قل نعم وأنتم داخرون، فانما هي زجرة واحدة فاذا هم ينظرون، وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين، هذا يوم الفصل الذى كنتم به تكذبون، احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وماكانوا يعبدون من دون الله ﴾

الآيات، وقال تعالى ﴿ قل رب فانظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنك ميت وإنهم ميتون، ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون ﴾ وقال تعالى ﴿ لينذر يوم التلاق، يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء ﴾ الآيات، وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿ وياقوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت، إن الذى أحياها لمحيي الموتى إنه على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم، ألا إنه بكل شيء محيط ﴾ وقال تعالى ﴿ وينذر يوم الجمع لاريب فيه فريق فى الجنة وفريق فى السعير ﴾ وقال تعالى ﴿ والذى نزل من السماء ماء بقدر فأنشرنا به بلدة ميتاً كذلك تخرجون ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هؤلاء ليقولون إنْ هي إلا موتتنا الأولى ومانحن بمُنْشَرِين، فأتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، أهم خير أم قوم تُبَّع والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين، وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين، ماخلقناهما إلا بالحق ولكن أكثرهم لايعلمون، إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ وخلق الله السموات والأرض بالحق ولتجزى كل نفس بماكسبت وهم لايظلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر ومالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون. وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين، قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ولكن أكثر الناس لايعلمون ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿أولم يروا أن الله الذى خلق السموات والأرض ولم يعى بخلقهن بقادر على أن يحيى الموتى، بلى إنه على كل شيء قدير ﴾ وقال تعالى ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم، ق والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا شيء عجيب. أإذا متنا وكنا تراباً ذلك رجع بعيد. قد علمنا ماتنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ ﴾ إلى آخر السورة. وقال تعالى ﴿ والذاريات درواً ﴾ إلى قوله ﴿ إنماتوعدون لصادق وإن الدين لواقع ﴾ وقال تعالى ﴿ والطور وكتاب مسطور ﴾ إلى قوله ﴿ إن عذاب ربك لواقع ما له من دافع، يوم تمور السماء موراً وتسير الجبال سيراً، فويل يومئذ للمكذبين ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ وأن إلى ربك المنتهى، وأنه هو أضحك وأبكى. وأنه هو أمات وأحيا ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ فتولَّ عنهم يوم يَدْعُ الداعِ إلى شيء نكر. خُشّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر ﴾ الآيات. وقوله تعالى ﴿ بل الساعة موعدهم

والساعة أدهى وأمر ﴾ وقال تعالى ﴿ سنفرغ لكم أيه الثقلان ﴾ إلى آخر السورة، وسورة الواقعة بتمامها، وقال تعالى ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فينبؤهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه، والله على كل شيء شهيد ﴾ إلى قوله ﴿ ثم ينبؤهم بماعملوا يوم القيامة، إن الله بكل شيء عليم ﴾. وقال تعالى ﴿ ويوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم، ويحسبون أنهم على شيء، ألا إنهم هم الكاذبون ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم، إنما تجزون ماكنتم تعملون. يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار يوم لايخزى الله النبي والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا، إنك على كل شيء قدير ﴾، وقال تعالى ﴿ الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾، وقال تعالى ﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين ﴾ الآيات، وسورة الحاقة بكمالها، وقال تعالى ﴿سأل سائل بعذاب واقع ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون، يوم يخرجون من الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذى كانوا يوعدون ﴾ وقال تعالى ﴿ فذرنى والمكذِّبين أولى النعمة ومهِّلهم قليلا ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ فاذا نُقِر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير، على الكافرين غير يسير ﴾ وقال تعالى ﴿ لا أقسم بيوم القيامة، ولا أقسم بالنفس اللوامة، أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه، بلى قادرين على أن نسوِّى بنانه ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ أيحسب الإنسان أن يترك سُدى، ألم يك نطفة من منى يمنى، ثم كان علقة فخلق فسوَّى، فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى، أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾ وجاء جوابه فى الحديث «بلى إنه على كل شيء قدير» وقال تعالى ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكورا ﴾ الآيات بل السورة بتمامها، وجميع السور التى بعدها : المرسلات والنبأ والنازعات وعبس والتكوير والانفطار والمطففين والانشقاق والطارق والغاشية والفجر والبلد وغيرها من السور، بل القرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر وتفاصيل مافيه وتقرير ذلك بأصدق الأخبار وضرب الأمثال للاعتبار والارشاد إلى دليل ذلك لكل امرىء بأن يعتبر فى بدنه ويستدل به على

إعادته، وكذلك إحياء الأرض بعد موتها فيحييها تعالى بالمطر فتصبح مخضرة تهتز بعد موتها بالقحط وهمودها وخمودها واسودادها، فاذا أنزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، ولهذا يذكر إحياء الموتى بعد ذكر إحيائه الأرض ليستدل من له قلب شهيد على الآجل بالعاجل وعلى الغيب بالشهادة، فيقول عز وجل ﴿ **كذلك الخروج، كذلك النشور، كذلك تخرجون، كذلك يحيي الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون** ﴾.

وأما الأحاديث في هذا الباب فكثيرة جدا، وقد تقدم كثير منها في مواضع متفرقة، وقال البخارى رحمه الله تعالى « حدثنا أبو اليمان حدثنا شعيب حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: قال الله كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك. فأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علىّ من إعادته. وأما شتمه إياى فقوله: اتخذا الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم أولد ولم ألد ولم يكن لي كفوا أحد».

وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في مسنده« حدثنا أبو المغيرة حدثنا حريز حدثني عبد الرحمن بن ميسرة عن جبير بن نفير عن بشير بن جحاش قال: إن رسول الله ﷺ «بصق يوماً في كفه فوضع عليها إصبعه، قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى بني آدم أنّى تعجزني وقد خلقتك مثل هذه، حتى إذا سويتك وعدلتك مشيتَ بين برديك وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدّق، وأنّى أوان الصدقة. ورواه ابن ماجه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن يزيد بن هرون عن حريز بن عثمان به. وقال ابن أبي حاتم: حدثنا على بن الحسين بن الجنيد حدثنا محمد بن العلاء حدثنا عثمان بن سعيد الزيات عن هشيم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «ان العاص بن وائل أخذ عظماً من البطحاء ففته بيده ثم قال لرسول الله ﷺ : أيحيى الله هذا بعد ما أرم؟ فقال رسول الله ﷺ: نعم، يميتك الله ثم يحييك ثم يدخلك جهنم» قال: ونزلت الآيات من آخر يس. وروى مسلم من طريق معمر عن همام بن منبه قال: هذا ماحدثنا أبو هريرة عن رسول الله ﷺ ، فذكر أحاديث، منها: وقال رسول الله ﷺ «إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً فيه يركب يوم القيامة. قالوا: أى عظم هو يارسول الله ؟ قال: عجب الذنب»[1] وفيه من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال « كل ابن آدم يأكله التراب إلاعجب الذنب، منه خلق وفيه يركب». وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ «مابين النفختين أربعون – قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال أبيتُ، قالوا أربعون شهراً، قال أبيتُ، قالوا أربعون سنة؟ قال أبيت – ثم ينزل الله من السماء

---

(١) رواه أحمد في المسند .

ماء فينبتون كما ينبت البقل. قال: وليس من الانسان شيء إلا يبلى، إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة» . ورواه البخارى عن عمر بن حفص عن أبيه عن الأعمش بمعناه، دون قوله « ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء وتقدم» حديث عبد الله بن عمرو قريباً وفيه «ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا. وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله قال فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله– أو قال ينزل الله – مطراً كانه الطل – أو الظل، نعمان الشاكّ – فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون. ثم يقال : يا أيها الناس ، هلموا إلى ربكم،وقفوهم إنهم مسئولون. قال ثم يقال: أخرجوا بعث النار، فيقول: من كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين. قال فذلك يوم يجعل الولدان شيبا، وذلك يوم يكشف عن ساق. وفى الصحيح عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال« إنى أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فاذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدرى كذلك كان أم بعد النفخة» .وفى حديث الصور الآتى قريباً إن شا الله «ثم ينزل الله عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمرالله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت، فتنبت كنبات الطراثيث – أو كنبات البقل – حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت قال الله عز وجل: ليحى حملة العرش، فيحيون. ويأمر الله عز وجل إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحى جبريل وميكائيل، فيحييان. ثم يدعو الله بالأوراح ليؤتى بها، تتوهج أرواح المسلمين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها فى الصور، ثم يأمر الله تعالى إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث، فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والأرض، فيقول: وعزتى وجلالى ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح فى الأرض إلى الاجساد فتدخل فى الخياشيم ثم تمشى فى الاجساد كما يمشى السم فى اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون. الحديث، وروى الإمام عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه وفى كتاب السنة له قال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى: كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ماكتبت به إليك، فحدث بذلك عنى، قال حدثنى عبد الرحمن بن المغيرة الحزامى قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلى عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال لقيط: خرجت أنا وصاحبى حتى قدمنا على رسول الله ﷺ فوافيناه حين انصرف من صلاة الغداة، فقام

فى الناس خطيباً فقال «أيها الناس، ألا إنى قد خبأت لكم صوتى منذ أربعة أيام، ألا لتسمعوا اليوم. ألا فهل امرىء بعثه قومه فقالوا له: اعلم لنا مايقول رسول الله ﷺ؟ ألا ثم رجل لعله يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه ضال، ألا إنى مسئول، هل بلغت؟ ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا. فجلس الناس. وقمت أنا وصاحبى حتى إذا فرغ لنا فؤاده ونظره قلت: يارسول الله ماعندك من علم الغيب؟ فضحك فقال: ضنَّ ربك بمفاتيح خمس من الغيب لايعلمها إلا اللهعز وجل، وأشار بيده، فقلت: ماهن يارسول الله؟ قال علم المنية، قد علم متى منية أحدكم ولاتعلمونه. وعلم المنى حين يكون فى الرحم، قد علمه وماتعلمونه. وعلم مافى غد، قد علم ما أنت صانع ولاتعلمه. وعلم يوم الغيث، يشرف عليكم أزلِين [(١)] مشفقين، فيظل يضحك قد علم أن غوثكم إلى قريب. قال لقيط: فقلت لن نعدم من رب يضحك خيراً يارسول الله. قال وعلم يوم الساعة قلنا يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وتعلم، فانا من قبيل لايصدّق تصديقنا أحد، من مذحج التى تدنو علينا، وخثعم التى توالينا، وعشيرتنا التى نحن منها. قال: تلبثون فيها مالبثتم، ثم يتوفى نبيكم، ثم يبعث الصيحة، فلعمر إلهك ماتدع على ظهرها شيئاً إلا مات، والملائكة الذين مع ربك، فأصبح ربك عز وجل يطوف فى الأرض وخلت البلاد، فأرسل ربك السماء تهضب من عند العرش، فلعمر إلهك ماتدع على ظهرها من مصرع قتيل ولامدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى تخلفه من عند رأسه، فيستوى جالساً، فيقول ربك مهيم لما كان فيه، يقول يارب أمس اليوم لعهده بالحياة يحسبه حديثاً بأهله. فقلت. يارسول الله فكيف يجمعنا بعد ماتمزقنا الرياح والبلاء والسباع؟ قال: أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله ، الأرض أشرف عليها وهى فى مدرة بالية، فقلت لاتحيا أبدا، ثم أرسلالله عليها السماء فلم تلبث عليك إلا أياماً حتى أشرفت عليها وهى شربة واحدة، ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعكم من الماء على أن يجمع نبات الأرض. فتخرجون من الأصواء [(٢)] ومن مصارعكم فتنظرون إليه وينظر إليكم. قال قلت: يارسول الله كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينظر إلينا وننظر إليه؟ قال: أنبئك بمثل هذا فى آلاء الله ، الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونها وتريانكم ساعة واحدة ولاتضامون فى رؤيتهما. قلت: فيما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه؟ قال: تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لاتخفى عليه منكم خافية، فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من ماء فينضح بها قبلكم، فلعمر إلهك مايخطىء وجه أحد منكم منها قطرة، فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء، وأما الكافر فينضحه – أو قال فينطحه – بمثل

(١) الأزل: الشدة والضيق والجرب

(٢) الأصواء: القبور، أصلها من الصوى وهى الاعلام

الحميم الأسود، ألا ثم ينصرف نبيكم ويتفرق على أثره الصالحون فيسلكون جسراً من النار يطأ أحدكم الجمرة يقول حس يقول ربك عز وجل أو إنه، ألا فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ و اللهناهلة قط ما رأيتها، فلعمر إلهك مايبسط أحد منكم يده إلا وقع عليها قدح يطهره من الطوف والبول والأذى، وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منها واحداً. قال قلت: يارسول الله فبم نبصر؟ قال: بمثل بصرك ساعتك هذه، وذلك مع طلوع الشمس فى يوم أشرقت الأرض وواجهت به الجبار. قال قلت: يارسول الله فبم نجزى من حسناتنا وسيئاتنا؟ قالﷺ: الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن يعفو. قال قلت يارسول الله ما الجنة وما النار؟ قال لعمر إلهك ان النار لها سبعة أبواب مامنها بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً. قلت: يارسول الله فعلام نطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفّى، وأنهار من خمر مابها صداع ولاندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وفاكهة. ولعمر إلهك ماتعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة. قلت يارسول الله أو لنا فيها أزواج ومنهن المصلحات؟ قال: المصلحات للصالحين وفى لفظ الصالحات للصالحين تلذونهن ويلذونكم مثل لذاتكم فى الدنيا غير أن لا توالد. قال لقيط: فقلت يارسول الله أقصى مانحن بالغون ومنتهون إليه؟ فلم يجبه النبي ﷺ: قال قلت: يارسول الله علام أبايعك فبسط النبيﷺ يده وقال: على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة وزيال المشرك وأن لاتشرك بالله إلهاً غيره. قال قلت: يارسول الله وإن لنا مابين المشرق والمغرب؟ فقبض رسول اللهﷺ يده هوظ انى مشترط مالا يعطينيه. قال قلت: نحلُّ منها حيث شئنا ولايجنى على امرىء إلا نفسه. فبسط يده وقال: لك ذلك تحل حيث شئت ولايجنى عليك إلا نفسك. قال فانصرفنا عنه ثم قال: ها إن ذين، ها إن ذين (مرتين)، من أتقى الناس فى الأولى والآخرة. فقال له كعب بن الخدارية أحد بنى بكر بن كلاب: من هم يارسول الله؟ قال بنو المنتفق أهل ذلك منهم. قال فانصرفنا. وأقبلت عليه فقلت: يارسول الله هل لأحد ممن مضى من خير فى جاهليتهم؟ فقال رجل من عرض قريش: والله إن أباك المنتفق لفى النار. قال فكأنه وقع حر بين جلد وجهى ولحمه مما قال لأبى على رءوس الناس، فهممت أن أقول وأبوك يارسول الله، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت يارسول الله وأهلك؟ قال: وأهلي ، لعمر الله حيث ما أتيت على قبر [كافر] عامرى أو قرشى أو دوسى قل : أرسلنى إليك محمد، فأبشر بما يسوؤك، تجر على وجهك وبطنك فى النار. قال قلت: يارسول الله ومافعل بهم ذلك وقد كانوا على عمل لايحسنون إلا إياه، وكانوا يحسبون أنهم مصلحون؟ قال ﷺ: ذلك بأن الله بعث فى آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين، ومن أطاع نبيه كان من المهتدين. ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة قال: حدثنا محمد

ابن منصور الجواز أبو عبد الله قال حدثنا يعقوب بن عيسى الزهرى قال حدثنا عبد الرحمن ابن المغيرة بن عبد الرحمن قال حدثنا عبد الرحمن بن عياش الأنصارى ثم السمعى عن دلهم بن الأسود بن عبد الله عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر أنه خرج وافداً إلى رسول الله ـ ﷺ ومعه نهيك بن عاصم بن مالك بن المنتفق، قال فقدمنا المدينة لانسلاخ رجب، فصلينا معه صلاة الغداة، فقام رسول الله ﷺ في الناس خطيباً وذكر الحديث بنحو ماتقدم مع مغايرة فى بعض الألفاظ. وقال الحافظ ابن القيم بعد أن ساقه فى الهدى عن زوائد المسند: هذا حديث كبير جليل تنادى جلالته وفخامته وعظمته على أنه قد خرج من مشكاة النبوة لايعرف إلا من حديث عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدنى رواه عنه إبراهيم بن حمزة الزبيرى وهما من كبار علماء المدينة ثقتان محتج بهما فى الصحيح احتج بهما إمام أهل الحديث محمد بن إسماعيل البخارى، ورواه أئمة السنة فى كتبهم وتلقوه بالقبول وقابلوه بالتسليم والانقياد ولم يطعن أحد منهم فيه ولا فى أحد من رواته، فممن رواه الإمام ابن الإمام أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حنبل فى مسند أبيه وفى كتاب السنة وقال: كتب إليَّ إبراهيم بن حمزة بن مصعب بن الزبير الزبيرى كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على ماكتبت به إليك فحدث به عني. ومنهم الحافظ الجليل أبو بكر أحمد بن عمرو النبيل فى كتاب السنة له ومنهم الحافظ أبو أحمد محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان العسال فى كتاب المعرفة. ومنهم حافظ زمانه ومحدث أوانه أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبرانى فى كثير من كتبه. ومنهم الحافظ أبو محمد عبد الله بن محمد بن حبان أبو الشيخ الأصبهانى فى كتاب السنة. ومنهم الحافظ ابن الحافظ أبو عبد الله محمد بن اسحاق بن محمد بن يحيى بن منده حافظ اصبهان. ومنهم الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه. ومنهم حافظ عصره أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن اسحاق الأصبهانى، وجماعة من الحفاظ سواهم يطول ذكرهم. وقال ابن منده: روى هذا الحديث محمد بن اسحاق الصنعانى، وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما. قد رواه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين جماعة من الأئمة منهم أبو زرعة الرازى وأبو حاتم وأبو عبد الله محمد بن إسماعيل ولم ينكره أحد ولم يتكلم فى إسناده بل رووه على سبيل القبول والتسليم، ولاينكر هذا الحديث إلا جاهل أو متجاهل أو مخالف للكتاب والسنة. هذا كلام أبى عبد الله بن منده. قلت: وقال ابن كثير بعد ايراده فى الوفود: هذا حديث غريب جداً، وألفاظه فى بعضها نكارة، وقد أخرجه الحافظ البيهقى فى كتاب البعث والنشور، وعبد الحق الأشبيلى فى العاقبة، والقرطبى فى كتاب التذكرة فى أحوال الآخرة. انتهى.

قلت: وقد تكلم ابن القيم عن غريب بعض مفرداته فقال رحمه الله تعالى: قوله «تهضب» أى تمطر. و «الأصواء القبور. والشربة» بفتح الراء الحوض الذى يجمع فيه الماء، وبالسكون الحنطة، يريد أن الماء قد كثر فمن حيث شئت تشرب. وعلى رواية السكون يكون شبه الأرض بخضرتها بالنبات بخضرة الحنطة واستوائها. وقوله«حس» كلمة يقولها الإنسان إذا أصابه على غفلة ما يحرقه أو يؤلمه، قال الأصمعى: وهى مثل أوه. وقوله: يقول عز وجل «أو أنه» قال ابن قتيبة: فيه قولان أحدهما أن يكون بمعنى نعم، والآخر أن يكون الخبر محذوفاً كأنه قال أنتم كذلك، أو انه على مايقول. و«الطوف» الغائط، وفى الحديث «لايصلّ أحدكم وهو يدافع الطوف والبول». و«الجسر» الصراط. وقوله: فيقول ربك «مَهْيَم» أى ما شأنك وما أمرك وفيم كنت؟ وقوله «يشرف عليكم أزلين» الأزْل بسكون الزاى الشدة والأزِل على وزن الكتف هو الذى قد أصابه الأزْل واشتد به حتى كاد يقنط. وقوله «فيظل يضحك» هو من صفات أفعاله سبحانه وتعالى التى لايشبهه فيها شىء من مخلوقاته كصفات ذاته. وقد وردت هذه القصة فى أحاديث كثيرة لاسبيل إلى ردها كما لاسبيل إلى تشبيهها وتحريفها، وكذلك «فأصبح ربك يطوف في الأرض» هو من صفات فعله كقوله ﴿ **وجاء ربك والملك – هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتى ربك**﴾ و«ينزل ربنا كل ليلة إلى سماء الدنيا – ويدنو عشية عرفة فيباهى بأهل الموقف الملائكة».

والكلام فى الجميع صراط واحد مستقيم: إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تحريف ولاتعطيل. وقوله «والملائكة الذين عند ربك» لا أعلم موت الملائكة جاء فى حديث صريح إلا هذا وحديث إسماعيل بن رافع الطويل فى الصور، وقد يستدل عليه بقوله تعالى ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ وقوله «فلعمر إلهك» هو قسم بحياة الرب جل جلاله، وفيه دليل على جواز الإقسام بصفاته وانعقاد اليمين بها وأنها قديمة وأنه يطلق عليه منها أسماء المصادر ويوصف بها. وذلك قدر زائد على مجرد الأسماء وأن الأسماء الحسنى مشتقة من هذه المصادر، دالة عليها. وقوله «ثم تجىء الصائحة» هى صيحة البعث ونفخته. وقوله «حتى يخلف من عند رأسه» هو من أخلف الزرع إذا نبت بعد حصاده تشبيه النشئة الأخرى بعد الموت بخلاف الزرع بعد ما حصد، وتلك الخلفة من عند رأسه كما ينبت الزرع. وقوله «فيستوى جالساً» هذا عند تمام خلقته وكمال حياته، ثم يقوم بعد جلوسه قائماً، ثم يساق إلى موقف القيامة إما راكباً وإما ماشياً.وقوله «يقول يارب أمس اليوم» استقلالا لمدة لبثه فى الأرض كأنه لبث فيها يوماً فقال أمس، أو بعض يوم فقال اليوم، يحسب انه حديث عهد بأهله وأنه إنما فارقهم أمس أو اليوم. وقوله «كيف يجمعنا بعد ما تمزقنا الرياح والبلاء والسباع»؟ وإقرار رسول الله ﷺ له

على هذا السؤال رد على من زعم أن القوم لم يكونوا يخوضون فى دقائق المسائل، ولم يكونوا يفهمون حقائق الإيمان، بل كانوا مشغولين بالعمليات، وأن أفراخ الصابئة والمجوس من الجهمية والمعتزلة والقدرية أعرف منهم بالعلميات. وفيه دليل أنهم كانوا يوردون على رسول الله ﷺ مايشكل عليهم من الأسئلة والشبهات، فيجيبهم عنها بما يثلج صدورهم وقد أورد عليه ﷺ الأسئلة أعداؤه وأصحابه، أما أعداؤه فللتعنت والمغالبة، وأما أصحابه فللفهم والبيان وزيادة الإيمان، وهو يجيب كلا على سؤاله إلا مالا جواب عنه كسؤال عن وقت الساعة . وفى هذا السؤال دليل على أنه سبحانه يجمع أجزاء العبد بعد مافرقها وينشئها نشأة أخرى أو يخلقه خلقاً جديداً كما سموا فى كتابه كذلك فى موضعين منه، وقوله «أنبئك بمثل ذلك فى آلاء الله » آلاؤه نعمه وآياته التى تعرف بها إلى عباده، وفيه إثبات القياس فى أدلة التوحيد والمعاد، والقرآن مملوء منه، وفيه أن حكم الشيء حكم نظيره وأنه سبحانه إذا كان قادراً على شيء فكيف تعجز قدرته عن نظيره ومثله، فقد قرر الله سبحانه أدلة المعاد فى كتابه أحسن تقرير وأبينه وأبلغه وأوصله إلى العقول والفطر، فأبى أعداؤه الجاحدون إلا تكذيباً له وتعجيزاً له وطعناً فى حكمه، تعالى عما يقولون علواً كبيراً، وقوله فى الأرض «أشرفت عليها وهى مدرة بالية» كقوله تعالى ﴿ **يحى الأرض بعد موتها**﴾، وقوله ﴿ **ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج**﴾ ونظائره فى القرآن كثيرة. وقوله «فتنظرون إليه وينظر اليكم» فيه إثبات صفة التجلى لله عز وجل وإثبات النظر له وإثبات رؤيته فى الآخرة ونظر المؤمنين إليه. وقوله «كيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد» قد جاء هذا الحديث وفى قوله فى حديث آخر «لا شخص أغير من الله » والمخاطبون بهذا قوم عرب يعلمون المراد منه ولايقع فى قلوبهم تشبيهه سبحانه بالأشخاص، بل هم أشرف عقولا وأصح أذهاناً وأسلم قلوباً من ذلك، وحقق ﷺ وقوع الرؤية عياناً برؤية الشمس والقمر تحقيقاً لها ونفياً لتوهم المجاز الذى يظنه المعطلون. وقوله «فيأخذ ربك بيده غرفة من الماء فينضح بها قبلكم» فيه إثبات صفة اليد لله عز وجل بقوله وإثبات الفعل الذى هو النضح. و«الريطة» الملاءة. و «الحمم» جمع حممة وهى الفحمة. وقوله «ثم ينصرف نبيكم» هذا انصراف من موضع القيامة إلى الجنة. وقوله «ويفرق على أثره الصالحون» أى يفزعون ويمضون على أثره. قوله «فتطلعون على حوض نبيكم» ظاهر هذا أن الحوض من وراء الجسر فكأنهم لايصلون إليه حتى يقطعوا الجسر. وقد روى البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال«بينا أنا قائم على الحوض إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال لهم: هلم، فقلت: إلى أين؟ فقال إلى النار والله. قلت: ما شأنهم؟ قال: إنهم ارتدوا على

أدبارهم فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم»[1] قال فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط، لأن الصراط إنما هو جسر ممدود على جهنم فمن جازه سلم من النار. قلت: وليس بين أحاديث رسول الله ﷺ تعارض ولاتناقض ولا اختلاف، وحديثه كله يصدّق بعضه بعضاً، وأصحاب هذا القول ان أرادوا أن الحوض لايرى ولايوصل إليه إلا بعد قطع الصراط فحديث أبي هريرة هذا وغيره يرد قولهم، وإن أرادوا أن المؤمنين إذا جازوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض فشربوا منه فهذا يدل عليه حديث لقيط هذا وهو لايناقض كونه قبل الصراط، فان قوله «طوله شهر وعرضه شهر» فاذا كان بهذا الطول والسعة فما الذى يحيل امتداده إلى وراء الجسر فيرده المؤمنون قبل الصراط وبعده، فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق والله أعلم. وقوله «والله على أظمأ ناهلة قط» الناهلة العطاش الواردون الماء، أى يردونه أظمأ ماهم إليه، وهذا يناسب أن يكون بعد الصراط فانه جسر النار وقد وردوها كلهم فلما قطعوه اشتد ظمأهم إلى الماء فوردوا حوضه ﷺ كما وردوه في موقف القيامة. وقوله «تحبس الشمس والقمر» أى تختفيان فتحتبسان ولايريان، والاحتباس التوارى والاختفاء، ومنه قول أبي هريرة «فتحبست». وقوله «مابين البابين مسيرة سبعين عاماً» يحتمل أن يريد به مابين الباب والباب هذا المقدار، ويحتمل أن يريد بالبابين المصراعين، ولايناقض هذا ماجاء من تقديره بأربعين عاماً لوجهين: أحدهما أنه لم يصرح فيه راوية بالرفع بل قال: ولقد ذكر لنا أن مابين المصراعين مسيرة أربعين عاماً، والثانى أن المسافة تختلف باختلاف سرعة السير فيها وبطئه و اللهأعلم. وقوله في خمر الجنة «ما بها صداع ولاندامة» تعريض بخمر الدنيا وما يلحق بها من صداع الرأس والندامة على ذهاب العقل والمال وحصول الشر الذى يوجبه زوال العقل، و«ماء غير آسن» هو الذى لم يتغير بطول مكثه. وقوله في نساء الجنة «غير أن لاتوالد» قد اختلف الناس هل تلد نساء أهل الجنة؟ على قولين: فقالت طائفة لايكون فيها حبل ولا ولادة، واحتجت هذه الطائفة بهذا الحديث وبحديث آخر أظنه في المسند وفيه «غير أن لامني ولامنية». وأثبتت طائفة من السلف الولادة في الجنة واحتجت بما رواه الترمذى في جامعه من حديث أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهى قال الترمذى حسن غريب ، ورواه ابن ماجه . قالت الطائفة الأولى : هذا لا يدل على وقوع الولادة في الجنة فانه علقه بالشرط فقال إذا اشتهى، ولكنه لايشتهى، وهذا تأويل اسحاق بن راهويه حكاه البخارى عنه، قالوا والجنة دار جزاء على الأعمال وهؤلاء ليسوا من أهل

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ، من تحقيقنا ح ٦٢١٥ ، ٦٢٢٠ .

الجزاء، قالوا والجنة دار خلود ولاموت فيها فلو توالد فيها أهلها على الدوام والأوابد لما وسعتهم، وانما وسعتهم الدنيا بالموت. وأجابت الطائفة الأخرى عن ذلك كله وقالت «إذا» إنما تكون للمحقق وقوعه لا المشكوك فيه، وقد صح أنه سبحانه ينشىء في الجنة خلقاً ليسكنهم إياها بلا عمل، قالوا وأطفال المسلمين أيضاً فيها بغير عمل، وأما من حيث سعتها فلو رزق كل واحد منهم عشرة آلاف من الولد وسعتهم، فان أدناهم من ينظر فى ملكه مسيرة ألفى عام، وقوله «يارسول الله أقصى مانحن بالغون ومنتهون» لاجواب لهذه المسألة لأنه إن أراد أقصى مدة الدنيا وانتهائها فلا يعلمه إلا الله، وان أراد أقصى مانحن بالغون إليه بعد دخول الجنة والنار فلاتعلم نفس أقصى ماينتهى إليه من ذلك وان كان الانتهاء إلى نعيم وجحيم، ولهذا لم يجبه النبى ﷺ. وقوله فى عقد البيعة «وزيال المشرك» أى مفارقته ومعاداته فلا تجاوره ولاتواليه، كما جاء فى الحديث الذى فى السنن «لاترى ناراهما» يعنى المسلمين والمشركين. وقوله «حيث مامررت بقبر كافر فقل أرسلنى إليك محمد» هذا إرسال تقريع وتوبيخ، لاتبليغ أمر ونهى، وفيه دليل على سماع أصحاب القبور كلام الأحياء وخطابهم لهم، ودليل على أن من مات مشركا فهو فى النار وان مات قبل البعثة، لأن المشركين كانوا قد غيروا الحنيفية دين إبراهيم واستبدلوا بها الشرك وارتكبوه، وليس معهم حجة من الله به، وقبحه والوعيد عليه بالنار لم يزل معلوماً من دين الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، وأخبار عقوبات الله لأهله متداولة بين الأمم قرناً بعد قرن، فلله الحجة البالغة على المشركين فى كل وقت، ولو لم يكن إلا مافطر عباده عليه من توحيد ربوبيته المستلزم لتوحيد إلهيته وأنه يستحيل فى كل فطرة وعقل أن يكون معه إله آخر. وإن كان سبحانه لايعذب بمقتضى هذه الفطرة وحدها، فلم تزل دعوة الرسل إلى التوحيد فى الأرض معلومة لأهلها، فالمشرك يستحق العذاب بمخالفته دعوة الرسل. والله أعلم.

فصـــــل

ثم منكرو البعث على أربعة أصناف: صنف أنكروا المبدأ والمعاد، وزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هى أرحام تدفع وأرض تبلع، وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

والصنف الثانى من الدهرية طائفة يقال لهم الدورية، وهم منكرون للخالق أيضاً، ويعتقدون أن فى كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شىء إلى ماكان عليه. وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لاتتناهى فكابروا فى المعقول وكذبوا المنقول، قبحهم الله تعالى. وهاتان الطائفتان يعمهم قوله عز وجل ﴿ **وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلا الدهر**﴾ ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول معنى قولهم ﴿ **نموت ونحيا** ﴾ أى

يموت الآباء ويحيى الأبناء هكذا أبداً، وهو قول الطائفة الأولى. والمعنى الثانى أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبداً ولاحساب ولاجزاء، بل ولا موجد ولامعدم ولامحاسب ولامجازى، وهذا قول الدورية.

الصنف الثالث الدهرية من مشركى العرب ومن وافقهم، وهم مقرون بالبداءة، وان الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿ **ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله** ﴾ ومع هذا قالوا ﴿ **إن هى إلا موتتنا الأولى ومانحن بمنشرين** ﴾ فأقروا بالبداءة والمبدىء، وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون فى حديث أبى هريرة الصحيح «وأما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأنى، وليس أول الخلق بأهون علىَّ من إعادته».

والصنف الرابع ملاحدة الجهمية ومن وافقهم، أقروا بمعاد ليس على مافى القرآن ولافيما أخبرت به الرسل عن الله عز وجل، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدماً محضاً، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذ تكون الأرض التى تحدِّث أخبارها وتخبر بما عمل عليها من خير وشر ليست هى هذه، وتكون الأجساد التى تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصى ليست هى التى أعيدت بل هى غيرها، والأبدان التى تنعم فى الجنة وتثاب ليست هى التى عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال، بل هى غيرها تبتدأ ابتداء محضاً، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى ! وما أحسن ماقاله ابن القيم رحمه الله فيهم فى كافيته:

وقضى بأن الله يجعل خلقه	عدماً ويقلبه وجودا ثانى
العرش والكرسى والأورواح والـ	أملاك والأفلاك والقمران
والأرض والبحر المحيط وسائر الـ	أكوان من عرض ومن جثمان
كل سيفنيه الفناء المحض لا	يبقى له أثركظل فان
ويعيد ذا المعدوم أيضاً ثانياً	محض الوجود إعادة بزمان
هذا المعاد وذلك المبدا لدى	جهم وقد نسبوه للقرآن
هذا الذى قاد ابن سينا والألى	قالوا مقالته إلى الكفران
لم تقبل الأذهان ذا وتوهموا	أن الرسول عناه بالإيمان
هذا كتاب الله أنَّى قال ذا	أو عبدُه المبعوث بالبرهان
أو صحبه من بعده أو تابع	لهمو على الإيمان والإحسان
بل صرَّح الوحى المبين بأنه	حقاً مغير هذه الأكوان
فيبدل الله السماوات العلى	والأرض أيضاً ذا تبديلان
وهما كتبديل الجلود لساكنىَ النـ	يران عند النضج من نيران

وكـذاك يقـبض أرضـه وسـمـاءه … بيـديه مـا العـدمـان مـقـبـوضـان
وتحـدّث الأرض التى كنا بهـا … أخبـارها فى الحـشـر للرحـمن
وتظل تشـهـد وهى عـدل بالذى … من فـوقـهـا قـد أحـدث الثـقـلان
أفيشـهـد العدم الذى هو كاسمه … لاشـىء هـذا لـيـس فـى الامـكـان
لكن تسـوى ثمّ تبسط ثم تشـهـد … ثم تبـدل وهى ذات كـيـان
وتمد أيضـاً مـثل مـد أديمنا … من غـيـر أودية ولا كـثـبـان
وتقىء يوم العـرض من أكـبـادها … كـالاسطوان نفـائس الأثمـان
كل يراه بعـيـنه وعـيـانه … مـالامـرىء بالأخـذ منه يدان
وكـذا الجبـال تفتُّ فتـاً مـحكمـا … فـتـعـود مـثل الرمل ذى الكثـبـان
وتكون كـالعـهن الذى لو أنه … وصـبـاغـه من سـائر الألوان
وتبـس بسـاً مـثل ذاك فـتنثنى … مـثل الهـبـاء لناظر الإنسـان
وكـذا البـحـار فـانهـا مـسـجـورة … قـد فـجـرت تفـجـيـر ذى سلطان
وكـذلك القـمـران يأذن ربنا … لهـمـا فـيـجـتـمـعـان يلتـقـيـان
هـذى مـكـوّرة وهـذا خـاسـف … وكـلاهمـا فى النار مطروحـان
وكـواكب الأفـلاك تنثـر كلهـا … كـلآلئ نثـرت على مـيـدان
وكـذا السـمـاء تشق شـقـاً ظاهراً … وتمـور أيضـاً أيمـا مـوران
وتصيـر بعد الانشقـاق كمثل هذا … المـهـل أو تـلـك وردة كـدهـان
والعـرش والكرسى لايفنيـهـمـا … أيضـاً وإنـهـمـا لمخلوقـان
والحـور لاتفنى كـذلك جنة … المأوى ومـافـيـهـا من الولدان
ولأجل هذا قـال جـهـم إنهـا … عـدم ولـم تخـلق إلى ذا الآن
والأنبـيـاء فـانهم تحت الثـرى … أجـسـادهـم حـفظت من الديدان
مـا للبلى بلحـومـهم وجسـومـهم … أبداً وهـم تحت التـراب يدان
وكـذلك عـجب الظهـر لايبلى بلى … منه تركـب خلقـة الإنسـان
وكـذلك الأرواح لاتبلى كـمـا … تبلى الجـسـوم ولابلى اللحـمـان
ولأجل ذلك لم يقـر الجـهـم مـا … الأرواح خـارجـة عن الأبـدان
لكنهـا من بعض أعـراض بهـا … قـامت وذا فى غـاية البطلان
فـالشـأن للأرواح بعـد فـراقـهـا … أبـدانـها والله أعـظـم شـان
إمـا عـذاب أو نعـيـم دائم … قـد نعـمـت بالروح والريحـان
وتصيـر طيـراً سـارحـا مع شكلهـا … تجنى الثـمـار بجنة الحـيـوان

وتظل واردة لأنهار بها ... حتى تعود لذلك الجثمان
لكن أرواح الذين استشهدوا ... فى جوف طير أخضر ريان
فلهم بذلك مزية فى عيشهم ... ونعيمهم للروح والأبدان
بذلوا الجسوم لربهم فأعاضهم ... أجسام تلك الطير بالإحسان
ولها قناديل إليها تنتهى ... مأوى لها كمساكن الإنسان
فالروح بعد الموت أكمل حالة ... منها بهذى الدار فى جثمان
وعذاب أشقاها أشد من الذى ... قد عاينت أبصارنا بعيان
والقائلون بأنها عرض أبوا ... ذا كله تباً لذى نكران
وإذا أراد الله إخراج الورى ... بعد الممات إلى المعاد الثانى
ألقى على الأرض التى هم تحتها ... والله مقتدر وذو سلطان
مطرا غليظاً أبيضاً متتابعاً ... عشراً وعشراً بعدها عشران
فتظل تنبت منه أجسام الورى ... ولحومهم كمنابت الريحان
حتى إذا ما الأم حان ولادها ... وتمخضت فنفاسها متدان
أوحى لها رب السما فتشققت ... فبدا الجنين كأكمل الشبان
وتخلت الأم الولود وأخرجت ... أثقالها أنثى ومن ذكران
والله ينشىء خلقه فى نشأة ... أخرى كما قد قال فى القرآن
هذا الذى جاء الكتاب وسنة ... الهادى به فاحرص على الإيمان
ماقال إنالله يعدم خلقه ... طراً كقول الجاهل الحيران

قوله «هذا المعاد لدى جهم» تقدم تقريره وتقدم ترجمة جهم وبيان مذهبه وعمن أخذه ومن أخذ عنه. وقوله «وهو الذى قاد ابن سينا» هو أبو على بن سينا واسمه الحسن بن عبدالله، وهورئيس الفلاسفة ومهذب مذهبهم، له كتاب الإشارات الذى هذب فيه مذهب أرسطو وقربه قليلا إلى الأديان، وكان - فيما ذكر بن القيم - يقول بقدم العالم وإنكار المعاد ونفى علم الرب تعالى وقدرته وخلقه العالم وبعثه من فى القبور، وكان ابن سينا هذا تفقه مذهب الفلاسفة من كتب الفارابى أبى نصر التركى الفيلسوف، وكان الفارابى هذا قبحه الله يقول بالمعاد الروحانى لا الجثمانى، ويخصص بالمعاد الأرواح العالمة لا الجاهلة، وله مذاهب فى ذلك يخالف المسلمين والفلاسفة من سلفه الأقدمين، وتحمل ذلك عنه ابن سينا ونصره، وقد رد عليه الغزالى فى تهافت الفلاسفة فى عشرين مجلساً له كفّره فى ثلاث منها وهى قوله بقدم العالم، وعدم المعاد الجثمانى، وقوله إن الله لايعلم الجزئيات،

وبدّعه في البواقي. قال ابن كثير ويقال انه تاب عند الموت فالله أعلم، قوله رحمه الله «والألى قالوا مقالته إلى الكفران» يعنى بذلك أتباع ابن سينا وأنصار زندقته ومن أكبرهم وأشهرهم النصير الطوسى واسمه محمد بن عبد الله ويقال له الخواجا نصير الدين، فإنه انتدب لنصر مذهب ابن سينا والذب عنه وقام فى ذلك وقعد وشرح إشاراته وكان يسميها فيما يزعمون قرآن الخاصة، ويسمى كتاب الله تعالى قرآن العامة، ورد على الشهرستانى فى مصارعته ابن سينا بكتاب سماه مصارعة المصارع، قال ابن القيم: وقفنا على الكتابين، نصر فيه أن الله تعالى لم يخلق السموات والأرض فى ستة أيام، وأنه لايعلم شيئاً، وأنه لايفعل شيئاً بقدرته واختياره، ولايبعث من فى القبور. وذكر عنه أنه تعلم السحر فى آخر الأمر فكان ساحراً يعبد الأصنام، إلى أن قال: وبالجملة فكان هذا الملحد هو وأتباعه من الكافرين بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. قلت وكان الطوسى هذا فيما ذكر أهل التاريخ وزيرا لهولاكوخان [1] وهو الذى بنى الرصد بمراغة ورتب فيه الحكماء من الفلاسفة والمتكلمين والأطباء وغيرهم ونقل إليها أوقاف المسلمين من النفقات والمكاتب وغيرها. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: إنه عمل الرصد بمدينة مراغة سنة سبع وخمسين وستمائة فعمل دار حكمة ورتب فيها فلاسفة ورتب لكل واحد فى اليوم والليلة ثلاثة دراهم، ودار طب فيها للطبيب فى اليوم درهمان، ومدرسة لكل فقيه في اليوم درهم، ودار حديث لكل محدث نصف درهم فى اليوم. وقد أطال ابن القيم رحمه الله تعالى فى الكلام عليه فليراجع . وأما هو لا كوفان ملك التتار الذى كان الطوسى وزيراً له فذكر ابن كثير هلاكه فى سنة أربع وستين وستمائه وقال كان ملكا جباراً كفاراً لعنه الله تعالى ، قتل من المسلمين شرقاً وغرباً ما لايعلم عددهم إلا الذى خلقهم وسيجازيه على ذلك شر الجزاء. كان لايتقيد بدين من الأديان، وإنما كانت زوجته ظفر خاتون قد تنصرت وكانت تفضل النصارى على سائر الخلق. وكان أهلها من أفراخ الفلاسفة لهم عنده وجاهة ومكانة. وهو كان يترامى على محبة المعقولات ولايتصور منها شيئاً. وإنما كان همته فى تدبير الملك وتملك البلاد شيئاً فشيئاً حتى أباده الله فى هذه السنة وقيل فى سنة ثلاث وستين ودفن فى مدينة تلا. لا رحمه الله تبارك وتعالى وقول ابن القيم رحمه الله:

بل صرح الوحى المبين بأنه   حقاً مغير هذه الأكوان الخ

يشير بذلك إلى قول الله عز وجل ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ الآيات، وإلى مافى الصحيحين من حديث أبى حازم عن سهل بن سعد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقى ليس فيها معلم لأحد»، وفى صحيح البخارى عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ

---

(١) يراجع الحقيقة لنصير الطوسى التعليق على (المنتقى من ميزان الاعتدال) صفحة ٢٠

«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة» وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أنا أول الناس سأل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ قالت قلت: أين الناس يومئذ يارسول الله ؟ قال «على الصراط» وفيه من حديث اليهودى الذى سأل رسول الله ﷺ :أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ «هم في الظلمة دون الجسر» الحديث، ولابن جرير الطبرى رحمه الله تعالى عن أبي أيوب الانصارى رضى الله عنه أن حبراً من اليهود سأل النبي ﷺ فقال: أرأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فأين الخلق عند ذلك؟ فقال « أضياف الله ، فلن يعجزهم مالديه» ورواه ابن أبي حاتم أيضاً. وفي حديث الصور الطويل عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺأنه قال «يبدل الله الأرض غير الأرض والسموات فيبسطها ويمدها مد الاديم العكاظى لاترى فيها عوجاً ولا أمتا. ثم يزجر الله الخلق زجرة فإذا هم في هذه المبدلة». وهذا هو الذى أشار رحمه الله تعالى اليه بقوله: وتمد أيضاً مثل مد أديمنا الخ البيت وقوله : وهما كتبديل الجلود لساكنى النيران الخ يشير إلى قول الله تعالى ﴿ **كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب** ﴾ ووجه المشابهة بين التبديلين أن جلود الكفار كلما احترقت قيل لها عودى فعادت كما كانت، ومعنى قوله «غيرها» أى صارت غيرها لعودها بعد مانضجت واحترقت، وإلا فهى هى التى عملت المعاصى في الدنيا وبها تجازى في الآخرة. وقال ابن عباس رضى الله عنهما يبدلون جلوداً بيضاً أمثال القراطيس، يعنى تجدد لهم الجلود التى نضجت كذلك ليتجدد لهم العذاب أبداً والعياذ بالله. وكذلك تبديل الأرض والسموات هو تغييرها من حال إلى حال وإلا فهى هى. والله أعلم.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذاك يقبض أرضه وسماءه بيديه الخ. يشير إلى قول الله تعالى ﴿ **يوم نطوى السماء كطى السجل للكتب كما بدأنا أول خلق نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾ وفي الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: جاء رجل من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: يامحمد إنا نجد أن الله عز وجل يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على أصبع، وسائر الخلق على إصبع فيقول أنا الملك. فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿ **وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة** ﴾ الآية. وللإمام أحمد والترمذى رحمهما الله عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر يهودى

برسول الله وهو جالس فقال: كيف نقول يا أبا القاسم يوم يجعل الله سبحانه وتعالى السماء على ذه؟ وأشار بالسبابة، والأرض على ذه والجبال على ذه وسائر الخلق على ذه، كل ذلك ويشير باصابعه، قال فأنزل الله عـز وجـل ﴿ **وماقدروا الله حق قدره** ﴾ الآية، وفي الصحيحين أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض» وفيهما عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «إن الله تبارك وتعالى يقبض يوم القيامة الأرضين على اصبع وتكون السموات بيمينه ثم يقول أنا الملك» وفي لفظ لمسلم «يأخذ الله تبارك وتعالى سماواته وأرضه بيده ويقول أنا الملك – ويقبض أصابعه ويبسطها – أنا الملك، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه حتى انى لأقول أساقط هو برسول الله ﷺ »، ولفظ أحمد. رحمه الله تعالى عن ابن عمر رضي الله عنهما قال«إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبـر ﴿ **وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر: يمجد الرب نفسه، أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر حتى قلنا ليخرنّ به» ولابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: يطوى الله السموات السبع بما فيها من الخليقة والأرضين السبع بما فيها من الخليقة، يطوى ذلك كله بيمينه يكون ذلك كله في يده بمنزلة خردلة.

وقوله رحمه الله تعالى «وتحدّث الأرض التي كتابها، أخبارها الخ» يشير إلى قوله تعالى ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها، بأن ربك أوحى لها** ﴾ وروى الإمام أحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ هـذه الآية ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها** ﴾ قـال «أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فان أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، أن تقول عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا. فهذه أخبارها ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب. وفي معجب الطبراني من حديث ابن لهيعة حدثني الحارث بن يزيد سمع ربيعة الحدسي أن رسول الله ﷺ قال: تحفظوا من الأرض فانها أمكم، وانه ليس من أحد عامل عليها خيراً أو شراً إلا وهي نخبره وقال البخاري رحمه الله تعالى: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها واحد. وكذا قال ابن عباس. وعنه رضي الله عنه قال: قال لها ربها قولى فقالت. وقال مجاهد: أوحى لها أى أمرها.

وقوله رحمه تعالى:

وتقىء يوم العرض من أكبادها كالاسطوان نفائس الأثمان

كل يراه بعينه الخ. يشير إلى قول الله عـز وجل ﴿ **وأخرجت الأرض أثقالها** ﴾ وإلـى ماروا‍ه مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ

«تلقى الأرض أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان من الذهب والفضة فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت، ويجيء القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، القاطع فيقول في هذا قطعت رحمي، ويجيء السارق فيقول في هذا قطعت يدي، ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً.

وقوله «وكذا الجبال تفت فتاً محكما الخ» يشير إلى قول الله عز وجل: ﴿ **ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً، فيذرها قاعا صفصفا، لاترى فيها عوجاً ولا أمتا** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب** ﴾ الآية، وقوله عز وجل ﴿ **وبست الجبال بسا، فكانت هباء منبثا** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وتكون الجبال كالعهن**﴾ وفى آية القارعة ﴿ **كالعهن المنفوش** ﴾ وقول عز وجل ﴿ **يوم ترجف الأرض والجبال وكانت الجبال كثيبا مهيلا** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وإذا الجبال نسفت** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وإذا الجبال سيرت** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وسيرت الجبال فكانت سرابا** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وحملت الأرض والجبال فدكتا دكة واحدة** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة** ﴾ ومافى معانيها من الآيات. قال ابن عباس رضى الله عنهما: سأل رجل من ثقيف رسول اللهﷺ : كيف تكون الجبال يوم القيامة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية ﴿ **ويسألونك عن الجبال** ﴾ أى هل تبقى يوم القيامة أو تزول ﴿ **فقل ينسفها ربى نسفا**﴾ أى يذهبها عن أماكنها ويسيرها تسييرا فيذرها أى الأرض قاعا صفصفا أى بسطا واحداً، والقاع هو المنبسط المستوى من الأرض والصفصف الأملس ﴿ **لاترى فيها عوجا ولا أمتا** ﴾ أى لاترى في الأرض يومئذ واديا ولارابية ولاصدعا ولاأكمة ولامكانا منخفضا ولامرتفعا. كذا قال ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن البصرى والضحاك وقتادة وغير واحد من السلف رحمهم الله تعالى. وقوله تعالى ﴿ **تحسبها جامدة** ﴾ أى قائمة واقفة ﴿**وهي تمر مر السحاب** ﴾ أى تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض، قال البغوى رحمه الله تعالى: وذلك أن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرته وبعد مابين أطرافه فهو في حسبان الناظر واقف وهو سائر، كذلك سير الجبال لايرى يوم القيامة لعظمها، كما أن سير السحاب لايرى لعظمه وهو سائر. وقال ابن عباس ومجاهد وعكرمة وقتادة وغيرهم في قوله تعالى ﴿ **وبُسّت الجبال بَسًا** ﴾ : أى فتتت فتا: وقال عطاء ومجاهد ومقاتل: فصارت كالدقيق المبسوس، وهو المبلول. قال سعيد بن المسيب والسُّدى: كسرت كسراً. وقال الكلبى: سيرت على وجه الأرض تسييرا. وقال الحسن: قلعت من أصلها فذهبت. ونظيرها ﴿ **فقل ينسفها ربى نسفا** ﴾ وقال ابن كيسان: جعلت كثيبا مهيلا بعد أن كانت شامخة طويلة، ﴿ **فكانت هباء منبثا** ﴾: غباراً متفرقا كالذى يرى فى شعاع

الشمس إذ دخل الكوة وهو الهباء. وقال أبو اسحاق عن الحارث عن على رضى الله عنه ﴿ **هباء منبثا** ﴾: كرهج الغبار يسطع ثم يذهب فلا يبقى منه شىء. وقال العوفى عن ابن عباس: الهباء يطير من النار إذا اضطرمت، يطير منه الشرر، فاذا وقع لم يكن شيئا. وقال عكرمة: المنبث الذى قد ذرته الريح وبثّته. وقال قتادة: هباء منبثا، مثل الشجر الذى تذروه الرياح، وقال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والحسن وقتادة وعطاء الخراسانى والضحاك والسدّى: العهن الصوف، وقال البغوى: كالصوف المصبوغ، ولايقال عهن إلا للمصبوغ. وقال الحسن: كالصوف الأحمر وهو أضعف الصوف. وقال: المنفوش المندوف. وقال ابن كثير: المنفوش الذى قد شرع فى الذهاب والتمزق. وقال فى قوله ﴿ **كثيبا مهيلا** ﴾ : أى تصير ككثبان الرمل بعد ماكانت حجارة صماء. وقال البغوى: رملا سائلا. قال الكلبى: هو الرمل الذى إذا أخذت منه شيئا تبعك مابعده، يقال أهلت الرمل أهيله هيلا إذا حركت أسفله حتى انهال من أعلاه. وقال ﴿ **نسفت** ﴾ قلعت من أماكنها. وقال ابن كثير: ذهب بها فلا يبقى لها عين ولا أثر. وقال فى ﴿ **فكانت سرابا** ﴾: أى يخيل إلى الناظر أنها شىء، وليست بشىء، وبعد هذا تذهب بالكلية فلا عين ولا أثر. وقال فى ﴿ **وتسير الجبال** ﴾ : تذهب عن أماكنها وتزول ﴿ **وترى الأرض بارزة** ﴾ أى بادية ظاهرة ليس فيها معلم لأحد، ولا مكان يوارى أحدا، بل الخلق كلهم ضاحون لربهم لاتخفى عليه منهم خافية. قال مجاهد وقتادة ﴿ **وترى الأرض بارزة** ﴾: لا حجر فيها ولا غيابة. وقال قتادة أيضاً: لابناء ولا شجر. وقال البغوى: ﴿ **فدكتا** ﴾ كسرتا ﴿ **دكة** ﴾ كسرة ﴿ **واحدة** ﴾ قال: وأول ما تتغير الجبال تصير رملا مهيلا، ثم عهنا منفوشاً، ثم تصير هباء منثورا.

وقوله رحمه الله تعالى: وكذا البحار فانها مسجورة، قد فجرت الخ يشير إلى قوله تعالى ﴿ **وإذا البحار سُجِّرت** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **وإذا البحار فُجرت** ﴾ قال على بن أبى طلحة عن ابن عباس: فجر الله تعالى بعضها فى بعض وقال الحسن : فجر الله تعالى بعضها فى بعض فذهب ماؤها. وقال قتادة: اختلط عذبها بمالحها. وقال الكلبى ملئت. قوله تعالى ﴿**سُجِّرت** ﴾ قال ابن عباس: اوقدت فصارت ناراً تضطرم. وقال مجاهد ومقاتل: يعنى فجر بعضها فى بعض، العذب والملح، فصارت كلها بحراً واحداً. من الحميم لأهل النار. وقال الحسن: يبست. وهو قول قتادة، قال: ذهب ماؤها فلم يبق فيها قطرة. والمعنى المتحصل من أقوالهم رحمهم الله أنها يفجر بعضها فى بعض فتمتلىء ثم تسجر ناراً فيذهب ماؤها، ولهذا جمع ابن القيم رحمه الله تعالى بينهما فقال «مسجورة قد فجرت» والله تعالى أعلم. وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك القمران يأذن ربنا لهما فيجتمعان» الخ يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ **وخسف القمر – وجمع الشمس والقمر** ﴾ وقوله ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾

خسف: أظلم وذهب نوره وضوؤه. ﴿ **وجمع الشمس والقمر** ﴾ أى صارا أسودين مكورين كأنهما ثوران عقيران. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾: أظلمت. وقال العوفى عنه: ذهبت. وقال مجاهد: اضمحلت وذهبت. وكذا قال الضحاك. وقال قتادة: ذهب ضوؤها. وقال سعيد بن جبير: كوِّرت غورت. وقال ربيع بن خيثم: رمى بها. وقال أبو صالح: القيت. وعنه أيضاً: نكست. وقال زيد بن أسلم: تقع فى الأرض. وقال ابن جرير: والصواب عندنا من القول فى ذلك أن التكوير جمع الشىء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة، وجمع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى ﴿ **كورت** ﴾ جمع بعضها إلى بعض ثم لفت فرمى بها، وإذا فعل بها ذلك ذهب ضوؤها. ولابن أبى حاتم عن ابن عباس ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ قال: يكور الله تعالى الشمس والقمر والنجوم يوم القيامة فى البحر ويبعث الله تعالى ريحا دبوراً فيضرمها ناراً. وكذا قال عامر الشعبى. ولابن أبى حاتم عن ابن يزيد بن أبى مريم عن أبيه أن رسول الله قال فى قول الله تعالى ﴿ **إذا الشمس كورت** ﴾ قال «كورت فى جهنم» وللبخارى عن أبى هريرة رضى عنه عن النبى ﷺ «الشمس والقمر يكوران يوم القيامة». وللبزار عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الشمس والقمر ثوران فى النار عقيران يوم القيامة».

وقوله رحمه الله تعالى «وكواكب الأفلاك تنثر كلها الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ **وإذا النجوم انكدرت** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وإذا الكواكب انتثرت** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **فاذا النجوم طمست** ﴾ أى محى نورها وذهب ضوؤها. وانكدرت: تناثرت من السماء وتساقطت على الأرض. يقال انكدر الطائر إذا سقط عن عشه. قال الكلبى وعطاء: تمطر السماء يومئذ نجوماً فلا يبقى نجم إلا وقع.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذا السماء تشق شقاً ظاهراً وتمور» الخ يشير إلى قوله تعالى ﴿ **إذ السماء انشقت** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وانشقت السماء فهى يومئذ واهية** ﴾ وقوله ﴿ **يوم تشقق السماء بالغمام** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **السماء منفطر به** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إذا السماء انفطرت** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وإذا السماء كشطت** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **إذا السماء فرجت** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **وفتحت السماء فكانت أبوابا** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **يوم تمور السماء مورا** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **يوم تكون السماء كالمهل** ﴾ وقوله ﴿ **فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان** ﴾ قوله ﴿ **انشقت** ﴾: أى صارت أبوابًا لنزول الملائكة ﴿ **فكانت وردة** ﴾ عن ابن عباس: تغير لونها، وعنه قال كالفرس الورد. وقال أبو صالح: كالبرذون الورد. وحكى البغوى وغيره أن الفرس الورد تكون فى الربيع صفراء وفى الشتاء حمراء فاذا اشتد البرد

اغبر لونها، فشبه السماء فى تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس فى تلونه ﴿ **كالدهان** ﴾ قال الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع: هو جمع دهن، شبه السماء فى تلونها بلون الورد من الخيل، وشبه الوردة فى اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وقال عطاء بن أبى رباح: كالدهان كعصير الزيت يتلون فى الساعة ألواناً، وقال مقاتل كدهن الورد الصافى، وقال ابن جريج: تصير السماء كالدهن الذائب، وذلك حين يصيبها حر جهنم. وقال ابن عباس والكلبى: كالدهان أى كالأديم الأحمر وجمعه دهنة ودهن. وقال عطاء الخراسانى: كلون الدهن فى الصفرة، وقال قتادة: هى اليوم خضراء ويومئذ لونها إلى الحمرة يوم ذو ألوان، وقال ابن كثير رحمه الله : تذوب كما يذوب الدردى والفضة فى السبك، وتتلون كما تتلون الأصباغ التى يدهن بها فتارة حمراء وصفراء وزرقاء وخضراء، وذلك من شدة الأمر وهول يوم القيامة العظيم. وللإمام أحمد عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «يبعث الناس يوم القيامة والسماء تطش عليهم» قال الجوهرى: الطش المطر الضعيف. وقوله تعالى ﴿ **يوم تمور السماء مورا** ﴾ قال ابن عباس وقتادة: تتحرك تحريكا، وعنه: هو تشققها. وقال مجاهد: تدور دوراً، وقال الضحاك: استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها فى بعض، وهذا اختيار ابن جرير أنه التحرك فى استدراة. وقال عطاء الخراسانى: تختلف أجزاؤها بعضها فى بعض، وقيل تضطرب، وقال البغوى: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤ السفينة. قال: والمور يجمع هذه المعانى كلها: فهو فى اللغة الذهاب والمجىء، والتردد والدوران، والاضطراب. وقال تعالى ﴿ **وانشقت السماء فهى يومئذ واهية، والملك على أرجائها** ﴾ عن على قال: تنشق السماء من المجرة رواه ابن أبى حاتم، والملك اسم جنس – أى الملائكة – على أرجاء السماء، قال ابن عباس على مالم ير منها أى حافاتها. وكذلك قال سعيد بن جبير والأوزاعى، وقال الضحاك: أى أطرافها، وقال الحسن البصرى: أبوابها، وقال الربيع بن أنس: على ما استرق من السماء ينظرون إلى أهل الأرض. وقوله تعالى ﴿**السماء منفطر به** ﴾: متشقق. قال الحسن وقتادة أى بسببه من شدته وهوله، و﴿ **فرجت** ﴾ قال ابن كثير: أى انفطرت وانشقت وتدلت أرجاؤها ووهت أطرافها.

وقوله رحمه الله «والعرش والكرسى لايفنيهما الخ» وكذا قوله «والحور لا تفنى كذلك جنة المأوى الخ» يعنى أن هذه الأشياء مخلوقة للبقاء لاللفناء، والمخلوق للبقاء باق لا بنفسه بل بإبقاء الله إياه، وقد ذكر الله تعالى الجنة ونعيمها ودوامها وخلود أهلها فيها وذكر النار وجحيمها ودوام عذابها وخلود أهلها فيها فى مواضع كثيرة من كتابه، وسيأتى ذكر ماتيسر منها. وقد جاء فى تفسير قوله ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى**

الأرض إلا من شاء الله ﴾ : ان المراد بذلك الشهداء والحور العين ورضوان وزبانية العذاب، وقد قال الإمام أحمد فى ذلك : إنه هو اعتقاد السلف الصالح. قال فان احتج متبدع بقوله عز وجل **﴿ كل شى هالك إلا وجهه ﴾** و **﴿ كل من عليها فان ﴾** قيل إن المراد كل شىء كتب عليه الهلاك والفناء هالك فان. ويؤيد ذلك الاستثناء المذكور فى سورة الزمر، وأيضاً فان الجنة دار مقام وسرور وسلامة والموت ضد ذلك فكيف يكتب على من فيها موت. وكذا جاء فى العرش أن الله يأمره أن يأخذ الصور من إسرافيل عليه السلام عند موته كما فى حديث الصور الطويل. وقوله «ولأجل هذا قال جهم إنها عدم الخ» يعنى أن لجهم إلحادا فى آيات الله جميعها، فكما ألحد فى آيات الأسماء والصفات ألحد أيضا فى آيات الوعد والوعيد. وجحد وجود الجنة والنار الآن، وكذلك الآيات والأحاديث الواردة فيهما وقضى أيضاً بفنائهما وأنهما يفنيان ومن فيهما، وذلك بخلاف النصوص القويمة والفطر المستقيمة كما سيأتى إن شاء الله. وقوله رحمه الله :

والأنبياء فانهم تحت الثرى   أجسادهم حفظت من الديدان الخ

يشير إلى مافى السنن وغيرها وصححه ابن حبان من حديث أوس بن أوس رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ «إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة،وفيه الصعقة. فأكثروا علىّ من الصلاة فيه، فان صلاتكم معروضة على. قالوا: يارسول الله كيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال يقولون بليت. قال: ان الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» وقال ابن وهب: أخبرنى عمرو بن الحارث عن سعيد ابن أبى هلال عن زيد بن أيمن عن عبادة بن نسى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ « أكثروا علىّ من الصلاة يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة، وإن أحداً لايصلى علىّ إلا عرضت علىّ صلاته حتى يفرغ. قال: قلت وبعد الموت؟ قال إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»، ورواه ابن ماجه بإسناد جيد، وفى رواية للطبرانى «ليس من عبدٍ يصلى على إلا بلغنى صلاته. قلنا: وبعد وفاتك؟ قال: وبعد وفاتى، إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والأحاديث فى بلوغ صلاتنا اليه، وعرض أعمالنا عليه كثيرة جداً، وبعضها فى الصحيحين لكن بدون ذكر الأجساد.

وقد ثبت أيضاً فى أجساد الشهداء أنها لاتبلى فكيف بأجساد الأنبياء، كما قال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا بشر بن المفضل حدثنا حسين المعلم عن عطاء عن جابر قال «لما حضر أُحد دعانى أبى من الليل فقال لى: ماأرانى إلا مقتولا فى أول من يقتل من أصحاب النبى ﷺ، وإنى لا أترك بعدى أعز علىّ منكِ غير نفس رسول الله ﷺ ، وإن علىّ ديناً فاقض واستوص باخواتك خيراً. فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت

معه آخر فى قبره، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته هيئة غير أذنه. ولأصحاب السنن عنه رضى الله عنه من حديث طويل، وفيه فبينا أنا فى خلافة معاوية بن أبى سفيان إذ جاءنى رجل فقال: يا جابر بن عبد الله ، والله لقد أثار أباك عمال معاوية فبدا فخرج طائفة منه، فأتيته فوجدته على النحو الذى دفنته، لم يتغير إلا ما لم يدع القتل أو القتيل. وللبيهقى عنه رضى الله عنه قال:لما أجرى معاوية العين عند قتلى أحد بعد أربعين سنة استصرخناهم إليهم فأتيناهم فأخرجناهم، فأصابت المسحاة قدم حمزة فانبعث دماً. وفى رواية ابن إسحاق عنه قال «فأخرجناهم كأنما دفنوا بالأمس»، وذكر الواقدى أن معاوية لما أراد أن يجرى العين ناد مناديه : من كان له قتيل بأحد فليشهد، قال جابر: فحفرنا عنهم فوجدت أبى فى قبره كأنما هو نائم على هيئته، ووجدنا جاره فى قبره – عمرو بن الجموح – ويده على جرحه، فأزيلت عنه فانبعث جرحه دماً. ويقال إنه فاح من قبورهم مثل ريح المسك، رضى الله عنهم أجمعين، وذلك بعد ست وأربعين سنة من يوم دفنوا. وفى ذلك آثار كثيرة.

وقوله رحمه الله تعالى «وكذاك عجب الظهر لايبلى الخ» يشير إلى حديث أبى هريرة المتقدم قريباً وفيه «وليس من الإنسان شيء إلا سيبلى، إلا عظما وهو عجب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة».

وقوله رحمه الله تعالى «وكذلك الأرواح لا تبلى الخ» يشير إلى ماتقدم ذكر بعضه قريباً من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة من أن الأرواح ليست هى مطلق حياة الجسم العارضة، بل هى حقيقة أخرى مستقلة يعمر الجسد بحلولها فيه ويفسد بخروجها منه، وهى النسمة التى يموت الإنسان بخروجها من جسده، وأنها لها حقيقة، وأنها تنفخ وتقبض وتصعد وتهبط، وأنها بعد مفارقتها الجسد إما أن تنعم أوتعذب، وإما أن تفتح لها أبواب السماء حتى ينتهى بها إلى الله ، أو تغلق دونها فيذهب بها إلى سجين والعياذ بالله كما قدمنا ذلك ولله الحمد، وأنها تجمع فى الصور وتطير بنفخ إسرافيل إذا أمره الله ، فتطير كل روح إلى جسدها الذى كانت تعمره فى الدنيا حتى تدخله وتدب فيه دبيب السم فى اللديغ حتى يقوم بشراً سوياً، وأنها بعد خروجها من الجسد تكلم وتتكلم وتسأل وتجيب وتخبر كما ثبت ذلك بنصوص الكتاب والسنة، وأما كيفية الروح وكنهها فليس لبشر العلم به ولا الاطلاع عليه، ولها لما سألت اليهود النبى ﷺ عنه أنزل الله تعالى جوابهم ﴿ **قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا** ﴾. وقوله رحمه الله تعالى :

ولأجل ذلك لم يقر الجهم ما الأرواح خارجة من الأبدان لكنها من بعض أعراض بها الخ.

يعنى أن مذهب الجهم فى الروح هو مذهب الفلاسفة الحائرين أن الروح ليس شيئاً يقوم بنفسه بل عرض والعرض فى اصطلاحهم هو مالا يستقل ولا يستقر، فمنزلة الروح عندهم من الجسد كمنزلة السمع من السامع والبصر من المبصر، يذهب بذهابه، بل قد يذهب البصر والسمع والذات التى يقوم بها موجودة، فجحدوا أن لكون النفس التى هى الروح شيئاً قائماً بنفسه، وأنه ينفخ فى الجنين فى بطن أمه بعد الأربعين الثالثة، وأن ﴿ ا **يتوفى الأنفس حين موتها والتى لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى** ﴾، وجحدوا كونها شيئاً يساق وينزع عند الموت ويعرج بها إلى الله عز وجل فيفتح لها أبواب السماء إن كانت محسنة أو تغلق دونها إن كانت مسيئة، ولا أن روح الأنبياء والمؤمنين فى الرفيق الأعلى وأرواح الكفار فى سجين، فكذبوا بالكتاب، وبما أرسل الله به رسله، فضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل.

وقوله رحمه الله تعالى:

«فالشأن للأرواح عند فراقها أبدانها والله أعظم شان»

يعنى أنه أعظم شأناً من الحياة الدنيا، وذلك لأنه يكون إذ ذاك الخبر عياناً، والغيب شهادة والمستور مكشوفاً، والمخبأ ظاهراً، فليس الخبر كالمعاينة ولا علم اليقين كعين اليقين، فالمصدق يرى ويجد مصداق ماجاء به النص كما علمه وتيقنه فيزداد بشرى وفرحاً وسروراً، والمكذب يرى ويجد حَور تكذيبه بذلك، وغب ما جناه على نفسه ويذوق وبال أمره، وكل يفضى إلى ما قدم.

وقوله «إما نعيم أوعذاب الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين. وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم. إن هذا لهو حق اليقين، فسبح باسم ربك العظيم** ﴾ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، وغير ذلك مما فى معناه من الآيات. وقدمنا منها جملة وقدمنا من الأحاديث فى أحوال الاحتضار والبرزخ وما يتعلق بذلك مايبلغ حد التواتر، فليرجع إليه، ولله الحمد والمنة.

وقوله رحمه الله «وتصير طيراً سارحاً مع شكلها الخ» يشير إلى حديث كعب بن مالك المسلسل بالأئمة «نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه». وقوله رحمه الله تعالى: «لكن أرواح الذين استشهدوا فى جوف طير أخضر الخ» يشير إلى قول الله عز وجل ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾ الآيات ومافى معناها. وفى الصحيح من حديث الأعمش عن عبدالله بن مرة عن مسروق قال: سألنا عبد الله عن هذه الآية ﴿ **ولاتحسبن الذين قتلوا فى سبيل ا أمواتاً بل**

أحياء عند ربهم يرزقون ﴾ قال: أما إنّا قد سألنا عن ذلك فقال «أرواحهم في جوف طير خضر لها قناديل ملعقة بالعرش تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى القناديل، فاطلع إليهم ربهم عز وجل اطلاعة فقال: هل تشتهون شيئا؟ قالوا أى شيء نشتهى ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لم يتركوا من أن يسألوا قالوا: يارب نريد أن ترد أرواحنا فى أجسادنا حتى نقتل فى سبيلك مرة أخرى. فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا وغير ذلك من الأحاديث. وقوله:

وإذا أراد الله إخـــــراج الـــــورى بعـد الممـــات إلـى معـاد ثـــان
ألقى على الأرض التى هم تحتـهـا مطراً غليظا أبيـضـا مـتـتـابعـاً الخ

يشير إلى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما بطوله وفيه « ثم يرسل الله – أو قال ينزل الله – تعالى مطراً كأنه الطل أو الظل، فتنبت منه أجساد الناس» الحديث. وفى حديث الصور الطويل «ثم ينزل عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل» وهو الذى عناه بقوله «عشراً وعشراً بعدها عشران».

وقوله «أوحى لها رب السما فتشققت الخ» يشير إلى قول الله عز وجل **﴿ وإذا القبور بعثرت ﴾**، وقوله **﴿ أفلا يعلم إذا بعثر مافي القبور ﴾** قال ابن عباس: بحثت، وقال السدى: تبعثر تحرك فيخرج من فيها، وقال البغوى: بحثت وقلب ترابها وبعث من فيها من الموتى أحياء، يقال بعثرت الحوض وبحثرته إذا قلبته فجعلت أسفله أعلاه، وقال فى الآية الأخرى **﴿ إذا بعثر ﴾**: أثير وأخرج **﴿ مافي القبور ﴾** أى من الأموات.

وقوله «وتخلت الأم الولود الخ» يشير إلى قوله تعالى **﴿ وألقت مافيها وتخلت ﴾** قال مجاهد وسعيد وقتادة: ألقت مافى بطنها من الأموات وتخلت منهم. أ.هـ.

وقـوله «وأخرجت أثقالها الخ» يشير إلى قوله عز وجل **﴿ وأخرجت الأرض أثقالها ﴾** إلى ـ قوله **﴿ بأن ربك أوحـى لهـا ﴾** قال ابن كثير رحمه الله : يعنى ألقت مافيها من الموتـى، قاله غير واحد من السلف: وقد تقدم تفسيرها بالقائها أفلاذ كبدها أمثال الاسطوان. وقال البغوى رحمه الله : أثقالها موتاها وكنوزها فتلقيها على ظهرها.وقوله رحمه الله «والله ينشى خلقـه» أى هم أنفسهم لاغيرهم بعد موتهم «فى نشأة أخرى الخ» يشير إلى قول الله عز وجـل **﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى ﴾ فهذه** هى النشأة الأولى قـال تعـالى **﴿ وأن عليه النشأة الأخرى ﴾** وهو البعث بعد الموت قال تعـالى **﴿ نحن خلقناكم فلولا تصـدقـون، أفـرأيتم مـاتمنون أأنتم تخلقـونه أم نحن**

الخالقون. نحن قدرنا بينكم الموت ومانحن بمسبوقين على أن نبدل أمثالكم وننشئكم فيما لاتعلمون. ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون ﴾ ومافي معنى ذلك من الآيات والأحاديث. والمقصود أن الله سبحانه وتعالى يبعث الموتى أنفسهم ويجمعهم بعد مافرقهم وينشرهم بعد مامزقهم، ويعيدهم كما خلقهم، قد علم الله ماتنقص الأرض منهم **﴿ وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض، إنه كان عليما قديرا ﴾**.

وقوله «ماقال إن الله يعدم خلقه الخ» لم يقل الله تعالى ولارسوله ﷺ إنه يعدمهم العدم المحض ويأتي بغيرهم، ولا إن المثاب غير من عمل الطاعات في الدنيا، ولا إن المعذب غير من مرد على العاصي **﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة - وما ربك بظلام للعبيد - وما الله يريد ظلماً للعباد ﴾**، بل قال تعالى **﴿ منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى﴾**، فالذين خلقهم من الأرض هم الذين أعادهم فيها، وهم الذين يخرجهم منها، ليسوا غيرهم كما يقوله الزنادقة قبحهم الله تعالى. وقال رسول الله ﷺ «فتخرجون من الاصواء ومن مصارعكم» ولم يقل إنه غيركم الذى يخرج. والكلام في هذا الباب يطول جداً، والنصوص فيها لاتحصى كثرة، وإنما أشرنا إلى بعض من كل ودق من جل وقطرة من بحر والله المستعان.. إلى آخر ما ذكرنا من التعليق على الأبيات التى سقنا من نونية ابن القيم رحمه الله تعالى مع غاية الاختصار والايجاز ولله الحمد والمنة. ولنرجع إلى شرح أبيات المتن المذكور.

(وبقيامنا بنفخ الصور) أى وكما يدخل فى الإيمان باليوم الآخر الموت ومابعده من فتنة القبر ونعيمه أو عذابه وباللقاء والبعث والنشور والقيام من القبور كذلك يدخل فى ذلك الإيمان بالصور والنفخ فيه الذى جعله الله سبب الفزع والصعق والقيام من القبور، وهو القرن الذى وكل الله تعالى به إسرافيل كما تقدم فى ذكر الملائكة. وقد ذكر الله عز وجل النفخ فيه فى مواضع من كتابه، كقوله عز وجل **﴿ ونفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء ا ، ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون ﴾** الآيات. وقال تعالى **﴿ ويوم ينفخ فى الصور ففزع فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير ﴾**. لنسق ههنا حديث الصور بطوله لما فيه من المناسبة لهذه الآيات ولما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره من الأحاديث وبالله التوفيق. قال ابن كثير رحمه الله تعالى عند هذه الآية الأخرى: وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبى القاسم الطبرانى فى كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد بن

الحسن المصرى الأيلى حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا اسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: حدثنا رسول الله ﷺ وهو فى طائفة من أصحابه فقال: «إن الله تعالى لما فرغ من خلق السموات والأرض خلق الصور فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصاً بصره فى العرش ينتظر متى يؤمر» قلت يارسول الله وماالصور؟ قال «القرن» قلت: كيف هو؟ قام «عظيم، والذى بعثنى بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السموات والأرض، ينفخ فيه ثلاث نفخات: النفخة الأولى نفخة الفـزع، والثانية نفخة القيام لرب العالمين، يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ، فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهـى كقول الله تعالى ﴿ **ومابنظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فواق** ﴾ فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا، ثم ترج الأرض بأهلها رجاً فتكون كالسسفنية المرمية فى البحر تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق فى العرش ترجرجه الرياح، وهو الذى يـقـول ﴿ **يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة** ﴾ فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتى الأقطار، فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع، ويولى الناس مدبرين مالهم من أمر الله من عاصم، ينادى بعضهم بعضاً، وهو الذى يقول الله تعالى ﴿ **يوم التناد** ﴾ فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر فرأوا أمراً عظيما لم يروا مثله، وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم. ثم نظروا إلى السماء فاذا هى كالمهل، ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها، قال رسول الله ﷺ : «الأموات لايعلمون بشيء من ذلك» قال أبو هريرة: يارسول الله من استثنى الله عز وجل حين يقـول ﴿ **ففزع من فى السموات ومن فى الأرض إلا من شاء الله** ﴾ ؟ قال «أولئك الشهداء» وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون، وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه، وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه قال «وهو الذى يقول الله عز وجل ﴿ **يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شىء عظيم، يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وماهم بسكارى ولكن عذاب الله شديد** ﴾ فيقومون فى ذلك العذاب ماشاء الله تعالى إلا أنه يطول، ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق، فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السموات والأرض إلا من شاء الله، فاذا هم قد خمدوا وجاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول: يارب قد مات أهل السموات والأرض إلا من شئت، فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقى: فمن بقى؟ فيقول: يارب بقيت أنت الحى الذى لاتموت وبقيت حملة العرش

وبقي جبريل وميكائيل وبقيت أنا، فيقول الله عز وجل: ليمت جبريل وميكائيل، فينُطق الله تعالى العرش فيقول: يارب يموت جبريل وميكائيل؟ فيقول: اسكت فاني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي، فيموتان. ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول: يارب قد مات جبريل وميكائيل، فيقول: الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي: فمن بقي؟ فيقول: بقيت أنت الحي الذى لاتموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: لتمت حملة العرش. فتموت، ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل، ثم يأتي ملك الموت فيقول: يارب قد مات حملة عرشك. فيقول الله وهو أعلم بمن بقي؟ فيقول يارب، بقيت أنت الحي الذى لاتموت وبقيت أنا. فيقول الله تعالى: أنت خلق من خلقي، خلقتك لما رأيت، فمت. فيموت. فاذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد كان آخرا كما كان أولا، طوى السموات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول: أنا الجبار أنا الجبار (ثلاثاً) ثم هتف بصوته: لمن الملك اليوم (ثلاث مرات) فلا يجيبه أحد. ثم يقول لنفسه: لله الواحد القهار. يقول الله تعالى ﴿ **يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات** ﴾ فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لاترى فيها عوجاً ولاأمتا، ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فاذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ماكانوا فيها من الأولى: من كان في بطنها كان في بطنها، ومن كان على ظهرها كان على ظهرها. ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش، ثم يأمر الله السماء أن تمطر، فتمطر أربعين يوماً حتى يكون الماء فوقهم اثنى عشر ذراعاً، ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل، حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت، قال الله عز وجل: ليحي حملة عرشي، فيحيون، ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول: ليحي جبريل وميكائيل، فيحييان، ثم يدعو الله بالارواح فيؤتى بها تتوهج أرواح المؤمنين نوراً وأرواح الكافرين ظلمة، فيقبضها جميعاً ثم يلقيها في الصور، ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث، فتخرج الأرواح كأنها النحل قد ملأت مابين السماء والأرض فيقول: وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده، فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ، ثم تنشق الأرض عنهم، وأنا أول من تنشق الأرض عنه، فتخرجون سراعاً إلى ربكم تنسلون ﴿ **مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ حفاة عراة غرلا، فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لاينظر إليكم ولايقضي بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الاذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا؟ فتقولون من أحق

بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله بيده ونفخ من روحه وكلمة قبلا، فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، فيستقرئون الانبياء نبياً نبياً كلما جاءوا نبياً أبى عليهم. قال رسول الله ﷺ: حتى يأتونى فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجداً. قال أبو هريرة: يارسول الله وماالفحص؟ قال «قدام العرش، حتى يبعث الله إلى ملكا فيأخذ بعضدى ويرفعنى فيقول لى: يامحمد. فأقول: نعم يارب، فيقول عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم، فأقول: يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم، قال الله : قد شفعتك، أنا آتيكم أقضى بينكم. قال رسول الله ﷺ: فأرجع فأقف مع الناس، فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حساً شديداً فهالنا، فينزل أهل السماء الدنيا بمثلى من فى الأرض من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ قالوا: لا وهو آت. ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلى من نزل من الملائكة وبمثلى من فيها من الجن والإنس، حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم، وقلنا لهم: أفيكم ربنا؟ فيقولون لاو هو آت، ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف، حتى ينزل الجبار عز وجل فى ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية، وهم اليوم أربعة، أقدامهم فى تخوم الأرض السفلى والأرض والسموات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم، لهم زجل فى تسبيحهم يقولون: سبحان ذى العزة والجبروت، سبحان ذى الملك والملكوت، سبحان الحى الذى لايموت، سبحان الذى يميت الخلائق ولايموت، سبوح قدوس قدوس قدوس، سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح. سبحان ربنا الأعلى الذى يميت الخلائق ولايموت. فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه، ثم يهتف بصوته فيقول: يامعشر الجن والإنس إنى قد أنصتُّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم، فأنصتوا إلى، فانما هى أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه. ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم، ثم يقول **﴿ ألم أعهد اليكم يا بنى آدم ألا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين. وأن اعبدونى هذا صراط مستقيم. ولقد أضل منكم جبلاً كثيراً أفلم تكونوا تعقلون. هذه جهنم التى كنتم توعدون ﴾** أو **﴿ بها تكذبون ﴾** شك أبو عاصم **﴿ وامتازوا اليوم أيها المجرمون ﴾** فيميز الله الناس وتجثو الأمم، يقول الله تعالى **﴿ وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ماكنتم تعملون ﴾** فيقضى الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضى بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضى للجماء من ذات القرن. فاذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها: كونى تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: ياليتنى كنت تراباً، ثم يقضى الله تعالى بين العباد:

فكان أول مايقضى فيه الدماء، ويأتى كل قتيل فى سبيل الله ، ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول: يارب فيم قتلنى هذا؟ فيقول - وهو أعلم - فيم قتلتهم؟ فيقول: قتلتهم لتكون العزة لك، فيقول الله له: صدقت، فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس، ثم تمر به الملائكة إلى الجنة، ثم يأتى كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول: يارب قتلنى هذا؟ فيقول تعالى وهو أعلم: لم قتلتهم؟ فيقول يارب قتلتهم لتكون العزة لى، فيقول: تعست، ثم لاتبقى قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان فى مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه. ثم يقضى الله تعالى بين من بقى من خلقه حتى لاتبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء. فاذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق: ألا ليلحق كل قوة بآلهتم وماكانوا يعبدون من دون الله، فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه، ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزيز ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى ثم قادتهم آلهتهم إلى النار، وهو الذى يقول ﴿ **لوكان هؤلاء آلهة ماوردوها وكل فيها خالدون** ﴾ فاذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون، فيقولون والله والله مالنا إله إلا الله ، وما كنا نعبد غيره، فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته مايعرفون أنه ربهم، فيخرون للأذقان سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه، ويجعل الله عز وجل أصلابهم كصياصى البقر. ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهرانى جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة، فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الرجال، فناج سالم، وناج مخدوش، ومكدوس على وجهه فى جهنم. فاذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا: من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة؟ فيقولون: من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام؟ خلقه الله بيده ونفخ فيه من روح وكلمه قبلا. فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فانه أول رسل الله . فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك، ويقول عليكم بابراهيم فان الله تخيره خليلا، فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فان الله قربه نجياً وكلمه وأنزل عليه التوراة. فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنباً ويقول: لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم. فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول:

ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد. قال رسول الله ﷺ فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن، فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحياً ويرحب بي، فاذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت له ساجداً فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه، ثم يقول: ارفع رأسك يامحمد واشفع تشفع وسل تعط، فاذا رفعت رأسي يقول الله تعالى - وهو أعلم - ما شأنك؟ فأقول يارب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة، فيقول الله: قد شفعتك، وقد أذنت لهم في دخول الجنة. وكان رسول الله ﷺ يقول «والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم» فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة، سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجاً من سندس وإستبرق، ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت. كبدها له مرآة وكبده لها مرآة، فبينا هو عندها لا يملها ولاتمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء مايفتر ذكره وما تشتكي قبلها. فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لاتمل ولاتمل، إلا أنه لامنى ولامنية، إلا أن لك أزواجاً غيرها. فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له: والله ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك ولا في الجنة شيء أحب إليَّ منك، وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم، فمنهم من تأخذ النار قدميه ولاتجاوز ذلك ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها، قال رسول الله ﷺ « فأقول يارب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي، فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لايبقى منهم أحد. ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولاشهيد إلا شفع، فيقول الله تعالى: أخرجوا من وجدتم في قلبة زنة دينار إيماناً، فيخرج أولئك حتى لايبقى منهم أحد، ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيماناً ثلثي دينار، ثم يقول ثلث دينار، ثم يقول ربع دينار، ثم يقول قيراط، ثم يقول حبة من خردل، فيخرج أولئك حتى لايبقى منهم أحد وحتى لايبقى في النار من عمل لله خيراً قط ولايبقى أحد له شفاعة إلا شفع، حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له. ثم يقول: بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها مالا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له نهر الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما

يلى الشمس منها أخيضر وما يلى الظل منها أصيفر، فينبتون كنبات الطرائيث حتى يكونوا أمثال الذر، مكتوب فى رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن، يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب ماعملوا خيراً لله قط: فيمكثون فى الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب فى رقابهم، ثم يقولون: ربنا امح عنا هذا الكتاب، فيمحوه الله عز وجل عنهم.

قال ابن كثير ثم ذكر بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جداً ولبعضه شواهد فى الأحاديث المتفرقة، وفى بعض ألفاظه نكارة، تفرد به إسماعيل بن رافع قاضى أهل المدينة، وقد اختلف فيه: فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبى حاتم الرازى وعمرو بن على الفلاس، ومنهم من قال فيه هو متروك، وقال ابن عدى أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه فى جملة الضعفاء. قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه فى إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها فى جزء على حدة، وأما سياقه فغريب جداً ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقاً واحداً فأنكر عليه بسبب ذلك. وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزى يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفاً قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث، فالله أعلم. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

وروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال «جاء أعرابى إلى النبى ﷺ فقال ما الصور؟ فقال قرن ينفخ فيه» وفى حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «كيف أنعم وصاحب الصور قد التقمه وأصغى سمعه وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر، فقالوا: يارسول الله وما تأمرنا؟ قال قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل.

(غرلا حفاة) الأغرل الأقلف، حفاة غير متنعلين (كجراد منتشر) شبهوا بالجراد المنتشر لكثرته ولكونه ليس له وجهة يقصدها بل يختلف ويموج بعضه فى بعض وهم كذلك. قال الله تعالى ﴿ **فتول عنهم يوم يدعُ الداعِ إلى شىء نكر، خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فإذا نقر فى الناقور ، فذلك يومئذ يوم عسير، على الكافرين غير يسير** ﴾ وفى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «يحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير، ويحشر بقيتهم النار تقيل معهم حيث قالوا وتبيت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا وتمسى معهم حيث أمسوا. وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قام فينا رسول الله ﷺ يخطب فقال«إنكم محشورون حفاة عراة غرلا ﴿ **كما بدأنا أول خلق نعيده** ﴾ الآية، وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، وانه سيجاء برجال من أمتى

فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول: يارب أصيحابى، فيقول الله عز وجل: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح ﴿ **وكنت عليهم شهيداً مادمت فيهم، فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد. إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ قال فيقال إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم. وفى رواية سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنكم ملاقو الله حفاة عراة مشاة غرلا»، وفى أخرى قال: سمعت رسول الله ﷺ يخطب على المنبر وفيهما عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ «تحشرون حفاة عراة غرلا. قالت عائشه فقلت: يارسول الله الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال الأمر أشد من أن يهمهم ذلك». وفى رواية النسائى «فقالت عائشة يارسول الله فكيف بالعورات؟ فقال لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. وروى هو وابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا. قال فقالت زوجته: يارسول الله ينظر - أو يرى - بعضنا عورة بعض؟ قال لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. أو قال « ما أشغلهم عن النظر» رواه الترمذى بنحوه وقال حسن صحيح. وروى ابن أبى حاتم عن أنس رضى الله عنه قال «سألت عائشة رضى الله عنها رسول الله ﷺ فقالت: يارسول بأبى أنت وأمى إنى سائلتك عن حديث فتخبرنى أنت به. قال: إن كان عندى منه علم. قالت : يانبى الله كيف يحشر الرجال؟ قال حفاة عراة. قالت: واسوأتاه من يوم القيامة. قال: وعن أى ذلك تسألين؟ إنه قد نزل على آية لايضرك كان عليك ثياب أو لايكون. قالت. أية آية يانبى الله ؟ قال: لكل امرىء منهم يومئذ شأنه يغنيه. وروى البغوى بأسناد الثعلبى عن سودة زوج النبى ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ «يبعث الناس حفاة عراة غرلا قد ألجمهم العرق وبلغ شحوم الآذان. فقلت: يارسول الله واسوأتاه، ينظر بعضنا إلى بعض؟ فقال قد شغل الناس، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه. وفى الصحيحين عن قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه «أن رجلا قال يانبى الله كيف يحشر الكافر على وجهه؟ قال: أليس الذى أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادراً على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟ قال قتادة بلى وعزة ربنا، قلت: وذلك قول الله عز وجل ﴿ **ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصماً مأواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا** ﴾ الآيات. فشتان ما بين الفريقين، وفرقان مابين الطريقين. أولئك يغدون ركباً إلى جنات النعيم، ورحمة الرحمن الرحيم، وزيارة الرب العظيم، وهؤلاء يسحبون سحباً إلى نار الجحيم ، ونكالها الأليم، وعذابها المقيم ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا، ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا** ﴾ قال ابن عباس: وفدا ركبانا: وقال أبو هريرة: على الإبل. وقال ابن جريج: على النجائب. وقال الثورى: على

الإبل النوق. قال قتادة: إلى الجنة. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: مايحشرون والله على أرجلهم، ولكن على نوق رحالها الذهب ونجائب سرجها يواقيت، إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت. وروى عبد الله ابن الإمام أحمد فى مسند أبيه عن النعمان بن سويد قال كنا عند على رضى الله عنه فقرأ هذه الآية ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا** ﴾ قال: لا والله ما على أرجلهم يحشرون ولايحشر الوفد على أرجلهم ولكن بنوق لم ير الخلائق مثلها عليها رحائل من ذهب فيركبون عليها حتى يضربوا أبواب الجنة. ورواه ابن أبى حاتم وزاد: عليها رحائل الذهب وأزمتها الزبرجد. ولابن أبى حاتم عنه رضى الله عنه كان ذات يوم عند رسول الله ﷺ فقرأ هذه الآية ﴿ **يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا** ﴾ فقال: ما أظن الوفد إلا الركب يارسول الله، فقال النبى ﷺ «والذى نفسى بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون – أو يؤتون – بنوق بيض لها أجنحة وعليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فتغسل مافى بطونهم من دنس، ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أبشارهم ولاأشعارهم بعدها أبداً، وتجرى عليهم نضرة النعيم فينتهون – أو فيأتون – باب الجنة فاذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين. وذكر الحديث مطولا والصحيح وقفه ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا** ﴾ أى عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش، والورد الجماعة يردون الماء، ولايرد أحد الماء إلا بعد عطش. قلت: ولكنهم وردوا لا إلى ماء بل إلى جهنم وجحيمها، ومهلها وحميمها. وفى حديث الشفاعة الطويل «فيقال لهم ماذا تشتهون؟ فيقولون عطشنا. فيشار لهم إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضها فيقال لهم: ألا تردون» الحديث.
فسبحان الله وبحمده والله أكبر، كانوا فى الدنيا على السواء يرزقون ويسيرون ويذهبون ويجيئون، يؤتاها من يحبه الله ومن لايحب، فلما جاءهم الموت عرف كل منهم سبيله، واتضح له مقيله. فلما كانوا فى البرزخ خلا كل منهم بعمله وأفضى إلى ماقدم قبل أجله، فبينما هو كذلك إذ صرخ بهم الصارخ وصاح بهم الصائح، فخرجوا من الأجداث مسرعين، وإلى الداعى مهطعين، هذا على النجائب، وهذا على الركائب، وهذا على قدميه، وهذا على وجهه. هؤلاء فى النور ينظرون، وأولئك فى ظلمات لايبصرون. هؤلاء إلى الرحمن يفدون، وأولئك إلى النار يردون. هؤلاء حلوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهورا، وأولئك غلوا بالسلاسل وعلتهم الزبانية بالمقامع يضربون بطوناً منهم وظهورا، هؤلاء. وقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسروراً، وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا، متكئين فيها على الأرائك لايرون فيها شمساً ولا زمهريرا. وأولئك أعتد الله لهم سعيرا، إذا

رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيرا، وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا، لاتدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً. هؤلاء عليهم حلل السندس والاستبرق وسائر الألوان، وأولئك مقرنون فى الأصفاد سرابيلهم من قطران. هؤلاء إلى زيارة ربهم يركبون، وأولئك إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون هؤلاء ينظرون إلى ربهم بكرة وعشيا، وأولئك تركوا فى جهنم جثيا. هؤلاء يقول لهم ربهم سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار، وأولئك يقول لهم اخسأوا فيها ولاتكلمون وماهم بخارجين من النار. هؤلاء يقررون بذنوبهم فيغفرها لهم رب العالمين، وأولئك ينادى بهم على رءوس الأشهاد، هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين. فحينئذ ظهر الفرقان وافترق الطريقان، وامتاز الفريقان، وصار الغيب شهادة والسر علانية، والمستور مكشوفاً والمخبأ ظاهراً **﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾**: **﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ﴾** كم كاس فى الدنيا طال يومئذ عريه، كم طاعم فى الدنيا عظم يومئذ جوعه، كم ريان فى الدنيا اشتد يومئذ عطشه، كم ناعم فى الدنيا حق به يومئذ بؤسه **﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لايريدون علواً فى الأرض ولافسادا والعاقبة للمتقين. من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ماكانوا يعملون ﴾**.

ويجمع الخلق ليوم الفصل   جميعهم علويهم والسفلى
فى موقف يحل فيه الخطب   ويعظم الهول به والكرب

(ويجمع الخلق) أولهم وآخرهم (ليوم الفصل) يوم يفصل الرحمن بين الخلائق، سماه الله تعالى يوم الفصل لذلك وسماه يوم التغابن لكثرة المغبونين يومئذ، وسماه يوم الجمع لأنه يجمع فيه الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر، وسماه يوم التلاق لأنه يلقى فيه العبد ربه ويلتقى فيه العامل عمله ويلتقى فيه الأولون بالآخرين، ويلتقى فيه أهل السموات والأرضين، وسماه يوم القيامة لأن فيه قيام الخلائق من القبور، وسماه يوم التناد، لتنادى العباد بعضهم بعضا، ولمناداة الله عز وجل عباده فيه، وبندائهم ليتبع كل قوم ماكانوا يعبدون ولتنادى أصحاب الجنة وأصحاب النار، ولمناداة أصحاب الأعراف كلا من الفريقين، وللمناداة على كل عامل بعمله وغير ذلك، قال الله عز وجل **﴿ الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لاريب فيه ﴾** وقال تعالى **﴿ يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن ﴾** وقال تعالى **﴿ يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم ﴾**

وقال تعالى ﴿ ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا ﴾ وقال تعالى ﴿ وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا وعرضوا على ربك صفاً لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة ﴾ وقال تعالى ﴿لأى يوم أجلت ليوم الفصل وما أدراك مايوم الفصل، ويل يومئذ للمكذبين ﴾ وقال تعالى ﴿ رفيع الدرجات ذو العرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق، يوم هم بارزون لايخفى على الله منهم شيء ﴾ وقال تعالى ﴿ فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى ويوم يلقونه ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ وقال تعالى ﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً - ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ وقبل ذلك ﴿ يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ﴾ وقال فى السعداء ﴿ لايحزنهم الفزع الأكبر وتتلقاهم الملائكة ﴾ وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون ﴿ وياقوم إنى أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولون مدبرين مالكم من الله من عاصم ﴾، وقال تعالى ﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون ﴾ إلى قوله ﴿ ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾ وقال تعالى فى مناداة المنافقين المؤمنين ﴿ ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون. ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ماوعد ربكم حقاً؟ قالوا نعم، فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴾ إلى قوله فى أصحاب الأعراف ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ﴾ إلى قوله ﴿ ونادى أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم ﴾ إلى قوله ﴿ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرمهما على الكافرين ﴾، وقال تعالى ﴿ ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً أولئك يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ﴾ وغيرها من الآيات.

(وجميعهم علويهم) وهم عوالم السموات (والسفلى) وهم عوالم الأرضين، وقد تقدم فى حديث الصور كيفية صفوفهم وتضعيفهم وإحاطة بعضها ببعض. (فى موقف) عظيم (يجل) يشتد (فيه الخطب) الشأن والأمر (ويعظم الهول) الأمر الفظيع الهائل (به) أى فيه (والكرب) الحزن الآخذ بالنفس والهم والغم. وقد وصف تعالى موقف القيامة بشدة ذلك كله كما قال ﴿ ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم، يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾ وقال تعالى ﴿ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون، إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار، مهطعين مقنعى رءوسهم لايرتد إليهم طرفهم وأفئدتهم هواء ﴾،

وقال تعالى ﴿وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾، وقال تعالى ﴿ في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾ إلى قوله ﴿ ولايسأل حميم حميما. يبصرونهم يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه، وفصيلته التى تؤويه ومن فى الأرض جميعاً ثم ينجيه ﴾ وقال تعالى ﴿ فذلك يومئذ يوم عسير، على الكافرين غير يسير ﴾، وقال تعالى ﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيرا ﴾ إلى قوله ﴿ إنا نخاف من ربنا يوماً عبوساً قمطريرا، فوقاهم الله شر ذلك اليوم ﴾ وقال تعالى ﴿ إن هؤلاء يحبون العاجلة ويذرون وراءهم يوماً ثقيلاً ﴾ وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال «يقوم الناس لرب العالمين حتى يغيب أحدهم فى رشحه إلى أنصاف أذنيه»، ورواه أحمد بلفظ «يوم يقوم الناس لرب العالمين لعظمه الرحمن عز وجل يوم القيامة حتى إن العرق ليلجم الرجال إلى أنصاف آذانهم» وله عن المقداد بن الأسود الكندى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا كان يوم القيامة أدنيت الشمس من العباد حتى تكون قدر ميل أوميلين، قال فتصهرهم الشمس فيكونون فى العرق كقدر أعمالهم، منهم من يأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من يأخذه إلى حقويه، ومنهم من يلجمه إلجاما» رواه مسلم والترمذى، وروى أحمد أيضاً عن أبى أمامة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فى حرها كذا وكذا تغلى منها الهوام كما تغلى القدور، يعرفون فيها على قدر خطاياهم: منهم من يبلغ إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى ساقيه، ومنهم من يبلغ إلى وسطه، ومنهم من يلجمه العرق. ، وفيه عن عقبة بن عامر رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «تدنو الشمس من الأرض فيعرق الناس: فمن الناس من يبلغ عرقه كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ الحجر، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ وسط فيه - وأشار بيده فألجمها فاه، رأيت رسول الله ﷺ يشير بيديه هكذا - ومنهم من يغطيه عرقه، وضرب بيده إشارة. وفى الصحيح من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم فى الأرض سبعين ذراعاً ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم». ولابن أبى حاتم عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لبشير الغفارى «كيف أنت صانع فى يوم يقوم الناس فيه ثلثمائة سنة لرب العالمين من أيام الدنيا لايأتيهم فيه خبر من السماء ولايؤمر فيهم بأمر» قال بشير: المستعان الله. قال «فاذا أويت إلى فراشك فتعوّذ بالله من كرب يوم القيامة وسوء الحساب».، وفى السنن عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يتعوّذ بالله من ضيق المقام يوم القيامة.

وقوله تعالى ﴿ مهطعين ﴾ قال قتادة: مسرعين. وقال مجاهد: مديمى النظر. ومعنى

الاهطاع أنهم لايلتفتون يمينا ولاشمالا ولايعرفون مواطن أقدامهم **﴿مقنعي رءوسهم﴾** قال القتيبي: المقنع الذى لا يرفع رأسه، ويقبل ببصره على مابين يديه وقال الحسن: وجوه الناس يومئذ إلى السماء لاينظر أحد إلى أحد **﴿ لايرتد إليهم طرفهم ﴾** لاترجع إليهم أبصارهم من شدة النظر وهي شاخصة قد شغلهم مابين أيديهم **﴿ وأفئدتهم هواء ﴾** أى هى خالية. قال قتادة: خرجت قلوبهم عن صدورهم فصارت فى حناجرهم لاتخرج من أفواههم ولاتعود إلى أماكنها، فأفئدتهم هواء لاشىء فيها، ومنه سمى مابين السماء والأرض هواء لخلوه، وقيل: خالية لاتعنى شيئاً ولاتعقل من الخوف. وقال سعيد بن جبير: مترددة تمور فى أجوافهم ليس لها مكان تستقر فيه. قال البغوى رحمه الله تعالى: وحقيقة المعنى أن القلوب زائلة عن أماكنها، والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم ا. هـ وهذا معنى قوله عز وجل **﴿ إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ﴾** قال قتادة: وقفت القلوب فى الحناجر من الخوف فلاتخرج ولاتعود إلى أماكنها. وكذا قال عكرمة والسدى وغير واحد. ومعنى كاظمين أى ساكتين لايتكلم أحد إلا بإذنه. **﴿ يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا ﴾** وقال ابن جريج: باكين، والحزن فى القلب حتى يضيق به.**﴿ كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** فى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الزكاة وفيه «من كانت له إبل لايعطى فيها حقا فى نجدتها ورسلها. قلنا: يارسول الله، مانجدتها ورسلها؟ قال: فى عسرها ويسرها. فانها تأتى يوم القيامة كأغذ ماكان وأكثره وأسمنه وآشره حتى يبطح لها بقاع قرقر فتطأه بأخفافها فاذا جاوزت أخراها أعيدت عليه أولاها **﴿ فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة ﴾** حتى يقضى بين الناس فيرى سبيله إما إلى الجنة، وإما إلى النار. الحديث **﴿ ولايسأل حميم حميما يبصرونهم ﴾** لايسأل القريب قريبه عن حاله وهو يراه فى أسواء الأحوال فتشغله نفسه عن غيره، قال العوفى عن ابن عباس: يعرف بعضهم بعضاً ويتعارفون بينهم، ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك يقول الله تعالى **﴿ لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾** وهذه الآية لقوله تعالى **﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لايجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً، إن وعد الله حق ﴾** وقوله تعالى **﴿ وإن تدعُ مثقلة إلى حملها لايُحمل منه شىء ولو كان ذا قربى ﴾** قال عكرمة: هو الجار يتعلق بجاره يوم القيامة فيقول: يارب سل هذا لم كان يغلق بابه دونى؟ وإن الكافر ليتلعق بالمؤمن يوم القيامة فيقول: يامؤمن إن لى عندك يداً قد عرفت كيف كنت لك فى الدنيا وقد احتجت اليك اليوم فلايزال المؤمن يشفع له عند ربه حتى يرده إلى منزل دون منزله وهو النار، وإن الوالد ليتعلق بولده يوم القيامة فيقول: يابنى أى والد كنت لك؟ فيثنى خيراً،، فيقول: يابنى إنى قد احتجت إلى مثقال ذرة من

حسناتك أنجو بها مما ترى، فيقول ولده: يا أبت ما أيسر ما طلبت، ولكنى أتخوف مثل ماتتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئاً. ثم يتعلق بزوجته فيقول يلفلانة أو يا هذه أى زوج كنت لك؟ فتثنى خيراً: فيقول لها: إنى أطلب إليك حسنة واحدة تهبينها إلى لعلى أنجو بها مما ترين . قال فتقول : ما أيسر ، طلبت ، ولكنى لا أطيق أن أعطيك شيئاً إنى أتخوف مثل الذى تتخوف. يقول الله تعالى **﴿ وإن تدع مثقلة إلى حملها ﴾** الآيـة. ويقـول تبـارك وتعالـى **﴿ لايجزى والد عن ولده ولامولود هو جاز عن والده شيئا ﴾** ويقول تعالى **﴿ يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه. لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾**.

﴿ فاذا نقر ﴾ نفخ ، **﴿ فى الناقور ﴾** الصور. روى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهـما قال: قال رسول الله ﷺ «كيف أنتم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ. فقال أصحاب رسول الله ﷺ فما تأمرنا يارسول الله قال قولوا: حسبنا الله ونعم الوكـيل على الله توكلنا. رواه الإمام أحمد وابن جرير **﴿ فذلك يومئذ يوم عسير ﴾** شديد **﴿ على الكافرين غير يسير ﴾** عليـهم وروى عن زرارة بن أبى أوفى قاضى البصرة رحمه الله تعالى أنه قرأ فى صلاة الصبح بالمدثر فلما بلغ هذه الآية **﴿فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير ﴾** شهق شهقة فمات، أولئك قوم قرأوا القرآن بقلوب حاضرة وآذان واعية، وبصائر نافذة، وأفهام جلية ونفوس علية، مستحضرين تأويل معانيه حين وقوعها وأوان وعيدها، شاهدين ببصائرهم من تكلم به فأنزله فأثمر ذلك فى قلوبهم خشية الله عز وجل فذابوا خوفاً وحياء من ربهم وشوقاً اليه **﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماءُ ﴾** وقال تعالى فيهم **﴿ ويخافون يوماً كان شره مستطيراً ﴾** قال ابن عباس فاشياً. وقال قتادةك استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض. وقال مقاتل كان شره فاشياً فى السموات، فانشقت وتناثرت الكواكب وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة، وفى الأرض نسفت الجبال وغارت المياه وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء، قال ابن جرير: ومنه قولهم استطار الصدع فى الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فبـانت وقـد أثأرت فى الفـؤا د صـدعـاً على نأيهـا مستطيـرا

يعنى ممتداً فاشياً. وقوله **﴿ عبوساً قمطريراً ﴾** قال ابن عباس: ضيقاً طويلا وعنه قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران. وقال مجاهد **﴿ عبوسا ﴾** العابس الشفتين **﴿ قمطريرا ﴾** تقبض الوجه بالسيور. وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول **﴿ قمطريراً ﴾** تقليص الجبين ومابين العينين من الهول. وقال ابن زيد:

العبوس الشر والقمطرير الشديد. وقال ابن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب، وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطراراً وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة، ومنه قول بعضهم:

بني عـمنا هل تذكـرون بلاءنا عليكم إذا ما كان يوم قماطر
وأحضروا للعرض والحساب وانقطعت علائق الأنساب
وارتكمت سحائب الأهوال وانعجم البليغ في المقال

(وأحضروا للعرض) العرض له معنيان معنى عام وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم عز وجل بادية له صفحاتهم لاتخفى منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لايحاسب. والمعنى الثاني عرض معاصي المؤمنين عليهم وتقريرهم بها وسترها عليهم ومغفرتها لهم، والحساب المناقشة. وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه العزيز في غير ماموضع إجمالا وتفصيلا كما قال ﴿ **يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **ويوم نحشر من كل أمة فوجا ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاءوا قال أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون، ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لاينطقون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وقفوهم إنهم مسئولون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن إلينا إيابهم، ثم إن علينا حسابهم** ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وروى ابن أبي الدنيا عن عمر رضي الله عنه قال: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، فإنه أخف عليكم في الحساب غداً أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ **يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية** ﴾، وروى أحمد وابن ماجه عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات: فأما عرضتان فجدال ومعاذير، وأما الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فآخذ كتابه بيمينه وآخذ كتابه بشماله»(1). وللترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه نحوه. وروى ابن جرير عن عبد الله بن مسعود نحوه موقوفا، وفي الصحيحين: سئل رسول الله ﷺ عن الحمر فقال «ما أنزل الله فيها إلا هذه الآية الفاذّة الجامعة» ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وروى الإمام أحمد عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال**

---

(1) رواه الترمذي وابن ماجه ، وأحمد في مسنده .

ذرة شراً يره ﴾ قال: حسبى، لا أبالى أن لاأسمع غيرها. وروى ابن جرير وابن أبى حاتم عن أنس قال: كان أبو بكر يأكل مع النبى ﷺ فنزلت هذه الآية ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ فرفع أبو بكر يده وقال: يارسول الله أجزى بما عملت من مثقال ذرة من شر؟ فقال يا أبا بكر مارأيت فى الدنيا مما تكره فبمثاقيل ذر الشر، ويدخر الله لك مثاقيل ذر الخير حتى توفاه يوم القيامة، وعن أبى العالية فى قوله ﴿**فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ قال: يسأل العباد كلهم عن خلتين يوم القيامة، عما كانوا يعبدون وعماذا أجابوا المرسلين، وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود قال: والذى لا إله غيره، مامنكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر، فيقول: ابن آدم ماذا غرك منى بى، ابن آدم ماذا عملت فيما علمت، ابن آدم ماذا أجبت المرسلين. ولابن أبى حاتم عن معاذ بن جبل رضى الله عنه قال: قال لى رسول الله ـ ﷺ «يامعاذ إن المرء يسأل يوم القيامة عن جميع سعيه حتى كحل عينيه، وعن فتات الطينة بأصبعيه، فلا ألفينك يوم القيامة وأحد غيرك أسعد بما آتاك الله منك، وعن ابن عباس ﴿ **فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون** ﴾ قال ﴿ **فيومئذ لايسأل عن ذنبه إنس ولاجان** ﴾ قال: لا يسألهم هل عملتم كذا لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يقول لم عملتم كذا كذا؟ وفى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ـ ﷺ قال «ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك، فقلت يارسول الله أليس قد قال الله تعالى ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا** ﴾ ؟ فقال رسول الله ﷺ «إنما ذلك العرض، وليس أحد يناقش الحساب يوم القيامة إلا عذب»، وفيه عن أنس ابن مالك رضى الله عنه أن نبى الله ﷺ كان يقول «يجاء بالكافر يوم القيامة فيقال له أرأيت لو كان لك ملء الأرض ذهباً أكنت تفتدى به؟ فيقول نعم. فيقال له قد كنت سئلت ماهو أيسر من ذلك. وفيه عن عدى بن حاتم قال: قال النبى ﷺ «مامنكم من أحد إلا وسيكلمه الله يوم القيامة ليس بين الله وبينه ترجمان، فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ماقدم من عمله، وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ماقدم، وينظر بين يديه فلايرى إلا النار تلقاء وجهه، فاتقوا النار ولو بشق تمرة. وفيه عن صفوان بن محرز قال: بينما ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال يا أبا عبد الرحمن أو قال يا ابن عمر – هل سمعت النبى ﷺ فى النجوى ؟ فقال سمعت النبى ﷺ يقول «يدنو المؤمن من ربه حتى يضع عليه كنفه فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول أعرف، يقول رب أعرف، مرتين فيقول أنا سترتها فى الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته. وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رءوس الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين»[1] وفى الترمذى عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاتزول قدما عبد حتى يسأل عن عمره فيما أفناه، وعن علمه فيما عمل فيه، وعن ماله أين اكتسبه وفيما أنفقه، وعن جسمه فيما أبلاه،

وقال حسن صحيح.

(وانقطعت علائق الأنساب) كما قال تعالى ﴿ **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ولايسأل حميم حميما** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه** ﴾ الآيات، وقال تعالى عن الكافرين ﴿ **فما لنا من شافعين ولاصديق حميم** ﴾، قال ابن مسعود رضى الله عنه: إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين ثم نادى مناد: ألا من كان له مظلمة فليجيء فليأخذ حقه، قال فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته وإن كان صغيراً. ومصداق ذلك فى كتاب الله ﴿ **فإذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون** ﴾ رواه ابن أبى حاتم. وروى البغوى بأسناد الثعلبى عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول«إن الرجل ليقول فى الجنة: مافعلى بصديقى فلان؟ وصديقه فى الجحيم، فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه إلى الجنة. فيقول من بقى: فما لنا من شافعين ولاصديق حميم. قال الحسن رحمه الله تعالى استكثروا من الأصدقاء المؤمنين، فان لهم شفاعة يوم القيامة. وعن قتادة فى قول الله عز وجل ﴿ **يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه** ﴾ قال: يفر هابيل من قابيل. ويفر النبى ﷺ من أمه، وإبراهيم عليه السلام من أبيه، ولوط عليه السلام من صاحبته، ونوح عليه السلام من ابنه ﴿ **لكل امرئ منهم يومئذ شأنه يغنيه** ﴾ يشغله عن شأن غيره. وفى الحديث الصحيح فى أمر الشفاعة «انه إذا طلب إلى كل من أولى العزم أن يشفع عند الله فى الخلائق يقول: نفسى نفسى لا أسألك إلا نفسى، حتى إن عيسى ابن مريم يقول: لا أسأله اليوم إلا نفسى، لا أسأله مريم التى ولدتنى.

وارتكمت سحائب الأهوال   وانعجم البليغ فى المقال
وعنت الوجوه للقيوم   واقتص من ذى الظلم للمظلوم

(وارتكمت) اجتمعت (سحائب الأهوال) جمع هول وهو الأمر الشديد الهائل المفظع (وانعجم) أسكت فلم يتكلم. (البليغ) الذى كان فى الدنيا مقتدراً على البلاغة والفصاحة (فى المقال) قال الله تعالى ﴿ **يوم يأت لاتكلم نفس إلا بإذنه** ﴾ وقال تعالى ﴿**وخشعت الأصوات للرحمن فلاتسمع إلاهمسا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يوم يقوم الروح والملائكة صفاً لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صوابا** ﴾ قال ابن عباس ﴿ **وخشعت الأصوات للرحمن** ﴾: سكنت ﴿ **فلا تسمع إلا همساً** ﴾ قال: تحريك الشفا من غير منطق، وعنه: الهمس الصوت الخفى، وعنه هو وعكرمة ومجاهد والضحاك والربيع ابن أنس وقتادة وابن زيد وغيرهم: الهمس نقل الأقدام إلى المحشر كأخفاف الإبل، وقال

(١) رواه أحمد فى المسند .

سعيد بن جبير: همساً سر الحديث ووطء الأقدام فجمع بين القولين، وفى حديث الشفاعة «ولايتكلم يومئذ إلا الرسل» الحديث. (وعنت الوجوه) ذلت وخضعت، ومنه قيل للأسير عان. (القيوم) تضمين لمعنى قوله عز وجل ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** ﴾ قال ابن عباس وغير واحد: خضعت وذلت واستسلمت الخلائق لجبارها الحى الذى لايموت القيوم الذى لاينام وهو قيم على كل شيء يديره ويحفظه فهو الكامل فى نفسه الذى كل شيء فقير اليه لاقوام له إلا به ﴿ **وقد خاب من حمل ظلما** ﴾ قال ابن عباس خسر من أشرك بالله ، والظلم هو الشرك. وقيل المراد بالظلم هنا العموم فيتناول الشرك وغيره من ظلم العبد نفسه وظلم العباد بعضهم بعضا، فان الله سيؤدى كل حق إلى صاحبه حيث يقتص للشاة الجمـاء من الشاة القرناء. وفى بعض الأحاديث «يقول الله عز وجل: وعزتى وجلالى لايجاوزنى اليوم ظلم ظالم». وفى الصحيحين «إياكم والظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة» فعلى هذا المعنى ظلم دون ظلم وخيبة دون خيبة، والخيبة كل الخيبة لمن لقى الله وهو به مشرك، فان الله تعالى يقول ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وقد تقدم حديث عائشة عن أحمد «الدواوين ثلاثة: ديوان لايغفره الله ، وديوان لايعبأ الله به، وديوان لايترك الله منه شيئاً ». الحديث (واقتص من ذى الظلم) أى اقتص من الظالم (للمظلوم)، قال الله تعالى ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرة، وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ وقال تعالى ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بما كسبت، لاظلم اليوم، إن الله سريع الحساب** ﴾ إلى قوله ﴿ **و الله يقضى بالحق** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وقضى بينهم بالحق وهم لايظلمون - وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ووفيت كل نفس ماعملت، وهو أعلم بما يفعلون** ﴾ وغيرها من الآيات. وقال البخارى رحمه الله تعالى : «باب القصاص يوم القيامة، وهى الحاقة لأن فيها الثواب وحواق الأمور الحقة والحاقة واحد، والقارعة والغاشية والصارخة والتغابن غبن أهل الجنة أهل النار» ثم ساق بسنده حديث ابن مسعود قال النبى ﷺ «أول مايقضى بين الناس بالدماء» وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال «من كانت عنده مظلمة لأخيه فليتحلله منها فانه ليس ثم دينار ولادرهم، من قبل أن يؤخذ لأخيه من حسناته، فان لم يكن له حسنات أخذ من سيئات أخيه فطرحت عليه. وحديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «يخلص المؤمنون من النار، فيحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم فى الدنيا. حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم فى دخول الجنة، فو الذى نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله فى الجنة منه بمنزله كان فى الدنيا »[1]. وللترمذى عن أبى هريرة رضىالله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا يارسول الله من

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى من تحقيقنا ح ٦١٧٠ .

لادرهم له ولا متاع. قال رسول الله ﷺ: المفلس من أمتى من يأتى يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيقعد فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته. فان فنيت حسناته قبل أن يقتص ماعليه من الخطايا أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح فى النار، هذا حديث حسن صحيح، وله عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لتؤدنّ الحقوق إلى أهلها حتى تقاد الشاة الجلحاء من الشاة القرناء» قال وفى الباب عن أبى داود وعبد الله بن أنيس حديث أبى هريرة حديث حسن صحيح، وروى الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضىالله عنهما قال: بلغنى حديث عن رجل سمعه من النبى ﷺ، فاشتريت بعيراً ثم شددت عليه رحلا فسرت عليه شهراً حتى قدمت عليه الشام، فاذا عبد الله بن أنيس، فقلت للبواب: قل له جابر على الباب: فقال: ابن عبد الله ؟ قلت نعم. فخرج يطأ ثوبه فاعتنقنى واعتنقته فقلت : حديث بلغنى عنك أنك سمعته من رسول الله ﷺ فى القصاص فخشيت أن تموت وأموت قبل أن أسمعه، فقال: سمعت رسول الله يقول «يحشر الله عز وجل الناس يوم القيام – أوقال العباد – عراة غرلا بهما. قلت: ومابهما؟ قال: ليس معهم شيء. ثم يناديهم بصوت يسمعه من بعدكما يسمعه من قرب: أنا الملك، أنا الديان، لاينبغى لأحد من أهل النار أن يدخل النار وله عند أحد من أهل الجنة حق حتى أقضيه منه، ولاينبغى لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة وله عند رجل من أهل النار حق حتى أقضيه منه، حتى اللطمة. قال قلنا كيف وانما نأتى الله عز وجل حفاة عراة غرلا بهما؟ قال: بالحسنات والسيئات. وقد أشار البخارى إلى هذا الحديث فى مواضع من صحيحه تعليقاً ووصله فى كتاب خلق أفعال العباد، وروى عبد الله ابن الإمام أحمد عن عثمان بن عفان رضى اللهعنه أن رسول اللهﷺ قال«إن الجماء لتقتص من القرناء يوم القيامة» وروى رحمه الله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «رأى رسول اللهﷺ شاتين ينتطحان فقال: أتدرى ماينتطحان يا أبا هريرة؟ قلت لا. قال: لكن الله يدرى وسيحكم بينهما..

وساوت الملوك للأجناد   وجيء بالكتاب والأشهاد
وشهد الأعضاء والجوارح   وبدت السوآت والفضائح
وابتليت هنالك السرائر   وانكشف المخفى فى الضمائر

(وساوت الملوك) العظماء الرؤساء الكبراء (للأجناد) الرعايا، أى صاروا سواء فى ذلك الموقف مشتركين فى هوله الفظيع وكربه الشديد إلا من رحم الله، وليس لأحد منهم مقال، ولايملك لنفسه ولا لغيره نفعاً ولا ضراً، كل امرىء بما كسب رهين، قال الله تعالى **﴿مالك يوم الدين﴾**، وقال تعالى **﴿ الملك يومئذ لله يحكم بينهم ﴾**، وقال تعالى

﴿ يوم هم بارزون لايخفى على منهم شيء، لمن الملك اليوم؟ لله الواحد القهار ﴾، وقال تعالى **﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾** وغير ذلك من الآيات. قال ابن عباس وغيره من الصحابة والتابعين **﴿ مالك يوم الدين ﴾** يقول لايملك أحد معه فى ذلك اليوم حكما كمكلهم فى الدنيا. قال ويوم الدين يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة، يدينهم بأعمالهم: إن خيراً فخيراً وإن شراً فشر، إلا من عفا عنه. وقال البغوى فى قوله عز وجل **﴿ الملك يومئذ الحق للرحمن ﴾** : أى الملك الذى هو الملك الحق ملك الرحمن يوم القيامة. وقال ابن عباس رضى الله عنه يريد أن يوم القيامة لاملك يقضى غيره، وفى الحديث الصحيح المتقدم «يقبض الله تعالى الأرض ويطوى السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض، وفى لفظ «أين الجبارون أين المتكبرون» وقال قتادة **﴿ يوم لاتملك نفس لنفس شيئاً والأمر يومئذ لله ﴾**: والأمر والله اليوم لله، ولكنه لاينازعه فيه يومئذ أحد. وقال البغوى: يوم لايملّك الله فى ذلك اليوم أحداً من خلقه شيئا كما ملكهم فى الدنيا (وجيء بالكتاب والاشهاد) قال الله تعالى **﴿ ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها ووجدوا ماعملوا حاضرا ﴾**، وقال تعالى **﴿ وأشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء ﴾**وقال تعالى **﴿ لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم ﴾** وقال تعالى **﴿ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا﴾** ، وقال تعالى **﴿ ويوم نبعث من كل أمة شهيداً ثم لايؤذن للذين كفروا ولاهم يستعتبون ﴾** إلى قوله **﴿ ويوم نبعث فى كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيداً على هؤلاء ﴾**، وقال تعالى **﴿ ويوم يناديهم فيقول أين شركائى الذين كنتم تزعمون..ونزعنا من كل أمة شهيدا فقلنا هاتوا برهانكم ﴾** الآية، وقال تعالى **﴿ وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد ﴾** وغير ذلك من الآيات. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا يوسف بن راشد حدثنا جرير وأبو أسامة – واللفظ لجرير – عن الأعمش عن أبى صالح. وقال أبو أسامة: حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ «يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يارب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول نعم: فيقال لأمته هل بلغكم؟ فيقولون ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد ﷺ وأمته. فتشهدون أنه قد بلغ، ويكون الرسول عليكم شهيدا، فذلك قوله جل ذكره **﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾**. والوسط العدل. ورواه أحمد وأصحاب والسنن، ورواه الإمام أحمد أيضاً بلفظ «يجيء النبى يوم القيامةومعه الرجلان وأكثرمن ذلك فيدعى قومه فيقال لهم: هل بلغكم

هذا؟ فيقولون لا. فقال له: هل بلغت قومك؟ فيقول نعم. فيقال من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيدعى محمد ﷺ وأمته فيقال لهم: هل بلغ هذا قومه؟ فيقولون: نعم. فيقال: وماعلمكم؟ فيقولون جاءنا نبينا ﷺ فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا. فذلك قوله عز وجل ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطا** ﴾ قال عدلا ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا** ﴾. وفى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «قال لى رسول الله ﷺ : اقرأ على. فقلت يارسول اقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: نعم، إنى أحب أن أسمعه من غيرى. فقرأت سورة النساء حتى أتيت إلى هذه الآية ﴿ **فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا** ﴾ فقال: حسبك الآن. فاذا عيناه تذرفان. قال ابن كثير رحمه تعالى ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ أى كتاب الأعمال الذى فيه الجليل والحقير والفتيل والقطمير والصغير والكبير ﴿ **فترى المجرمين مشفقين مما فيه** ﴾ أى من أعمالهم السيئة وأفعالهم القبيحة ﴿ **ويقولون ياويلتنا** ﴾ أى ياحسرتنا وويلنا على مافرطنا فى أعمالنا، ﴿ **مال هذا الكتاب لايغادر صغيرة ولاكبيرة إلا أحصاها** ﴾ أى لايترك ذنبا صغيراً ولاكبيراً ولاعملا وإن صغر إلا أحصاها أى ضبطها وحفظها. وروى الطبرانى بإسناده عن سعد بن جنادة قال: لما فرغ رسول الله ﷺ من غزوة حنين نزلنا قفراً من الأرض ليس فيه شىء، فقال النبى ﷺ «اجمعوا، من وجد عوداً فليأت به، ومن وجد حطباً أو شيئاً فليأت به» قال فما كان إلا ساعة حتى جعلناه ركاما، فقال النبى ﷺ «أترون هذا؟ فكذلك تجمع الذنوب على الرجل منكم كما جمعتم هذا، فليتق الله رجل ولايذنب صغيرة فانها محصاة عليه. وروى البغوى بإسناده عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ «إياكم ومحقرات الذنوب، فانما مثل محقرات الذنوب مثل قوم نزلوا ببطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب لموبقات» وقوله ﴿ **ووجدوا ماعملوا حاضرا** ﴾ كقوله عز وجل ﴿ **يوم تجد كل نفس ماعملت من خير محضرا وما عملت من سوء** ﴾ وقوله عز وجل ﴿ **علمت نفس ما أحضرت** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **علمت نفس ماقدمت وأخرت** ﴾، وقوله تعالى ﴿ **ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر** ﴾ وغيرها من الآيات. وقوله تعالى ﴿ **ونزعنا من كل أمة شهيدا** ﴾ قال البغوى: يعنى رسولهم الذى أرسل إليهم وهو قول مجاهد، وروى ابن جرير عن عثمان بن عفان أنه خطب فقرأ هذه الآية «**وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ فقال: سائق يسوقها إلى الله تعالى وشاهد يشهد عليها بما عملت، وكذا قال مجاهد وقتادة وابن زيد. وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: السائق الملك والشهيد العمل وكذا قال الضحاك والسدّى، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: السائق من الملائكة والشهيد الإنسان نفسه يشهد على نفسه. وقوله تعالى ﴿ **وأشرقت**

الأرض ﴾ أضاءت ﴿ **بنور ربها** ﴾ بنور خالقها، ذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون فى نوره كما لايتضارون فى الشمس فى اليوم الصحو، قاله البغوى. والحديث «لايتضارون فى رؤيته». ﴿ **ووضع الكتاب** ﴾ قال قتادة: كتاب الأعمال. ﴿**وجىء بالنبيين** ﴾ قال ابن عباس رضى الله عنهما: يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله اليهم. ﴿ **والشهداء** ﴾ أى من الملائكة الحفظة على أعمال العباد قال ذلك عطاء، ويدل عليه قوله تعالى ﴿ **وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد** ﴾ قال ابن عباس: يعنى الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم أمة محمدﷺ. ويدل على ذلك قوله تعالى ﴿ **وتكونوا شهداء على الناس** ﴾ وقال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **يوم يقوم الأشهاد** ﴾ يعنى الملائكة، قال البغوى: يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

(وشهدت) على كل جاحد (الأعضاء) أعضاؤه (والجوارح) عطف تفسير، قال تعالى ﴿ **اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون**﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **ويوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون، حتى إذا ماجاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون، وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وهو خلقكم أول مرة واليه ترجعون، وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لايعلم كثيرا مما تعملون، وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين** ﴾ الآيات وغيرها، وروى مسلم والنسائى وابن أبى حاتم عن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال «كنا عند النبى ﷺ فضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال رسول اللهﷺ: أتدرون مم أضحك؟ قلنا الله ورسوله أعلم. قال ﷺ : من مجادلة العبد ربه يوم القيامة، يقول: رب ألم تجرنى من الظلم؟ فيقول: بلى. فيقول لا أجيز على شاهدا إلا من نفسى. فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا، وبالكرام الكاتبين شهودا، فيختم على فيه ويقال لأركانه: انطقى، فتنطق بعمله، ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول: بعداً وسحقاً فعنكن كنت أناضل. وروى عبد الرزاق أخبرنا معمر عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبى ﷺ قال «إنكم تدعون مفدماً على أفواهكم بالفدام، فأول ما يسأل عن أحدكم فخذه وكتفه. ورواه النسائى عن محمد بن رافع عن عبد الرزاق به، وله هو ومسلم وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول اللهﷺ فى حديث القيامة الطويل قال فيه « ثم يلقى الثالث فيقول: ما أنت؟ فيقول: أنا عبدك، أمنت بك وبنبيك وبكتابك، وصمت وصليت وتصدقت، ويثنى بخير ما استطاع. قال: فيقال له ألا نبعث عليك شاهدنا؟ قال فيفكر فى نفسه من الذى يشهد عليه؟ فيختم على فيه ويقال لفخذه: انطقى، قال فتنطق

فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل، وذلك المنافق، وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذى يسخط الله تعالى عليه. وهذا الحديث تقدم قريباً بطوله ولله الحمد، وهذ واللهأعلم يتضمن بيان قول الله تعالى **﴿ يوم يبعثهم الله جميعاً فيحلفون له كما يحلفون لكم ﴾** الآية، وروى ابن جرير وابن أبى حاتم وأحمد رحمهم الله تعالى عن عقبة بن عامر رضى الله عنه أنه سمع رسول اللهﷺ يقول « إن أول عظم من الإنسان يتكلم يوم يختم على الأفواه فخذه من الرجل اليسرى. وفى رواية أحمد «من الرجل الشمال». وروى ابن جرير عن حميد بن هلال قال: قال أبو بردة قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه «يدعى المؤمن للحساب يوم القيامة فيعرض عليه ربه عمله فيما بينه وبينه فيعترف فيقول نعم أى رب عملت عملت عملت قال فيغفر الله له ذنوبه ويستره منها قال فما على الأرض خليقة ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته فود أن الناس كلهم يرونها، ويدعى الكافر والمنافق للحساب فيعرض عليه ربه عمله فيجحد ويقول أى رب وعزتك لقد كتب على هذا الملك مالم أعمل فيقول له الملك أما عملت كذا فى يوم كذا فى مكان كذا؟ فيقول لا وعزتك أى رب ماعملته. فاذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه قال أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه: فأنا أحسب أول ماينطق منه فخذه اليمنى. ثم تلا **﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾** وروى أبو يعلى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله فجحد وخاصم، فيقول هؤلاء جيرانك يشهدون عليك، فيقول كذبوا، فيقول أهلك وعشيرتك فيقول كذبوا فيقول احلفوا فيحلفون، ثم يصمتهم الله تعالى وتشهد عليهم ألسنتهم ويدخلهم النار. وروى ابن أبى حاتم عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال لابن الأزرق إن يوم القيامة على الناس منه حين لاينطقون ولايعتذرون ولايتكلمون حتى يؤذن لهم، ثم يؤذن لهم فيختصمون فيجحد الجاحد بشركه بالله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم فيبعث الله تعالى عليهم حين يجحدون شهداء من أنفسهم جلودهم وأبصارهم وأيديهم وأرجلهم ويختم على أفواههم ثم يفتح لهم الأفواه فتخاصم الجوارح فتقول **﴿ أنطقنا الله الذى أنطق كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴾** فتقر الألسنة بعد الجحود، وروى أيضاً عن رافع أبى الحسن قال وصف رجلا جحد قال فيشير الله تعالى إلى لسانه فيربو فى فمه حتى يملأه فلا يستطيع أن ينطق بكلمة، ثم يقول لآرابه تكلمى واشهدى عليه فيشهد عليه سمعه وبصره وجلده وفرجه ويداه ورجلاه: صنعنا عملنا فعلنا. وله أيضا عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: لما رجعت إلى رسول اللهﷺ مهاجرة البحر قال «ألا تحدثون بأعاجيب ما رأيتم بأرض الحبشة»[1] فقال فتية منهم: بلى يارسول الله، بينما

(١) رواه ابن ماجه .

نحن جلوس إذ مرت علينا عجوز من عجائز رهابينهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل إحدى يديه بين كتفيها ثم دحنها فخرت على ركبتيها فانكسرت قلتها، فلما ارتفعت التفتت اليه فقالت: سوف تعلم ياغدر إذا وضع الله الكرسى وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدى والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم كيف أمرئ وأمرك عنده غداً. قال يقول رسول الله ﷺ «صدقتْ صدقتْ كيف يقدس الله تعالى قوماً لايؤخذ لضعيفهم من شديدهم. ورواه ابن أبى الدنيا. وقال البخارى رحمه الله تعالى حدثنا الصلت بن محمد حدثنا يزيد بن زريع عن روح بن القاسم عن منصور عن مجاهد عن أبى معمر عن ابن مسعود ﴿ **وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم** ﴾ الآية: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش فى بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال بعضهم يسمع بعضه وقال بعضهم لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله. فأنزلت ﴿ **وماكنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم** ﴾ الحديث تقدم لفظه فى إثبات السمع والبصر ولله الحمد.

(وابتليت) أى اختبرت (هنالك) الاشارة إلى موقف القيامة العظيم، وهوله الجسيم (السرائر) جمع سريرة وهى ضد العلانية (وانكشف المخفى) المستور (فى الضمائر) إشارة إلى قول الله عز وجل ﴿ **يوم تبلى السرائر** ﴾ قال البغوى رحمه الله تعالى : وذلك يوم القيامة تبلى السرائر تظهر الخفايا. قال قتادة ومقاتل تختبر. قال عطاء بن أبى رباح: السرائر فرائض الأعمال كالصوم والصلاة والوضوء والاغتسال من الجنابة فانها سرائر بين الله تعالى وبين العبد، فلو شاء العبد لقال صمت ولم يصم وصليت ولم يصل واغتسلت ولم يغتسل، فيختبر حتى يظهر من أداها ممن ضيعها، قال ابن عمر رضى الله عنهما: يبدى الله عز وجل يوم القيامة كل سر، فيكون زيناً فى وجوه وشيناً فى وجوه، يعنى من أداها كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر، وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «يرفع لكل غادر لواء عند استه يقال: هذه غدرة فلان ابن فلان. عياذاً بالله من ذلك.

ونشرت صحائف الأعمال تؤخذ باليمين والشمال
طوبى لمن يؤخذ باليمن كتابه بشرى بحور عين
والويل للأخذ بالشمال وراء ظهر للجحيم صالى

(ونشرت صحائف) كتب (الأعمال) من حسنات وسيئات قال الله تعالى ﴿ **وإذا الصحف نشرت** ﴾. (تؤخذ باليمين) للمؤمن (والشمال) للكافر (طوبى) أطيب شيء

واسم شجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لايقطعها (لمن يأخذ باليمين كتابه بشرى) أعظم بشارة (بحور) جمع حوراء صفة لهن من حَوَر العين وهو شدة سواد العينين في شدة بياضهما (عين) حسان الأعين (والويل) كلمة عذاب وواد في جهنم (للآخذ بالشمال) كتابه (وراء ظهر للجحيم صال) اسم فاعل من صلى يصلى غمر فيها، وقد ذكر الله تعالى تطاير الصحف ونشرها وتناولها في غير موضع من كتابه مع بيان منازل أهلها كما قال تعالى ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا، اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يوم ندعو كل أناس بإمامهم، فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرأون كتابهم ولايظلمون فتيلا، ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا** ﴾، وقال تعالى ﴿ **يومئذ تعرضون لاتخفى منكم خافية، فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه، إني ظننت أن ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول ياليتني لم أوت كتابيه، ولم أدر ماحسابيه، ياليتها كانت القاضية، ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه، خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه، إنه كان لايؤمن بالله العظيم، ولايحض على طعام المسكين، فليس له اليوم هاهنا حميم، ولاطعام إلا من غسلين، لايأكله إلا الخاطئون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه، فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيرا، وينقلب إلى أهله مسرورا ، وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فسوف يدعو ثبوراً ، ويصلى سعيرا، إنه كان في أهله مسرورا، إنه ظن ألن يحور، بلى إن ربه كان به بصيرا**﴾ وقال تعالى ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون** ﴾ قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما ﴿ **وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه** ﴾: طائره هو ماطار عنه من عمله من خير وشر ويلزم ويجازى عليه، ﴿ **ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشورا** ﴾ قال معمر: وتلا الحسن البصري ﴿ **عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾: يا ابن آدم بسطت لك صحيفتك، ووكل بك ملكان كريمان أحدهما عن يمينك والآخر عن شمالك، فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ماشئت أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طويت صحيفتك فجعلت في عنقك معك في قبرك حتى تخرج يوم القيامة كتاباً تلقاه منشورا ﴿ **اقرأ كتابك** ﴾ الآية. فقد عدل والله من جعلك حسيب نفسك. وروى البزار عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿**يوم ندعو كل أناس بإمامهم** ﴾ قال يدعى أحدهم فيعطى كتابه بيمينه ويمد له في

جسمه ويبيض وجهه، ويجعل على رأسه تاج من لؤلؤة يتلألأ فينطلق إلى أصحابه فيرونه من بعيد فيقولون: اللهم آتنا بهذا، وبارك لنا فى هذا. فيأتيهم فيقول لهم: أبشروا فان لكل رجل منكم مثل هذا. وأما الكافر فيسوّد وجهه ويمد له فى جسمه ويراه أصحابه فيقولون: نعوذ بالله من هذا أومن شر هذا، اللهم لاتأتينا به. فيأتيهم فيقولون: اللهم أخزه، فيقول : أبعدكم الله ، فان لكل رجل منكم مثل هذا، حديث غريب حسنه الترمذى. وفى السنن عن عائشة رضى الله عنها أنها «ذكرت النار فبكت، فقال رسول اللهﷺ: مايبكيك؟ قالت: ذكرت النار فبكيت، فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول اللهﷺ: أما فى ثلاثة مواطن فلايذكر أحد أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقول ﴿ **هاؤم اقر أو كتابيه** ﴾ حتى يعلم أين يقع كتابه أفى يمينه أم فى شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهرى جهنم. وروى ابن أبى حاتم عن أبى عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه فى ستر من الله فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئاته تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها فيرجع إليه لونه، ثم ينظر فاذا سيئاته قد بُدّلت حسنات، قال فعند ذلك يقول ﴿ **هلؤم اقرؤا كتابيه** ﴾ . وله عن عبد الله بن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة قال : « إن الله يوقف عبده يوم القيامة فيبدى – أى يظهر سيئاته فى ظهر صحيفته فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول نعم أى رب، فيقول له: إنى لم أفضحك به، وإنى قد غفرت لك. فيقول عند ذلك ﴿ **هاؤم اقر أو كتابيه، إنى ظننت أنى ملاق حسابيه** ﴾ حين نجا من فضيحته يوم القيامة، وقد تقدم حديث ابن عمر الصحيح فى النجوى وفيه فى المؤمن «ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين» وعن ابن السائب فى قوله تعالى ﴿ **وأما من أوتى كتابه بشماله** ﴾ قال ابن السائب: تلوى يده اليسرى خلف ظهره، ثم يعطى كتابه وقيل: تنزع يده اليسرى من صدره إلى خلق ظهره ثم يعطى كتابه. وقال مجاهد: تخلع يده اليسرى من وراء ظهره. وقال البغوى فى قوله تعالى ﴿ **وأما من أوتى كتابه وراء ظهره** ﴾ قال: فتغل يده اليمنى إلى عنقه وتجعل يده الشمال وراء ظهره فيؤتى كتابه بشماله من وراء ظهره.

فصـــــل – فيما جاء فى الميـــــزان

والوزن بالقــــسط فــــلا ظلم ولا   يؤخــذ عــبــد بســوى مــاعــمــلا
فــــبين ناج راجح مـــــيــــزانه   ومـــــقـــــرف أوبقــــه عــــدوانه

(والوزن) لأعمال العباد (بالقسط) العدل (فلا ظلم) على أحد يومئذ، لأن الحاكم فيه

هو العدل الحكيم الذى حرم الظلم على نفسه وجعله على عباده محرماً فلا يهضم أحد من حسناته. (ولايؤخذ عبد بسوى ماعملا) الألف للاطلاق، قال الله تعالى ﴿ **اليوم تجزى كل نفس بماكسبت لاظلم اليوم** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلاتظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾، وقال تعالى عن لقمان ﴿ **يابنى إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير** ﴾، وقال تعالى ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها الله** ﴾. (فبين ناج راجح ميزانه) الخ قال الله تعالى ﴿ **والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولايتساءلون .فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم فى جهنم خالدون، تلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **فأما من ثقلت موازينه فهو فى عيشة راضية، وأما من خفت موازينه فأمه هاوية، وما أدراك ماهيه، نار حامية** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ وفى الترمذى عن النضر بن أنس بن مالك عن أبيه قال: سألت النبى ﷺ أن يشفع لى يوم القيامة، فقال: أنا فاعل – يعنى إن شاء الله – قلت فأين أطلبك؟ قال اطلبنى أول ماتطلبنى على الصراط. قلت: فان لم ألقك على الصراط؟ قال: فاطلبنى عند الميزان. قلت: فان لم ألقك عند الميزان؟ قالك فاطلبنى عند الحوض فانى لاأخطىء هذه الثلاث المواطن. هذا حديث حسن غريب، وفى سنن أبى داود وغيره حديث عائشة المتقدم وفيه «وعند الميزان حتى يثقل أو يخف» الحديث.

والقول فى الموزون على ثلاثة أوجه: الأول أنه الأعمال نفسها هى التى توزن، وأن أفعال العباد تجسم فتوضع فى الميزان. ويدل لذلك حديث أبى هريرة رضى الله عنه فى الصحيح قال: قال رسول الله ﷺ «كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان فى الميزان: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم»[1] وفى الصحيح عن أبى أمامة الباهلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «اقرأوا القرآن، فانه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه. اقرأوا الزهراوين البقرة وسورة آل عمران، فانهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيابتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرأوا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة» قال معاوية: بلغنى أن البطلة السحرة. ومعاوية هو ابن سلام. وفيه عن النواس بن سمعان الكلابى قال: سمعت النبى ﷺ يقول

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى من تحقيقنا الحديث الأخير

«يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين كانوا يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران. وضرب لهما رسول الله ﷺ ثلاثة أمثال مانسيتهن بعد قال «كأنهما غمامتان أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن صاحبهما» وقال الترمذى رحمه الله تعالى: معنى هذا الحديث عند أهل العلم أنه يجىء ثواب قراءته، كذا فسر بعض أهل العلم هذا الحديث ومايشبه هذا من الأحاديث أنه يجىء ثواب قراءة القرآن. وفى حديث النواس بن سمعان عن النبى ﷺ مايدل على مافسروا إذ قال النبى ﷺ «وأهله الذين يعملون به فى الدنيا» ففى هذا دلالة أنه يجىء ثواب العمل أ.هـ قلت: ولامانع من كون الآتى هو العمل نفسه كما هو ظاهر الحديث: فأما أن يقال إن الآتى هو كلام الله نفسه فحاشا وكلا ومعاذ الله، لأن كلامه تعالى صفته ليس بمخلوق، والذى يوضع فى الميزان هو فعل العبد وعمله ﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ وروى الامام أحمد عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالساً عند النبى ﷺ فسمعته يقول « تعلموا سورة البقرة فان أخذها بركة وتركها حسرة ولاتستطيعها البطلة» قال: ثم سكت ساعة ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران فانهما الزهراوان، يظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيابتان أو فرقان من طير صواف، وان القرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له: هل تعرفنى؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذى اظمأتك فى الهواجر وأسهرت مقلتك وان كل تاجر من وراء تجارتك، وإنك اليوم من وراء كل تجارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج من الوقار ويكسى والداه حلتان لايقوم لهم أهل الدنيا فيقولان: بما كسينا هذا؟ فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد فى درج الجنة وغرفها، فهو فى صعود، مادام يقرأ هذًا كان أو ترتيلا. وإسناده حسن. والقول بأن الأعمال هى ذاتها التى توزن، ذكره البغوى عن ابن عباس رضى الله عنه. والقول الثانى أن صحائف الأعمال هى التى توزن، ويدل لذلك ماروى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله عز وجل يستخلص رجلا من أمتى على رءوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل مد البصر ثم يقول: أتنكر من هذا شيئاً، أظلمك كتبتى الحافظون؟ قال لا يارب، قال أفلك عذر أوحسنة؟ قال فبهت الرجل فيقول يارب، فيقول بلى إن لك عندنا حسنة واحدا لا ظلم عليك اليوم، فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ فيقول أحضروه، فيقول يارب ماهذه البطاقة معهذه السجلات ، فيقول إنك لا تظلم ، قال فتوضع السجلات فى كفة والبطاقة فى كفة قال فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، قال ولايثقل شىء مع «أسم الله الرحمن الرحيم»

ورواه الترمذى وابن ماجه وقال الترمذى حسن غريب. والثالث أن الموزون ثواب العمل وهو اطراد مانقله الترمذى فى معنى حديث النواس. الرابع أن الموزون هو العامل نفسه، ويدل لذلك ماروى أحمد عن على رضى الله عنه أن ابن مسعود رضى الله عنه صعد شجرة يجتنى الكباث [1]، فجعل الناس يعجبون من دقه ساقيه، فقال رسول الله ﷺ «والذى نفسى بيده هما فى الميزان أثقل من أُحد» وروى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «إنه ليأتى الرجل العظيم السمين يوم القيامة لايزن عند الله جناح بعوضة» وقال اقرأوا ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ ولابن أبى حاتم عنه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم فيوزن بحبة فلايزنها» قال وقرأ ﴿ **فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا** ﴾ رواه ابن جرير. وروى البزار عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ ، فأقبل رجل من قريش يخطر فى حلة له، فلما قام على النبى قال « يابريدة هذا ممن لايقيم الله له يوم القيامة وزنا». قلت والذى استظهر من النصوص – و الله أعلم – أن العامل وعمله وصحيفة عمله كل ذلك يوزن لأن الأحاديث التى فى بيان القرآن قد وردت بكل من ذلك ولا منافاة بينها، ويدل لذلك مارواه أحمد رحمه الله تعالى عن عبد الله بن عمرو وفى قصة صاحب البطاقة بلفظ: قال قال رسول الله ﷺ «توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع فى كفة ويوضع ما أحصى عليه فيمايل به الميزان، قال فيبعث به إلى النار. قال فاذا أدبر إذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: لاتعجلوا فانه قد بقى له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله فتوضع مع الرجل فى كفة حتى يميل به الميزان. فهذا الحديث يدل على أن العبد يوضع هو وحسناته وصحيفتها فى كفة وسيئاته مع صحيفتها فى الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ماتفرق ذكره فى سائر أحاديث الوزن، ولله الحمد والمنة، وروى أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رجلا من أصحاب رسول الله ﷺ جلس بين يديه فقال: يارسول الله ان لى مملوكين يكذبونني ويخونونني ويعصونني وأضربهم وأشتمهم فيكف أنا منهم؟ فقال له رسول الله ﷺ «يحسب ماخانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فان كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً لا لك ولاعليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلا لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتصَّ لهم منك الفضل الذى بقى قبلك» فجعل الرجل يبكى بين يدى رسول الله ﷺ ويهتف، فقال رسول الله ﷺ «ماله لايقرأ كتاب الله ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين** ﴾ فقال الرجل: يارسول الله ما أجد شيئاً خيراً من فراق هؤلاء – يعنى عبيده – إنى أشهدك أنهم أحرار كلهم.

---

(١) النضيج من ثمر الأراك

فصل - فيما جاء في الصراط

وينصب الجسر بلا امتراء　　كما أتى في محكم الأنباء
يجوزه الناس على أحوال　　بقدر كسبهم من الأعمال
فبين مجتاز إلى الجنان　　ومسرف يكبُّ في النيران

(وينصب الجسر) وهو الصراط على متن جهنم (بلا امتراء) بلا شك (كما أتى في محكم الأنباء) من الآيات والأحاديث (يجوزه) يمر عليه الناس (على أحوال) متفاوتة (بقدر كسبهم) في الحياة الدنيا (من الأعمال) من إحسان أو إساءة أو تخليط، (فـ)هم (بين مجتاز) عليه (إلى الجنان) وهم المؤمنون على تفاوت درجاتهم ومراتبهم في البطء والإسراع، (ومسرف) على نفسه (يكب في النيران) فلا ينجو، ومنهم من تلفحه وتمسه النار بقدر ذنبه ثم يخرج منها قال الله تعالى **﴿ وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً، ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ﴾** وقال تعالى **﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم، يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم، قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نورا، فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى ولكنكم فتنتم أنفسكم وارتبتم وغرتكم الأماني حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور. فاليوم لايؤخذ منكم فدية ولا من الذين كفروا مأواكم النار هي مولاكم وبئس المصير ﴾** وروى الإمام أحمد عن كثير بن زياد البرساني عن أبي سمية قال: اختلفنا في الورود، فقال بعضنا لا يدخلها مؤمن، وقال بعضنا يدخلونها جميعاً ثم ينجي الله الذين اتقوا، فلقيت جابر بن عبد الله فقلت له: إنا اختلفنا في الورود، فقال: يردونها جميعاً. وقال سليمان بن مرة: يدخلونها جميعاً وأهوى باصبعيه إلى أذنيه وقال: صمتا إن لم أكن سمعت رسول الله ﷺ يقول «لايبقى بر ولا فاجر إلا دخلها: فتكون على المؤمن برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم حتى إن للنار ضجيجاً من بردهم، ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا. وروى الحسن بن عرفة عن خالد بن معدان قال: قال أهل الجنة بعد مادخلوا الجنة: ألم يعدنا ربنا الورود على النار؟ قال: قد مررتم عليها وهي خامدة. وروى عبد الرزاق عن قيس بن حازم قال: كان عبد الله بن رواحة واضعاً رأسه في حجر امرأته فبكى فبكت امرأته، فقال مايبكيك؟ قالت رأيتك تبكي فبكيت، قال إني ذكرت قول الله عز وجل **﴿ وإن منكم إلا واردها ﴾** فلا أدري أأنجو منها أم لا. وله عن ابن عباس في قصة مخاصمته نافع بن

الأزرق، فقال ابن عباس: الورود الدخول. فقال نافع لا. فقرأ ابن عباس ﴿ **إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ وردوا أم لا؟ وقال ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** ﴾ أوردوها أم لا؟ أما أنا وأنت فسندخلها فانظر هل نخرج منها أم لا، وما أرى الله تعالى مخرجك منها بتكذيبك، فضحك نافع. وروى ابن جرير عن مجاهد قال: كنت عند ابن عباس فأتاه إجل يقال له أبو راشد وهو نافع بن الأزرق فقال له : يا ابن عباس أرأيت قول الله تعالى ﴿ **وإنْ منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا** ﴾ قال: أما أنا وأنت يا أبا راشد فسنردها، فانظر هل نصدر عنها أم لا. وعنه رضى الله عنه فى ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال: البر والفاجر، ألا تسمع إلى قول الله تعالى لفرعون ﴿ **يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار** ﴾ الآية ﴿ **ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا** ﴾ فسمى الورود على النار دخولا وليس بصادر، وروى الإمام أحمد رحمه الله عن عبد الله هو ابن مسعود رضى الله عنه ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال رسول الله ـ ﷺ «يرد الناس كلهم ثم يصدرون عنها بأعمالهم». ورواه الترمذى هكذا مرفوعاً، وقد رواه ابن أبى حاتم عنه موقوفاً قال «يرد الناس جميعاً الصراط، وورودهم قيامهم حول النار، ثم يصدرون عن الصراط بأعمالهم: فمنهم من يمر مثل البرق، ومنهم من يمر مثل الريح، ومنهم من يمر مثل الطير، ومنهم من يمر كأجود الخيل، ومنهم من يمر كأجود الإبل، ومنهم من يمر كعدو الرجل حتى إن آخرهم مرا رجل نوره على موضع إبهامى قدميه يمر فيتكفأ به الصراط، والصراط دحض مزلة عليه حسك كحسك القتاد حافتاه ملائكة معهم كلاليب من نار يختطفون بها الناس. الحديث، وروى ابن جرير عنه فى ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال: الصراط على جهنم مثل حد السيف فتمر الطبقة الأولى كالبرق، والثانية كالريح، والثالثة كأجود الخيل، والرابعة كأجود البهائم، ثم يمرون والملائكة يقولون: اللهم سلم سلم. وقال قتادة: قوله تعالى ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ قال: هوالممر عليها، وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ورود المسلمين المرور على الجسر بين ظهرانيها، وورود المشركين أن يدخلوها. وفى الصحيحين من حديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لايموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم» قال الزهرى كأنه يريد هذه الآية ﴿ **وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضياً** ﴾ قال ابن مسعود: قسما واجباً، وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضاً مرفوعاً من حديثه الطويل فى الرؤية والشفاعة وفيه «ويضرب الصراط بين ظهرى جهنم فأكون أنا وأمتى أول من يجيزها، ولايتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم. وفى جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان، قالوا: نعم يارسول الله، قال فانها مثل شوك السعدان، غير أنه لايعلم ماقدر

عظمها إلاالله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله والموثق بعمله ومنهم المخردل أو المجازى أونحوه. الحديث، وفيهما من حديث أبى سيعد الخدرى رضى الله عنه من حديثه الطويل فى ذلك مرفوعاً وفيه «ثم يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهرى جهنم. قلنا يارسول الله وما الجسر؟ قال مدحضة مزلة، عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان، يمر المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم وناج مخدوش ومكدوس فى نار جهنم حتى يمر آخرهم يسحب سحباً الحديث، ولمسلم عن أنس عن ابن مسعود رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال« آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشى مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة – فاذا ما جاوزها التفت اليها فقال: تبارك الذى نجانى منك، لقد أعطانى الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين الحديث. وفى رواية عن ابن مسعود «رجل يخرج من النار حبواً» وفيه عن أبى هريرة وحذيفة رضى عنهما فى حديث استفتاح الجنة عن النبى ﷺ مطولا. وفيه «وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتى الصراط يمينا وشمالا، فيمر أولكم كالبرق، قال: قلت بأبى أنت وأمى أى شيء كمر البرق؟ قال: ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع فى طرفة عين، ثم كمر الريح، ثم كمر الطير، وتشد الرجال تجرى بهم أعمالهم، قال ونبيكم ﷺقائم على الصراط يقول رب سلم سلم حتى تعجز أعمال العباد حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحافا. قال وفى حافتى الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أمرت به فمخدوش ناج ومكدوس فى النار. والذى نفس أبى هريرة بيده إن قعر جهنم لسبعون خريفاً. وفيه أيضاً فى بعض طرق حديث أبى سعيد المتقدم قال أبو سعيد «بلغنى أن الجسر أقل من الشعرة وأحدُّ من السيف»، وفيه عن أبى الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يسأل عن الورود الحديث. وفيه رؤية الله تعالى «فيتجلى لهم يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطى كل إنسان – منافق أو مؤمن – نوراً ثم يتبعونه وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك تأخذ من شاء الله تعالى، ثم يطفأ نور المنافقين ثم ينجو المؤمنون فتنجو أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لايحاسبون وذكر الحديث. وقال عبد الله بن مسعود فى قول الله تعالى ﴿ **يسعى نورهم بين أيديهم** ﴾ قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل ومنهم من نوره مثل النخلة ومنهم من نوره مثل الرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره فى إبهامه يتقد مرة ويطفأ مرة. رواه ابن أبى حاتم وابن جرير، وقال قتادة: ذكر لنا أن نبى الله ﷺ كان يقول «من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه»، وروى الطبرانى عن ابن عباس رضى اللهعنهما قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ إن الله

تعالى يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم ستراً منه على عباده، وأما عند الصراط فان الله تعالى يعطى كل مؤمن نوراً وكل منافق نوراً، فاذا استووا على الصراط سلب الله تعالى نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون: انظرونا نقتبس من نوركم، وقال المؤمنون ربنا أتمم لنا نورنا فلا يذكر عند ذلك أحد أحدا قلت وذلك من تأويل قول الله تعالى ﴿ **يوم لايخزى الله النبى والذين آمنوا معه، نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير** ﴾ وروى ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء وأبى ذر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال«أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فأنظر من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى، فأعرف أمتى من بين الأمم. فقال له رجل: يانبى الله كيف تعرف أمتك من بين الأمم مابين نوح إلى أمتك؟ فقال أعرفهم محجلون من أثر الوضوء ولايكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم وأعرفهم بسيماهم فى وجوههم ، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم. وقال الضحاك: ليس أحد إلا يعطى نوراً يوم القيامة، فاذا انتهوا إلى الصراط طفىء نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفىء نور المنافقين فقالوا: ربنا أتمم لنا نورنا. وقال الحسن رحمه الله ﴿ **يسعى نورهم بين أيديهم** ﴾ قال: على الصراط أ.هـ. وقد أنكر الصراط والمرور عليه أهل البدعة والهوى من الخوارج ومن تابعهم من المعتزلة، وتأولوا الورود برؤية النار لا أنه الدخول والمرور على ظهرها، وذلك لاعتقادهم أن من دخل النار لايخرج منها ولو بالاصرار على صغيرة، فخالفوا الكتاب والسنة والجماعة وردوا الآيات والأحاديث الواردة فى الورود والمقام المحمود والشفاعة، ولذا قال ابن عباس رضى الله عنهما فيما روى ابن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق مارى ابن عباس رضى الله عنهما فى الورود، فقال ابن عباس رضى الله عنهما: هو الدخول: وقال نافع: ليس الورود الدخول، فتلا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما قوله تعالى ﴿ **إنكم وماتعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** ﴾ أدخلها هؤلاء أم لا؟ ثم قال: يانافع أما والله أنت وأنا سنردها، وأنا أرجو أن يخرجنى الله منها، وما أرى عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك.

فصل - فيماورد فى الجنة والنار

والنار والجنة حق وهما موجودتان لافناء لهما

أى ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالجنة والنار، والبحث فيه ينحصر فى ثلاثة أمور :
الأول: كونهما حقاً لاريب فيهما ولاشك، وأن النار دار أعداء الله ، والجنة دار أوليائه. وهذا هوالمشار اليه بقولنا حق، قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا**

وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لايعصون الله ما أمرهم ويفعلون مايؤمرون، يا أيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم إنما تجزون ماكنتم تعملون، يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ فاتقوا النار التى أعدت للكافرين، وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار ﴾ الآية. وقال تعالى ﴿ واتقوا النار التى أعدّت للكافرين، وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون، وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ وكفى بجهنم سعيراً. إن الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذقوا العذاب، إن الله كان عزيزاً حكيما، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً لهم فيها أزواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ﴾[1] وقال تعالى ﴿ إن الذين لايرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون، أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون. إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم، دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين ﴾ وقال تعالى فى أولياء الشيطان ﴿ يعدهم ويمنّيهم ومايعدهم الشيطان إلا غرورا، أولئك مأواهم جهنم ولايجدون عنها محيصا، والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا وعد الله حقا ومن أصدق من الله قيلا ﴾. وقال تعالى لإبليس ﴿ إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين، وإن جهنم لموعدهم أجمعين. لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم، إن المتقين فى جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ﴾ الآيات، وغيرها كثيرة فى القرآن شهيرة، كلما يذكر الجنة عطف عليها بذكر النار، وكلما يذكر أهل النار عطف عليهم بذكر أهل الجنة، فتارة يعد ويتوعد، وتارة يرغب فى الجنة ويدعو اليها ويرهب من النار ويحذر منها، وتارة يخبر عما أعدّ فى الجنة من النعيم المقيم لأوليائه، ويخبر عما أرصد فى النار من العذاب الأليم لأعدائه وغير ذلك. فمن رام استقصاءه فليقرأ القرآن من فاتحته إلى خاتمته بتدبر وقلب شهيد والله الموفق. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا صدقة بن الفضل حدثنا الوليد عن الأوزاعى قال حدثنى عمير بن هانىء قال حدثنى جنادة بن أبى أمية عن عبادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: من شهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى

(١) الآيات : ٥٥ ـ ٥٧ من سورة النساء ، وقد وردت مضطربة فى الأصل .

مريم وروح منه دخل «من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء» ووافقه على إخراجه مسلم وغيره. ولهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان النبى ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال «اللهم لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق ولقاؤك حق وقولك حق والجنة حق والنار حق والنبيون حق ومحمد ﷺ حق والساعة حق. اللهم لك أسلمت وبك آمنت وعليك توكلت وإليك أنبت وبك خاصمت وإليك حاكمت، فاغفر لى ماقدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت أو لا إله غيرك، زاد فى رواية «ولا حول ولا قوة إلا بالله» هذا لفظ البخارى فى باب التهجد، وقد روياه من طرق كثيرة بألفاظ متقاربة، وفيه أن النبى ﷺ قرن الشهادة بحقية الجنة والنار مع الشهادة بحقيه وحقية رسله عليهم السلام وحقية وعده الصادق وهما أى الجنة والنار من وعده الصادق الذى أقسم على صدقه وحقيته ووقوعه فى غير ماموضع من كتابه. وفى حديث عبادة هذا أنه ﷺ علق دخول الجنة والنجاة من النار بالتصديق بهما والشهادة بذلك، ولهذا يقول الله عز وجل يوم القيامة لأهل النار ﴿ **هذه النار التى كنتم بها تكذبون اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يوم يُدَعُّون إلى نار جهنم دعاً، هذه النار التى كنتم بها تكذبون أفسحر هذا** ﴾ الآيات وغيرها. وتقدم فى بعض ألفاظ حديث جبريل من رواية ابن عباس عند أحمد «قال فحدثنى ما الإيمان؟ قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وتؤمن بالموت وبالحياة بعد الموت وتؤمن بالجنة والنار والحساب والميزان» الحديث، وغير ذلك من الأحاديث.

البحث الثانى: اعتقاد وجودهما الآن، قال الله تعالى فى الجنة ﴿ **أعدت للمتقين – أعدت للذين آمنوا بالله ورسله – فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى** ﴾ وغيرها من الآيات يخبر تعالى أنها معدة قد أوجدت، وأنها مخفية لأولياء الله تعالى مدخرة لهم، وأنها فى السماء، وأن النبى ﷺ أتاها ليلة المعراج ورآها. وقال تعالى فى النار ﴿ **أعدت للكافرين** ﴾ وقال ﴿ **وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا، والظالمين أعد لهم عذاباً أليما، إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآبا** ﴾ فهى أيضاً معدة لأعداء الله تعالى مرصدة لهم. وقال البخارى فى صحيحه «باب ماجاء فى صفة الجنة وأنها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديث ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «إذا مات أحدكم فانه يعرض عليه مقعده بالغداة والعشى، فان كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل

النار»[١] وحديث عمران بن حصين عن النبى ﷺ قال «اطلعت فى الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال «بينما نحن عند رسول ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتنى فى الجنة، فاذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمر وقال: عليك أغار يارسول الله »؟ وحديثه رضى الله عنه أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «قال الله تعالى: أعددت لعبادى الصالحين ما لاعين رأت ولاأذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم: فلا تعلم نفس ما أخفى لها من قرة أعين جزاء بماكانوا يعملون ثم ساق الأحاديث فى صفتها ثم قال «باب صفة النار وأنها مخلوقة» ثم ذكر فيه حديث أبى ذر وأبى سعيد رضى الله عنهما قال النبى ﷺ «أبردوا بالصلاة فان شدة الحر من فيح جهنم» وحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: رسول الله ﷺ «اشتكت النار إلى ربها فقالت: رب أكل بعضى بعضاً. فأذن لها بنفسين نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ماتجدون فى الحر وأشد ماتجدون من الزمهرير، وحديث ابن عباس ورافع بن خديج وعائشة وابن عمر رضى الله عنهم قال رسول الله ﷺ « الحمى من فيح جهنم فأبردوهب الماء» [٢] وحديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم قيل يارسول الله إن كانت لكافية قال «فضلت عليها بتسعة وستين جزءاً كلهن مثل حرها» وفيه من حديث أنس بن مالك فى المعراج «ثم انطلق حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لا أدرى ماهى، ثم أدخلت الجنة فاذا فيها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك وفيه من حديث مالك بن صعصعة فى ذلك وفيه «ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة قال: هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت: ماهذان ياجبريل؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات الحديث. وفيهما من حديث صلاة الكسوف وخطبته ﷺ فيها وأنه عرضت عليه الجنة والنار، وأنه ﷺ أراد أن يتناول من الجنة عنقوداً فقصرت يده عنه، وأنه لو أخذه لأكلوا منه مابقيت الدنيا، وأنه رأى النار ورأى فيها صاحب المحجن الذى كان يسرق الحاج، ورأى فيها عمرو بن لُحَىّ يجر قُصْبه فى النار، ورأى المرأة التى تعذب هرة حبستها وقال ﷺ «لم أر منظرا كاليوم أفظع»، وفى صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «لما خلق الله الجنة والنار أرسل جبرائيل إلى الجنة فقال: اذهب فانظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها. فذهب فنظر اليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها، فرجع فقال: وعزتك لايسمع

(١) انظر الفتح ح ٣٠٦٨ .

(٢) رواه الشيخان .

بها أحد إلا دخلها. فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال: ارجع فانظر اليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر اليها ثم رجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لايدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار قال: اذهب فانظر اليها وإلى ماأعددت لأهلها فيها، قال فنظر اليها فاذا هى يركب بعضها بعضاً، ثم رجع فقال: وعزتك لايدخلها أحد سمع بها. فأمر بها فحفت بالشهوات، ثم قال: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر اليها فرجع فقال: وعزتك لقد خشيت أن لاينجو منها أحد إلا دخلها»[1] وقد تقدم فى أحاديث عذاب القبر وأحوال البرزخ ذكر الجنة والنار ورؤية كل منزلة فيها، وعرض مقعده عليه وفتح باب أحديهما اليه وأن أرواح المؤمنين فى عليين وأرواح الفجار فى سجين وغير ماذكرنا من الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة مالا يحصى، وإلى هذه المسألة الاشارة بقولنا (موجودتان).

(البحث الثالث فى دوامهما وبقائهما بابقاء الله لهما، وأنهما لاتفنيان أبداً ولايفنى من فيهما، وإلى هذه المسألة الاشارة بقولنا (لافناء لهما) قال الله تعالى فى الجنة ﴿ **خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لايمسهم فيها نصب وماهم منها بمخرجين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **خالدين فيها مادامت السموات والأرض إلا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن هذا لرزقنا ماله من نفاد** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن المتقين فى مقام أمين** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم. فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لامقطوعة ولاممنوعة** ﴾ وغير ذلك من الآيات، فأخبر تعالى بأبديتها بقوله ﴿ **خالدين فيها أبداً - إن هذا لرزقنا ماله من نفاد** ﴾ وأبدية حياة أهلها بقوله ﴿ **لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى** ﴾ وعدم انقطاعها عنهم بقوله ﴿ **لامقطوعة ولاممنوعة - عطاء غير مجذوذ** ﴾ وبعدم خروجهم بقوله ﴿ **وماهم منها بمخرجين** ﴾. وكذلك النار قال الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولاليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا. خالدين فيها أبدا لايجدون ولياً ولانصيرا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن عذابها كان غراما. إنها ساءت مستقراً ومقاما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولهم عذاب مقيم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وماهم بخارجين من النار** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن المجرمين فى عذاب جهنم خالدون. لايفتر عنهم وهم فيه مبلسون. وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين. ونادوا يامالك ليقض علينا ربك، قال إنكم ماكثون** ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ **والذين كفروا لهم نار جهنم لايقضى عليهم فيموتوا ولايخفف عنهم من**

(١) رواه الترمذى والنسائى .

عذابها كذلك نجزى كل كفور، وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل أولم نعمركم مايتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير فذوقوا فما للظالمين من نصير ﴾ وقال تعالى ﴿ قالو ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوماً ضالين، ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، قال اخسئوا فيها ولاتكلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم ﴾ وقال تعالى ﴿ إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لايموت فيها ولايحيى ﴾ وقال تعالى ﴿ سيذكر من يخشى، ويتجنبها الأشقى الذى يصلى النار الكبرى ثم لايموت فيها ولايحيى ﴾ وقال تعالى ﴿ لابثين فيها أحقابا ﴾ إلى قوله ﴿ فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾ وغير ذلك فى القرآن كثير، فأخبرنا تعالى فى هذه الآيات وأمثالها أن أهل النار الذين هم أهلها خلقت لهم وخلقوا لها وأنهم خالدون فيها أبدا الآبدين ودهر الداهرين، لا فكاك لهم منها ولاخلاص، ولات حين مناص. فأخبر تعالى عن أبديتهم فيها بقوله ﴿ خالدين فيها أبدا ﴾ ونفى تعالى خروجهم منها بقوله تعالى ﴿ وماهم بخارجين من النار ﴾ ونفى تعالى انقطاعها عنهم بقوله عز وجل ﴿ ولايخفف عنهم من عذابها ﴾ وقوله تعالى ﴿ لايفتر عنهم ﴾ ونفى فناءهم فيها بقوله عز وجل ﴿ ثم لايموت فيها ولايحيى ﴾ وقوله ﴿ كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب ﴾.

وقال البخارى رحمه الله تعالى فى قوله عز وجل ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر﴾: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش حدثنا أبو صالح عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول ﷺ «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادى مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه ثم ينادى: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت ، ثم قرأ ﴿ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم فى غفلة ﴾ وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا وهم لايؤمنون ووافقه على إخراجه مسلم من حديث أبى سعيد هذا، وأخرجاه أيضاً من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى مناد: يا أهل الجنة لاموت، ويا أهل النار لاموت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم وفى رواية لمسلم عن عبد الله هو ابن عمر رضى الله عنهما قال: إن رسول الله ﷺ قال « يدخل الله أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول: يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت، كل خالد فيما هو فيه. ورواه البخارى دون قوله كل خالد الخ. وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال:

قال النبي ﷺ «يقول لأهل الجنة خلود لاموت، ولأهل النار: يا أهل النار خلود لاموت»(١).

وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا نصر بن على الجهضمى حدثنا بشر يعنى ابن المفضل عن أبى مسلمة عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فانهم لايموتون فيها ولايحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل: يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل. فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية، ورواه الإمام أحمد من طرق بألفاظ متقاربة نحو هذا اللفظ، وفى الباب آيات وأحاديث كثيرة غير ماذكرنا، وفى هذا القدر كفاية وبالله التوفيق.

نعم جاءت الأحاديث الصريحة باخراج عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر جنايتهم، وأنهم يخرجون منها برحمة الله تعالى ثم بشفاعة الشافعين كما سيأتى إن شاء الله قريباً، وأن هؤلاء العصاة يسكنون الطبقة العليا من النار على تفاوتهم فى مقدار ماتأخذ منهم. وجاء فيها آثار أن هذه الطبقة تفنى بعدهم إذا أخرجوا منها وأدخلوا الجنة، وأنها ليأتين عليها يوم وهى تصفق فى أبوابها ليس بها أحد، وعلى ذلك حمل جمهور المفسرين الاستثناء فى قوله تعالى ﴿ إلا ماشاء ربك ﴾ الآية، وعلى ذلك يحمل ماورد من آثار الصحابة. وما أحسن ماقاله ابن القيم رحمه الله تعالى فى كتابه (الوابل الصيب) قال رحمه الله تعالى: ولما كان الناس ثلاث طبقات: طيب لايشوبه خبث، وخبيث لاطيب فيه، وآخرون فيهم خبث وطيب - كانت دورهم ثلاثة: دار الطيب المحض، ودار الخبيث المحض - وهاتان الداران لاتفنيان - ودار لمن معه خبث وطيب وهى الدار التى تفنى وهى دار العصاة، فانه لايبقى فى جهنم من عصاة الموحدين أحد، فانهم إذا عذبوا بقدر جزائهم أخرجوا من النار فأدخلوا الجنة ولايبقى إلا دار الطيب المحض ودار الخبيث المحض، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(فصل) قالت اليهود قبحهم الله : إن النار يدخلها قوم من الكفار ويخرجون منها بعد أيام ثم يخلفهم آخرون كما قص الله تعالى ذلك عنهم فى سورة البقرة إذ يقول تعالى **﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة ﴾** ثم رد ذلك عليهم بقوله تعالى **﴿ قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله مالا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون، والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ﴾** وقال تعالى فى آل عمران **﴿ ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم فى دينهم ماكانوا يفترون. فكيف**

(١) رواه الشيخان .

إذا جمعناهم ليوم لاريب فيه ووفيت كل نفس ماكسبت وهم لايظلمون ﴾ وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا الليث عن سعيد بن أبى سعيد عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال «لما فتحت خيبر أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ : اجمعوا لى من كان ههنا من اليهود، فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: إنى سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيَّ عنه؟ فقالوا نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ من أبوكم؟ قالوا أبونا فلان. فقال رسول الله ﷺ : كذبتم، بل أبوكم فلان. فقالوا: صدقت وبررت. فقال ﷺ: هل أنتم صادقى عن شيء إن سألتكم عنه، فقالوا نعم يا أبا القاسم، وإن كذبناك عرفت كذبنا كما عرفته لأبينا. قال لهم رسول الله ﷺ : من أهل النار؟ فقالوا نكون فيها يسيراً ثم تخلفوننا فيها. فقال لهم رسول الله ﷺ : اخسئوا فيها، والله لانخلفكم فيها أبداً. ثم قال لهم: فهل أنتم صادقى عن شيء إن سألتكم عنه؟ قالوا نعم، فقال هل جعلتْم فى هذه الشاه سماً ؟ فقالوا نعم . فقال ما حملكم على ذلك فقالوا: أردنا إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك. وقال ابن عربى إمام الاتحادية محيى الزندقة والإلحاد فى آيات الله تعالى: إن أهلها يعذبون فيها ثم تنقلب طبيعتهم وتبقى طبيعة النارية يتلذذون بها لموافقتها طبعهم. وقال الجهم وشيعته: إن الجنة والنار تفنيان كلاهما لأنهما حادثتان، وماثبت حدوثه استحال بقاؤه. بناء على أصله الفاسدفى منع تسلسل الحوادث وبقائها بإبقاء الله تعالى لها. وقال طائفة من المعتزلة والقدرية: لم يكونا الآن موجودتين بل ينشئهما الله تعالى يوم القيامة. وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذى وضعوا به شريعة لما يفعله الله وأنه ينبغى أن يفعل كذا ولاينبغى له أن يفعل كذا، قياسا لله تعالى على خلقه فى أفعالهم، فهم مشبهة فى الأفعال، ودخل التجسيم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة، وقالوا خلق الجنة والنار قبل الجزاء عبث لأنها تصير معطلة مدداً متطاولة، فردوا من نصوص الكتاب والسنة ماخالف هذه الشريعة الباطلة التى وضعوها للرب تعالى، وحرفوا النصوص عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالف شريعتهم قبحهم الله تعالى. وقال أبو الهذيل العلاف تفنى حركات أهل الجنة والنار ويصيرون جمادا لايحسون بنعيم ولا ألم. وكل هذه الأقوال مخالفة لصحيح المعقول وصريح المنقول، ومحادّة ومشاقة لله تعالى وللرسول ﷺ ، وتقديم للعقول السخيفة وزبالة الأذهان البعيدة والقلوب الشقية الطريدة، وزخارف فاسدى السيرة والسريرة والظاهر والباطن والعمل والعقيدة. وما أحسن ماقاله ابن القيم رحمه الله تعالى فى نونيته الكافية الشافية فى أثناء حكايته عقيدة جهم وشيعته دمرهم الله تعالى:

وقضى بأن الله كان معطلا ... والفعل ممتنع بلا إمكان
ثم استحال وصار مقدوراً له ... من غير أمر قام بالديان

بل حـــاله ســبـــحـــانه في ذاته	قـــبل الحـــدوث وبعـــده ســيـــان
وقـــــضى بأن النار لم تخلق ولا	جنات عـــدن بل همـــا عـــدمـــان
فـــإذا همـــا خلقـــا ليـــوم مـــعـــادنا	فـــهـــمـــا على الأوقـــات فـــانيـــتـــان
وتلطف العـــــلاف من أتبـــــاعــــه	فـــأتى بضـــحكة جـــاهل مـــجـــان
قـــال الفناء يكون في الحـــركـــات لا	في الذات واعـــجـــبـــاً لذا الهـــذيان
أيصـــــيـــــر أهل الخلد في جناتهم	وجـحـيـمـهم كـحـجـارة البنيـان
مـاحـال من قـد كـان يغـشى أهله	عند انقـــضـــاد تحـــرك الحـــيـــوان
وكـذاك مـاحـال الذى رفـعت يداه	أكلة من صـــحـــفـــة وخـــوان
فـتناهت الحـركـات قـبل وصـولهـا	للـفـم عـنـد تـفـــــتـح الأسـنـان
وكـــذاك مـــاحـــال الذى امـــتـــدت يد	مـــنـــه إلـــى قـــنـــو مـــن الـــقـــنـــوان
فتناهت الحركـات قبل الأخـذ هل	يبـــقى كـــذلك ســـائر الأزمـــان
تبـــاً لهـــاتيك العـــقـــول فـــانهـــا	والله قـــد مـــســـخت على الأبدان
تبـــاً لمن أضـــحى يقـــدمـــهـــا على ال	آثـــار والأخـــبـــار والقـــرآن

فصـــل - فيما جاء في الحـــوض والكوثـــر

وحـــوض خـــيـــر الخلق حق وبه	يشـرب في الأخـرى جـمـيع حـزبه

(وحوض خير الخلق) نبيّنا محمد ﷺ وهو الكوثر الذى أعطاه ربه عـز وجل (حق) لامرية فيه (وبه) بالحوض (يشرب) أى يروى ولذا عدى بالباء دون من لتضمن الشرب ههنا معنى الرى (فى الأخرى) أى فى الدار الآخرة (وجميع حزبه) وهم أمة الإجابة الذين آمنوا به وصدقوه واتبعوا النور الذى أنزل معه، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **بسم ا الرحـمن الرحيم. إنا أعطيناك الكوثر. فصلِّ لربك وانحر، إن شانئك هو الأبتر** ﴾ وروى البخارى بسنده إلى أبى بشرعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال فى الكوثر: هو الخير الذى أعطاه الله إياه. قال أبو بشر: قلت لسعيد بن جبير: فان الناس يزعمون أنه نهر فى الجنة. فقال سعيد: النهر الذى فى الجنة من الخير الذى أعطاه الله إياه أ.هـ. وقد ورد فى ذكر الحوض وتفسير الكوثر به وإثباته وصفته من طرق جماعة من الصحابة عند النبى ﷺ، واشتهر واستفاض بل تواتر فى كتب السنة من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، فمن روى ذلك عنه من الصحابة: أنس بن مالك، وعبد الله بن عمر، وحارثة بن وهب، وجندب بن عبد الله، وسهل بن سعد، وعائشة، وعقبة بن عامر، وعبد الله ابن مسعود، وأبو

هريرة، وعبد الله بن عمرو، وابن عباس، وأسماء بنت أبى بكر، وثوبان، وأبو ذر، وأم سلمة، وجابر بن سمرة، وزيد بن أرقم، وسمرة بن جندب، وحذيفة، وأبو برزة الأسلمى، والمستورد بن شداد، وأبو سعيد الخدرى، وعبد الله بن زيد، وأسامة بن زيد.

فأما عن أنس بن مالك فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا آدم حدثنا شيبان حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه قال «لما عرج بالنبى ﷺ إلى السماء قال: أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الوليد حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن النبى ﷺ.وحدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبى ﷺقال «بينما أنا أسير فى الجنة إذ أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذى أعطاك ربك، فاذا طينه – أو طيبه – مسك أذفر شك شعبة. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن عفير قال حدثنى ابن وهب عن يونس قال ابن شهاب: حدثنى أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال« إن قدر حوضى كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق بعدد نجوم السماء. ووافقه على إخراجه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ «مابين ناحيتى حوضى كما بين صنعاء والمدينة» وبلفظ «ترى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء» . وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا وهيب حدثنا عبد العزيز عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «ليردنَّ علىَّ ناس من أصحابى الحوض حق عرفتهم اختلجوا دونى، فأقول أصحابى، فيقول لاتدرى ما أحدثوا بعدك ورواه مسلم بلفظ «ان النبى ﷺ قال ليردنَّ علىَّ الحوض رجال ممن صاحبنى حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلىَّ اختلجوا دونى، فلأقولن أى رب أصحابى، فليقالنَّ لى إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك.

وأما عن ابن عمر فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن عبيد الله حدثنى نافع عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «أمامكم حوض كما بين جرباء وأذرح»[١] ورواه مسلم بلفظ «مابين ناحيتيه كما بين جرباء وأذرح» وزاد فى رواية «فيه أباريق كنجوم السماء، من ورده فشرب منه لايظمأ بعدها أبداً» زاد فى أخرى: قال عبيد الله «فسألته فقال: قريتين بالشام بينهما مسيرة ثلاث ليال.

وأما عن حارثة بن وهب فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا على بن عبد الله حدثنا حرمى بن عمارة حدثنا شعبة عن معبد بن خاله أنه سمع حارثة بن وهب رضى الله عنه يقــول «سمعت النبى ﷺ وذكر الحوض فقال: كما بين المدينة وصنعاء وزاد ابن أبى

(١) انظر فتح البارى شرح صحيح البخارى ح ٦٢٠٦ .

عدى عن شعبة عن معبد بن خالد عن حارثة سمع النبيﷺ قوله «حوضه مابين صنعاء والمدينة» فقال له المستورد «ألم تسمعه قال الأوانى؟ قال لا. قال المستورد: ترى فيه الآنية مثل الكواكب ورواه مسلم بهذا اللفظ.

وأما عن جندب بن عبد الله فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان أخبرنى أبى عن شعبة عن عبد الملك قال: سمعت جندباً قال: سمعت النبى ﷺ يقول «أنا فرطكم على الحوض» رواه مسلم هكذا.

وأما عن سهل بن سعد فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا محمد بن مطرف حدثنى أبو حازم عن سهل بن سعد قال: قال النبى ﷺ«إنى فرطكم على الحوض، من مر عليَّ شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً. ليردن عليَّ أقوام أعرفهم ويعرفونى ثم يحال بينى وبينهم. قال أبو حازم فسمعنى النعمان بن أبى عياش فقال: هكذا سمعت من سهل؟ فقلت نعم. فقال: أشهد على أبى سعيد الخدرى لسمعته وهو يزيد فيها «فأقول إنهم منى، فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك، فأقول سحقاً سحقاً لمن غير بعدى». ورواه مسلم وفيه «لمن بدل بعدى».

وأما عن عائشة فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا خالد بن يزيد الكاهلى حدثنا إسرائيل عن أبى إسحاق عن أبى عبيدة عن عائشة رضى الله عنها فقال: سألتها عن قوله تعالى ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قالت «نهر أعطيه نبيكم ﷺ شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم، وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا ابن أبى عمر حدثنا يحيى بن سليم عن ابن خثيم عن عبد الله بن عبيد الله بن أبى مليكة أنه سمع عائشة رضى الله عنها تقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو بين ظهرانى أصحابه « إنى على الحوض أنتظر من يرد على منكم، فوالله ليقتطعن دونى رجال فلأقولن أى رب منى ومن أمتى، فيقول: إنك لاتدرى ما عملوا بعدك مازالوا يرجعون على أعقابهم » .

وأماعن عقبة بن عامر فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عمرو بن خالد حدثنا الليث عن يزيد عن أبى الخير عن عقبة رضى الله عنه أن النبى ﷺ خرج يوما فصلى على أهل أحد صلاته على الميت، ثم انصرف على المنبر فقال «إنى فرط لكم وأنا شهيد عليكم، وإنى والله لأنظر إلى حوضى الآن وإنى أعطيت مفاتيح خزائن الأرض – أو مفاتيح الأرض – وإنى والله ما أخاف أن تشركوا بعدى، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها ». ورواه مسلم بهذا اللفظ، وبلفظ «صلى رسول الله ﷺ على قتلى أحد، ثم صعد المنبر كالمودِّع للأحياء والأموات فقال: أنى فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة. إنى لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدى، ولكنى أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها

وتقتتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم. قال عقبة. وكان آخر ما رأيت رسول الله ﷺ على المنبر.

وأما عن عبد الله بن مسعود فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن حماد حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن شقيق عن عبد الله رضى الله عنه عن النبى ﷺ « أنا فرطكم على الحوض» ، وحدثنى عمرو بن على حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة عن المغيرة قال سمعت أبا وائل عن عبد الله رضى الله عنه أن النبى ﷺ « أنا فرطكم على الحوض، وليرفعن رجال منكم ثم ليختلجن دونى فأقول يارب: أصحابى، فيقال إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك تابعه عاصم عن أبى وائل، وقال حصين عن أبى وائل عن حذيفة عن النبى ﷺ. وروى مسلم حديث ابن مسعود بلفظ قال: قال رسول ﷺ «أنا فرطكم على الحوض ولأنازعن أقواماً لأغلبن عليهم فأقول: يارب أصحابى أصحابى فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك. وأشار إلى حديث حذيفة بنحو رواية الأعمش ومغيرة.

وأما عن أبى هريرة فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيم بن المنذر الخزامى حدثنا محمد بن فليح حدثنا أبى قال حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « بينا أنا قائم فاذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم فقال هلم، فقلت إلى أين؟ قال إلى النار والله، قلت ما شأنهم، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى ثم إذا زمرة حتى إذا عرفتهم خرج رجل من بينى وبينهم قال هلم ، قلت إلى أين ؟ قال إلى النار والله قلت ما شأنهم ، قال إنهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقرى فلا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم، وله عنه أنه كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال «يرد على يوم القيامة رهط من أصحابى فيحلأون عن الحوض فأقول يارب أصحابى، فيقول إنك لاعلم لك بما أحدثوا بعدك إنهم ارتدوا على أدبارهم القهقرى. وله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مابين بيتى ومنبرى روضة من رياض الجنة، ومنبرى على حوضى » وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الرحمن بن سلام الجمحى حدثنا الربيع يعنى ابن مسلم عن محمد بن زياد عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال «لأذودن عن حوضى رجالا كما تذاد الغريبة من الابل» وله عن أبى حاتم عنه رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال«إن حوضى أبعد من أيلة من عدن، لهو أشد بياضاً من الثلج وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر من عدد النجوم، وإنى لأصد الناس عنه كما يصد الرجل إبل الناس عن حوضه، قالوا يارسول الله أتعرفنا يومئذ. قال:نعم، لكم سيما ليست لأحد من الأمم، تردون علىّ غراً محجلين من أثر الوضوء.

وأما عن عبد الله بن عمرو بن العاص فقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن

أبي مريم حدثنا نافع بن عمر عن ابن أبي مليكة قال: قال عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ «حوضي مسيرة شهر ماؤه أبيض من اللبن وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ أبدا. ورواه مسلم بلفظ . « حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه أبيض من الورق وريحه أطيب من المسك وكيزانه كنجوم السماء فمن شرب منه فلا يظمأ أبداً » .

وأما عن ابن عباس فهو ماتقدم في أول الباب، وروى ابن جرير عن سعيد بن جبير عنه رضي الله عنه قال: الكوثر نهر في الجنة حافتاه ذهب وفضة يجرى على الياقوت والدر ماؤه أبيض من الثلج وأحلى من العسل. وله عن عطاء بن السائب قال قال لي محارب بن دثار: ماقال سعيد بن جبير في الكوثر؟ قلت: حدثنا عن ابن عباس: أنه الخير الكثير، فقال صدق و الله إنه للخير الكثير، ولكن حدثنا ابن عمر قال: لما نزلت ﴿ إنا أعطيناك الكوثر ﴾ قال رسول الله ﷺ «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب يجرى على الدر والياقوت».

وأما عن أسماء فقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا سعيد بن أبي مريم عن نافع بن عمر، قال حدثني ابن أبي مليكة عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قال رسول الله ﷺ «إني على الحوض حتى أنظر من يرد عليَّ منكم، وسيؤخذ ناس دوني فأقول: يارب مني ومن أمتي، فيقال هل شعرت ماعملوا بعدك واللهمابرحوا يرجعون على أعقابهم وكان ابن أبي مليكة يقول «اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع لى أعقابنا أو نفتن عن ديننا» ورواه مسلم بسند حديث عبد الله بن عمرو متصلا بمتنه ولفظه كلفظ البخاري.

وأما عن ثوبان فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى وابن بشار وألفاظهم متقاربة قالوا: حدثنا معاذ وهو ابن هشام حدثني أبي عن قتادة عن سالم بن أبي الجعد عن معدان بن أبي طلحة اليعمري عن ثوبان رضي الله عنه أن نبي الله ﷺ قال « إني لبعقر حوضي أذود الناس لأهل اليمن أضرب بعضهم بعصاي حتى يرفض عليهم، فسئل عن عرضه فقال: من مقامي إلى عمان. وسئل عن شرابه فقال: أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل يغتُّ فيه ميزابان يمدانه من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق..وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن اسماعيل أنبأنا يحيى بن صالح أنبأنا محمد بن مهاجر عن العباس عن أبي سلام الحبشي قال: بعث إليَّ عمر بن عبد العزيز فحملت على البريد فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين لقد شق على مركبي البريد. فقال: يا أبا سلام ما أردت أن أشق عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن النبي ﷺ في الحوض فأحببت أن تشافهني به، قال أبو سلام: حدثني ثوبان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال« حوضي من عدن إلى عمان البلقاء، ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأكوابه عدد نجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ بعدها أبداً، أول الناس وروداً عليه فقراء المهاجرين الشعث رءوساً الدنس ثياباً الذين لاينكحون المتنعمات

ولاتفتح لهم السدد»[1] قال عمر: لكني نكحت المتنعمات وفتحت لي السدد، نكحت فاطمة بنت عبد الملك، لا جرم أني لاأغسل رأسي حتى يشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ. ورواه ابن ماجه بلفظ «إن حوضي مابين عدن إلى أيلة أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، أكاويبه كعدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً الحديث. وفيه قال: فبكى عمر حتى اخضلت لحيته. وفيه «ولا أدهن رأسي حتى يشعث».

وأما عن أبي ذر فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وإسحق بن إبراهيم واللفظ لابن أبي شيبة، قال اسحق أخبرنا – وقال الآخران حدثنا – عبد العزيز بن عبد الصمد العمي عن أبي عمران الجوني عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر قال «قلت يارسول الله ما آنية الحوض؟ قال: والذي نفس محمد بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها ألا في الليلة المظلمة المصحية آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ماعليه يشخب فيه ميزابان من الجنة من شرب منه لم يظمأ عرضه مثل طوله مابين عمان إلى أيلة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل. رواه الترمذي بهذا اللفظ وقال حسن صحيح غريب.

وأما عن أم سلمة رضي الله عنها فقال مسلم بن الحجاج: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصدفي أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني عمرو وهو ابن الحارث أن بكيراً حدثه عن القاسم بن عباس الهاشمي عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنها قالت «كنت أسمع الناس يذكرون الحوض ولم أسمع ذلك من رسول الله ﷺ، فلما كان يوماً من ذلك والجارية تمشطني فسمعت رسول الله ﷺ يقول: أيها الناس. فقلت للجارية استأخري عني. قالت: إنما دعا الرجال ولم يدع النساء. فقلت: إني من الناس. فقال رسول الله ﷺ : إني لكم فرط على الحوض، فاياي لايأتين أحدكم فيذب عني كما يذب البعير الضال، فأقول فيم هذا؟ فيقال: إنك لاتدري ما أحدثوا بعدك فأقول سحقاً.

وأما عن جابر بن سمرة فقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني الوليد بن شجاع بن الوليد السكوني حدثني أبي رحمه الله تعالى حدثني زياد بن خيثمة عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة عن رسول الله ﷺ قال «ألا إني فرط لكم على الحوض، وإن بعد مابين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة، كأن الأباريق فيه النجوم.

وأما عن زيد بن أرقم فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا حفص بن عمر النمري حدثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي حمزة عن زيد بن أرقم قال: «كنا مع رسول الله ﷺ فنزلنا منزلا فقال: ما أنتم بجزء من مائة ألف جزء ممن يرد على الحوض. قال قلت: كم

(١) رواه الترمذي .

كنتم يومئذ؟ قال: سبعمائة أو ثمانمائة.

وأما عن سمرة بن جندب فقال الترمذى رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن نيزك البغدادى أنبأنا محمد بن بكار الدمشقى أنبأنا سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل نبى حوضاً وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردة» وإنى أرجو أن أكون أكثرهم واردة هذا حديث حسن غريب. وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبى ﷺ مرسلا ولم يذكر فيه عن سمرة وهو أصح أ.هـ.

وأما عن حذيفة فتقدمت الإشارة اليه عند الشيخين بعد روايتهما حديث ابن مسعود. وقال ابن ماجه رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا على بن مسهر عن أبى مالك سعد بن طارق عن ربعى عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ « إن حوضى لأبعد من أيلة إلى عدن، والذى نفسى بيده لآنيته أكثر من عدد النجوم، ولهو أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، والذى نفسى بيده إنى لأذود عنه الرجال كما يذود الرجل الإبل الغريبة عن حوضه. قيل: يارسول الله أتعرفنا؟ قال: نعم تردون علىّ غراً محجلين من أثر الوضوء، ليست لأحد غيركم. ورواه مسلم فى الطهارة بهذا اللفظ وبهذا السند.

وأما عن أبى برزة فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا عبد السلام بن أبى حازم أبو طالوت قال: شهدت أبا برزة دخل على عبيد الله بن زياد فحدثنى فلان سماه مسلم وكان فى السماط فلما رآه عبيد الله قال إن محمديكم هذا لدحداح (١)، ففهمها الشيخ فقال: ما كنت أحسب أنى أبقى فى قوم يعيرونى بصحبة محمد ﷺ، فقال له عبيد الله : إن صحبة محمد ﷺ لك زين غير شين، ثم قال: إنما بعثت إليك لأسألك عن الحوض، سمعتَ رسول الله ﷺ يذكر فيه شيئاً؟ فقال أبو برزة: نعم لامرة ولااثنتين ولاثلاثاً ولا أربعاً ولاخمساً، فمن كذب به فلا سقاه الله منه، ثم خرج مغضباً.

وأما عن المستورد فتقدم فى المتفق عليه من حديث حارثة بن وهب.

وأما حديث أبى سعيد الخدرى فقال ابن ماجه رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا محمد بن بشر حدثنا زكريا حدثنا عطية عن أبى سعيد الخدرى أن النبى ﷺ قال« إن لى حوضاً مابين الكعبة وبيت المقدس أبيض من اللبن آنيته عدد النجوم، وإنى لأكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة.

وأما عن عبد الله بن زيد فرواه البخارى ومسلم عنه مطولا فى قصة قسم غنائم حنين، وفى آخره قوله ﷺ للأنصار رضى الله عنهم «إنكم ستلقون بعدى أثرة، فاصبروا حتى تلقونى على الحوض».

وأما عن أسامة بن زيد فقال ابن جرير رحمه الله تعالى: حدثنى البرنى حدثنا ابن أبى

---

(١) الدحداح: القصير السمين

مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبى كثير أخبرنى حرام بن عثمان عن عبد الرحمن الأعرج عن أسامة بن زيد «أن رسول اللهﷺ أتى حمزة بن عبد المطلب فلم يجده فسأل عنه امرأته وكانت من بنى النجار فقالت: خرج يانبى الله عامداً نحوك، فأظنه أخطأك فى بعض أزقة بنى النجار. أو لاتدخل ياسول الله؟ فدخل.، فقدمت إليه حيساً فأكل منه، فقالت: يارسول الله هنيئاً لك ومريئاً، لقد جئتَ وأنا أريد أن آتيك لأهنيك وأمريك، أخبرنى أبو عمارة أنك أعطيت نهراً فى الجنة يدعى الكوثر. فقال: أجل وعرضه – يعنى أرضه –ياقوت ومرجان وزبرجد ولؤلؤ. قال ابن كثير رحمه الله تعالى: حرام بن عثمان ضعيف، ولكن هذا سياق حسن، وقد صح أصل هذا بل قد تواتر من طرق تفيد القطع عند كثير من أئمة الحديث أ.هـ. قلت: وقد ذكرنا منها ماتيسر. وفى الباب عدة أحاديث غير ماذكرنا، ولمن ذكرنا من الصحابة أحاديث أخر لم نذكرها، ولهم روايات فى الأصول التى عزونا اليها غير ماسقنا، وإنما أشرنا إشارة إلى بعضها لتعرف شهرة هذا الباب واستفاضته وتواتره مع الإيجاز والاختصار. ولله الحمد والمنة.

فصل – فى الأحاديث الواردة عن لواء الحمد

كـــذا له لواء حـــمـــد ينشـــر   وتحتـه الرسل جـمـيـعـا تحشـر

قال الترمذى رحمه الله تعالى : حدثنا الحسين بن يزيد الكوفى حدثنا عبد السلام بن حرب عن ليث عن الربيع بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس خروجاً إذ بعثوا، وأنا خطيبهم إذا وفدوا، وأنا مبشرهم إذا يئسوا، لواء الحمد يومئذ بيدى، وأنا أكرم على ربى ولا فخر»(١) هذا حديث حسن غريب. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار أنبأنا أبو عامر العقدى أنبأنا زهير بن محمد عن عبد بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبيّ بن كعب عن أبيه أن رسول اللهﷺ قال «مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها وأجملها وترك منها موضع لبنة، فجعل الناس يطوفون بالبناء ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع تلك اللبنة، وأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة». وبهذا الإسناد عن النبى اللهﷺ قال «إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر» هذا حديث حسن صحيح غريب. حدثنا ابن أبى عمر أنبأنا سفيان عن ابن جدعان عن أبى نضرة عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولافخر، وما من نبى يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائى، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولافخر» وفى الحديث قصة. هذا حديث حسن. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا على بن نصر بن على الجهضمى أنبأنا عبيد الله بن عبد المجيد أنبأنا زمعة بن صالح عن مسلمة بن وهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: جلس ناس من

(١) رواه مسلم والترمذى وأبو داود .

أصحاب رسول الله ﷺ ينتظرونه، قال: فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون، فسمع حديثهم، فقال بعضهم: عجباً إن الله اتخذ من خلقه خليلا اتخذا إبراهيم خليلا، وقال آخر: ماذا يعجب من كلام موسى تكليما، وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه، وقال آخر: آدم اصطفاه الله، فخرج عليهم فسلم وقال: قد سمعت كلامكم وعجبكم، إن إبراهيم خليل الله وهو كذلك، وموسى نجى الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولافخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولافخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولافخر، وأنا أول من يحرّك حلق الجنة فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولافخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين ولافخر. هذا حديث غريب. قلت: ومعناه ثابت في الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة كما جاء وكما سيأتي وكما هو معلوم عند من له خبرة بالعلم.

فصل - في آيات الشفاعة وأحاديثها والمقام المحمود

كذا له الشفاعة العظمى كما   قد خصه الله بها تكرما

من بعد إذن الله لا كما يرى   كل قبوري على الله افترى

(كذا له) لنبينا ﷺ (الشفاعة العظمى) يوم القيامة، وهو المقام المحمود الذى قال الله تعالى ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ ولذا قلنا (قد خصه الله بها) بالشفاعة (تكرما) منه عز وجل عليه ﷺ وعلى أمته به كما في الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهورا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة.وفيه عنه رضى الله عنه عن النبى ﷺ «لكل نبي دعوة قد دعا بها في أمته، وخبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة» وفيه عن أنس رضى الله عنه أن نبي الله ﷺ قال « لكل نبي دعوة دعاها لأمته وإني اختبأت دعوتي شفاعة.لأمتي يوم القيامة . وفيه عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لكل نبي دعوة مستجابة، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فهي نائلة إن شاء الله تعالى من مات من أمتي لايشرك بالله شيئا» وفيه عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه أن النبى ﷺ . تلا قول الله عز وجل في إبراهيم ﴿ **ربِّ إنهن أضللن كثيراً من الناس، فمن تبعني فإنه مني ومن عصاني فإنك غفور رحيم** ﴾ وقال عيسى عليه السلام ﴿**إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحيكم** ﴾ فرفع يديه وقال: اللهم أمتي، وبكى، فقال الله عز وجل: ياجبريل اذهب إلى محمد - وربك أعلم - فسله:

مايبكيك. فأتاه جبريل عليه السلام فسأله، فأخبره رسول الله ﷺ بما قال – وهو أعلم – فقال الله تعالى: ياجبريل اذهب إلى محمد فقل: إنا سنرضيك فى أمتك ولانسؤوك. وفيه عنه رضى الله عنه أنه سمع النبى ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا على فإنه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا اللهلى الوسيلة فإنها منزلة فى الجنة لاتنبغى إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل الله لى الوسيلة حلت له الشفاعة. وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاماً محموداً الذى وعدته، حلت له شفاعتى يوم القيامة»، وتلك الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذن الله عز وجل ، سواء فى ذلك شفاعة نبينا ﷺ وشفاعة من دونه، وذلك الإذن يتعلق بالشافع والمشفوع فيه وبوقت الشفاعة، فليس يشفع إلا من أذن الله له فى الشفاعة، وليس له أن يشفع إلا بعد أن يأذن الله له، وليس له أن يشفع إلا فيمن أذن الله تعالى له أن يشفع فيه، كما قال تعالى ﴿ **من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه – ما من شفيع إلا من بعد إذنه – قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة فى السموات ولافى الأرض ومالهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير ولاتنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له ـ وكم من ملك فى السموات لا تغنى شفاعتهم شيئاً إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى ـ وقل لله جميعاً – ولايملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون – لايملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً** ﴾، ﴿ **لايتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً ـ ويومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضى له قولا – ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون** ﴾ وقال تعالى فى الكفار ﴿ **فما تنفعهم شفاعة الشافعين – ماللظالمين من حميم ولاشفيع يطاع** ﴾ ، وقال عنهم ﴿ **فما لنا من شافعين ولاصديق حميم** ﴾، وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى يوم لابيع فيه ولاخلة ولاشفاعة والكافرون هم الظالمون** ﴾.

وسيأتى فى ذكرالأحاديث مراجعة الرسل الشفاعة بينهم حتى تنتهى إلى نبينا ﷺ وأنه يأتى فيستأذن ربه عز وجل، ثم يسجد ويحمده بمحامد يعلمه تعالى إياها، ولم يزل كذلك حتى يؤذن له ويقال: ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعط واشفع تشفع، وأنه يحد له حداً فيدخلهم الجنة ثم يرجع كذلك، وفى كل مرة يستأذن ويدعو حتى يؤذن له ويحد له حداً حتى ينجو جميع الموحدين، وهكذا كل شافع بعده يسأل الشفاعة من مالكها حتى يؤذن له، إلى أن يقول الشفعاء لم يبق إلا من حبسه القرآن وحق عليه الخلود. والمقصود أن الشفاعة ملك لله عز وجل ولاتسأل إلا منه، كما لاتكون إلا بإذنه للشافع فى المشفوع

حين يأذن في الشفاعة.

(لا كمايرى كل قبورى) نسبة إلى القبور لعبادته أهلها (على الله افترى) فى ماينسبه إلى أهل القبور ويضيفه إليهم من التصرفات التى هى ملك لله عز وجل لايقدر عليها غيره تعالى ولاشريك له فيها، ورتبوا على ذلك صرف العبادات إلى الأموات ودعاءهم إياهم والذبح والنذر لهم دون جبار الأرض والسموات، وسؤالهم منهم قضاء الحاجات ودفع الملمات، وكشف الكربات والمكروهات معتقدين فيهم أنهم يسمعون دعاءهم ويستطيعون إجابتهم. وقد تقدم كشف عوارهم وهتك أستارهم بما يشفى ويكفى ولله الحمد والمنة.

يشـــفـع أولا إلى الرحــمـن فى ... فـصل القـضـاء بين أهل الموقف
من بعــد أن يطلبـهـا الناس إلى ... كل أولى العـزم الهـداة الفـضـلا

هذه الشفاعة الأولى لنبينا محمد ﷺ، وهى أعظم الشفاعات، وهى المقام المحمود الذى ذكر عز وجل له ووعده إياه وأمرنا رسول الله ﷺ أن نسأل الله إياه له ﷺ بعد كل أذان. وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب قوله تعالى ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ حدثنا إسماعيل بن أبان حدثنا أبو الأحوص عن آدم بن على قال سمعت ابن عمر رضى الله عنهما يقول «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها يقولون: يافلان اشفع، حتى تنتهى الشفاعة إلى النبى ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود ، وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة ومحمد بن عبد الله بن نمير واتفقا فى سياق الحديث إلا مايزيد أحدهما من الحرف بعد الحرف، قال حدثنا محمد بن بشر حدثنا أبو حيان عن أبى زرعة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ يوماً بلحم فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون بم ذاك؟ يجمع الله يوم القيامة الأولين والآخرين فى صعيد واحد فيسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم والكرب مالايطيقون ومالايحتملون، فيقول بعض الناس لبعض: ألا ترون ما أنتم فيه، ألا ترون ماقد بلغكم، ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه، ألا ترى ماقد بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته، نفسى، نفسى، اذهبوا إلى غيرى، إذهبوا إلى نوح. فيأتون نوحاً عليه السلام فيقولون: يانوح أنت أول الرسل إلى الأرض وسماك الله عبداً شكوراً، اشفع لنا إلى ربك ألا ترى مانحن فيه، ألا ترى ماقد

بلغنا؟ فيقول لهم: إن ربى غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وانه قد كانت دعوة دعوت بها على قومي، نفسى نفسى، اذهبوا إلى ابراهيم ﷺ. فيأتون ابراهيم فيقولون أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه، إلا ترى إلى ماقد بلغنا؟ فيقول لهم ابراهيم ﷺ: إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، وذكر كذباته، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى موسى. فيأتون موسى ﷺ فيقولون: ياموسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه، ألا ترى ماقد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب مثله ولن يغضب بعده مثله، وإنى قتلت نفساً لم أؤمر بقتلها، نفسى نفسى، اذهبوا إلى عيسى ﷺ . فيأتون عيسى فيقولون ياعيسى أنت رسول الله وكلمت الناس فى المهد وكلمة منه ألقاها إلى مريم وروح منه، فاشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه، ألا ترى ماقد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربى قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، ولم يذكر له ذنباً، نفسى نفسى، اذهبوا إلى غيرى، اذهبوا إلى محمد ﷺ . فيأتون فيقولون: يامحمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى مانحن فيه، ألا ترى إلى ماقد بلغنا؟ فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى، ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه لأحد قبلى. ثم قال: يامحمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول: يارب أمتى أمتى: فيقال: يامحمد أدخل الجنة من أمتك من لاحساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذى نفسى محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى. قال وحدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن عمارة بن القعقاع عن أبى زرعة عن أبى هريرة قال: «وضعت بين يدى رسول الله ﷺ قصعة من ثريد ولحم، فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه، فنهس نهسة فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهس أخرى فقال: أنا سيد الناس يوم القيامة. فلما رأى أصحابه لايسألونه قال: ألا تقولون كيف؟ قالوا: كيف يارسول الله ؟ قال: يقوم الناس لرب العالمين» وساق الحديث بمعنى حديث أبى حيان عن أبى زرعة، وزاد فى قصة ابراهيم فقال: وذكر قوله فى الكوكب: هذا ربى، وقوله لآلهتهم : بل فعله كبيرهم هذا، وقوله: إنى سقيم: قال: والذى نفس محمد بيده إن مابين المصراعين من مصاريع الجنة إلى عضادتى الباب لكما بين مكة وهجر، أو هجر ومكة، قال لا أدرى أى ذلك قال. وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ قال «يبعث الناس يوم

القيامة فأكون أنا وأمتى على تل، ويكسونى ربى عز وجل حلة خضراء، ثم يؤذن لى فأقول ما شاء الله تعالى أن أقول، فذلك المقام المحمود »(١) وسيأتى إن شاء الله تعالى فى حديث أنس رضى الله عنه قوله ﷺ «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك – وفى لفظة فيلهمون لذلك – فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يرحينا من مكاننا هذا، قال فيأتون آدم. الحديث، وتقدم فى حديث الصور قوله ﷺ « فتقفون موقفاً واحداً مقداره سبعون عاماً لاينظر إليكم ولايقضى بينكم، فتبكون حتى تنقطع الدموع، ثم تدمعون دماً، وتعرقون حتى يلجمكم العرق ويبلغ الأذقان، وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضى بيننا؟ فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم، خلقه الله تعالى بيده، ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا. فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه، فيأتى ويقول: ما أنا بصاحب ذلك. فيستقرئون الأنبياء نبياً نبياً كلما جاروا نبيا أبى عليهم. قال رسول الله ﷺ : حتى يأتونى فأنطلق إلى الفحص فأخرُّ ساجداً. قال أبو هريرة: يارسول الله وما الفحص؟ قال قدام العرش، حتى يبعث الله إلى ملكا فيأخذ بعضدى ويرفض فيقول لى: يامحمد. فأقول: نعم يارب فيقول الله عز وجل: ما شأنك؟ وهو أعلم. فأقول: يارب وعدتنى الشفاعة فشفعنى فى خلقك فاقض بينهم. قال الله تعالى: قد شفعتك، أن آتيكم أقضى بينكم، الحديث. وروى الإمام أحمد عن أنس رضى الله عنه قال: حدثنى نبى الله ﷺ قال« إنى لقائم أنتظر أمتى تعبر عن الصراط، إذ جاءنى عيسى عليه السلام فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يامحمد يسألون – أو قال يجتمعون إليك – ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغم جاءهم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة وأما الكافر فيغشاه الموت، فقال: انتظر حتى أرجع إليك، فذهب نبى الله ﷺ فقام تحت العرش فلقى مالم يلق ملك مصطفى ولانبى مرسل، فأوحى الله عز وجل إلى جبريل أن «اذهب إلى محمد وقل له: ارفع رأسك سل تعط واشفع تشفع» الحديث. وعند مسلم وغيره من حديث نزول القرآن على سبعة أحرف «فلك بكل ردة رددتكها مسألة تسألنيها. فقلت: اللهم اغفر لأمتى، اللهم اغفر لأمتى، وأخرت الثالثة ليوم يرغب إلىَّ الخلق كلهم حتى ابراهيم ﷺ .

فصل – اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة

وثانيـا يشـفـع فى اسـتـفـتـاح دار النعـيم لأولى الفـلاح
هذا وهاتان الشـفـاعـتـان قـد خـصـتـا به بلا نكران

هذه الشفاعة الثانية فى استفتاح باب الجنة، وقد جاء فى الأحاديث أنها أيضاً من المقام

(١) رواه أحمد فى المسند .

المحمود، وقال مسلم رحمه الله تعالى، قتيبة بن سعيد واسحق بن ابراهيم. قال قتيبة حدثنا جرير عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً» وحدثنا أبو كريب محمد بن العلاء حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن المختار بن فلفل عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ «أنا أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة، وأنا أول من يقرع باب الجنة». وحدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا حسين بن علي عن زائدة عن المختار بن فلفل قال: قال أنس بن مالك قال النبي ﷺ «أنا أول شفيع في الجنة، لم يصدَّق نبي من الأنبياء ماصدَّقت، وإن من الأنبياء نبياً ما يصدقه من أمته إلا رجل واحد»[1]. وحدثني عمرو الناقد وزهير بن حرب قالا حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ « آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول محمد، فيقول بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك. قال حدثنا محمد بن طريف بن خليفة البجلي حدثنا محمد بن فضيل حدثنا أبو مالك الأشجعي عن أبي حازم عن أبي هريرة، وأبو مالك عن ربعي عن حذيفة رضي الله عنه قالا: قال رسول الله ﷺ «يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم فيقولون: يا أبانا استفتح لنا الجنة، فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟ لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله عز وجل. قال فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، وإنما كنت خليلا من وراء وراء، اعمدوا إلى من كلمه الله تعالى تكليما.. فيأتون موسى ﷺ فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله تعالى وروحه، فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك. فيأتون محمداً ﷺ فيقوم فيؤذن له، وترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبتي الصراط فيمر أولكم كالبرق. الحديث – تقدم باقية في الصراط . وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن عبيد الله بن أبي جعفر قال سمعت حمزه بن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ «مايزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة ليس في وجهه مزعة لحم، وقال: إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن. فبينما هم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد ﷺ. وزاد عبد الله حدثني الليث قال حدثني ابن أبي جعفر «فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيومئذ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم. ففي هذا الحديث الجمع بين ذكر الشفاعتين: الأولى في فصل القضاء، والثانية في استفتاح باب الجنة، وسمي ذلك كله المقام المحمود.

(هذا) أي ماذكر (وهاتان الشفاعتان) المذكورتان اللتان هما المقام المحمود (قد خصتا)

---

(١) رواه مسلم وأحمد في مسنده .

أى جعلهما الله تعالى خاصتين (به) أى بنبينا محمد ﷺ وليستا لأحد غيره (بلا نكران) بين أهل السنة والجماعة، بل ولم ينكرهما المعتزلة الذين أنكروا الشفاعة الثالثة فى إخراج عصاة الموحدين من النار، وهى المشار إليها بقولنا:

وثالثا يشفع فى أقوام ... ماتوا على دين الهدى الاسلام
وأوبقتهم كثرة الآثام ... فأدخلوا النار بذا الإجرام
أن يخرجوا منها إلى الجنان ... بفضل رب العرش ذى الإحسان

فهذه الشفاعة حق يؤمن بها أهل السنة والجماعة كما آمن بها الصحابة رضوان الله تعالى عليهم ودرج على الإيمان بذلك التابعون لهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه، وأنكرها فى آخر عصر الصحابة الخوارج، وأنكرها فى عصر التابعين المتعزلة وقالوا بخلود من دخل النار من عصاة الموحدين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ويشهدون أن محمداً عبده ورسوله ﷺ ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحجون البيت الحرام ويسألون الله الجنة ويستعيذون به من النار فى كل صلاة ودعاء، غير أنهم ماتوا مصرين على معصية عملية عالمين بتحريمها معتقدينه مؤمنين بما جاء فيه الوعيد الشديد فقضوا بتخليدهم فى جهنم مع فرعون وهامان وقارون، فجحدوا قول الله عز وجل **﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار ﴾** وقوله عز وجل **﴿ أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء مايحكمون ﴾** وقوله تعالى **﴿ أفنجعل المسلمين كالمجرمين مالكم كيف تحكمون أفلا تذكرون ﴾** وغيرها من الآيات وسائر الأحاديث الواردة. وقال البخارى رحمه الله تعالى: وقال حجاج بن منهال حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال: «يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فيريحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس خلقك الله بيده وأسكنك جنته وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شىء لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، قال فيقول: لست هنالكم؟ قال ويذكر خطيئته التى أصاب أكله من الشجرة وقد نهى عنها، ولكن ائتوا نوحاً أول نبى بعثه الله تعالى إلى أهل الأرض فيأتون نوحاً فيقول: لست هناكم ويذكر خطيئته التى أصاب سؤاله ربه بغير علم، ولكن أئتوا ابراهيم خليل الرحمن. قال فيأتون ابراهيم فيقول: إنى لست هناكم، ويذكر ثلاث كلمات كذبهن، ولكن ائتوا موسى عبداً آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجياً، قال فيأتون موسى فيقول إنى لست هناكم، ويذكر خطيئته التى أصاب قتله

النفس، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وروح الله تعالى وكلمته، قال: فيأتون عيسى فيقول لست هناكم، ولكن ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونى فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى، فإذا رأيته وقعت ساجداً، فيدعنى ماشاء الله تعالى أن يدعنى فيقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال: فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمينه، ثم أشفع فيحدُّ لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته أيضاً يقول «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة»، ثم أعود فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه، فإذا رأيته وقعت له ساجداً فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى، ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعط. قال: فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، قال: ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وسمعته يقول «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود الثالثة فأستأذن على ربى فى داره فيؤذن لى عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً فيدعنى ماشاء الله أن يدعنى ثم يقول: ارفع محمد وقل يسمع واشفع تشفع وسل تعطه، قال فأرفع رأسى فأثنى على ربى بثناء وتحميد يعلمنيه، قال ثم أشفع فيحد لى حداً فأخرج فأدخلهم الجنة. قال قتادة: وقد سمعته يقول «فأخرج فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة حتى مايبقى فى النار إلا من حبسه القرآن»، أى وجب عليه الخلود. قال: ثم تلا هذه الآية ﴿ **عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً** ﴾ قال: وهذا المقام المحمود الذى وعده نبيكم ﷺ. وقال أيضا: حدثنا مسدد حدثنا أبو عوانة عن قتادة عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا – وذكره مختصراً وقال فى الثالثة أو الرابعة – حتى مابقى فى النار إلا من حبسه القرآن. وكان قتادة يقول عند هذا: أى وجب عليه الخلود. ورواه مسلم من طرق بنحوه وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو الربيع العتكى حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى. ح. وحدثنا سعيد بن منصور – واللفظ له، حدثنا حماد بن زيد حدثنا معبد بن هلال العنزى قال: انطلقنا إلى أنس بن مالك وتشفعنا بثابت فانتهينا إليه وهى يصلى الضحى، فاستأذن لنا ثابت فدخلنا عليه وأجلس ثابتاً معه على سريره فقال: يا أبا حمزة إن إخوانك من أهل البصرة يسألونك أن تحدثهم حديث الشفاعة . قال : حدثنا محمد ﷺ قال:«إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى بعض، فيأتون آدم فيقول له: اشفع لذريتك فيقول لست لها ولكن عليكم بإبراهيم عليه السلام فإنه خليل الله فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى عليه السلام فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته، فيؤتى عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمد ﷺ فأوتى فأقول: أنا لها فأنطلق فأستأذن على ربى فيؤذن لى، فأقوم بين يديه

فأحمده بمحامد لا أقدر عليه الآن يلهمنيه الله ، ثم أخرُّ ساجداً فيقال لي: يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع. فأقول: رب أمتي أمتي: فيقال: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجدا له، فيقال لي يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع، فأقول. أمتي أمتي، فيقال لي انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فاخرجه منها، فأنطلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي عز وجل فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً فيقال لي يامحمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعطه واشفع تشفع فأقول يارب أمتي فيقال لي: انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنطلق فأفعل. هذا حديث أنس الذى أنبأنا به، فخرجنا من عنده، فلما كنا بظهر الجبان: قلنا لو ملنا إلى الحسن فسلمنا عليه وهو مُستَخفٍ في دار أبي خليفة. قال فدخلنا عليه فسلمنا عليه فقلنا: يا أبا سعيد جئنا من عند أخيك أبي حمزة فلم نسمع مثل حديث حدثناه في الشفاعة. قال: هيه. فحدثناه الحديث. فقال هيه. قلنا مازادنا. قال: قد حدثنا به منذ عشرين سنة وهو يومئذ جميع، ولو ترك شيئاً ما أدرى أنسي الشيخ أو كره أن يحدثكم فتتكلوا، قلنا له حدثنا. فضحك وقال: خلق الإنسان من عجل، ماذكرت لكم هذا إلا وأنا أريد أن أحدثكموه «ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخر له ساجداً، فيقال لي: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع. فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله . قال: ليس ذاك لك- أو قال ليس ذاك إليك - ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن من قال لا إله إلا الله » قال: فاشهد على الحسن أنه حدثنا به أنه سمع أنس بن مالك رضي الله عنه أراه قال : قبل عشرين سنة وهو يومئذ جميع. وقال أيضاً: حدثنا محمد بن منهال الضرير حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة وهشام صاحب الدستواء عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ .ح.[1] وحدثني أبو غسان المسمعي ومحمد بن المثنى قالا حدثنا معاذ هو ابن هشام قال حدثني أبي عن قتادة حدثنا أنس بن مالك أن النبي ﷺ قال «يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن شعيرة. ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن برة، ثم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير مايزن ذرة» زاد ابن منهال في روايته: قال يزيد فلقيت شعبة فحدثته بالحديث فقال شعبة حدثنا به قتادة عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ بالحديث، إلا أن شعبة جعل مكان الذرَّة ذُرَة، قال يزيد صحف فيها أبو بسطام. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا حجاج بن الشاعر حدثنا الفضل بن دكين حدثنا أبو عاصم يعني محمد بن أيوب قال حدثني يزيد

---

(١) علاقة تحويل سند الحديث إلى سند آخر .

الفقير قال كنت قد شغفني رأى من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوى عدد نريد أن نحج ثم نخرج على الناس، قال فمررنا على المدينة فإذا جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث القوم جالس إلى سارية عن رسول الله ﷺ قال فإذا هو قد ذكر الجهنميين قال فقلت له ياصاحب رسول الله ﷺ ماهذا الذى تحدثون و الله تعالى يقول ﴿ **إنك من تدخل النار فقد أخزيته** ﴾ و ﴿ **كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها** ﴾ فما هذا الذى تقولون؟ قال فقال: أتقرأ القرآن؟ قلت نعمك قال فهل سمعت بمقام محمد ﷺ يعنى الذى يبعثه الله فيه؟ قلت: نعم. قال فإنه مقام محمد ﷺ المحمود الذى يخرج الله به من يخرج. قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه، قال وأخاف أن لا أكون أحفظ ذاك، قال غير أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها، قال يعنى فيخرجون كأنهم عيدان السماسم، قال فيدخلون نهراً من أنهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون كأنهم القراطيس، فرجعنا قلنا ويحكم أترون الشيخ يكذب على رسول الله ﷺ، فرجعنا فلا و الله ماخرج منا غير رجل واحد، أو كما قال أبو نعيم. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو سمع جابراً رضى الله عنه يقول سمعه من النبى ﷺ بإذنه يقول «إن الله يخرج ناساً من النار فيدخلهم الجنة»، وفى رواية له عن حماد بن زيد قال: قلت لعمرو بن دينار «سمعَ جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يحدث عن رسول ﷺ أن الله يخرج قوماً من النار بالشفاعة؟ قال نعم، ورواه البخارى، وفى رواية له أن النبى ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بالشفاعة كأنهم الثعارير» قال الضغابيس وكان قد سقط فمه. وقال: حدثنا هدبة بن خالد حدثنا همام عن قتادة حدثنا أنس بن مالك عن النبى ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بعد مامسهم منها سفع، فيدخلون الجنة، فيسميهم أهل الجنة الجهنميين»(1). وقال رحمه الله تعالى حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا اسماعيل بن جعفر عن عمرو عن سعيد بن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال: قلت يارسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال «لقد ظننت يا أبا هريرة أن لايسألنى عن هذا الحديث أحد أول منك لما رأيت من حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتى يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه.» وهذه الشفاعة الثالثة قد فسر بها المقام المحمود أيضاً كما فى حديث أنس وحديث جابر رضى الله عنهما فيكون المقام المحمود عاماً لجميع الشفاعات التى أوتيها نبينا محمد ﷺ، لكن جمهور المفسرين فسروه بالشفاعتين الأولين لاختصاصه ﷺ بهما دون غيره من عباد الله المكرمين، وأما هذه الشفاعة الثالثة فهى وإن كانت من المقام المحمود الذى وعده فليست خاصة به ﷺ بل يؤتاها كثير من عباد الله المخلصين ولكن هو ﷺ المقدم فيها، ولم يشفع أحد من خلق

(1) رواه البيهقى .

الله تعالى فى مثل مايشفع فيه رسول الله ﷺ ولايدانيه فى ذلك ملك مقرب ولانبى مرسل، ثم بعده يشفع من أذن الله تعالى له من الملائكة المقربين والأنبياء والمرسلين والصديقين والشهداء والصالحين وسائر أولياء الله تعالى من المؤمنين المتقين، ويشفع الأفراط كل منهم يكرمه الله تعالى على قدر ماهو له أهل، ثم يخرج الله تعالى من النار برحمته أقواماً بدون شفاعة الشافعين، ولذا قلنا فى ذلك:

وبعــــده يشـــفـع كل مــــرسل	وكل عــبــــد ذى صـــلاح وولى
ويخـــــرج الله مـن النيـــــــران	جـــمـيـع من مـــات على الإيمان
فى نهــــر الحـــيـــاة يطرحـــونا	فـحــمـــا فــيـحـيـون وينبـتـونا
كـــــأنما ينبت فى هيــــآته	حب حـمـيل السيل فى حـافـاته

تقدم فى حديث أبى هريرة المتفق عليه فى طريق الرؤية قول النبى ﷺ «حتى إذا فرغ الله تعالى من فصل القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لايشرك بالله شيئاً ممن أراد الله تعالى أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم فى النار بأثر السجود تأكل النار من ابن آدم ألا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون تحته كما تنبت الحبة فى حميل السيل، ثم يفرغ الله تعالى من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار هو آخر أهل النار دخولا الجنة». الحديث تقدم بطوله – وتقدم حديث أبى سعيد المتفق عليه أيضاً بطوله – وفيه فى نعت المرور على الصراط: حتى يمر آخرهم يسحب سحباً، فما أنتم بأشد لى مناشدة فى الحق، قد تبين لكم من المؤمن يومئذ للجبار إذا رأوا أنهم قد نجوا فى إخوانهم يقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا ويصومون معنا ويعملون معنا، فيقول الله تعالى: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من إيمان فأخرجوه ويحرم الله تعالى صورهم على النار فيأتونهم وبعضهم قد غار فى النار إلى قدمه وإلى أنصاف ساقيه فيخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا. ثم يعودون فيقول: اذهبوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من إيمان فأخرجوه، فيخرجون من عرفوا – قال أبو سعيد: فإن لم تصدقونى فاقرأوا ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها** ﴾ – فيشفع النبيون والملائكة والمؤمنون، فيقول الجبار بقيت شفاعتى، فيقبض قبضة من النار فيخرج أقواماً قد امتحشوا فيلقون فى نهر بأفواه الجنة يقال له ماء الحياة فينبتون فى حافتيه كما تنبت الحبة فى حميل السيل قد رأيتموها إلى جانب الصخرة إلى جانب الشجرة، فما

كان إلى الشمس منها كان أخضر، وماكان إلى الظل كان أبيض، فيخرجون كأنهم اللؤلؤ، فيجعل فى رقابهم الخواتيم فيدخلون الجنة، فيقول أهل الجنة: هؤلاء عتقاء الرحمن أدخلهم الجنة بغير عمل ولاخير قدموه، فيقال لهم: لكم ما رأيتم ومثله معه. وفى لفظ مسلم « حتى إذا خلص المؤمنون من النار فوالذى نفسى بيده مامنكم من أحد بأشد مناشدة لله فى استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين فى النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون معنا ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون ربنا مابقى فيها أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا بهم. يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم فى قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون كثيراً. ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً.» وكان أبو سعيد الخدرى رضى الله عنه يقول: إن لم تصدقونى بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم ﴿ **إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيما** ﴾ فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيخرج منا قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمما، فيلقيهم فى نهر فى أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة فى حميل السيل، ألا ترونها إلى الحجر أو الشجر، مايكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض. فقالوا يارسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال فيخرجون كاللؤلؤ فى رقابهم الخواتم يعرفهم أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولاخير قدموه. ثم يقول: ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم، فيقولون ربنا أعطيتنا مالم تعط أحدا من العالمين، فيقول: لكم عندى أفضل من هذا. فيقولون: ربنا أى شيء أفضل من هذا؟ فيقول رضاى فلا أسخط عليكم بعده أبداً. وفيهما من حديثه أيضاً أن رسول الله ﷺ قال «يدخل الله أهل الجنة الجنة يدخل من يشاء فى رحمته ويدخل أهل النار النار. ثم يقول: انظروا من وجدتم فى قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجوه، فيخرجون منها حمما قد امتحشوا فيلقون فى نهر الحياة أو الحيا فينبتون فيه كما تنبت الحبة إلى جانب السيل ألم تروها كيف تخرج صفراء ملتوية – وفي رواية لمسلم: كما تنبت الغثاءة فى جانب السيل » وله عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لايموتون فيها ولايحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال

بخطاياهم – فأماتهم إماتة حتى إذاكان فحما أذن بالشفاعة فجيء بهم ضبائر ضبائر فبثوا على أنهار الجنة ثم قيل يا أهل الجنة أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون فى حميل السيل. فقال رجل من القوم: كأن رسول الله ﷺ قد كان بالبادية[1]. وللترمذى عن أبى أمامة رضى الله عنه يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربى أن يدخل الجنة من أمتى سبعين ألفاً لا حساب عليهم ولاعذاب مع كل ألف سبعون ألفاً وثلاث حثيات من حثيات ربى». هذا حديث حسن غريب وله عن عبد الله بن شقيق قال: كنت مع رهط بإيلياء فقال رجل منهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول «يدخل الجنة بشفاعة رجل من أمتى أكثر من بنى تميم قيل: يارسول الله سواك؟ قال: سواى» فلما قام قلت: من هذا؟ قالوا هذا ابن أبى الجذعاء. هذا حديث حسن صحيح غريب، وابن أبى الجذعاء هو عبد الله، وإنما يعرف له هذا الحديث الواحد ورواه ابن ماجه. وللترمذى أيضاً عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن من أمتى من يشفع للفئام من الناس، منهم من يشفع للقبيلة، ومنهم من يشفع للعصبة، ومنهم من يشفع للرجل. حتى يدخلوا الجنة. هذا حديث حسن.

وروى أبو داود عن عمران بن حصين رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال: «يخرج قوم من النار بشفاعة محمد فيدخلون الجنة ويسمون الجهنميين» ورواه ابن ماجه. وله عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ «خيرت بين الشفاعة وبين أن يدخل نصف أمتى الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، ترونها للمتقين، لا ولكنها للمذنبين الخطائين المتلوثين». وله عن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «أتدرون ماخيرنى ربى الليلة؟ قلنا: اللهورسوله ﷺ أعلم، قال: فإنه خيرنى بين أن يدخل نصف أمتى الجنة وبين الشفاعة، فاخترت الشفاعة. قلنا: يارسول الله ادع الله أن يجعلنا من أهلها. قال: هى لكل مسلم. ورواه الترمذى بلفظ «فاخترت الشفاعة، وهى لمن مات لايشرك بالله شيئاً». والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً مشهورة مستفيضة بل متواترة، وقد ذكرنا منها مافيه كفاية، وتقدم فى أحاديث الرؤية جملة منها عن جماعة من الصحابة. وبقى من النصوص فى هذا الباب كثير، وبالله التوفيق.

باب الإيمان بالقضاء والقدر

والسادس الإيمان بالأقدار ... فأيقنن بها ولاتمار
فكل شيء بقضاء وقدر ... والكل فى أم الكتاب مستطر

والسادس من أركان الإيمان المشروحة فى حديث جبريل وغيره هو الإيمان بالقدر

(1) رواه مسلم وأحمد فى المسند .

خيره وشره، قال الله تعالى ﴿ **إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدوراً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكان أمر الله مفعولا** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ما أصاب من مصيبة رلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وما أصابكم يوم التقى الجمعان فبإذن الله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وانا إليه راجعون، أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى، وكذب بالحسنى، فسنيسره للعسرى** ﴾ وقال تعالى ﴿**بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين. اهدنا الصراط المستقيم** ﴾ إلى آخر السورة. وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الأعلى بن حماد قال: قرأت على مالك بن أنس (ح). وحدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك فيما قرئ عليه عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاوس أنه قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون «كل شيء بقدر». قال: وسمعت عبد الله بن عمر يقول: قال رسول الله ﷺ «كل شيء بقدر، حتى العجز والكيس»[1]، أو «الكيس والعجز». حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وأبو كريب قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن زياد بن إسماعيل عن محمد بن عياد بن جعفر المخزومي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر. فنزلت ﴿ **يوم يسحبون في النار على وجوهم ذوقوا مسّ سقر. إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ ورواه الترمذي وابن ماجه. وقال البخاري رحمه الله تعالى : باب ﴿ **وكان أمر الله قدراً مقدروا** ﴾ حدثنا عبد بن يوسف أخبرنا مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «لاتسأل المرأة طلاق أختها لتستفرع صحفتها ولتنكح فإن لها ماقدر لها» حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا إسرائيل عن عاصم عن أبي عثمان عن أسامة قال: كنت عند النبي إذ جاءه رسول إحدى بناته وعنده سعد وأبي بن كعب ومعاذ أن ابنها يجود بنفسه، فبعث إليها «لله ما أخذ ولله ما أعطى، كل بأجل، فلتصبر ولتحتسب». حدثنا حبان بن موسى أخبرنا عبد الله أخبرنا يونس عن الزهري قال أخبرني عبد الله بن محيريز الجمحي أن أبا سعيد الخدري أخبره أنه بينما هو جالس عند النبي ﷺ جاء رجل من الأنصار فقال: يارسول الله إنا نصيب سبياً ونحب المال كيف ترى في العزل؟ فقال رسول الله ﷺ «أوإنكم تفعلون ذلك؟ لاعليكم أن لاتفعلوا فإنه ليست نسمة كتب الله أن تخرج إلا هي كائنة» وقال رحمه الله تعالى: حدثنا بشر بن محمد أخبرنا عبد الله أخبرنا معمر عن همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لايأتي ابنَ آدم النذر بشيء لم يكن قد قَدّرته ولكن يلقيه القدر وقد قَدّرته له أستخرج به من

---

(١) رواه مسلم وأحمد .

البخيل»[1]. وقال أيضاً: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ «لايأتي ابن آدم النذر بشيء لم يكن قد قدر له ولكن يلقيه النذر إلى القدر قد قدر له فيستخرج الله تعالى به من البخيل فيؤتي عليه مالم يكن يؤتي عليه من قبل»[1]. وقال مسلم رحمه الله تعالى : حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وابن نمير قالا حدثنا عبد الله بن إدريس عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «المؤمن القويّ خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجز، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وماشاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما في الترمذي وغيره قول النبي ﷺ له« واعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك» الحديث. والأحاديث في القدر كثيرة جداً قد تقدم منها أشياء متفرقة وسنذكر منها ماييسره الله عز وجل في هذا الباب.

(فصل) واعلم رحمك الله تعالى ووفقنا وإياك لما يحبه ويرضاه وهدانا وإياك صراطه المستقيم أن الإيمان بالقدر على أربع مراتب: المرتبة الأولى الإيمان بعلم الله عز وجل المحيط بكل شيء من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات، فعلم ماكان ومايكون ومالم يكن لو كان كيف يكون، وأنه علم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم، وعلم أرزاقهم وآجالهم وأحوالهم وأعمالهم في جميع حركاتهم وسكناتهم وشقاوتهم وسعادتهم ومن هو منهم من أهل الجنة ومن هومنهم من أهل النار من قبل أن يخلقهم ومن قبل أن يخلق الجنة والنار، علم دق ذلك وجليله وكثيره وقليله وظاهره وباطنه وسره وعلانيته ومبدأه ومنتهاه، كل ذلك بعلمه الذي هو صفته ومقتضى اسمه العليم الخبير عالم الغيب والشهادة علام الغيوب كما قال تعالى ﴿ **هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة**﴾ وقال تعالى ﴿ **لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين** ﴾ ﴿ **هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنّة في بطون أمهاتكم، فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتقى** ﴾ وقال تعالى ﴿ **أليس الله بأعلم بالشاكرين - أليس الله بأعلم بما في صدور العالمين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإذ قال ربك الملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك، قال إني أعلم ما لا تعلمون** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم، وعسى أن**

(١) رواه الشيخان .

تحبوا شيئاً وهو شر لكم، والله يعلم وأنتم لاتعلمون ﴾. وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب الله أعلم بما كانوا عاملين، حدثنا محمد بن بشار حديثا غندر حدثنا شعبة عن أبى بشر كن سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « سئل النبى ﷺ عن أولاد المشركين فقال : الله أعلم بما كانوا عاملين » حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب قال وأخبرنى عطاء بن يزيد أنه سمع أبا هريرة يقول «سئل رسول الله ﷺ عن ذرارى المشركين فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين. حدثنى اسحاق أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضى الله عنه، قال قال رسول الله ﷺ «مامن مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهوّدانه أو ينصرانه كما تنتج البهيمةُ البهيمةَ هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها. قالوا يارسول الله فرأيت من يموت وهو صغير؟ قال الله أعلم بما كانوا عاملين»[1]. وقال أيضاً رحمه الله تعالى حدثنا آدم حدثنا شعبة حدثنا يزيد الرشك قال سمعت مطرّف بن عبد الله بن الشخير يحدّث عن عمران بن حصين قال «قال رجل: يارسول الله أيعرف أهل الجنة من أهل النار؟ قال نعم. قال فلم يعمل العاملون؟ قال: كل يعمل لما خلق له» أو «لما يسر له». قال رحمه الله أيضاً: حدثنا سعيد بن أبى مريم حدثنا أبو غسان حدثنى أبو حازم عن سهل أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين فى غزوة غزاها مع النبى ﷺ، فنظر إليه النبى ﷺ فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إلى هذا. فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبى ﷺ مسرعاً فقال: أشهد أنك رسول الله . فقال: وماذاك؟ قال: قلتَ لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لايموت على ذلك. فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه. فقال النبى ﷺ عند ذلك: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم». وقال مسلم رحمه الله تعالى حدثنا عبد الله بن مسلمة بن قعنب حدثنا معتمر بن سليمان عن أبيه عن رقبة بن مسقلة عن أبى إسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبىّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ. «إن الغلام الذى قتله الخضر طبع كافراً، ولو عاش لأرهق أبويه طغياناً وكفراً». حدثنى زهير بن حرب حدثنا جرير عن العلاء بن المسيب عن فضيل بن عمرو عن عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت «توفى صبى فقلت طوبى له عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ أولا تدرين أن الله تعالى خلق الجنة وخلق النار فخلق لهذه أهلا ولهذه أهلا». حدثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا وكيع

(١) رواه الشيخان .

عن طلحة بن يحيى عن عمته عائشة بنت طلحة عن عائشة أم المؤمنين قالت «دعى رسول الله ﷺ إلى جنازة صبى من الأنصار، فقلت: يارسول الله طوبى له عصفور من عصافير الجنة لم يعمل السوء ولم يدركه، قال: أو غير ذلك يا عائشة، إن الله خلق للجنة أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم وخلق للنار أهلا خلقهم لها وهم فى أصلاب آبائهم ». وقال رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا عبد العزيز – يعنى ابن محمد – عن العلاء – عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل الجنة ثم يختم له عمله بعمل أهل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بعمل أهل النار ثم يختم له عمله بعمل أهل الجنة». قلت: وهذا الحديث ومافى معناه تفسيره عند أهل العلم والسنة على حديث سهل بن سعد عند مسلم رحمه الله تعالى قال: حدثنا قتيبة بن سعيد حدثنا يعقوب – يعنى ابن عبد الرحمن القارى – عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى أن رسول الله ﷺ قال «إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة. الحديث يفسر الأول أن عمل المختوم له بالشقاوة إذا ظهر صلاحه إنما هو فيما يبدو للناس.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا إسحق بن ابراهيم الحنظلى حدثنا عثمان بن عمر حدثنا عزرة بن ثابت عن يحيى بن عقيل عن يحيى بن يعمر عن أبى الأسود الدؤلى قال: قال لى عمران بن الحصين: أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشىء قضى عليهم ومضى عليهم من قدر ماسبق، أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم وثبتت الحجة عليهم. فقلت: بل شىء قضى عليهم ومضى عليهم، قال فقال أفلا يكون ظلماً؟ قال ففزعت من ذلك فزعاً شديداً وقلت: كل شىء خلق الله وملك يده فلا يسئل عما يفعل وهم يسألون، فقال لى: يرحمك الله تعالى إنى لم أرد بما سألتك إلا حرز عقلك، إن رجلين من مزينة أتيا رسول الله ﷺ فقالا: يارسول الله أرأيت مايعمل الناس اليوم ويكدحون فيه أفى شىء قضى عليهم ومضى فى هم من قدر قد سبق أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم ﷺ وثبتت الحجة عليهم؟ فقال لا بل شىء قضى عليهم ومضى فيهم. وتصديق ذلك فى كتاب الله عز وجل ﴿ **ونفس وماسواها فألهمها فجورها وتقواها** ﴾. وفيه عن على رضى الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ ذات يوم جالساً وفى يده عود ينكت به، فرفع رأسه فقال: مامنكم من نفس إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار. قالوا يارسول الله فلم نعمل، أفلا نتكل؟ قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، ثم قرأ ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى** ﴾ إلى قوله ﴿ **فسنيسره للعسرى** ﴾ والآيات والأحاديث فى هذا الباب كثيرة شهيرة يطول استقصاؤها، وقد تقدم منها جملة فى إثبات علم الله عز وجل من توحيد المعرفة والإثبات.

(فصل) المرتبة الثانية من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بكتاب الله تعالى الذى لم يفرط

فيه من شيء، قال الله عـز وجـل ﴿ **مافرطنا فى الكتاب مـن شيء** ﴾ وقال تعالى ﴿**وكل شيء أحصيناه في إمام مبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكل شيء فعلوه فى الزبر، وكل صغير وكبير مستطر** ﴾ وقال تعالى عن موسى حين قال له فرعون ﴿ **فما بال القرون الأولى، قال علمها عند ربى فى كتاب لايضل ربى ولاينسى** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ألم تعلم أن الله يعلم مافى السماء والأرض إن ذلك فى كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وعنده مفاتح الغيب لايعلمها إلا هو** ﴾ إلى قوله ﴿ **ولا رطب ولايابس إلا فى كتاب مبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وماتكون فى شأن وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وماتحمل من أنثى ولاتضع إلا بعلمه، ومايعمَّر من معمر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات التى يقرن فيها بين إثبات العلم والكتاب، أو يذكر كل على حدته. وكتابه تعالى من علمه. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عبدان بن أبى حمزة عن الأعمش عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه قال: «كنا جلوساً مع النبى ﷺ ومعه عود ينكت فى الأرض وقال: ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة. فقال رجل من القوم: ألا نتكل يارسول الله ؟ قال: لا، اعملوا فكل ميسر. ثم قرأ ﴿ **فأما من أعطى واتقى** ﴾ الآية. ورواه مسلم بأبسط منه فقال رحمه الله تعالى: حدثنا عثمان بن أبى شيبة وزهير بن حرب وإسحاق بن إبراهيم – واللفظ لزهير – قال إسحق: أخبرنا. وقال الآخران: حدثنا جرير عن منصور عن سعد بن عبيدة عن أبى عبد الرحمن السلمى عن على رضى الله عنه قال: كنا فى جنازة فى بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته ثم قال: مامنكم من أحد، مامن نفس منفوسة إلا وقد كتب تعالى مكانها من الجنةوالنار، وإلا وقد كتبت شقية أو سعيدة. قال فقال رجل: يارسول الله أفلا نمكث على كتابنا وندع العمل ؟ فقال: من كان من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة ومن كان من أهل الشقاوة فسيصير إلى عمل أهل الشقاوة فقال اعملوا فكل ميسر أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة. ثم قرأ ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى. وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ وقال رحمه الله تعالى حدثنا أبو الزبير (ح). وحدثنا يحيى بن يحيى أخبرنا أبو خيثمة عن أبى الزبير عن جابر قال «جاء سراقة بن مالك بن جعشم قال: يارسول الله بين لنا ديننا كأنا خلقنا الآن فيما نعمل ج ٢ اليوم أفيما جفت به الأقلام

وجرت به المقادير. قال: ففيم العمل؟ قال زهير ثم تكلم أبو الزبير بشيء لم أفهمه، فسألت ما قال؟ فقال اعملوا فكل ميسر لعمله وفى رواية قال رسول الله ﷺ « كل عامل ميسر لعمله » . وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب ﴿ **وحرام على قرية أهلكناها أنهم لايرجعون - إنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن - ولايلدوا إلا فاجراً كفاراً** ﴾ وقال منصور بن النعمان عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما : وحرم بالحبشة وجب. حدثنى محمد بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «ما رأيت شيئاً أشبه باللمم مما قال أبو هريرة عن النبى ﷺ إن الله تعالى كتب على ابن آدم حظه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر واللسان المنطق والنفس تمنى وتشتهى والفرج يصدق ذلك أو يكذبه. ورواه مسلم بهذا اللفظ وبلفظ قال ﷺ «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لامحالة، فالعينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا والقلب يهوى ويتمنى ويصدق ذلك الفرج ويكذبه» . وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا يونس حدثنا الليث عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعانى عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما أنه «ركب خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال له رسول الله ﷺ ياغلام إنى معلمك كلمات ينفعك الله بهن : احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف» ورواه الترمذى بنحوه وقال: حسن صحيح، وقال الإمام أحمد أيضاً: حدثنا هاشم بن القاسم حدثنا ليث حدثنى أبو قبيل المعافرى عن شفى الأصبحى عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال « خرج علينا رسول الله ﷺ وفى يده كتابان فقال: أتدرون ماهذان الكتابان؟ قال قلنا: إلا أن تخبرنا يارسول الله قال للذى فى يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين تبارك وتعالى بأسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم فلا يزاد فيهم ولاينقص منهم أبداً. ثم قال للذى فى يساره هذا كتاب أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم وقبائلهم ثم أجمل على آخرهم ولايزاد فيهم ولاينقص منهم أبداً. فقال أصحاب رسول الله ﷺ : فلأى شيء إذاً نعمل إن كان هذا أمر قد فرغ منه؟ قال رسول الله ﷺ : سددوا وقاربوا فان صاحب الجنة يختم بعمل الجنة وإن عمل أى عمل، وإن صاحب النار ليختم بعمل أهل النار وإن عمل أى عمل. ثم قال بيده فقبضها ثم قال: فرغ ربكم عز وجل من العباد. ثم قال باليمنى فنبذبها فقال: فريق فى الجنة. ونبذ باليسرى فقال: فريق

في السعير. ورواه الترمذي بنحوه وقال حديث حسن صحيح غريب. وغير ذلك من الأحاديث كثير.

(فصل) والإيمان بكتابة المقادير يدخل فيه خمسة تقادير: (الأول) التقدير الأزلي قبل خلق السموات والأرض عندما خلق الله تعالى القلم، كما قال ربنا تبارك وتعالى ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ماكتب ا لنا** ﴾ الآية، وقال سبحانه وتعالى ﴿ **ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك على ا يسير. لكيلا تأسوا على مافاتكم ولاتفرحوا بما آتاكم** ﴾ وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبي حدثنا الأعمش حدثنا جامع بن شداد عن صفوان بن محرز أنه حدثه عن عمران بن حصين رضى الله عنهما قال: «دخلت على النبي ﷺوعقلت ناقتي بالباب، فأتاه ناس من بني تميم فقال: اقبلوا البشرى يابني تميم. قالوا: قد بشرتنا فأعطنا (مرتين). ثم دخل عليه ناس من أهل اليمن فقال: اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم، قالوا: قبلنا يارسول الله. قالوا: جئناك نسألك عن أول هذا الأمر. قال: كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض. فنادى مناد: ذهبت ناقتك يا ابن الحصين، فانطلقت فإذا هي يقطع دونها السراب، فوالله لو وددت أني كنت تركتها فذهبت وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثني أبو الطاهر أحمدبن عمرو بن عبد الله بن عمرو بن سرح حدثنا ابن وهب أخبرني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء»[1]. ولهما عن أبي هريرة حديث احتجاج آدم وموسى. وهذا اللفظ لمسلم قال: قال رسول الله ﷺ «احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما، فحج آدم موسى. قال موسى: أنت آدم الذى خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وأسكنك في جنته، ثم أهبطت الناس بخطيئتك إلى الأرض. فقال آدم: أنت موسى الذى اصطفاك الله برسالته وبكلامه، وأعطاك الألواح فيها تبيان كل شيء وقربك نجيا. فبكم وجدت الله تعالى كتب التوراة قبل أن أخلق؟ قال موسى بأربعين عاما. قال آدم فهل وجدت فيها ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾؟ قال نعم: قال أفتلومني على أن عملت عملا كتب الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة. قال رسول الله ﷺ: فحج آدم موسى». وله عندهما وغيرهما ألفاظ من طرق كثيرة. وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا جعفر بن مسافر الهذلي حدثنا يحيى بن حسان حدثنا الوليد ابن رباح عن ابراهيم ابن أبي عبلة عن أبي حفصة قال: قال عبادة بن الصامت لابنه يابني

(١) رواه مسلم .

إنك إن تجد طعم حقيقة الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن أول ماخلق الله القلم فقال له: أكتب. قال: رب وماذا أكتب؟ قال: أكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة». يابني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات على غير هذا فليس مني» وقال الترمذي رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن موسى أخبرنا أبو داود الطيالسي أخبرنا عبد الواحد بن سليم قال: قدمت مكة فلقست عطاء بن أبي رباح فقلت له: يا أبا محمد إن أهل البصرة يقولون في القدر. قال: يابني أتقرأ القرآن؟ قلت نعم. قال فاقرأ الزخرف. قال فقرأت ﴿ **حم والكتاب المبين. إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون، وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم** ﴾ قال أتدري ما أم الكتاب؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال فانه كتاب كتبه الله قبل أن يخلق السماء وقبل أن يخلق الأرض فيه: إن فرعون من أهل النار، وفيه تبت يدا أبي لهب وتب. قال عطاء: فلقيت الوليد بن عبادة بن الصامت صاحب رسول الله ﷺ فسألته: ماكانت وصية أبيك عند الموت؟ قال دعاني فقال: يابني اتق الله ، واعلم انك لن تتقى الله تعالى حتى تؤمن بالله وتؤمن بالقدر كله خيره وشره، فان مت على غير هذا دخلت النار. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن أول ماخلق الله تعالى القلم فقال اكتب، قال: ما أكتب؟ قال اكتب القدر ما كان وماهو كائن إلى الأبد. هذا حديث غريب. وقال البخاري رحمه الله تعالى: قال اصبغ اخبرني ابن وهب عن يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن ابي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله اني رجل شاب واخاف على نفسي العنت ولا أجد ما أتزوج به النساء، فسكت عني. ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فسكت عني، ثم قلت مثل ذلك فقال النبي ﷺ «يا أبا هريرة جف القلم بما أنت لاق فاختصر على ذلك او ذر»، وغير ذلك من الأحاديث.

(فصل) التقدير (الثاني) من تقادير الكتابة كتابة الميثاق يوم ألست بربكم قالت تعالى ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون . وكذلك نصرف الآيات ولعلهم يرجعون**﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **وماوجدنا لأكثرهم من عهد وإن وجدنا أكثرهم لفاسقين** ﴾ وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا معاوية بن عمرو حدثنا ابراهيم بن محمد أبو اسحق الفزاري حدثنا الأوزاعي حدثني ربيعة بن يزيد عن عبد الله بن الديلي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ فمن أصابه من نوره يومئذ اهتدى ومن

أخطأه ضل، فلذلك أقول جف القلم على علم الله عز وجل» حسنه الترمذى. وقال أحمد رحمه الله عز وجل: حدثنا هشيم وسمعته أنا منه قال حدثنا أبو الربيع عن يونس عن أبى إدريس عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «خلق الله آدم حين خلقه فضرب كتفه اليمنى فأخرج ذرية بيضاء كأنهم الذر، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحمم، فقال للذى فى يمينه: إلى الجنة ولا أبالى، وقال للذى فى كفه اليسرى: إلى النار ولا أبالى، وقال رحمه الله تعالى: حدثنا الحسن بن سوار حدثنا الليث - يعنى ابن سعد - عن معاوية بن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن قتادة السلمى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « إن الله عز وجل خلق آدم ثم أخذ الخلق من ظهره وقال: هؤلاء فى الجنة ولا أبالى وهؤلاء فى النار ولا أبالى. قال فقال قائل يارسول الله فعلى ماذا نعمل؟قال: على مواقع القدر. وفى الباب عن معاذ ونضرة عن رجل من أصحاب النبى ﷺ، وحديث عبد الرحمن هذا رجاله رجال الصحيحين إلى الصحابى . وروى إمام دار الهجرة مالك بن أنس رحمه الله تعالى عن زيد بن أبى أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهنى أن عمر بن الخطاب سئل رضى الله عنه عن هذه الآية ﴿ **وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين** ﴾ فقال عمر بن الخطاب رضى عنه: سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عنها فقال رسول الله ﷺ «إن الله تبارك وتعالى خلق آدم ثم مسح ظهره بيمينه حتى استخرج منه ذرية، فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاءللنار وبعمل أهل الناريعملون. فقال رجل يارسول الله ففيم العمل؟ قال رسول الله ﷺ : إن الله إذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة حتى يموت على عمل من أعمال أهل الجنة فيدخله ربه الجنة، وإذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على عمل من أعمال أهل النار فيدخله ربه النار». وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا حسين بن محمد حدثنا جرير- يعنى ابن أبى حازم - عن كلثوم بن جبر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال «أخذ الله تعالى الميثاق من ظهر آدم بنعمان - يعنى عرفة - فأخرج من صلبه كل ذرية ذرأها فنثرهم بين يديه كالذر ثم كلمهم قبلا ﴿ **قال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين، أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون** ﴾ صححه الحاكم. وروى ابنه عبد الله فى زوائده على مسند أبيه حدثنا محمد بن يعقوب الربالى حدثنا المعتمر بن سليمان سمعت أبى يحدث عن

الربيع بن أنس عن رفيع أبي العالية عن أبي بن كعب رضى الله عنه في قول الله عز وجل ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ﴾ الآية قال «جمعهم فجعلهم أرواحاً ثم صورهم فاستنطقهم فتكلموا ثم أخذ عليهم العهد والميثاق وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى - قال فإنى أشهد عليكم السموات "السبع والأرضين السبع وأشهد عليكم أباكم آدم عليه السلام أن تقولوا يوم القيامة لم نعلم بذلك، اعلموا أنه لا إله غيرى ولا رب غيرى فلا تشركوا بى شيئاً، إنى سأرسل إليكم رسلى يذكرونكم عهدى وميثاقى وأنزل عليكم كتبى قالوا شهدنا بأنك ربنا وإلهنا لارب غيرك. فأقروا بذلك ». الحديث. وقال الإمام الحاكم صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبي عمران قال: سمعت أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك مافى الأرض من شيء أكنت تفتدى به؟ فيقول نعم، فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت فى صلب آدم أن لاتشرك بى، فأبيت إلا أن تشرك بى ». ورواه مسلم وغيره والأحاديث فى هذا الباب كثيرة، وقد قدمنا منها جملة وافية فى أول هذا الشرح عند الكلام على الميثاق. ولله الحمد والمنة.

(فصل) التقدير (الثالث) العمر عند تخليق النطفة فى الرحم، فيكتب إذ ذاك ذكوريتها وأنوثتها والأجل والعمل والشقاوة والسعادة والرزق وجميع ماهو لاق فلايزاد فيه ولاينقص منه. قال الله تبارك وتعالى ﴿ **يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر فى الأرحام مانشاء إلى أجل مسمى ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئاً** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمَّر من معمَّر ولاينقص من عمره إلا فى كتاب إن ذلك على الله يسير** ﴾ وقال تعالى ﴿ **هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون** ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **إن ربك واسع المغفرة هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم** ﴾ وغيرها من الآيات. وروى البخارى ومسلم بإسناديهما إلى سليمان الأعمش قال: سمعت زيد بن وهب عن عبد الله - يعنى ابن مسعود رضى الله تعالى عنه - قال حدثنا رسول الله ﷺ هو الصادق المصدوق «ان أحدكم يجمع خلقه فى بطن أمه أربعين يوماً، ثم يكون فى ذلك علقة مثل ذلك، ثم يكون فى ذلك مضغة مثل ذلك، ثم

يرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات تكتب: رزقه، وأجله، وعمله، وشقى أو سعيد. فوالذى لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى مايكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ». وهذا لفظ مسلم، ولهما من حديث حماد بن زيد عن عبد الله بن أبى بكر بن أنس عن أنس بن مالك رضى الله عن النبى ﷺ قال «وكل الله تعالى بالرحم ملكا فيقول: أى رب نطفة، أى ربى علقة، أى رب مضغة. فإذا أراد الله أن يقضى خلقها قال: أى رب ذكر أم أنثى؟ أشقى أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك فى بطن أمه» وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنى أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن سرح أخبرنا ابن وهب أخبرنى عمرو بن الحارث عن أبى الزبير المكى أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبد الله بن مسعود رضى الله عنه يقول: الشقى من شقى فى بطن أمه، والسعيد من وعظ بغيره. فأتى رجل من أصحاب رسول الله ﷺ يقال له حذيفة بن أسيد الغفارى فحدَّثه بذلك من قول ابن مسعود فقال: وكيف يشقى رجل بغير عمل؟ فقا ل له الرجل: أتعجب من ذلك؟ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة بعث الله تعالى إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال: يارب ذكر أم أنثى؟ فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك، ثم يقول: يارب أجله؟ فيقول ربك ماشاء ويكتب الملك. ثم يقول يارب مارزقه؟ فيقضى ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولاينقص ». وفى رواية له من طريق أخرى «فيقول: يارب أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقول: يارب أسوىً أو غير سوىً فيجعله الله تعالى سوياً أوغير سوىً. ثم يقول: يارب مارزقه؟ فيمضى ربك ماشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك بالصحيفة فى يده فلا يزيد على ما أمر ولاينقص. وفى رواية له من طريق أخرى «فيقول: يارب أذكر أو أنثى؟ فيجعله الله ذكراً أو أنثى. ثم يقول: يارب أسوىً أو غير سوىً فيجعله الله تعالى سوياً أو غيرسوىً. ثم يقول: يارب مارزقه، ما أجله، ما خلقه؟ ثم يجعله الله تعالى شقياً أو سعيداً » وفى رواية لأحمد «فيقول يارب ماذا أشقى أم سعيد؟ فيقول الله تبارك وتعالى فيكتبان، فيقول: ماذا أذكر أم أنثى؟ فيقول الله عز وجل فيكتبان. فيكتب عمله وأثره ومصيبته ورزقه ثم تطوى الصحيفة فلا يزاد على مافيها ولاينقص». وله عن جابر رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ « إذا استقرت النطفة فى الرحم أربعين يوماً أو أربعين ليلة بعث الله إليه ملكا فيقول يارب مارزقه فيقال له. فيقول يارب ما أجله فيقال له فيقول يارب ذكر أم أنثى؟ فيعلمه » فيقول يارب شقى أو سعيد؟ فيعلمه، تفرد به وإسناده حسن.

وله عن أبى الدراداء رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «فرغ الله إلى كل عبد من خمس: من أجله ورزقه وأثره وشقى أم سعيد» والأحاديث فى ذلك كثير.

(فصل) والرابع التقدير الحولى فى ليلة القدر، يقدر فيها كل ما يكون فى السنة إلى مثله، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **بسم الله الرحمن الرحيم. حم والكتاب المبين. إنا أنزلناه فى ليلة مباركة إنا كنا منذرين. فيها يفرق كل أمر حكيم. أمراً من عندنا إناكنا مرسلين** ﴾ الآيات.

قال مجاهد: ليلة القدر ليلة الحكم، وقال سعيد بن جبير يؤذن للحجاج فى ليلة القدر فيكتبون بأسمائهم وأسماء آبائهم فلا يغادر منهم أحد ولايزاد فيهم ولاينقص منهم، وقال الحسن البصرى: واللهالذى لا إله إلا هو إنها لفى رمضان وإنها لليلة القدر، يفرق فيها كل أمر حكيم، فيها يقضى الله تعالى كل أجل وعمل ورزق إلى مثلها، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب فى ليلة القدر ما يكون فى السنة من موت وحياة ورزق ومطر حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان، وقال مقاتل: يقدر الله تعالى فى ليلة القدر أمر السنة فى بلاده وعباده إلى السنة القابلة، وقال أبو عبد الرحمن السلمى: يقدر أمر السنة كلها فى ليلة القدر، وذكر عن سعيد بن جبير فى هذه الآية: إنك لترى الرجل غشى فى الأسواق وقد وقع اسمه فى الموتى، وروى عن ابن عمر وأبى مالك والضحاك: فى ليلة القدر يفصل من اللوح المحفوظ إلى الكتبة أمر السنة ومايكون فيها من الآجال والأرزاق ومايكون فيها إلى آخرها. والآثار فى ذلك عن الصحابة وأئمة التفسير من تابعيهم بإحسان كثيرة شهيرة.

(فصل) والخامس التقدير اليومى وهو سوق المقادير إلى المواقيت التى قدّرت لها فيما سبق، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **يسأله من فى السموات والأرض كل يوم هو فى شأن** ﴾ وروى ابن جرير رحمه الله تعالى عن منيب عبد الله بن منيب الأزدى عن أبيه قال «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ فقلنا يا رسول الله وما ذاك الشأن قال: أن يغفر ذنبا ويفرج كربا ويرفع قوماً ويضع آخرين» وروى ابن أبى حاتم عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «قال عز وجل ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ قال: من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين»، وعلقه البخارى موقوفاً، وروى البزار عن ابن عمر رضى الله عنه عن النبى ﷺ ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ قال «يغفر ذنباً ويكشف كرباً»، وله هو وابن جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء قلمه نور، وكتابه نور، وعرضه مابين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق فى كل نظرة ويحيى ويعز ويذل ويفعل مايشاء. وروى ابن أبى حاتم عن سويد بن جبلة الفزارى قال: إن ربكم كل يوم هو

فى شأن فيعتق رقاباً، ويعطى رغاباً، ويقحم عقاباً. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير ﴿ **كل يوم هو فى شأن** ﴾ قال: من شأنه أن يجيب داعياً. أويعطى سائلا. أو يفك عانياً. أو يشفى سقيما. وقال ابن أبى نجيح عن مجاهد قال: كل يوم هو يجيب داعياً ويكشف كرباً. ويجيب مضطراً ويغفر ذنبا. وقال قتادة: لايستغنى عنه أهل السموات والأرض يحيى حيا ويميت ميتا. ويربى صغيراً ويفك أسيراً. وهو منتهى حاجات الصالحين وصريخهم ومنتهى شكواهم، وقال الحسين بن فضل: هو سوق المقادير إلى المواقيت، وقال أبو سليمان الدارانى فى هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد بر جديد. وذكر البغوى رحمه الله تعالى قول المفسرين: من شأنه أن يحيى ويميت ويخلق ويرزق ويعز قوماً ويذل قوماً ويشفى مريضاً ويفك عانياً ويفرج مكروباً ويجيب داعياً ويعطى سائلا ويغفر ذنبا إلى مالايحصى من أفعاله وإحداثه فى خلقه مايشاء. وجملة القول فى ذلك أن التقدير اليومى هو تأويل المقدور على العبد وإنفاذه فيه، فى الوقت الذى سبق أنه يناله فيه، لايتقدمه ولا يتأخره . كما أن فى الآخرة يأتى تأويل الجزاء الموعود إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولكل نبأ مستقر وسوف تعلمون. ولهذا قال سفيان بن عيينة فيما ذكره عنه البغوى رحمه الله تعالى: الدهر كله عند الله يومان: أحدهما مدة أيام الدنيا، والآخر يوم القيامة، فالشأن الذى هو فيه اليوم الذى هو مدة الدنيا الاختبار بالأمر والنهى والإحياء والإماتة والإعطاء والمنع يعنى وغير ذلك، وشأن يوم القيامة الجزاء والحساب والثواب والعقاب أ.هـ. ثم هذا التقدير اليومى تفصيل من التقدير الحولى، والحولى تفصيل من التقدير العمرى عند تخليق النطفة. والعمرى تفصيل من التقدير العمرى الأول يوم الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلى الذى خطه القلم فى الإمام المبين. والإمام المبين هو من علم الله عز وجل، وكذلك منتهى المقادير فى آخريتها إلى علم اللهعز وجل، فانتهت الأوائل إلى أوليته وانتهت الأواخر إلى آخريته ﴿ **وأن إلى ربك المنتهى** ﴾.

(فصل) والمرتبة الثالثة من مراتب الإيمان بالقدر الإيمان بمشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهما يجتمعان فيماكان وماسيكون، ويفترقان فى مالم يكن ولا هو كائن: فما شاءالله تعالى كونه فهو كائن بقدرته لامحالة ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾ ومالم يشأ الله تعالى لم يكن لعدم مشيئة الله تعالى إياه ليس لعدم قدرته عليه ﴿**ولو شاء الله لجمعهم على الهدى – ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة – ولو شاء الله ما اقتتلوا – ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها ولكن حقّ القول منى لأملأن جهنم من الجنّة والنّاس أجمعين** ﴾ فالسبب فى عدم وجود الشىء هو عدم مشيئة الله تعالى إيجاده، لا أنه عجز عنه، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شىء فى السموات**

ولا في الأرض إنه كان عليما قديراً ﴾.

(فصل) والمرتبة الرابعة مرتبة الخلق وهو الإيمان بأن الله سبحانه وتعالى خالق كل شيء، فهو خالق كل عامل وعمله، وكل متحرك وحركته، وكل ساكن وسكونه، ومامن ذرّة في السموات ولا في الأرض إلا والله سبحانه و تعالى خالقها وخالق حركتها وسكونها، سبحانه لاخالق غيره ولارب سواه. وهاتان المرتبتان قد تقدم بسط الكلام عليهما في توحيد المعرفة والإثبات بما أغنى عن إعادته. ولله الحمد والمنة وبه التوفيق والعصمة.

(فصل) وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم مشيئة، والله تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وأقوالهم وأعمالهم، وهو تعالى الذى منحهم إياها وأقدرهم عليها وجعلها قائمة بهم مضافة إليهم حقيقة، وبحسبها كلفوا وعليها يثابون ويعاقبون، ولم يكلفهم الله تعالى إلا وسعها ولم يحملهم إلا طاقتهم، وقد أثبت الله تعالى ذلك لهم في الكتاب والسنة، ووصفهم به، ثم أخبرتعالى أنهم لايقدرون إلا على ما أقدرهم الله تعالى عليه ولايشاءون إلا أن يشاء الله عز وجل، ولايفعلون إلا بجعله إيّاهم فاعلين، كما جمع تعالى بين ذلك في غير ماموضع من كتابه كقوله عز وجل ﴿ **من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فأولئك هم الخاسرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن هذه تذكرة فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا. وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان عليما حكيما** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **إن هو إلا ذكر للعالمين، لمن شاء منكم أن يستقيم، وماتشاءون إلا أن يشاء الله رب العالمين** ﴾ وقوله تعالى ﴿ **لايكلف الله نفسا إلا وسعها لها ماكسبت وعليها ما اكتسبت** ﴾ الآية، وقال تعالى ﴿ **لايكلف الله نفسا إلا ما آتاها** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وتلك الجنة التى أورثتموها بما كنتم تعملون** ﴾ أى بسببه، وقال تعالى ﴿ **وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون** ﴾ وقال النبيﷺ «الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونتوب اليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا. من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له. وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب ﴿ **وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله – لو أن الله هدانى لكنت من المتقين** ﴾ حدثنا أبو النعمان أخبرنا جرير هو ابن حازم عن أبى إسحاق عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: رأيت النبى ﷺ يوم الخندق ينقل معنا التراب وهو يقول: « والله لولا الله ما اهتدينا. ولاصمنا ولاصلينا، فأنزلن سكينة علينا، وثبت الأقدام إن لاقينا، والمشركون قد بغوا علينا، إذا أردوا فتنة أبينا» . وقال ﷺ في الحمر «ما أنزل الله على فيها شيئاً إلا هذه الآية الجامعة الفاذة ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ وغير ذلك مالايحصى، وقد تقدم منها جملة وافية في إثبات الإرادة والمشيئة ،الخلق، فكما لم يوجد العباد أنفسهم لم يوجدوا أفعالهم، فقدرتهم وإرادتهم ومشيئتهم وأفعالهم ، تبع لقدرة الله

سبحانه وإرادته ومشيئته وأفعاله ، إذ هو تعالى خالقهم وخالق قدرتهم ومشيئتهم وإرادتهم وأفعالهم ، وليس مشيئتهم وإرادتهم وقدرتهم وأفعالهم هى عين مشيئة الله تعالى وإرادته وقدرته وفعله، كما ليسوا هم إياه تعالى الله عن ذلك بل أفعالهم المخلوقة لله قائمة بهم لائقة بهم مضافة إليهم، حقيقة، وهى من آثار أفعال الله تعالى القائمة به اللائقة به المضافة إليه حقيقة، فالله فاعل حقيقة والعبد منفعل حقيقة،والله تعالى هاد حقيقة، والعبد مهتد حقيقة، ولهذا أضاف تعالى كلا من الفعلين إلى من قام به فقال عز وجل ﴿ **من يهد الله فهو المهتد** ﴾ فإضافة الهداية إلى الله تعالى حقيقة، وإضافة الاهتداء إلى العبد حقيقة، وكما أن الهادى تعالى ليس هو عين المهتدى، فكذلك ليست الهداية هى عين الاهتداء، وكذلك يضل الله تعالى من يشاء حقيقة، وذلك العبد يكون ضالا حقيقة، وهو سبحانه وتعالى خالق المؤمن وإيمانه والكافر وكفره كما قال جل وعلا ﴿ **هو الذى خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير** ﴾ أى هو الخالق لكم على هذه الصفة وأراد منكم ذلك كوناً لا شرعاً، فلا بد من وجود مؤمن وكافر، وهو البصير بمن يستحق الهداية ممن يستحق الضلال وهو شهيد على أعمال عباده وسيجزيهم بها أتم الجزاء، ولهذا قال تعالى ﴿ **والله بما تعملون بصير** ﴾ فأضاف الله تعالى الخلق الذى هو فعله القائم به إليه حقيقة، وأضاف الإيمان والكفر الذى هو عملهم القائم بهم إليهم حقيقة، والله تبارك وتعالى هو الذى جعلهم كذلك، وهم فعلوه باختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم التى منحهم الله إياها وخلقها فيهم وأمرهم ونهاهم بحسبها. والمقصود أن الله سبحانه فى جميع تصرفاته فى عباده فاعل حقيقة، والعبد منفعل حقيقة، فمن أضاف الفعل والانفعال كلاهما إلى المخلوق كفر، ومن أضافهما كلاهما إلى الله تعالى كفر، ومن أضاف الفعل إلى الله تعالى حقيقة والانفعال إلى المخلوق حقيقة كما أضافهما الله تعالى فهو المؤمن حقيقة، فالأول قول القدرية النفاة، وأول من أحدثه فى هذه الأمة معبد الجهنى فى آخر عصر الصحابة كما قدمنا عن يحيى بن يعمر فى سياق حديث جبريل السابق فى سؤاله النبى ﷺ عن الدين، وأنكر عليه ذلك بقية الصحابة وأئمة التابعين وتبرأوا من هذا الاعتقاد وكفروا منتحليه ونفوا عنه الإيمان وأوصى بعضهم بعضاً بمجانبته والفرار من مجالسته. ثم تقلد عنه ذلك المذهب الفاسد والسنة السيئة التى انتحلها هو رءوس المعتزلة وأئمتهم المضلون كواصل بن عطاء الغزال، وعمرو بن عبيد ومن فى معناهم وعلى طريقهم حتى بالغ بعضهم فأنكر علم الله تعالى وأنكر كتابة المقادير السابقة وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم، ولهذا كانوا هم مجوس هذه الأمة، فأما واصل بن عطاء فقال فيه أبو الفتح الأزدى: رجل سوء كافر، قال الذهبى: كان من أجلاد المعتزلة ولد سنة ثمانين بالمدينة، ومما قيل فيه:

ويجـعل البـر قـمـحـا فى تصـرفـه   وخـالف الراء حـتى احـتـال للشـعـر
ولم يطق مطراً فى القـول يجـعله   فـعـاذ بالغـيث إشـفـاقـا من المطر

وكان يتوقف فى عدالة أهل الجمل ويقول: إحدى الطائفتين فـسقت لابعينها، فلو شهدت عندى عائشة وعلى وطلحة على باقة بقل لم أحكم بشهادتهم. هلك سنة إحدى وثلاثين ومائة. وأما عمرو بن عبيد فهو ابن ثوبان - ويقال ابن كيسان - التيمى مولاهم أبو عثمان البصرى من أبناء فارس، قال ابن كثير: هو شيخ القدرية والمعتزلة، روى الحديث عن الحسن البصرى وعبيد الله بن أنس وأبى العالية وأبى قلابة، وعنه الحمادان وسفيان بن عيينة والأعمش وكان من أقرانه وعبد الوارث بن سعيد، وهارون بن موسى ويحيى القطان ويزيد بن زريع، قال الإمام أحمد: ليس بأهل أن يحدث عنه. وقال على بن المدينى ويحيى بن معين: ليس بشىء. وزاد ابن معين: وكان رجل سوء وكان من الدهرية الذين يقولون إنما الناس مثل الزرع. وقال الفلاس: متروك صاحب بدعة كان يحيى القطان يحدثنا عنه ثم تركه. وكان ابن مهدى لايحدث عنه، وقال أبو حاتم: متروك، وقال النسائى: ليس بثقة، وقال شعبة عن يونس بن عبيد: كان عمرو بن عبيد يكذب فى الحديث، وقال حماد بن سلمة قال لى حميد: لا تأخذ عنه فإنه كان يكذب على الحسن البصرى، وكذا قال أيوب وعوف بن عون، وقال أيوب: ماكنت أعدُّ له عقلا، وقال مطر الوراق: والله لا أصدقه فى شىء، وقال ابن المبارك إنما تركوا حديثه لأنه كان يدعو إلى القدر، وقد ضعفه غيرواحد من أئمة الجرح والتعديل، وأثنى عليه آخرون فى عبادته وزهده وتقشفه، قال الحسن البصرى: هذا سيد شباب القراء مالم يحْدث، قالوا فأحدث و الله أشد الحدث، وقال ابن حبان كان من أهل الورع والعبادة إلى أنْ أحدث ما أحدث، واعتزل مجلس الحسن هو وجماعة معه فسموا المعتزلة. وكان يشتم الصحابة ويكذب فى الحديث وهماً لاتعمداً. وقد روى عنه أنه قال: إن كانت ﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾ فى اللوح المحفوظ فما تعد منه على ابن آدم حجة، وروى له حديث ابن مسعود: حدثنا الصادق المصدوق «إن خلق أحدكم يجمع فى بطن أمه أربعين يوماً - حتى قال - فيؤمر بأربع كلمات: رزقه وأجله وعمله وشقى أوسعيد. إلى آخره، فقال: لو سمعت الأعمش يرويه لكذبته، ولو سمعته من زيد بن وهب لما أحببته، ولو سمعته من ابن مسعود لما قبلته، ولو سمعته من رسول الله ﷺ لرددته، ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ماعلى هذا أخذت علينا الميثاق.وهذا من أقبح الكفر. لعنه الله إن كان قال هذا، وإذا كان مكذوباً عليه فعلى من كذبه عليه مايستحقه. وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

أيهـــــا الطـالـب علـمـــــا إئــت حـــــمـــــاد بـن زيـد
فــــــخـــــذ العـلـم بـحـلـم ثـم قـــيــــــده بقــــيـــــد
وذر البـــــــدعــــــــة مـن آثار عــــــمـــرو بن عـــبـــيـــد

وقال ابن عدى: كان عمرو يغر الناس بتقشفه، وهو مذموم ضعيف الحديث جداً معلن بالبدع. وقال الدارقطنى: ضعيف الحديث. وقال الخطيب البغدادى: جالس الحسن واشتهر بصحبته، ثم أزاله واصل بن عطاء عن مذهب أهل السنة وقال بالقدر ودعا إليه واعتزل أصحاب الحديث رحمهم الله تعالى.

ثم توارث القدرية هذا المذهب الفاسد بعد هؤلاء وتواصوا به، ثم منهم من نفى علم الله تعالى كأوليهم، ففيهم من نفى علمه بالكليات والجزئيات، ومنهم من أثبت العلم بالكليات دون الجزئيات، ثم افترقوا فى أفعال الله كما افترقوا فى علمه، ففرقة قالت: كل أفعال العباد ليست مقدورة لله ولامخلوقة له، لاخيرها ولاشرها. والأخرى قالت: الخير من أفعالهم مخلوق له تعالى ومقدور له، وأما الشر فليس عندهم مخلوقاً لله ولامقدوراً له، فأثبتوا نصف القدر ونفوا نصفه، وأثبتوا خالقين. فهم فى الحقيقة مجوس ثنوية، بل أعظم منهم، فإن الثنوية أثبتوا خالقين للكون كله وهؤلاء أثبتوا خالقين لكل فرد من الأفراد ولكل فعل من الأفعال بل جعلوا المخلوقين كلهم خالقين، ولولا تناقضهم لكانوا أكفر من المجوس، فأن اطراد قولهم ولازمه وحاصله هو إخراج أفعال العباد عن خلق الله عز وجل وملكه وأنها ليست داخلة فى ربوبيته عز وجل، وأنه يكون فى ملكه مالايريد ويريد مالايكون، وأنهم أغنياء عن الله عز وجل فلا يستعينون على طاعته ولاترك معصيته ولايعوذون به من شرور أنفسهم ولاسيئات أعمالهم ولايستهدونه الصراط المستقيم، فقول إياك نعبد وإياك نستعين وقول لاحول ولاقوة إلا بالله لامعنى له عندهم وربما استنكروه كما جحدوا قوله تعالى ﴿**من يشأ ا يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم**﴾ هذا مع إنكارهم علم الله عز وجل وقدرته ومشيئته وإرادته وغير ذلك من صفاته تبارك وتعالى عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً.

(فصل) والقول الثانى وهو إضافة الفعل والانفعال كلاهما إلى الله عز وجل هو قول الجبرية الغلاة الجفاة الذين يقولون: إن العبد مجبور على أفعاله مقسور عليها كالسعفة يحركها الريح العاصف وكالهاوى من أعلى إلى أسفل. وأن تكليف الله سبحانه وتعالى عباده – من أمرهم بالطاعات ونهيهم عن المعاصى – كتكليف الحيوان البهيم بالطيران وتكليف المقعد بالمشى وتكليف الأعمى بنقط الكتاب، وأن تعذيبه إياهم على معصيتهم إياه هو تعذيب لهم على فعله لاعلى أفعالهم، وأن ذلك كتعذيب الطويل لم لم يكن قصيراً

والقصير لم لم يكن طويلا والأسود لم لم يكن أبيض والأبيض لم لم يكن أسود، فسلبوا العبد قدرته واختياره، وأخرجوا عن أفعال الله تعالى وأحكامه حكمها ومصالحها، ونفوا عن الله تعالى حكمته البالغة، وجحدوا حجته الدامغة، وأثبتوا عليه تعالى الحجة لعباده، ونسبوه تعالى إلى الظلم وطعنوا فى عدله وشرعه. فلا قيام عندهم لسوق الجهاد، ولامعنى لإقامة الحدود ولا للثواب والعقاب، بل ولا لإرسال الرسل والكتب إلا التكليف فى غير وسع وتحميل مالايطاق والظلم الذى حرمه الله تعالى على نفسه وجعله بين عباده محرماً فأقاموا عذر إبليس اللعين وعذر فرعون وهامان وقارون وسائر الأمم العصاة الممقوتين المقبوحين المغضوب عليهم المخسوف بهم المعدة لهم جهنم وساءت مصيراً، وأن غضب الله عليهم ولعنه وعقابه إياهم على فعله لا على أفعالهم، بل قالوا إنه عاقبهم ومقتهم على طاعتهم إياه، لأنهم إن كانوا خالفوا شرعه فقد أطاعوا إرادته ومشيئته. هذا معنى إثبات القدر عند هذه الفرقة الإبليسية. وقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى كثيراً من عباراتهم التى لايستطيع المؤمن حكايتها لولا أن الله تعالى حكى فى كتابه أقوال الكفار قبحهم الله، فمن ذلك قول بعضهم:

ألقاه فى اليم مكتوفاً وقال له ... إياك إياك أن تبتل بالماء

وقول آخر قبحه الله :

دعانى وسدّ الباب عنى فهل إلى ... دخولى سبيل بينوا لى قضيتى

وقول كافر آخر فضّ فاه الله:

وضعوا اللحم للبزا ... ة على ذروتى عدن
ثم لاموا البزاة إذ ... خلعوا عنهم الرسن
لو أرادوا صيانتى ... ستروا وجهك الحسن أ.هـ.

وقال بعضهم وقد ذكر له من يخاف إفساده فقال: لى خمس بنات لا أخاف على إفسادهن غيره. وصعد رجل يوماً على سطح دار له فأشرف على غلام له يفجر بجاريته فنزل وأخذهما ليعاقبهما، فقال الغلام: إن القضاء والقدر لم يدعانا حتى فعلنا ذلك، فقال: لَعلمك بالقضاء والقدر أحب إلى من كل شيء، أنت حر لوجه الله . ورأى آخر يفجر بامرأته فبادر ليأخذه فهرب فأقبل يضرب المرأة وهى تقول: القضاء والقدر. فقال: ياعدوة الله أتزنين وتعتذرين بمثل هذا؟ فقالت: أوه تركت السنّة وأخذت بمذهب ابن عباس. فتنبه ورمى بالسوط من يده واعتذر إليها وقال: لولاكِ لضللتُ. ورأى آخر رجلا يفجر بامرأته فقال: ماهذا؟ فقالت : هذا قضاء الله وقدره. فقالَ: الخيرة فيما قضى الله . فلقب بالخيرة

فيما قضى الله ، وكان إذا دعى به غضب. وقيل لبعض هؤلاء: أليس هو يقول ولايرضى لعباده الكفر؟ فقال : دعنا من هذا، رضيه وأحبه وأراده، وما أفسدنا غيره. ولقد بالغ بعضهم فى ذلك حتى قال: القدر عذر لجميع العصاة، وإنما مثلنا فى ذلك كما قيل:

إذا مرضنا أتيناكم نعودكم وتذنبون فنأتيكم فنعتذر

وبلغ بعض هؤلاء أن علياً مرّ بقتلى النهروان فقال: بؤساً لكم، لقد ضركم من غركم. فقيل: من غرّهم؟ فقالك الشيطان والنفس الأمارة بالسوء والأمانى. فقال هذا القائل: كان على قدرياً، وإلا فالله غرهم وفعل بهم مافعل وأوردهم تلك الموارد. واجتمع جماعة من هؤلاء يوماً فتذاكروا القدر، فجرى ذكر الهدهد وقوله ﴿ **وزين لهم الشيطان أعمالهم** ﴾ فقال: كان الهدهد قدريا، أضاف العمل إليهم والتزيين إلى الشيطان وجميع ذلك فعل الله . وسئل بعض هؤلاء عن قول الله تعالى لإبليس ﴿ **مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى** ﴾ أيمنعه ثم يسأله مامنعه؟ قال: نعم قضى عليه فى السر مامنعه فى العلانية ولعنه عليه. قال له: فما معنى قوله عز وجل ﴿ **وماذا عليهم لو آمنوا بالله** ﴾ إذا كان هو الذى منعهم ؟ قال : استهزاء بهم. قال: فما معنى قوله ﴿ **مايفعل الله بعذابكم إن شكرتم وآمنتم** ﴾؟ قال: فعل ذلك بهم من غير ذنب جنوه، بل ابتدأهم بالكفر ثم عذبهم عليه وليس للآية معنى. وقال بعض هؤلاء وقد عوتب على ارتكابه معاصى الله فقال: ان كنت عاصيا لأمره فأنا مطيع لإرادته. وجرى عند بعض هؤلاء ذكر إبليس وإبائه وامتناعه من السجود لآدم، فأخذ الجماعة يلعنونه ويذمونه فقال: إلى متى هذا اللوم؟ ولو خلى لسجد، ولكن منع. وأخذ يقيم عذره. فقال بعض الحاضرين: تبا لك سائر اليوم، أتذب عن الشيطان وتلوم الرحمن؟ وجاء جماعة إلى منزل رجل من هؤلاء فلم يجدوه، فلما رجع قال: كنت أصلح بين قوم. فقيل له: وأصحلت بينهم؟ قال أصحلت ان لم يفسد الله . فقيل له: بؤسا لك أتحسن الثناء على نفسك وتسيء الثناء على ربك. ومرّ بلص مقطوع اليد على بعض هؤلاء فقال: مسكين مظلوم أجبره على السرقة ثم قطع يده عليها، وقيل لبعضهم: أترى الله كلف عباده مالايطيقون ثم يعذبهم عليه؟ قال: و الله قد فعل ذلك، ولكن لاتجسر أن تتكلم. وقال بعض هؤلاء: ذنبة أذنبها أحب إلى من عبادة الملائكة. قيل: ولم؟ قال: لعلمى بأن الله قضاها علىّ وقدرها، ولم يقضها إلا والخيرة لى فيها، وقال بعض هؤلاء: العارف لاينكر منكراً لاستبصاره بسرّ الله فى القدر. قال وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول: عاتبت بعض شيوخ هؤلاء، فقال لى: المحبة نار تحرق من القلب ماسوى مراد المحبوب، والكون كله مراده، فأى شيء أبغض منه؟ قال فقلت له: إذا كان المحبوب قد أبغض بعض من فى الكون وعاداهم ولعنهم، فأحببتهم أنت وواليتهم، أكنت ولياً للمحبوب، أو عدواً له؟ قال فكأنما ألقم حجراً. وقرأ قارىء بحضرة بعض هؤلاء ﴿ **قال**

يا إبليس مامنعك أن تسجد لما خلقت بيدى ﴾ فقال: هو والله منعه ولو قال إبليس ذلك لكان صادقاً. وقد أخطأ إبليس الحجة، ولو كنت حاضراً لقلت له: أنت منعته وسمع بعض هؤلاء قارئاً يقرأ ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ فقال: ليس من هذا شيء، بل أضلهم وأعماهم أ.هـ. إلى أن قال: فيقال: الله أكبر على هؤلاء الملاحدة أعداء الله حقاً الذين ماقدروا الله حق قدره، ولاعرفوه حق معرفته، ولاعظموه حق تعظيمه، ولانزهوه عما لايليق به، وبغضوه إلى عباده وبغضوهم إليه سبحانه وأساءوا الثناء عليه جهدهم وطاقتهم، وهؤلاء خصماء الله حقاً الذين جاء فيهم الحديث «يقال يوم القيامة أين خصماء الله ؟ فيؤمر بهم إلى النار» قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى تائيته:

ويدعى خصوم الله يوم معادهم إلى النار طراً فرقة القدرية
سواء نفوه أو سعوا ليخاصموا به الله أو ماروا به للشريعة

قال وسمعته يقول: القدرية المذمومون فى السنة وعلى لسان السلف هم هؤلاء الفرق الثلاث: نفاته وهم القدرية المجوسية. والمعارضون به للشريعة الذين قالوا ﴿ لو شاء الله ما أشركنا ﴾ وهم القدرية المشركون. والمخاصمون به للرب سبحانه وهم أعداء الله تعالى وخصومه وهم القدرية الإبليسية وشيخهم إبليس وهو أول من احتج على الله بالقدر فقال ﴿ بما أغويتنى ﴾ ولم يعترف بالذنب ويبوء به كما اعترف به آدم. فمن أقر بالذنب وباء به ونزه ربه فقد أشبه أباه آدم، ومن أشبه أباه فما ظلم. ومن برأ نفسه واحتج على ربه بالقدر فقد أشبه إبليس: ثم ساق كلاماً طويلا فى فرق القدرية وضلالهم إلى أن قال رحمه الله تعالى: فانظر كيف انقسمت هذه المواريث على هذه السهام وورث كل قوم أئمتهم وأسلافهم إما فى جميع تركتهم وإما فى كثير منها واما فى جزء منها، وهدى الله بفضله ورثة أنبيائه ورسله لميراث نبيهم ﷺ وأصحابه رضى الله عنهم، فلم يؤمنوا ببعض الكتاب ويكفروا ببعض بل آمنوا بقضاء الله وقدره ومشيئته العامة النافذة وأنه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه مقلب القلوب ومصرفها كيف أراد، وأنه هو الذى جعل المؤمن مؤمنا والمصلى مصلياً والمتقى متقياً، وجعل أئمة الهدى يهدون بأمره وأئمة الضلالة يدعون إلى النار، وأنه ألهم كل نفس فجورها وتقواها، وأنه يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته، وأنه هوالذى وفق أهل الطاعة لطاعته فأطاعوه ولو شاء لخذلهم فعصوه، وأنه تعالى حال بين الكفار وقلوبهم فإنه تعالى يحول بين المرء وقلبه فكفروا به، ولو شاء لوفقهم فآمنوا به وأطاعوه، وأنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى له، وأنه لو شاء لآمن من فى الأرض كلهم جميعاً إيماناً يثابون عليه ويقبل منهم ويرضى به عنهم، وأنه لو شاء ما اقتتلوا ولكن الله يفعل مايريد، ولو شاء ربك مافعلوه فذرهم

ومايفترون.

والقضاء والقدر عندهم أربع مراتب جاء بها نبيهم ﷺ وأخبر بها عن ربه تعالى: الأول علمه السابق بما هم عاملوه قبل إيجادهم، الثانية كتابته ذلك فى الذكر عنده قبل خلق السموات والأرض، الثالثة مشيئته المتناولة لكل موجود فلا خروج لكائن عن مشيئته كما لاخروج له عن علمه، الرابعة خلقه له وإيجاده وتكوينه فإنه لاخالق إلا الله، و الله خالق كل شيء. فالخالق عندهم واحد وماسواه فمخلوق، ولاواسطة عندهم بين الخالق والمخلوق. ويؤمنون مع ذلك بحكمته وأنه حكيم فى كل مافعله وخلقه، وأن مصدر ذلك جمعيه عن حكمة تامة هى التى اقتضت صدور ذلك وخلقه، وأن حكمته حكمة حق عائدة إليه قائمة به كسائر صفاته، وليست عبارة عن مطابقة علمه لمعلومه وقدرته لمقدوره كما يقوله نفاة الحكمة الذين يقرون بلفظها دون حقيقتها، بل هى أمر وراء ذلك، وهى الغاية المحبوبة له المطلوبة التى هى متعلق محبته وحمده ولأجلها خلق فسوى وقدّر فهدى وأمات وأحيا وأسعد وأشقى وأضل وهدى ومنع وأعطى، وهذه الحكمة هى الغاية والفعل وسيلة إليها، فإثبات الفعل مع نفيها إثبات للوسائل ونفى للغايات وهومحال، إذ نفى الغاية مستلزم لنفى الوسيلة، فنفى الوسيلة وهى الفعل لازم لنفى الغاية وهى الحكمة ونفى قيام الفعل والحكمة به نفى لهما فى الحقيقة، إذ فعل لايقوم بفاعله وحكمة لاتقوم بالحكيم شيء لايعقل، وذلك يستلزم إنكار ربوبيته وإلهيته، وهذا لازم لمن نفى ذلك ولامحيد له عنه وإن أبى التزامه. وأما من أثبت حكمته تعالى وأفعاله على الوجه المطابق للعقل والفطرة ولما جاءت به الرسل لم يلزم من قوله محذور البتة بل قوله حق ولازم الحق حق كائناً ماكان والمقصود أن ورثة الرسل وخلفاءهم لكمال ميراثهم لنبيهم آمنوا بالقضاء والقدر والحكم والغايات المحمودة فى أفعال الرب تعالى وأوامره، وقاموا مع ذلك بالامر والنهى وصدقوا بالوعد والوعيد، فآمنوا بالخالق الذى من تمام الإيمان به إثبات القدر والحكمة، وبالأمر الذى من تمام الإيمان به الإيمان بالوعد والوعيد وحشر الأجساد والثواب والعقاب، فصدقوا بالخلق والامر ولم ينفوهما بنفى لوازمهما كما فعلت القدرية المجوسية والقدرية المعارضة للأمر بالقدر، وكانوا أسعد الناس بالحق وأقربهم عصبة فى هذا الميراث النبوى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء و اللهذو الفضل العظيم. انتهى ما سقنا من كلامه ررحمه الله تعالى. وقد بسط الكلام قبل ذلك وبعده فشفى وكفى. رحمه الله تعالى.

والمقصود أن الإيمان بالقدر مرتبط بامتثال الشرع، وامتثال الشرع مرتبط بالإيمان بالقدر، وانفكاك أحدهما من الآخر محال، فإن الإقرار بالقدر مع الاحتجاج به على الشرع ومحاربته به مخاصمة للّه تعالى فى أمره وشرعه ووعده ووعيده وثوابه وعقابه، وطعن فى حكمته وعدله، وانتقاد عليه فى إرسال الرسل وإنزال الكتب، وخلق الجنة لأوليائه

المصدقين بها، وخلق النار لأعدائه المكذبين، ونسبة لأحكم الحاكمين وأعدل العادلين - الحكيم فى خلقه وشرعه، العدل فى قوله وفعله وحكمه - إلى العبث والظلم فى ذلك كله. وكذلك الانقياد فى الشرع مع نفى القدر وإخراج أفعال العباد عن قدرة البارى وجعلهم مستقلين بها مستغنين عنه طعن فى ربوبية المعبود وملكوته ونسبته إلى العجز ووصفه بما لايتسحق الالهية ولايتصف بها مما لايبدىء ولايعيد ولايغنى عنك شيئاً، تعالى ربنا وتقدس وتنزه وجل وعلا عما يقول الظالمون الجاحدون الملحدون علواً كبيراً. بل الإيمان بالقدر، خيره وشره، هو نظام التوحيد، كما أن الاتيان بالأسباب التى توصل إلى خيره وتحجز عن شره واستعانة الله عليها هو نظام الشرع ولاينتظم أمر الدين ولايستقيم إلا لمن آمن بالقدر وامتثل الشرع كما قرر النبى ﷺ الإيمان بالقدر ثم قال لما قيل له: أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال: لا « اعملوا فكل ميسر لما خلق له » فمن نفى القدر رغم منافاته للشرع فقد عطل الله تعالى عن علمه وقدرته ومعانى ربوبيته، وجعل العبد مستقلا بأفعاله خالقاً لها، فأثبت خالقا آخر مع الله تعالى، بل أثبت أن جميع المخلوقين خالقون، ومن أثبته محتجاً به على الشرع محارباً له به نافياً عن العبد قدرته واختياره التى منحه الله تعالى إياها وأمره ونهاه وأخبره بحبسها زاعماً أن الله تعالى كلف عباده مالايطاق فقد نسب الله تعالى إلى الظلم وإلى العبث وإلى مالايليق به، ورجح حجة إبليس وأثبتها وأقام عذره وكان هو إمامه فى ذلك إذ يقول ﴿ **رب بما أغويتنى** ﴾ ، وأما المؤمنون حقاً فيؤمنون بالقدر خيره وشره وأن الله تعالى خالق ذلك كله لاخالق غيره ولارب سواه، وينقادون للشرع أمره ونهيه، ويصدقون خبر الكتاب والرسول، ويحكمونه فى أنفسهم سراً وجهراً، وأن الهداية والإضلال بيد الله يهدى من يشاء بفضله ورحمته ويضل من يشاء بعدله وحكمته وهو أعلم بمواقع فضله وعدله ﴿ **هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى** ﴾ وله فى ذلك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، وأن الثواب والعقاب مترتب على الشرع فعلا وتركا لا على القدر، ويعزون أنفسهم بالقدر عند المصائب، ولايحتجون به على المعاصى والمعايب، فإذا وفقوا لحسنة عرفوا الحق لأهله فقالوا الحمد لله الذى هدانا سبلنا ﴿ **وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله** ﴾ ولم يقولوا كما قال الفاجر ﴿ **إنما أوتيته على علم عندى** ﴾ وإذا اقترفوا سيئة باءوا بذنبهم وأقروا به وقالوا كما قال الأبوان ﴿ **ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين** ﴾ ولم يحملوا ذنبهم وظلمهم على القدر ويحتجوا به عليه، ولم يقولوا كما قال إبليس لعنه الله ﴿**رب بما أغويتنى** ﴾، وإذا أصابتهم مصيبة رضوا بقضاء الله وقدره واستسلموا لتصرف ربهم ومالكهم تبارك وتعالى وقالوا كلمة الصابرين ﴿ **الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه**

راجعون ﴾ ولم يقولوا كما قال الذين كفروا ﴿ **وقالوا لإخوانهم إذا ضربوا فى الأرض أو كانوا غزًا لو كانوا عندنا ماماتوا وماقتلوا ليجعل الله ذلك حسرة فى قلوبهم والله يحيى ويميت والله بما تعملون بصير** ﴾.

(فصل) واتفقت جميع الكتب السماوية والسنن النبوية على أن القدر السابق لايمنع العمل ولايوجب الاتكال، بل يوجب الجد والاجتهاد والحرص على العمل الصالح، ولهذا لما أخبر النبى ﷺ أصحابه بسبق المقادير وجريانها وجفوف القلم بها فقيل له أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؟ قال «لا، اعملوا فكل ميسر» ثم قرأ ﴿ **فأما من أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فسنيسره لليسرى، وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى** ﴾ كما فى الأحاديث التى قدمنا وغيرها. فالله سبحانه وتعالى قدّر المقادير وهيأ لها أسباباً وهو الحكيم بما نصبه من الأسباب فى المعاش والمعاد، وقد يسر كلا من خلقه لما خلقه له فى الدنيا والآخرة، فهو مهيأ له ميسر له، فإذا علم العبد أن مصالح آخرته مرتبطة بالأسباب الموصلة إليها كان أشد اجتهاداً فى فعلها والقيام بها وأعظم منه فى أسباب معاشه ومصالح دنياه من كون الحرث سببا فى وجود الزرع، والنكاح سببا فى وجود النسل، وكذلك العمل الصالح سبب فى دخول الجنة، والعمل السيىء سبب فى دخول النار. وقد فقه هذا كل الفقه من قال من الصحابة لما سمع أحاديث القدر «ماكنت بأشد اجتهاداً منى الآن» وقال النبى ﷺ فى الحديث المتقدم «احرص على ماينفعك واستعن بالله ولاتعجزن، وإن أصابك شىء فلا تقل لو أنى فعلت كذا لكان كذا وكذا، ولكن قل قدّر الله وماشاء فعل» وفى المسند والترمذى وابن ماجه من حديث الزهرى عن ابن أبى خزامة عن أبيه أن رجلا أتى النبى فقال: أرأيت رقى نسترقيها ودواء نتداوى به وتقاة نتقيها هل تردُّ من قدر الله شيئاً؟ قال «هى من قدر الله» يعنى أن الله تبارك وتعالى قدّر الخير والشر وأسباب كل منهما.

ذكر ماجاء من الأحاديث فى ذمّ القدرية

تقدم فى الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة أن هذه الآية ﴿ **إن المجرمين فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر. إنا كل شىء خلقناه بقدر** ﴾ أنها نزلت فى المخاصمين فى القدر. وتقدم فيهم أحاديث الصحابة من روايتهم سؤال جبريل عن الدين وغير ذلك من الأحاديث التى سقناها متفرقة فى مواضع من هذا المجموع، وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا عبد العزيز بن أبى حازم قال حدثنى بمنى عن أبيه عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال «القدرية مجوس هذه الأمة، إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم»[1]، ورواه

(١) رواه أبو داود .

الإمام أحمد عنه بلفظ أن رسول الله ﷺ قال «لكل أمة مجوس، ومجوس أمتى الذين يقولون لاقدر، إن مرضوا فلا تعودوهم، الخ» وفى رواية «إن لكل أمة مجوساً وإن مجوس أمتى المكذبون بالقدر» الخ وله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون فى هذه الأمة مسخ، ألا وذاك في المكذبين بالقدر والزنديقية». وله عن نافع قال: كان لابن عمر رضى عنهما صديق من أهل الشام يكاتبه، فكتب إليه مرة عبد الله بن عمر: إنه بلغنى إنك تكلمت فى شيء من القدر، فإياك أن تكتب إلى فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «سيكون في أمتى أقوام يكذبون بالقدر» وللترمذى عن نافع عنه رضى الله عنه جاءه رجل فقال إن فلانا يقرأ عليك السلام. فقال : إنه بلغنى أنه قد أحدث، فإن كان قد أحدث فلا تقرئه منى السلام فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول « فى هذه الأمة - أو فى أمتى، الشك منه - خسف أو مسخ أو قذف فى أهل القدر» هذا حديث حسن صحيح غريب. وقال أبو داود رحمه الله أيضاً: حدثنا محمد بن أبى كثير أخبرنا سفيان عن عمر بن محمد عن عمر مولى غفرة عن رجل من الأنصار عن حذيفة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لكل أمة مجوس، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لاقدر. من مات منهم فلا تشهدوا جنازته، ومن مرض منهم فلا تعودوهم، وهم شيعة الدجال » وحق على الله أن يلحقهم بالدجال. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل حدثنا عبد الله بن يزيد المقرى أبو عبد الرحمن قال: حدثنى سعيد بن أبى أيوب قال: حدثنى عطاء بن دينار عن حكيم بن شريك الهذلى عن يحيى بن ميمون الحضرمى عن ربيعة الحرشى عن أبى هريرة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « لاتجالسوا أهل القدر ولاتفاتحوهم»[1] صحيح، وقال رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن أبى سنان عن وهب بن خالد الحمصى عن ابن الديلمى قال: أتيت أبيّ بن كعب فقلت له: وقع فى نفسى شيء من القدر فحدثنى بشيء لعل الله أن يذهبه من قلبى، فقال: لو أن الله عذّب أهل سمواته وأهل أرضه عذّبهم وهو غير ظالمهم، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو أنفقت مثل أحد ذهباً فى سبيل الله ماقبله الله منك حتى تؤمن بالقدر وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لدخلت النار. قال: ثم أتيت عبد الله بن مسعود فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك، قال ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثنى عن النبى مثل ذلك. وتقدم ذكر وصية عبادة لابنه فى ذلك. وقال الترمذى رحمه الله تعالى: حدثنا واصل بن عبد الأعلى أخبرنا محمد بن فضيل عن القاسم بن حبيب وعلى بن نزار عن نزار عن عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ «صنفان من أمتى ليس لهما فى

(١) رواه أبو داود وأحمد فى مسنده .

الاسلام نصيب: المرجئة والقدرية، هذا حديث حسن غريب، وقال رحمه الله تعالى حدثنا محمود بن غيلان أخبرنا أبو داود أنبأنا شعبة عن منصور عن ربعى بن حراش عن على رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «لايؤمن عبد حتى يؤمن بأربع: يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله بعثنى بالحق، ويؤمن بالموت، ويؤمن بالبعث بعد الموت، ويؤمن بالقدر». وقال رحمه الله تعالى: باب ماجاء من التشديد فى الخوض فى القدر. حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحى أنبأنا صالح المرى عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «خرج علينا رسول اللهﷺ ونحن نتنازع فى القدر، فغضب حتى احمرّ وجهه حتى كأنما فقىء فى وجنتيه حب الرمان، فقال: أبهذا أمرتم، أم بهذا أرسلت إليكم؟ إنما هلك من كان قبلكم حتى تنازعوا فى الأمه ، عزمت عليكم » ألا تنازعوا فيه. ولأحمد عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال « خرج علينا رسول اللهﷺ ذات يوم والناس يتكلمون فى القدر، قال وكأنما تفقأ فى وجهه حب الرمان من الغضب، قال فقال لهم: مالكم تضربون كتاب الله بعضه ببعض؟ بهذا هلك من كان قبلك. قال فما غبطت نفسى بمجلس فيه رسول الله لم أشهده بما غبطت نفسى بذلك المجلس أنى لم أشهده. ورواه ابن ماجه. ولأحمد عن أبى الدرداء رضى الله عنه عن النبىﷺ قال «لايدخل الجنة عاقّ ولامدمن خمر ولامكذّب بقدر». وله عن محمد بن عبيد المكى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: قيل لابن عباس رضى الله عنهما إن رجلا قدم علينا يكذّب بالقدر، فقال: دلونى عليه، وهو يومئذ قد عمى، قالوا وما تصنع به يا أبا عباس؟ قال والذى نفسى بيده لئن استمكنت منه لأعضن أنفه حتى أقطعه، ولئن وقعت رقبته فى يدى لأدقنها فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول «كأنى بنساء بنى فهر يطفن بالخزرج تصطفق إلياتهن مشركات» هذا أول شرك هذه الأمة، والذى نفسى بيده لينتهين بهم سوء رأيهم حتى يخرجوا الله من أن يكون قدر خيراً كما أخرجوه من أن يكون قدر شراً » وروى البزار عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : مانزلت هذه الآية **﴿ إن المجرمين فى ضلال وسُعر. يوم يسحبون فى النّار على وجوههم ذوقوا مس سقر. إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾** إلا فى أهل القدر. ولابن أبى حاتم عن ابن زرارة عن أبيه عن النبى ﷺ أنه تلا هذه الآية **﴿ ذوقوا مس سقر، إنا كل شىء خلقناه بقدر ﴾** قال «نزلت فى أناس من أمتى يكونون فى آخر الزمان يكذبون بقدر الله ». وروى الحسن بن عرفة عن عطاء بن أبى رباح قال: أتيت ابن عباس وهو ينزع من زمزم وقد ابتلت أسافل ثيابه، فقلت له: تكلم فى القدر. فقال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم. قال: فوالله مانزلت هذه الآية إلا فيهم **﴿ ذوقوا مس سقر، إنا كل شىء خلقناه بقدر﴾** أولئك شرار هذه الأمة، فلا تعودوا مرضاهم، ولاتصلوا على موتاهم. إن رأيت أحداً منهم فقأت عينيه بأصبعى هاتين.

ذكـر أقـوال الصحابـة فى هـذا البـاب

تقدم قول ابن عمر ليحيى بن يعمر، وقول أبىٍّ وعبد الله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت لابن الديلمى، ووصية عبادة بن الصامت لابنه، وروى عبد الله بن أحمد عن ابن عباس قال: أول ما خلق الله القلم ثم قال اكتب. قال ما أكتب؟ قال: اكتب ماهو كائن إلى يوم القيامة. وله عنه فكتب فيما كتب **﴿ تبت يدا أبى لهب ﴾** وله عنه قال: أخرج الله ذرية آدم من ظهره مثل الذر فسماهم، قال هذا فلان وهذا فلان، ثم قبض قبضتين فقال للتى فى يمينه: ادخلوا الجنة، وقال للتى فى يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالى. وله عنه قال: إن الرجل ليمشى فى الأسواق وإن اسمه لفى الموتى، وله عنه **﴿ يمحو الله مايشاء ويثبت ﴾** قال: إلا الشقاوة والسعادة والحياة والموت، وله عنه إن أول ماخلق الله القلم فأمره أن يكتب مايريده أن يخلق فالكتاب عنده، ثم قرأ **﴿ وإنه فى أم الكتاب لدينا لعلى حكيم ﴾** وله عن عكرمة قال: سئل ابن عباس كيف تفقد سليمان الهدهد من بين الطير؟ قال: إن سليمان نزلا منزلا فلم يدر مابعد الماء وكان الهدهد مهندساً قال فأراد أن يسأله عن الماء ففقده. قلت وكيف يكون مهندساً والصبى ينصب له الحبالة فيصيده. قال إذا جاء القدر حال دون البصر. وله عن أبى الزبير أنه كان يطوف مع طاوس بالبيت فمر بمعبد الجهنى . فقال قائل لطاوس: هذا معبد الجهنى الذى يقول فى القدر، فعدل إليه طاوس حتى وقف عليه، فقال: أنت المفترى على الله القائل مالاتعلم. قال معبد: يكذب على. قال أبو الزبير فعدلت مع طاوس حتى دخلنا على ابن عباس، فقال له طاوس: يا أبا عباس الذين يقولون فى القدر. فقال ابن عباس أرونى بعضهم، قال قلنا صانع ماذا؟ قال إذن أجعل يدى فى رأسه ثم أدق عنقه، وله عنه قال: ليس قوم أبغض إلى من القدرية إنهم لايعلمون قدرة الله ، إن الله تعالى يقول **﴿ لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون ﴾** . وله عن طاوس قال: كنت مع ابن عباس فى حلقة قال فذكروا أهل القدر، قال فقال: أفى الحلقة منهم أحد فآخذ برأسه ثم أقرأ عليه **﴿ وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب لتفسدنَّ فى الأرض مرتين ولتعلنَّ علواً كبيراً ﴾** وأقرأ عليه آية كذا وآية كذا. وله عنه وذكر عنده القدرية قال فقال: لو رأيت أحداً منهم لعضضت أنفه. وله عنه قال: الإيمان بالقدر نظام التوحيد، فمن آمن وكذب بالقدر فهو نقض للتوحيد. وفى لفظ: فمن وحد وكذب بالقدر فقد نقض التوحيد. وله عن أبى يحيى مولى ابن عفراء قال: أتيت ابن عباس ومعى رجلان من الذين يذكرون القدر أو ينكرونه، فقلت: يا ابن عباس ماتقول فى القدر لو أن هؤلاء أتوك يسألونك – وقال مرة – يسألونك عن القدر إن زنا وإن سرق أو شرب؟ فحسر قميصه حتى أخرج منكبيه وقال: يا أبا يحيى لعلك من الذين ينكرون القدر ويكذبون به، والله لو

أعلم أنك منهم أو هذين معك لجاهدتهم، إن زنا فبقدر، وإن سرق فبقدر، وإن شرب الخمر فبقدر، وروى إسحاق بن الملائي عنه في قوله تعالى ﴿ **وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾ قال: إن الله تعالى أخذ على آدم ميثاقه أنه ربه، وكتب رزقه، وأجله، ومصيباته، ثم أخرج من ظهره وفي تفسير اسباط عن السدى عن أصحابه أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النبي ﷺ ورضى عنهم في قوله ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾ الآية قال: لما أخرج الله آدم من الجنة قبل أن يهبط من السماء مسح صفحة ظهر آدم اليمنى فأخرج منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ كهيئة الذر فقال لهم: ادخلوا الجنة برحمتي، ومسح صفحة ظهره اليسرى فأخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال: ادخلوا الناو ولا أبالي. فذلك حين يقول أصحاب اليمين وأصحاب الشمال، ثم أخذ منهم الميثاق فقال: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. فأعطاه طائفة طائعين وطائفة كارهين على وجه التقيّة، فقال هو والملائكة ﴿ **شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين. أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل** ﴾ الآية فلذلك ليس أحد من ولد آدم إلا وهو يعرف أن الله ربه، ولامشرك إلا وهو يقول ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون** ﴾ فذلك قوله عز وجل ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم** ﴾ وذلك حين يقول تعالى ﴿ **وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً** ﴾ وذلك حين يقول ﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾ قال يعني يوم الميثاق. وعن مقسم عن ابن عباس رضى الله عنهما ﴿ **إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون** ﴾ قال : تستنسخ الحفظة من أم الكتاب مايعمل بنو آدم، فإنما يعمل الإنسان على ما استنسخ الملك من أم الكتاب. وعنه رضى الله عنه قال: كتب في الذكر عنده كل شيء هو كائن، ثم بعث الحفظة على آدم وذريته وكل ملائكته ينسخون من الذكر مايعمل العباد، ثم قرأ ﴿ **هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ماكنتم تعملون** ﴾ وفي تفسير الضحاك عنه رضى الله عنه في هذه الآية قال: هي أعمال أهل الدنيا الحسنات والسيئات تنزل من السماء كل غداة وعشية مايصيب الإنسان في ذلك اليوم أو الليلة الذى يقتل والذى يغرق والذى يقع من فوق بيت والذى يتردى من جبل والذى يقع والذى يحرق النار فيحفظون عليه ذلك كله، وإذا كان الشيء صعدوا به إلى السماء فيجدونه كما في السماء مكتوباً في الذكر الحكيم، وقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه خلق الله الخلق قبضتين فقال لمن في يمينه: ادخلوا الجنة بسلام، وقال لمن في يده الأخرى: ادخلوا النار ولا أبالي. ولعبد الله ابن الإمام أحمد عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لايزال أمر هذه الأمة قواماً، أو مقارباً، مالم يتكلموا في القدر، وله عن عمر

بن الخـطاب رضى الله عنه أنه قال حين طعن: ﴿ وكان أمر الله قدراً مقدورا ﴾ وله عن عبد الله بن الحارث الهاشمى قال: خطب عمر رضى الله عنه بالجابية وفى لفظ بالشام والجاثليق مائل فتشهد فقال: من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، فقال الجاثليق بقميصه هكذا يعنى نفضه، وقال: إن الله لايضل أحداً. فقال: مايقول؟ فقالوا ماقال. فقال كذبت عدو الله ، خلقك الله ، وأضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء الله ، والله لولا عقد لك لضربت عنقك ثم قال: إن الله خلق آدم فنشر ذريته فى يديه ثم كتب أهل الجنة وماهم عاملون، وكتب أهل النار وماهم عاملون، ثم قال: هؤلاء لهذه وهؤلاء لهذه. قال فتصدع الناس ومايتنازع فى القدر. وقال على رضى الله عنه: ما من آدمى إلا ومعه ملك يقيه مالم يقدّر له، فإذا جاء القدر خلاه وإياه. وله عنه رضى الله عنه قال وذكر عنده القدر يوماً فأدخل إصبعيه السبابة والوسطى فى فيه فرقم بهما باطن يديه فقال: أشهد ان هاتين الرقمتين كانتا فى ام الكتاب، وله عن اسير بن جابر قال: طلبت علياً فى منزله فلم اجده، فنظرت فإذا هو فى ناحية المسجد. قال فقلت له – كأنه خوفه – قال فقال: إيه ليس احد إلا ومعه ملك يدفع عنه مالم ينزل القدر. فإذا نزل القدر لم يغن شيئاً. وله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما – وقال له رجل إنا نسافر فنلقى قوما يقولون لاقدر – قال إذا لقيت اولئك فأخبرهم ان ابن عمر منهم برىء وهم منه برآء ثلاث مرات. ولعبد الرزاق عن يحيى بن يعمر قال قلت لابن عمر: إن اناسا عندنا يقولون الخير والشر بقدر. وناس عندنا يقولون الخير بقدر والشر ليس بقدر. فقال ابن عمر: إذا رجعت إليهم فقل لهم: إن ابن عمر يقول إنه منكم برىء وأنتم منه برآء. ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه قال: من زعم ان مع الله بارئا أوقاضيا أو رازقا أو يملك لنفسه ضراً أو نفعا أو موتا أو حياة أو نشوراً بعثه الله يوم القيامة فأخرسه واعمى بصره وجعل عمله هباء منثوراً وقطع به الأسباب وكبه على وجهه فى النار: وله عن نافع قال قيل لابن عمر: إن قوما يقلون لاقدر. فقال: اولئك القدريون. اولئك مجوس هذه الأمة.

وله عن ابى هريرة رضى الله عنه قال: مضت الكتب وجفت الأقلام فشقى أو سعيد. فريق فى الجنة وفريق فى السعير. وله عن الحسن بن على رضى الله عنه قال: رفع الكتاب وجفت الأقلام وامور تقضى فى كتاب قد خلا. وفى رواية قضى القضاء وجف القلم وامور تكفى فى كتاب قد خلا. وله عنه رضى الله عنه قال: سيكون ناس يصدقون بقدر ويكذبون بقدر فيلعنهم ابو هريرة عند قوله هذا. وله عن عمار مولى بنى هاشم قال: سألت أبا هريرة عن القدر فقال: اكتفى بآخر سورة الفتح. وله عن أبى الحجاج الأزدى عن سلمان رضى الله عنه قال لقيته بماء سبذان قال فقلت له: أخبرنى كيف الإيمان بالقدر؟ قال: أن تعلم

أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولاتقل لو كان كذا لكان كذا ولو نفعل كذا لكان كذا. وروى عبد الرزاق عن معمر قال: قال عمرو بن العاص لأبي موسى الأشعرى: وددت أني وجدت من أخاصم إليه ربي. فقال أبو موسى: أنا . فقال عمرو ابن العاص: أيقدّر على شيئاً يعذبنى عليه؟ فقال أبو موسى نعم، قال لم؟ قال لأنه لايظلمك. فقال عمرو: صدقت. وله عن ابن الديلمى سألت عبد الله ابن عمرو عن «جف القلم» فقال: إن الله حين خلق الخلق ألقى عليهم من نوره، فمن أصابه شئ منه اهتدى. وكلام الصحابة فى هذا الباب يطول ذكره، وقد جمعت فيه التصانيف الكثيرة.

ذكـــــر أقـــــوال التابعيـــــن

قال عبيد بن عمر: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم وسيماكم ونجواكم وحلاكم ومجالسكم. وقال سعيد بن جبير ﴿ **يحول بين المرء وقلبه** ﴾ قال: يحول بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان. وقال رحمه الله تعالى فذكر قصة بخت نصر وملك ابنه فرأى كفاً فرجت بين لوحين ثم كتبت سطرين. فدعا الكهان والعلماء فلم يجد عندهم منه علماً، فقالت له أمه: إنك لو أعدت لدانيال منزلته التى كانت له من أبيك – وكان قد جفاه – أخبرك، فدعاه فقال: إنى معيد لك منزلتك من أبى فأخبرنا ماهذان السطران؟ قال أما ماذكرت أنك معيد لى منزلتى من أبيك فلا حاجة لى بذلك. وأما هذان السطران فإنك تقتل الليلة. فأخرج من فى القصر أجمعين وأمر بقفلة جلاد فقفلت بها الأبواب عليه، وأدخل معه آمن أهل القرية فى نفسه، مع سيف، وقال له: من جاء من خلق الله فاقتله وإن قال أنا فلان. وبعث الله عليه البطن فجعل يمشى والآخر مستيقظ، حتى إذا كان على شطر الليل رقد ورقد صاحبه، ثم نبهه البطن فذهب يمشى والآخر راقد فرجع فاستيقظ فقال: أنا فلان، وضربه بالسيف فقتله. وقال ابن المسيب: ماقدّر الله فهو قدر. وكان إياس ابن معاوية يقول: أعلم الناس بالقدر ضعفاؤهم، يقول: إن كل من لم يدخل فى خصومة القدركان من قوله إذا تكلم: كان من قدر الله كذا وكذا. وقال معمر: إن ابن شبرمة كان يغضب إذا قيل له مدّ الله فى عمرك، يقول : إن العمر لايزاد فيه ولاينقص، وقال أبو حازم: قال الله تعالى ﴿ **فألهمها فجورها وتقواها** ﴾ قال: فالفاجرة ألهمها الله الفجور ، والتقية ألهمها الله التقوى. وقال مجاهد: قول الله ﴿ **إنى أعلم مالا تعلمون** ﴾ قال: علم من إبليس المعصية وخلقه لها. وعن ابراهيم بن أبى عبلة قال. وقف رجاء بن حيوة على مكحول وأنا معه فقال: يامكحول بلغنى أنك تكلمت فى شىء من القدر، وو الله لو أعلم ذلك لكنت صاحبك من بين الناس. فقال مكحول: لا و الله أصلحك الله، ما ذاك من شأنى ولا من قولى أو نحو ذلك. وقال ابراهيم النخعى: إن آفة كل دين كان قبلكم – أو

قال: آفة كل دين القدر. وقال مطرف بن عبد الله بن الشخير: لم يوكل فى القرآن إلى القدر، وأخبرنا أنا إليه نصير. وكان طاوس بمكة يصلى ورجلان خلفه يتجادلان فى القدر، فانصرف إليهما فقال: يرحمكما الله تجـادلان فى حكم الله ؟ وقال ميمون: لاتسبوا أصحاب النبى ﷺ، ولاتعلموا النجوم، ولاتجادلوا أهل القدر، وقال طاوس أيضاً: أدركت ناساً من أصحاب النبى ﷺ يقولون: كل شيء بقدر. وقال أبو حازم: لعن الله ديناً أنا أكبر منه – يعني التكذيب بالقدر – يقول هذا عندما يروى حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال«لايؤمن المرء حتى يؤمن بالقدر خيره وشره». وعن عمرو بن محمد قال: كنت عند سالم بن عبد الله فجاءه رجل فقال: الزنا بقدر؟ فقال: نعم. قال كتبه على؟ قال نعم؟ قال: ويعذبنى عليه؟ قال فأخذ له الحصى. وقال الحسن: من كذب بالقدر فقد كذب بالقرآن. وقال مجاهد فى قوله تعالى **﴿ لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ﴾** قال: أعمال لابد لهم من أن يعملوها. وعن أبى صالح **﴿ ما أصابك من حسنَة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك ﴾** وأنا قدرتها عليك، وقال حميد: قدم الحسن مكة، فقال لى فقهاء مكة – الحسن بن مسلم وعبد الله بن عبيد – لو كلمت الحسن فأخلانا يوماً. فكلمت الحسن فقلت: يا أبا سعيد إخوانك يحبون أن تجلس لهم يوما. قال نعم ونعمت عين، فواعدهم يوما فجاءوا واجتمعوا، وتكلم الحسن ومارأيته قبل ذلك اليوم ولابعده أبلغ منه ذلك اليوم، فسألوه عن صحيفة طويلة فلم يخطيء فيها شيئا إلا فى مسألة. فقال له رجل: يا أبا سعيد من خلق الشيطان؟ قال: سبحان الله ، سبحان الله، وهل من خالق غير الله؟ ثم قال: إن الله تعالى خلق الشيطان وخلق الشر وخلق الخير فقال رجل منهم: قاتلهم الله يكذبون على الشيخ. وقال أيضا: قرأت الحسن فى بيت أبى خليفة القرآن أجمع من أوله إلى آخره، وكان يفسره على الإثبات. وقال خالد الحذاء: قلت للحسن أرايت آدم أللجنة خلق أم للأرض؟ قال: للأرض. قال قلت: أرأيت لو اعتصم؟ قال: لم يكن بد من أن يأتى على الخطيئة. وقال إياس بن معاوية: ماكلمت أحداً من أهل الأهواء بعقلى كله، إلا القدر، فإنى قلت لهم: ماالظلم فيكم؟ فقالوا: أن يأخذ الإنسان ماليس له. فقلت لهم: فإن الله على كل شيء قدير. ولعبد الرزاق عن معمر قال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عدى بن أرطاة «أما بعد فإن استعمالك سعد بن مسعود على عُمان كان من الخطايا التى قدّر الله عليك وقدّر أن تبتلى بها». ولعبد الله بن أحمد عنه رضى الله عنه. قال: لو أراد الله أن لايُعصى لم يخلق إبليس. ثم قرأ **﴿ ما أنتم عليه بفاتنين، إلا من هو صال الجحيم ﴾** وله عنه رضى الله عنه أنه قال لغيلان : الست تقرُّ بالعلم ؟ قال : بلى قال : فما تريد مع أن الله يقول **﴿ فإنكم وما تعبدون ما أنتم عليه**

بفاتنين ، إلا من هو صال الجحيم ﴾ وله عن أبي جعفر الخطمي قال: شهدت عمر بن العزيز وقد دعا غيلان لشيء بلغه في القدر، فقال: ويحك يا غيلان ما هذا الذى بلغني عنك؟ قال: يكذب علي يا أمير المؤمنين ويقال عليَّ مالم أقل. قال: ماتقول في العلم؟ قال: قد نفد العلم. قال فأنت مخصوم. اذهب الآن فقل ماشئت. ويحك يا غيلان إنك إن أقررت بالعلم خصمت، وإن جحدته كفرت. وإنك أن تقرَّ به فتخصم خير لك من أن تجحده فتكفر. قال ثم قال له: تقرأ يس؟ فقال: نعم. فقال له اقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم﴾ فقرأ ﴿ يس والقرآن الحكيم ﴾ إلى قوله ﴿ لقد حق القول على أكثرهم فهم لايؤمنون ﴾ قال: قف، كيف ترى؟ قال كأني لم أقرأ هذه الآية يا أمير المؤمنين. قال: زد. قال ﴿ إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا فهي إلى الأذقان فهم مقمحون. وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً ﴾ قال له عمر: قل سداً فأغشيناهم. قال، قال له عمر قل ﴿ فأغشيناهم فهم لايبصرون، وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لايؤمنون ﴾ قال: كيف ترى؟ قال كأني لم أقرأ هذه الآيات. وإني أعاهد الله أن لاأتكلم في شيء مما كنت أتكلم فيه أبداً. قال: اذهب. فلما ولى قال : اللهم إن كان كاذباً فيما قال فأذقه حرَّ السلاح. قال فلم يتلكم زمن عمر، فلما كان زمن يزيد بن عبد الملك جاء رجل لايهتم لهذا ولاينظر فيه، قال فتكلم غيلان، فلما ولي هشام أرسل إليه فقال: أليس قد عاهدت الله تعالى لعمر أن لاتتكلم في شيء من هذا الأمر أبداً؟ قال: أقلني، فلا و اللهلاأعود. قال: لا أقالني الله إن أقلتك، هل تقرأ فاتحة الكتاب؟ قال نعم. قال: اقرأها. فقرأ ﴿ الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين. إياك نعبد وإياك نستعين ﴾ قال: قف علام تستعينه؟ أعلى أمر بيده لاتستطيعه إلا به، أو على أمر في يدك أو بيدك؟ اذهبا به فاقطعا يديه ورجليه، واضربوا عنقه واصلبوه، قال ابن عون: أنا رأيت غيلان مصلوباً على باب دمشق. وعنه قال في أصحاب القدر: فإن تابوا وإلا نفوا من دار المسلمين.وقال مالك عن عمه سهل قال: كنت مع عمر بن عبد العزيز فقال لي: ماترى في هؤلاء القدرية؟ قال قلت: أرى أن تستتيبهم فإن قبلوا وإلا عرضتهم على السيف. فقال عمر بن عبد العزيز: ذلك رأيي. قلت : أسألك فما رأيك أنت؟ قال: هو رأيي. القائل لمالك فما رأيك؟ هو إسحاق بن عيسى. وكان نافع مولى ابن عمر يقول لأمير كان على المدينة: أصلحك الله أعناقهم. يعني القدرية. وقال ابن سيرين. إن لم يكن أهل القدر من الذين يخوضون في آيات الله فلا أدرى من هم. وقال مجاهد: لايكون مجوسية حتى يكون قدرية، ثم تزندقوا ثم تمجسوا. وقال منصور بن عبد الرحمن سألت الحسن عن قوله تعالى ﴿ ولايزالون مختلفين إلا من رحم ربك ﴾ فقال: الناس مختلفون على أديان شتى إلا من رحم ربك،

ومن رحم غيرمختلف فيه، فلقنته ﴿ ولذلك خلقهم ﴾ قال: نعم، خلق هؤلاء لجنته وخلق هؤلاء لناره. وخلق هؤلاء لرحمته وهؤلاء لعذابه. وقال أيضا : قلت للحسن: قوله تعالى ﴿**ما أصاب من مصيبة فى الأرض ولا فى أنفسكم إلا فى كتاب من قبل أن نبرأها** ﴾ قال: قسمة الله ، ومن يشك فى هذا؟ كل مصيبة بين السماء والأرض ففى كتاب الله تعالى قبل أن تبرأ النسمة. وقال محمد بن كعب القرظى: نزلت هذه الآية ﴿ **يوم يسحبون فى النّار على وجوههم ذوقوا مسّ سقر، إنا كل شيء خلقناه بقدر** ﴾ فى أهل القدر. وفى رواية عنه قال: نزلت تعييراً لأهل القدر . وعنه أن الفضل الرقاشى قعد إليه فذاكره شيئاً من القدر، فقال له محمد بن كعب القرظى تشهُّده فلما بلغ ﴿ **من يهده ا فلامضل له ومن يضلل فلا هادى له** ﴾ رفع محمد عصا معه فضرب بها رأسه وقال: قم. فلما قام فذهب قال: لا يرجع هذا عن رأية أبدا وقال مطر رحمه الله : لقينى عمرو من عبيد فقال : و الله إنى وإياك لعلى أمر واحد. قال وكذب و الله. إنما عنى على الأرض. وقال: والله ما أصدقه فى شيء. وعن ثابت البنانى قال: رأيت عمرو بن عبيد وهو يحك المصحف، فقلت: ماتصنع؟ فقال: أثبت مكانه أخير منه. وعن حماد بن زيد قال: كنت مع أيوب ويونس وابن عون وغيرهم، فمر بهم عمرو بن عبيد فسلم عليهم ووقف وقفته فما ردوا عليه السلام، ثم جاز فما ذكروه، وعن الحسن بن شقيق قال قلت: لعبد الله يعنى ابن المبارك سمعت من عمرو بن عبيد؟ قال هكذا بيده، أى كثيراً . قلت: فلم لاتسميه وأنت تسمى غيره من القدرية؟ قال : لأن هذا كان رأساً . وعن معاذ بن مكرم قال: رآنى ابن عون مع عمرو بن عبيد فى السوق فأعرض عنى، قال فاعتذرت إليه، قال: أما إنى قد رأيتك فما زادنى. وعن أبى بحر البكراوى قال: قال رجل لعمرو – يعنى ابن عبيد – وقرأ عنده هذه الآية ﴿ **بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ** ﴾ فقال له: أخبرنى عن ﴿ **تبت يدا أبى لهب**﴾ كانت فى اللوح المحفوظ؟ قال ليست هكذا كانت. قالوا: وكيف كانت؟ قال: كانت تبت يدا من عمل بمثل أخبرنى عن تبت يدا أبى لهب كانت فى اللوح المحفوظ؟ فقال: ليس هكذا كانت. قال فكيف كانت؟ قال تبت يدا من عمل بمثل عمل أبى لهب، قال فرددت عليه، قال عمرو: إن علم الله ليس بسلطان، إن علم الله لايضر ولاينفع. قلت إن كان قال هذا ومات عليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، وإن كان ذلك مكذوباً عليه فلعنة الله على الكاذبين. وعن سلام بن أبى مطيع قال: كنت أمشى مع أيوب فى جنازة وبين أيدينا ثلاثة رهط قد كانوا مع عمرو بن عبيد فى الاعتزال ثم تركوا رأيه ذلك وفارقوه، قال فقال لى أيوب من غير أن أسأله: لاترجع قلوبهم إلى ماكانت عليه. وعن أبى رجاء قال: رأيت رجلين يتكلمان فى المربد فى القدر، فقال فضل

الرقاشى لصاحبه: لاتقر له بالعلم، إن أقررت له بالعلم فأمكنت من نفسك، يسحبك عرض المربد. وعن حوثرة بن أشرس قال سمعت سلاماً أبا المنذر غيرمرة وهو يقول: سلوهم عن العلم، هل علم أو لم يعلم؟ فإن قالوا قد علم فليس فى أيديهم شيء، وإن قالوا لم يعلم فقد حلت دماؤهم. قال حوثرة: وحدثنا حماد بن سلمة عن أبى جعفر الخطمى قال قيل لعمر بن عبد العزيز: إن غيلان يقول القدر كذا وكذا، قال فمر به فقال: أخبرنى عن العلم، قال: سبحان الله فقد علم الله كل نفس ماهى عاملة وإلى ماهى صائرة. فقال عمر بن عبد العزيز: والذى نفسى بيده لو قلت غيرهذا لضربت عنقك، اذهب الآن فجاهد جهدك. وعن معاذ بن معاذ قال: صليت خلف رجل من بنى سعد، ثم بلغنى أنه قدرى، فأعدت الصلاة بعد أربعين سنة أو ثلاثين سنة. وقال ابراهيم بن طهمان: الجهمية كفار، والقدرية كفار. وقال عمرو بن دينار قال لنا طاوس: اخزوا معبدا الجهنى فإنه قدرى. وقال الحسن بن محمد بن على: لاتجالسوا أهل القدر. وقال عكرمة بن عمار: سمعت القاسم بن محمد وسالم بن عبد الله يلعنان القدرية الذين يكذّبون بقدر الله حتى يؤمنوا بخيره وشره. وقال مرحوم بن عبد العزيز العطار: سمعت أبى وعمى يقولان سمعنا الحسن – وهو ينهى عن مجالسة معبد الجهنى – يقول: لاتجالسوا معبداً فإنه ضال مضل. قال مرحوم قال أبى: ولاأعلم أحداً يومئذ يتكلم فى القدر غير معبد ورجل من الأساورة يقال له سسويه، وقال عكرمة: سألت يحيى بن أبى كثير عن القدرية فقال: هم الذين يقولون إن الله لم يقدر الشر وقال مسلم بن يسار: إن معبداً يقول بقول النصارى. وقال عمارة بن زاذان: بلغنى أن القدرية يحشرون يوم القيامة مع المشركين، فيقولون: والله ماكنا مشركين، فيقال لهم: إنكم أشركتم من حيث لاتعلمون. قال وبلغنى أنه يقال لهم يوم القيامة أنتم خصماء الله عز وجل. وقال عبد الله ابن أحمد سمعت أبى يقول: لايصلى خلف القدرية والمعتزلة والجهمية. وسألت أبى مرة أخرى عن الصلاة خلف القدرى، فقال: إن كان يخاصم فيه أو يدعو إليه فلا يصلى خلفه. سمعت أبى وسأله على بن الجهم عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال: إذا جحد العلم، إذا قال: إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم فجحد علم الله فهو كافر أ.هـ. من كتاب السنة.

وكلام الصحابة والتابعية وسائر الأئمة من القرون الثلاثة المفضلة يطول ذكره، ومحله كتب النقل الجامعة، وفيما ذكرنا كفاية، ولله الحمد والمنة.

اللهم ياربنا ومليكنا وإلهنا قد علمت من سعد بطاعتك والجنة، ومن شقى بمعصيتك والنار، وكتبت ذلك وسطرته وقدرته وقضيته وشملت الجميع قدرتك ونفذت فيه مشيئتك،

ولك الحكمة البالغة والحجة الدامغة، ولايدرى عبدك فى أى القسمين ولا فى أى القبضتين هو وأنت تعلم. اللهم إياك نعبد إيماناً بكتبك وتصديقاً لرسلك وانقياداً لشرعك وقياماً بأمرك ودينك، وإياك نستعين إيماناً بربوبيتك واستسلاماً لقضائك وقدرك وافتقاراً إليك وتوحيداً لك فى إلهيتك وربوبيتك وأسمائك وصفاتك وخلقك وتكوينك. ولامشيئة إلا أن تشاء ، ولاقدرة لنا إلا على ما أقدرتنا عليه، ولامعصوم إلا من عصمت، ولاحول ولا قوة إلا بك. اللهم اجعلنا ممن أعطى واتقى وصدّق بالحسنى فيسرته لليسرى، اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً، غير المغضوب عليهم ممن علم الحق وكتمه وتركه وأباه واشترى بآياتك ثمناً قليلا، ولا الضالين الذين ضلّ سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً. اللهم يامن يحول بين المرء وقلبه حل بيننا وبين معصيتك والكفر، يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك حتى نلقاك به، **﴿ ربنا لاتزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب ﴾.**

﴿ لانوء لاعدوى ولاطير ولا   عما قضى الله تعالى حولا ﴾
﴿ لاغول لاهامة لا ولاصفر   كما بذا أخبر سيد البشر ﴾

هذان البيتان من تتمة بحث القدر فإن نفى هذه الخصال الست ومافى معناها إيمان بالقدر وتوكل على خالق الخير والشر، الذى بيده النفع والضر، واعتقاد صحة شىء منها شرك مناف للتوحيد أو لكماله، مناقض للتوكل على الله عز وجل عياذا بالله منه.

الكلام على النوء

فأما النوء فهو من الاعتقاد فى النجوم فى الذى سبق بسط القول فى بيان بطلانه فانهم يعقتدون أن لمطالع الكواكب ومغاربها وسيرها وانتقالها واقترانها وافتراقها تأثيرا فى هبوب الرياح وسكونها، وفى مجىء المطر وتأخره، وفى رخص الاسعار وغلائها وغير ذلك. فإذا وقع شىء من الحوادث نسبوه إلى النجوم فقالوا: هذا بنوء عطارد أو المشترى أو المريخ أو كذا أو كذا. وردّ الله تعالى ذلك عليهم وأكذبهم بما أنزله على رسول، الله ﷺ . قال الله تعالى **﴿ الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه فى السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودْق يخرج من خلاله، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون. وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين، فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيى الأرض بعد موتها إن ذلك لمحى الموتى وهو على كل شىء قدير ﴾**، وقال تعالى **﴿ الله الذى خلق السموات بغير عمد ترونها وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم**

وبث فيها من كل دابة وانزل من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم. هذا خلق الله فأرونى ماذا خلق من دونه بل الظالمون فى ضلال مبين ﴾، وقال تعالى، ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾. وقال الإمام مالك ابن أنس فى موطئه رحمه الله تعالى: باب الاستمطار بالنجوم. عن صالح بن كيسان عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهنى أنه قال «صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف أقبل على الناس فقال: أتدرون ماذا قال ربكم: قالوا الله ورسوله أعلم. قال قال. أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى مؤمن بالكوكب»[1]. ورواه الشيخان من طريقه بلفظه، وعليه ترجم البخارى رحمه الله تعالى: باب قول الله تعالى ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا حرملة بين يحيى وعمرو بن سواد العامرى ومحمد بن سلمة المرادى: حدثنا عبد الله بن وهب عن يونس، وقال الآخران أخبرنا ابن وهب، قال أخبرنى يونس عن ابن شهاب قال حدثنى عبيد الله بن عبد الله بن عتيبة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ألم تروا إلى ماقال ربكم؟ قال ما أنعمت على عبادى من نعمة إلا أصبح فريق منهم بها كافرين يقولون الكواكب بالكواكب. وحدثنى محمد بن سلمة المرادى حدثنا عبد الله بن وهب عن عمرو بن الحارث (ح). وحدثنى عمرو بن سواد أخبرنا عبد الله بن وهب أخبرنا عمرو بن الحارث أن أبا يونس مولى أبى هريرة حدثه عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ قال«ما أنزل الله من السماء من بركة إلا أصبح فريق من الناس بها كافرين، ينزل الغيث فيقولون: الكوكب كذا وكذا» وفى حديث المرادى «بكوكب كذا وكذا». وحدثنى عباس بن عبد العظيم العنبرى حدثنا النضر بن محمد حدثنا عكرمة – وهو ابن عمار – حدثنا أبو زميل قال حدثنا ابن عباس قال: مطر الناس على عهد النبى الله ﷺ فقال النبى ﷺ «أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله ، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا. قال فنزلت هذه الآية ﴿ فلا أقسم بمواقع النجوم ﴾ حتى بلغ ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ وقال الترمذى رحمه الله تعالى حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسين بن محمد حدثنا إسرائيل عن عبد الأعلى عن أبى عبد الرحمن عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ﴿ وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون ﴾ قال: شكركم تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا، هذا حديث حسن غريب. ورواه الإمام أحمد وابن أبى حاتم، وقال ابن جرير: حدثنى يونس أخبرنا سفيان عن محمد بن اسحاق عن محمد

(١) رواه مسلم .

بن ابراهيم بن الحارث التيمي عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «إن الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا » وكذا » قال محمد هو ابن ابراهيم فذكرت هذا الحديث لسعيد بن المسيب فقال: ونحن قد سمعنا من أبي هريرة: وقال رحمه الله تعالى: حدثني يونس أخبرنا سفيان عن اسماعيل بن أمية - فيما أحسبه أوغيره - أن رسول الله ﷺ سمع رجلا ومطروا يقول: مطرنا ببعض عثانين الأسد، فقال ﷺ «كذبت بل هو رزق الله عز وجل» ، وقال رحمه الله تعالى: حدثني أبوصالح الصرازى حدثنا أبو جابر محمد بن عبد الملك الأودى حدثنا جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «مامطر قوم من ليلة إلا أصبح قوم بها كافرين» ثم قال ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ يقول قائل مطرنا بنجم كذا وكذ » وعن الإمام مالك بن أنس رحمه الله أنه بلغه أن أبا هريرة رضى عنه كان يقول إذا أصبح وقد مطر الناس: مطرنابنوء الفتح، ثم يتلو هذه الآية ﴿ **مايفتح ا للناس من رحمة فلا ممسك لها، وما يمسك فلا مرسل له من بعده** ﴾ وروى ابن جرير بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مامطر قوم قط إلا أصبح بعضهم كافراً يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، وقرأ ابن عباس ﴿ **وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون** ﴾ وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس.

ماورد في العدوى

وأما العدوى فكانوا يعتقدون سريان المرض من جسد إلى جسد بطبيعته ، فنفى الله تعالى ذلك ورسوله ﷺ قال الله تعالى ﴿ **قل لن يصيبنا إلا ماكتب الله لنا، هو مولانا، وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾، وقال تعالى ﴿ **ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله ، ومن يؤمن بالله يهد قلبه** ﴾، وقال تعالى ﴿ **قل فادرأو عن أنفسكم الموت إن كنتم صادقين** ﴾، وقال تعالى ﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **قل إن الموت الذى تفررون منه فإنه ملاقيكم** ﴾ وروى البخارى عن الزهرى قال: أخبرنى سنان بن أبي سنان الدؤلي أن أبا هريرة رضى الله عنه قال إن رسول الله ﷺ قال «لاعدوى»(١) فقام أعرابي فقال أرأيت الإبل تكون في الرمال أمثال الظباء فيأتيها البعير الأجرب فتجرب، قال النبي ﷺ «فمن أعدى الأول» ، ورواه مسلم من طريق آخر بنحوه.وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنى محمد بن بشار حدثنى محمد بن جعفر حدثنا شعبة قال: سمعت قتادة عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن النبي ﷺ قال «لاعدوى ولاطيرة» ، ويعجبنى الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال كلمة طيبة» ورواه مسلم. ولهما من طرق عن أبي هريرة رضى الله عنه عن النبي ﷺ قال «لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر» هذا لفظ البخارى، والأحاديث في نفى

(١) رواه الشيخان .

العدوى كثيرة في الصحيحين والسنن وغيرهما، ولايعارض ذلك حديث «لايورد ممرض على مصح» وحديث «فر من المجذوم فرارك من الأسد» وكلاهما فى الصحيح متصلا بحديث «لاعدوى ولاطيرة» ، فإن البخارى رحمه الله تعالى قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال إن رسول الله ﷺ قال «لاعدوى» . قال أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت أبا هريرة عن النبى ﷺ قال «لا توردوا الممرض على المصح» وقال رحمه الله تعالى قال عفان حدثنا سليم بن حيان حدثنا سعيد بن ميناء قال سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ «لاعدوى ولاطيرة ولاهامة ولاصفر، وفر من المجذوم كما تفر من الأسد»

والجمع بين نفى العدوى وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح والأمر بالفرار من المجذوم ومافى معناها من ثلاثة أوجه كلها نفى العدوى فيها على إطلاقه. الوجه الأول: أنه ﷺ أمر بالفرار من المجذوم لئلا يتفق للمخالط شيء من ذلك ابتداء لا بالعدوى المنفية فيظن أنه بسبب المخالطة فيعتقد ثبوت العدوى التى نفاها رسول الله ﷺ فيقع فى الحرج، فأمر ﷺ بتجنب ذلك شفقة منه على أمته ورحمة بهم وحسما للمادة وسداً للذريعة لا إثباتاً للعدوى كما يظن بعض الجهلة من الأطباء، والدليل على ذلك قوله ﷺ للأعرابى الذى استشهد لصحة العدوى بكون البعير الأجرب يدخل فى الإبل الصحاح فتجرب، فقال له ﷺ «فمن أعدى الأول» يعنى أن الله تعالى ابتدأ المرض فى الباقى كما ابتدأه فى الأول لا أن ذلك من سريان المرض بطبيعته من جسد إلى آخر. الوجه الثانى: أن نهيه ﷺ عن المخالطة لأنها من الأسباب التى أجرى تعالى العادة بأنها تفضى إلى مسبباتها لا استقلالا بطبعها، ولكن الله سبحانه وتعالى هو الذى خلق الأسباب ومسبباتها فإن شاء تعالى أبقى السبب وأثر فى مسببه بقضاء الله تعالى وقدره، وإن شاء سلب الأسباب قواها فلا تؤثر شيئاً، ومن قوى إيمانه وكمل توكله وثقته بالله وشاهد مصير الأمور كلها إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب كما أن مصدرها من عنده عز وجل فنفسه أبية وهمته علية وقلبه ممتلىء بنور التوحيد فهو واثق بخالق السبب ليس لقلبه إلى الأسباب أدنى التفات سواء عليه فعلها أو لم يفعلها، والدليل على ذلك ماروى أبو داود رحمه الله تعالى حدثنا عثمان بن أبى شيبة حدثنا يونس بن محمد حدثنا مفضل بن فضالة عن حبيب بن الشهيد عن محمد بن المنكدر عن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أخذ بيد مجذوم فوضعها معه فى القصعة وقال «كل ثقة بالله وتوكل عليه»[1] ففى أمره ﷺ بمجانبة المجذوم إثبات للأسباب التى خلقها الله عز وجل وفى أكله ﷺ معه تعليم لنا بأن الله هو مالكها فلا تؤثر إلا بإذنه ولايصيب العبد إلا ماكتب الله له . الوجه الثالث أن النفوس تستقذر ذلك

(١) رواه الترمذى وأبو داود .

وتنقبض عند رؤيته وتشمئز من مخالطته وتكرهه جداً لاسيما مع ملامسته وشم رائحته فيحصل بذلك تأثير بإذن الله في سقمها قضاء من الله وقدرا لابانتقال الداء بطبيعته كما يعتقده أهل الجاهلية،والدليل على هذا مارواه أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا مخلد بن خالد وعباس العنبرى قالا حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن يحيى بن عبد الله بن بحير قال: أخبرنى من سمع فروة بن مسيك قال: قلت يارسول الله أرض عندنا يقال لها أرض أبين هى أرض ريفنا وميرتنا وإنها وبئة - أو قال وباؤها شديد - فقال النبى ﷺ «دعها عنك فإن من القرف التلف» والقرف بالتحريك هو مقاربة الوباء ومداناة المرض، والتلف بوزنه هو الهلاك يعنى أنه سبب فيه قد يؤثر بإذن الله تعالى لاسيما مع كراهة النفس له واشمئزازها منه ﴿ **فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين** ﴾

فإذا تبين لك هذا الجمع بين نفى العدوى وبين الأمر بمجانبة الداء، تبين لك الجمع بينها وبين النهى عن إيراد الممرض على المصح، فإنه إذا كانﷺ قد أمر المصح بمجانبة الداء فلأن ينهى الممرض عن إيراده على المصح من باب أولى، فإن العلل التى قدمنا أنها من سبب النهى عن القدوم على الوباء والأمر بمجانبته موجودة فى إيراد الممرض على المصح بزيادة كونها ليست باختيار المصح كقدومه هو بل مع كراهته لها وانقباضه من ذكل الممرض وربما أدى ذلك إلى بغضه إياه وغير ذلك. والمقصود أن نفى العدوى مطلق على عمومه، وفيه إفراد الله سبحانه وتعالى بالتصرف فى خلقه، وأنه مالك الخير والشر وبيده النفع والضر، لامانع لما أعطى ولامعطى لما منع، وفى ذلك تقوية لقلوب المؤمنين، وإمداد لهم بقوة التوكل وصحة اليقين، وحجة لهم على المشركين وسائر المعاندين، وليس فى الأمر بمجانبة البلاء ولا فى النهى عن إيراده على المعافى منه منافاة ولامناقضة. بل ذلك مع الثقة بالله والتوكل عليه من فعل الأسباب النافعة وتوقى الأسباب المؤذية ودفع القدر بالقدر والالتجاء من الله إليه، وليس فى فعل الأسباب ماينافى التوكل مع اعتماد القلب على خالق السبب، وليس التوكل بترك الأسباب، بل التوكل من الأسباب، وهو أعظمها وأنفعها وأنجحها وأرجحها، كما أن من اضطربت نفسه ووجل فرقاً وخوفاً وارتياباً وعدم يقين بالقدر لايكون متوكلا على الله بمداناته المرضى والمبتلين وتركه فعل الأسباب، فكم لايكون المرتاب متوكلا بمجرد تركه الأسباب، كذلك لايكون الموحد تاركا التوكل أو ناقصه بمجرد فعل الأسباب النافعة وتوقى المضرة وحرصه على ماينفعه، فإنما الشأن فيما وقر فى القلوب وسكنت إليه النفوس، والتوفيق بيد الله ، والمعصوم من عصمه الله تعالى.

ومن هذا الباب نهيه ﷺ عن القدوم على البلاد التى بها الطاعون وعن الخروج منها فراراً منه، فإن فى القدوم عليه تعرضا للبلاء وإلقاء بالأيدى إلى التهلكة وتسبباً للأمور التى

أجرى الله تعالى العادة بمضرتها وفى الفرار منه تسخط لقضاء الله عز وجل وارتياب فى قدره وسوء ظن بالله عز وجل، فأين المهرب من الله وإلى أين المفر، لا ملجأ من الله إلا إليه، كما روى مالك فى موطئه عن ابن شهاب عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب عن عبد الله بن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس أن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه خرج إلى الشام حتى إذا كان بسرغ لقيه أمراء الأجناد أبو عبيدة بن الجراح وأصحابه فأخبروه أن الوباء قد وقع بأرض الشام، قال ابن عباس فقال عمر بن الخطاب ادع إلى المهاجرين الأولين، فدعاهم فاستشارهم وأخبرهم أن الوباء قد وقع بالشام فاختلفوا، فقال بعضهم: قد خرجتَ لأمر ولانرى أن ترجع عنه. وقال بعضهم: معك بقية الناس وأصحاب رسول ﷺ ولانرى أن تقدمهم على هذا الوباء. فقال عمر: ارتفعوا عنى، ثم قال: ادع لى الأنصار، فدعوهم فاستشارهم فسلكوا سبيل المهاجرين واختلفوا كاختلافهم. فقال: ارتفعوا عنى، ثم قال: ادع لى من كان هاهنا من مشيخة قريش من مهاجرة الفتح، فدعوهم فلم يختلف عليه منهم رجلان، فقالوا: نرى أن ترجع بالناس ولاتقدمهم على هذا الوباء. فنادى عمر فى الناس: إنى مصبح على ظهر، فأصبحوا عليه، فقال أبو عبيدة: أفرارا من قدر الله ؟ فقال عمر: لو غيرك قالها ياأبا عبيدة نعم نفر من قدر الله إلى قدرالله. أرأيت لو كان لك إبل فهبطت وادياً له عدوتان إحداهما مخصبة والأخرى جدبة، أليس إن رعيت الخصبة رعيتها بقدر الله، وإن رعيت الجدبة رعيتها بقدر الله ؟ فجاء عبد الرحمن بن عوف وكان غائباً فى بعض حاجته فقال: إن عندى من هذا علماً، سمعت رسول ﷺ يقول «إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه. وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه» قال فحمد الله عمر ثم انصرف. وأخرجه الشيخان من طريقه بلفظه، وقوله ﷺ «فلا تخرجوا فراراً منه» تقييد للنهى بخروج لقصد الفرار، فلا يدخل فى ذلك من خرج لحاجته اللازمة، كما قيّد ﷺ الشهادة به للماكث ببلده بما إذا كان صابراً محتسباً صحيح اليقين ثابت العزيمة قوى التوكل مستسلماً لقضاء الله عز وجل، كما قال البخارى رحمه الله تعالى: باب أجر الصابر فى الطاعون. حدثنا إسحاق أخبرنا حبان أخبرنا داود بن أبى الفرات حدثنا عبد الله بن بريدة عن يحيى بن يعمر عن عائشة زوج النبى ﷺ ورضى الله عنها أنه أخبرتنا أنها سألت رسول الله ﷺ عن الطاعون فأخبرها نبى الله ﷺ أنه كان عذاباً يبعثه الله على من يشاء، فجعله الله تعالى رحمة للمؤمنين، فليس من عبد يقع الطاعون فيمكث فى بلده صابراً يعلم أنه لن يصيبه إلا ماكتب الله له إلا كان له مثل أجر الشهيد، فخرج بهذه الأوصاف من مكث فى أرضه مع نقصان توكله وضعف يقينه فليس له هذه الفضيلة، ومع هذا فلا يحل له الفرار منه لعموم

النهى وله أجره على امتثال الشرع بحسب نيته وقوة إيمانه، وإن خرج فراراً منه فهى معصية أضافها إلى ارتيابه وضعف يقينه والعياذ بالله وعلى هذا يحمل حديث أنس عند البخارى أيضاً قال: قال رسول اللهﷺ «الطاعون شهادة لكل مسلم» فإن مفهوم الحديث الأول أن من لم يتصف بالصفات المذكورة لايكون شهيداً وذلك لضعف يقينه، وقد يقال هو شهيد فى الصورة وليس مثل المتصف بتلك الصفات، كما أن شهداء المعركة الذين يقتلون فى معركة الكفار ليسوا سواء، بل يتفاوتون بتفاوت نياتهم ومافى قلوبهم، وذلك معلوم من الدين بالضرورة واللهتبارك وتعالى أعلم.

الكلام على الطيرة والتطير والغول

وأما الطير فهى ترك الإنسان حاجته، واعتقاده عدم نجاحها، تشاؤماً بسماع بعض الكلمات القبيحة كيا هالك أو يامحوق ونحوها. وكذا التشاؤم ببعض الطيور كالبومة وماشاكلها إذا صاحت، قالوا إنها ناعبة أو مخبرة بشر، وكذا التشاؤم بملاقاة الأعور أو الأعرج أو المهزول أو الشيخ الهرم أوالعجوز الشمطاء، وكثير من الناس إذا لقيه وهو ذاهب لحاجة صده ذلك عنها ورجع معتقداً عدم نجاحها، وكثير من أهل البيع لايبيع ممن هذه صفته إذا جاءه أول النهار، حتى يبيع من غيره تشاؤماً به وكراهة له. وكثير منهم يعتقد أنه لاينال فى ذلك اليوم خيراً قط، وكثير من الناس يتشاءم بما يعرض له نفسه فى حال خروجه كما إذا عثر أو شيك يرى أنه لايجد خيراً، ومن ذلك التشاؤم ببعض الأيام أو ببعض الساعات كالحادى والعشرين من الشهر وآخر أربعاء فيه ونحو ذلك فلا يسافر فيها كثير من الناس ولايعقد فيها نكاحاً ولايعمل فيها عملا مهماً ابتداء، يظن أو يعتقد أن تلك الساعة نحس، وكذا التشاؤم ببعض الجهات فى بعض الساعات فلا يستقبلها فى سفر ولا أمر حتى تنقضى تلك الساعة أو الساعات. وهى من أكاذيب المنجمين الملاعين، يزعمون أن هناك فلكا دواراً يكون كل يوم أو ليلة فى جهة من الجهات فمن استقبل تلك الجهة فى الوقت الذى يكون فيها هذا الفلك لاينال خيراً ولايأمن شراً، وهم فى ذلك كاذبون مفترون قبحهم الله ولعنهم ، قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل. ومن ذلك التشاؤم بوقوع بعض الطيور على البيوت يرون أنها معلمة بشر، وكذا صوت الثعلب عندهم، ومن ذلك الاستقسام بتنفير الطير والظباء فإن تيامنت ذهبوا لحاجتهم وإن تياسرت تركوها، وهذا من الاستقسام بالأزلام الذى أمر الله تعالى باجتنابه وأخبر أنه رجس من عمل الشيطان. وهذا ما شاكله كثير منه كان فى الجاهلية قبل النبوة وقد أبطله فأعاده الشيطان فى هذا الزمان أكثر مما كان عليه فى الجاهلية بأضعاف مضاعفة، ووسع دائرة ذلك وساعده عليه شياطين الإنس من الكهنة والمنجمين وأضرابهم وأتباعهم، أرداهم الله وألحقهم به آمين.

قال تعالى ﴿ **ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون، فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه، وإن تصبهم سيئة يطّيروا بموسى ومن معه، إلا إن طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لايعلمون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحاً أن اعبدوا الله فإذا هم فريقان يختصمون، قال ياقوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون، قالوا اطّيرنا بك وبمن معك، قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون** ﴾ وقال تعالى فى قصة الثلاثة رسل عيسى ﴿ **قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون، وما علينا إلا البلاغ المبين، قالوا إنا تطيرنا بكم** ﴾ قال مجاهد فى قوله تعالى ﴿ **فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه** ﴾ قالوا: العافية والرخاء نحن أحق بها ﴿ **وإن تصبهم سيئة** ﴾ قال بلاء وعقوبة ﴿ **يطيروا بموسى** ﴾ قال: يتشاءموا به. وأخرج ابن جرير عن ابن عباس ﴿ **ألا إنما طائرهم عند الله** ﴾ قال الأمر من قبل الله . وقال رضى الله عنه فى قوله ﴿ **طائرهم عند الله** ﴾ قال : الشؤم أتاكم من عند الله لكفركم، وتقدم ذكر الطيرة ونفيها فى الأحاديث السابقة. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنى عبد الله بن محمد حدثنا عثمان بن عمر حدثنا يونس عن الزهرى عن سالم عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «لاعدوى ولاطيرة» والشؤم فى ثلاث: فى المرأة والدار والدابة، والشؤم ضد اليمن، وهو عدم البركة، والمراد به الأمر المحسوس المشاهد كالمرأة العاقر التى لاتلد أو اللسنة المؤذية أو المبذرة بمال زوجها سفاهة ونحو ذلك. وكذا الدار الجدبة أو الضيقة أو الوبيئة الوخيمة المشرب أو السيئة الجيران ومافى معنى ذلك، وكذا الدابة التى لاتلد ولانسل لها أو الكثيرة العيوب الشينة الطبع ومافى معنى ذلك، فهذا كله شىء ضرورى مشاهد معلوم ليس هو من باب الطيرة المنفية فإن ذلك أمر أخر عند من يعتقده ليس من هذا لأنهم يعتقدون أنها نحس على صاحبها لذاتها لا لعدم مصلحتها وانتفائها فيعتقدون أنه إن كان غنياً افتقر ليس بتبذيرها بل لنحاستها عليه، وإنه إن يأخذها يموت بمجرد دخولها عليه لابسبب محسوس، بل عندهم أن لها نجما لايوافق نجمه بل ينطحه ويكسره، وذلك من وحى الشيطان يوحيه إلى أوليائه من المشركين، قال الله تعالى ﴿ **وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لايؤمنون** ﴾ حتى إن رجلا فى زماننا هذا كان يشعوذ على الناس بذلك ويفرق به بين المرء وزوجه، فتنبه له بعض العامة ممن يحضر مجالس الذكر ويسمع ذم المنجمين وتكذيبهم بالآيات والأحاديث فقال له: إنى أريد أن أنكح امرأة، ماترى فيها هل هى سعد لى أو نحس علىّ؟ فعرض ذلك على قواعده الشيطانية ثم قال له: دعها فإنك إن أخذتها لاتبلى معها ثوباً، يعنى يموت سريعاً لاتطول معها صحبته، وكانت تلك المرأة التى سأله عنها وسماها له هى زوجته وقد طالت صحبته

معها وله منها نحو خمسة من الأولاد، فدعاهم بأسمائهم حتى حضروا فقال له: هؤلاء أولادى منها. ولهذا نظائر كثيرة من خرافاتهم. والمقصود أن الشؤم المثبت فى هذا الحديث أمر محسوس ضرورى مشاهد ليس من باب الطيرة المنفية التى يعتقدها أهل الجاهلية ومن وافقهم.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن أبا هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «لاطيرة، وخيرها الفأل. قالوا وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة. يسمعها أحدكم» قال حدثنا مسلم بن ابراهيم حدثنا هشام عن قتادة عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «لاعدوى ولاطيرة، ويعجبنى الفأل الصالح الكلمة الحسنة». قلت ومن ذلك قوله ﷺ يوم صلح الحديبية حين جاء سهيل بن عمرو قال «سهل الله أمركم» الحديث وماشاكله.

ومن شرط الفأل أن لايعتمد عليه وأن لايكون مقصوداً، بل أن يتفق للانسان ذلك من غير أن يكون له على بال. ومن البدع الذميمة والمحدثات الوخيمة مأخذ الفأل من المصحف فانه من اتخاذ آيات الله هزواً ولعباً ولهواً، ساء مايعملون. وما أدرى كيف حال من فتح على قوله ﴿ **لعن الذين كفروا من بنى إسرائيل** ﴾ وقوله ﴿ **وغضب الله عليه ولعنه** ﴾ وأمثال هذه الآيات. ويروى أن أول من أحدث هذه البدعة بعض المروانية وأنه تفاءل يوماً ففتح المصحف فاتفق لاستفتاحه قول الله عز وجل ﴿ **واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد** ﴾ الآيات فيقال إنه أحرق المصحف غضباً من ذلك وقال أبياتاً لانسود بها الأوراق. والمقصود أن هذه بدعة قبيحة، والفأل إذا قصده المتفائل فهو طيرة كالاستقسام بالأزلام، وقد روى الإمام أحمد فى تعريف الطيرة حديث الفضل بن العباس رضى الله عنهما «إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك»، وروى فى كفارتها حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه وقفه «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك. قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: أن تقول: اللهم لاخير إلا خيرك، ولاطير إلا طيرك، ولا إله غيرك. وقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن كثير أخبرنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال «الطيرة شرك» ثلاثاً «وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» وقوله «وما منا إلا» الخ هو من كلام ابن مسعود كما فصله الترمذى رحمه الله فى روايته عن المرفوع حيث قال: سمعت محمد بن اسماعيل يقول كان سليمان بن حرب يقول فى هذا الحديث « وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل» كلّ هذ عندى قول عبد الله بن مسعود. وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن حنبل وأبو بكر بن أبى شيبة قالا حدثنا وكيع عن سفيان عن حبيب بن أبى ثابت عن عروة بن عامر عن

أحمد القرشى قال ذكرت الطيرة عند رسول الله ﷺ فقال «أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً. فاذا رأى أحدكم مايكره فليقل: اللهم لايأتى بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت ولاحول ولاقوة إلا بك»[1].

وأما الغول فهى واحد الغيلان وهى من شر شياطين الجن وسحرتهم والنفى لما كان يعتقده أهل الجاهلية فيهم من الضر والنفع، وكانوا يخافونهم خوفاً شديداً ويستعيذون ببعضهم من بعض كما قال تعالى عنهم ﴿ **وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا**﴾ زاد الإنس الجن جرأة عليهم وشراً وطغيانا، وزادتهم الجن إخافة وخبلا وكفرانا. وكان أحدهم إذا نزل وادياً قال: أعوذ بسيد هذا الوادى من سفهائه فيأتى الشيطان فيأخذ من مال هذا المستعيذ أو يروعه فى نفسه، فيقول: ياصاحب الوادى، جارك أو نحو ذلك. فيسمع منادياً ينادى ذلك المعتدى أن اتركه أو دعه أو ماأشبه ذلك. فأبطل الله تعالى ورسوله ﷺ ذلك ونفى أن يضروا أحد إلا بإذن الله عز وجل، وأبدلنا عن الاستعاذة بالمخلوقين الاستعاذة بجبار السموات والأرض، رب الكون وخالقه ومالكه وإلهه وبأسمائه الحسنى وصفاته العليا وكلماته التامات التى لايجاوزهن جبار ولا متكبر، فقال الله تبارك وتعالى ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين، وأعوذ بك رب أن يحضرون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾ إلى آخر السورة ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾ إلى آخر السورة. وغيرها من الآيات. وقال رسول الله ﷺ فى هاتين السورتين «ما سأل سائل بمثلها ولا استعاذ مستعذ بمثلها»، قال ﷺ من نزل منزلا فقال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ماخلق، لم يضره شىء حتى يرحل من منزله ذلك، وهو فى الصحيح. وفى بعض الأحاديث «إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان» وفى الحديث الصحيح «إن الشيطان إذا سمع النداء أدبر وله ضراط – وفى لفظ حصاص» وأحاديث الاستعاذة والأذكار فى طرد الشيطان وغيره كثيرة مشهورة فى مواضعها من كتب السنة، وأما قول من قال إن المراد فى الحديث نفى وجود الغيلان مطلقاً فليس بشىء لأن ذلك مكابرة للأمور المشاهدة المعلومة بالضرورة فى زمن النبى ﷺ وقبله وبعده من إتيانهم وانصرافهم ومخاطبتهم وتشكلهم. والله أعلم.

وأما الهامة والصفر فقال أبو داود رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن المصفى حدثنا بقية قال: قلت لمحمد – يعن ابن راشد – قوله «هام» قال: كانت الجاهلية تقول: ليس أحد يموت فيدفن إلا خرج من قبره هامة. قلت فقوله «صفر» قال: سمعت أهل الجاهلية يستشئمون بصفر، فقال النبى ﷺ «لاصفر» قال محمد: وقد سمعنا من يقول هو وجع

(١) رواه أبو داود .

يأخذ في البطن، فكانوا يقولون هو يعدى فقال «لاصفر»، وقال رحمه الله : حدثنا يحيى بن خلف حدثنا أبو عاصم حدثنا ابن جريج عن عطاء قال: يقول الناس الصفر وجع يأخذ فى البطن. قلت فما الهامة؟ قال يقول الناس: الهامة التى تصرخ هامة الناس، وليست بهامة الانسان، إنما هى دابة. وقال رحمه الله : قرىء على الحارث بن مسكين وأنا شاهد أخبركم أشهب قال: سئل مالك عن قوله «لاصفر» قال: إن أهل الجاهلية كانوا يحلون صفر، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً، فقال النبى ﷺ «لاصفر» قلت وكل هذه المعانى لهذه الألفاظ قد اعتقدها الجهال وكلها بجميع معانيها المذكورة منفية بنص الحديث. ولله الحمد والمنة.

مرتبـــة الإحســـان

وثالث مـــرتبـــة الإحـــســـان وتلك أعـــلاها لدى الرحـــمن
وهى رســـوخ فى العـــرفـــان حـتى يكون الغـيب كـالعـيـان

هذه المرتبة هى الثالثة من مراتب الدين المفصلة فى حديث جبريل المتقدم وهى أعلى مراتب الدين وأعظمها خطراً وأهلها هم المستكملون لها السابقون بالخيرات المقربون فى علو الدرجات، وقد قدمنا أن الإسلام هو الأركان الظاهرة عند التفصيل واقترانه بالإيمان، والإيمان إذ ذاك هو الأركان الباطنة والإحسان هو تحسين الظاهر والباطن، وأماعند الاطلاق فكل منها يشمل دين الله كله، وقد جاء الإحسان فى القرآن فى مواضع كثيرة، تارة مقترناً بالإيمان، وتارة بالتقوى، وتارة بهما معاً، وتارة بالجهاد، وتارة بالإسلام وتارة بالعمل الصالح مطلقاً. قال الله تبارك وتعالى **﴿ ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ماتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين ﴾** وقال تعالى **﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾** وقال تعالى **﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيع أجر من أحسن عملا ﴾** وقال تعالى **﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين ﴾** وقال تعالى **﴿ بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون ﴾** وقال تعالى **﴿ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾**. وتارة بالإنفاق فى سبيل الله وهو من الجهاد كقوله تعالى **﴿ وأنفقوا فى سبيل ا ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنوا إن الله يحب المحسنين ﴾** وقد فسره النبى ﷺ تفسيراً لايستطيعه من المخلوقين أحد غيره ﷺ لما أعطاه الله تعالى من جوامع الكلم فقال ﷺ «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فإنه يراك» أخبر ﷺ أن مرتبة الإحسان على درجتين، وأن للمحسنين فى

الإحسان مقامين متفاوتين:

المقام الأول – وهو أعلاهما – أن تعبد الله كأنك تراه، وهذا مقام المشاهدة، وهو أن يعمل العبد على مقتضى مشاهدته الله عز وجل بقلبه، وهو أن يتنور القلب بالإيمان وتنفذ البصيرة فى العرفان حتى يصير الغيب كالعيان، فمن عبد الله عز وجل على استحضار قربه منه وإقباله عليه وأنه بين يديه كأنه يراه أوجب له ذلك الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، وفى حديث حارثة المرسل أن النبى ﷺ قال له «ياحارثة كيف أصبحت؟ قال: أصبحت مؤمنا حقاً. قالك انظر ماتقول:فان لكل قول حقيقة. قال: يارسول الله عزفت نفسى عن الدنيا فأسهرت ليلى وأظمأت نهارى وكأنى أنظر إلى عرش ربى بارزا. وكأنى أنظر أهل الجنة فى الجنة يتزاورون فيها، وكأنى أنظر إلى أهل النار فى النار كيف يتعاوون فيها. قال: أبصرتَ فالزم» عبدٌ نوّر الله تعالى بصيرته.

المقام الثانى – مقام الإخلاص، وهو أن يعمل العبد على استحضار مشاهدة الله إياه وإطلاعه عليه وقربه منه، فإذا استحضر العبد هذا فى عمله وعمل عليه فهو مخلص لله تعالى، لأن استحضار ذلك فى عمله يمنعه من الالتفات إلى غير الله وإرادته بالعمل. وهذا المقام هوالوسيلة الموصلة إلى المقام الأول. ولهذا أتى به النبى ﷺ تعليلا للأول فقال «فإن لم تكن تراه فإنه يراك» ، وفى بعض ألفاظ الحديث «فإنك إلا تكن تراه فإنه يراك» فإذا تحقق فى عبادته بأن الله تعالى يراه ويطلع على سره وعلانيته وباطنه وظاهره ولايخفى عليه شيئ من أمره فحينئذ يسهل عليه الانتقال إلى المقام الثانى وهو دوام التحقيق بالبصيرة إلى قرب الله تعالى من عبده ومعيته حتى كأنه يراه. وقد ذكر الله تبارك وتعالى هذا المعنى فى غير ماموضع من القرآن، كما قال تبارك وتعالى ﴿ **وماتتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه، ومايعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الأرض ولا فى السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا فى كتاب مبين. ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون، لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة لاتبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **وإذ سألك عبادى عنى فإنى قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لى وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون** ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ **وتوكل على العزيز الرحيم الذى يراك حين تقوم وتقلبك فى الساجدين، إنه هو السميع العليم** ﴾ وغير ذلك من الآيات، فأولياء الله المتقون المحسنون هم الذين آمنوا بالله عز وجل وبإلهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته، وأفردوه بالعبادة محبة وتذللا وانقياداً وخوفاً ورجاء ورغبة وخشية وخشوعاً ومهابة وتعظيما وتوكلا عليه وافتقاراً إليه واستغناء به عما سواه، واتقوا بامتثال أوامره ومحبة مرضانه وترك مناهيه وموجبات سخطه

سراً وعلناً وظاهراً وباطناً قولا وعملا واعتقاداً، واستشعرت قلوبهم ونفوسهم إحاطة الله عز وجل بهم علماً وقدرة ولطفاً وخبرة بأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وأسرارهم وعلانياتهم وحركاتهم وسكناتهم وجميع أحوالهم كيف عملوا وأين عملوا ومتى عملوا، فكان عملهم خالصاً لله موافقاً لشرعه مناطا بما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، مستحضرين ذلك بقلوبهم نافذة فيه بصائرهم فأخلصوا لله العمل وراقبوه مراقبة من ينظر إلى ربه لكمال علمهم بأن الله ينظر إليهم ويرى حالهم ويسمع مقالهم، فطرحوا النفوس بين يديه وأقبلوا بكليتهم عليه والتجأوا منه إليه وعاذوا به منه وأحبوه من كل قلوبهم فامتلأت بنور معرفته فلم تتسع لغيره، فبه يبصرون وبه يسمعون وبه يبطشون وبه يمشون وبرؤيتهم يذكر الله تعالى وبذكره يذكرون.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا عمر بن حفص حدثنا أبى حدثنا الأعمش سمعت أبا صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه يقول: قال النبى ﷺ «يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم، وإن تقرب إلى شبرا تقربت إليه ذراعا، وإن تقرب إلى ذراعا تقربت إليه باعا، وإن أتانى يمشى أتيته هرولة» وقال رحمه الله تعالى: حدثنى محمد بن عثمان بن كرامة حدثنا خالد بن مخلد حدثنا سليمان بن بلال حدثنى شريك ابن عبد الله بن أبى نمر عن عطاء عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله تعالى قال: من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب، وماتقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى مما افترضته عليه، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينه، ولئن عاذ بى لأعيذنه، وماترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس عبدى المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته»[1] ذكروا الله تعالى فذكرهم، وشكروه فشكرهم، وتولوه ووالوا فيه فتولاهم، وعادوا أعداءه لأجله فآذن بالحرب من عاداهم، وأحسنوا عبادة ربهم فأحسن جزاءهم وأجزله، عبدوه على قدر معرفتهم به فجازاهم بفضله وزادهم ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة – هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ ولما ذكر أهل الجنة وماوعدهم به من النعم وصفهم أن ذلك جزاء إحسانهم فقال ﴿ **إن المتقين فى جنات وعيون آخذين ما آتاهم ربهم إنهم كانوا قبل ذلك محسنين** ﴾، ثم فسر إحسانهم ﴿ **كانوا قليلا من الليل مايهجعون، وبالأسحار هم يستغفرون، وفى أموالهم حق للسائل والمحروم** ﴾ وقدمنا فى الفصل الأول أن الحسنى التى وعد الله عز وجل المحسنين هى الجنة، والزيادة هى النظر إلى وجه الله عز وجل كما رواه مسلم عن صهيب عن النبى ﷺ. فلما

---

(١) رواه البيهقى .

كانوا يعبدون الله عز وجل في الدنيا على وجه الحضور والمراقبة كأنهم يرونه بقلوبهم وينظرون إليه في حال عبادتهم إياه كان جزاؤهم على ذلك النظر إلى وجهه تبارك وتعالى في الآخرة عيانا بأبصارهم، وعكس هذا ما أخبر به عن المكذبين الذين ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون فقال تعالى فيهم ﴿ **كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون** ﴾ لما كان حالهم في الدنيا التكذيب وأعقبهم ذلك التكذيب تراكم الران على قلوبهم حتى حجبت عن معرفته ومراقبته في الدنيا فكان جزاؤهم على ذلك أن حجبوا عن رؤيته في الآخرة، وذلك قول الله عزوجل ﴿ **ليجزى الذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى** ﴾. ﴿ **ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار** ﴾.

هذا آخر مايسر الله تعالى من الكلام على مفردات حديث جبريل، وقد قال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرح الأربعين بعد كلامه على مراتب الدين في هذا الحديث، قال: فمن تأمل ما أشرنا إليه مما دلّ عليه هذا الحديث العظيم علم أن جميع العلوم والمعارف يرجع إلى هذا الحديث ويدخل تحته، وأن جميع العلماء من فرق هذه الأمة لاتخرج علومهم التي يتكلمون فيها عن هذا الحديث ومادلّ عليه مجملا ومفصلا، فإن الفقهاء إنما يتكلمون في العبادات التي هي من جملة خصال الإسلام، ويضيفون إلى ذلك الكلام في أحكام الأموال والأبضاع والدماء، وكل ذلك من علم الإسلام كما سبق التنبيه عليه، ويبقى كثير من علم الإسلام - من الآداب والأخلاق وغير ذلك - لايتكلم عليه إلا القليل منهم، ولايتكلمون على معنى الشهادتين وهما أصل الإسلام كله. والذي يتكلمون على أصول الديانات يتكلمون على الشهادتين وعلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، والذين يتكلمون على علم المعارف ومقامات العباد يتكلمون على مقام الإحسان وعلى الأعمال الباطنة التي تدخل في الإيمان أيضاً كالخشية والمحبة والتوكل والرضا والصبر ونحو ذلك. فانحصرت العلوم الشرعية التي يتلكم عليها فرق المسلمين في هذا الحديث ورجعت كلها إليه، ففي هذا الحديث وحده كفاية ولله الحمد والمنة، انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

ست مسائل تتعلق بمباحث الدين

(فصل) في مسائل تتعلق بما تقدم من مباحث الدين: الأولى كون الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. والثانية تفاضل أهله فيه. والثالثة أن فاسق أهل الملة الإسلامية لايكفر بذنب دون الشرك ولوازمه إلا إذا استحله. والرابعة أنه لايخلد في النار. والخامسة أنه في العقاب وعدمه تحت المشيئة. والسادسة أن التوبة في حق كل فرد مقبولة مالم يغرغر سواء من كفر أو دونه من أي ذنب كان.

١- الإيمان يزيد وينقص

إيماننا يزيد بالطاعات ونقصه يكون بالزلات

هذه هي المسألة من مسائل الفصل، وهي أن الإيمان يزيد وينقص وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى في كتابه فقال في جامعه: كتاب الإيمان، باب قول النبي ﷺ «بني الإسلام على خمس»، وهو قول وفعل ويزيد وينقص قال الله تعالى ﴿ **ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم** ﴾ ﴿ **وزدناهم هدى** ﴾ ﴿ **ويزيد الله الذين اهتدوا هدى** ﴾ وقال تعالى ﴿**والذين اهتدوا زادهم هدى وآتاهم تقواهم** ﴾ ﴿ **ويزداد الذين آمنوا إيماناً** ﴾ وقوله تعالى ﴿**ومازادهم إلا إيماناً وتسليما** ﴾ وقال الترمذي رحمه الله تعالى: باب في استكمال الإيمان والزيادة والنقصان وساق فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ «إن أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله»(١)، وحديث «يامعشر النساء تصدقن» الخ وهو في الصحيحين، والشاهد منه قوله ﷺ «مارأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذوى الألباب وذوى الرأى منكن» وذكر حديث أبي هريرة وهو في الصحيحين أيضا قال: قال رسول الله ﷺ « الإيمان بضع وسبعون باباً فأدناها إماطة الأذى عن الطريق وأرفعها قول لا إله إلا الله ». هذا لفظ الترمذي وقال: حسن صحيح ولفظه «بضع وستون» ولمسلم رواية «بضع وسبعون» لكن قال «شعبة» بدل «بابا». وقال النسائي: باب زيادة الإيمان – وذكر فيه حديث الشفاعة ودلالته منطوقا على تفاصيل أهل الإيمان فيه، وأما الزيادة والنقص فدلالته عليها مفهوما لامنطوقا. ومثله حديث أبي سعيد الخدري «رأيت الناس وعليهم قمص منها مايبلغ الثدى» الحديث، وفيه «وعرض على عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره، قالوا: فما أولت ذلك يارسول الله ؟ قال: الدين» ثم ذكر حديث عمر في نزول قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ ودلالتها على ذلك منطوقا، وعلى ذلك ترجم البخاري رحمه الله تعالى وقال: حدثنا الحسن بن الصباح سمع جعفر بل عون حدثنا أبوالعميس قال أخبرنا قيس بن مسلم عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رجلا من اليهود قال له: يا أمير المؤمنين آية في كتابكم تقرؤنها لو علينا معشر اليهود نزلت لاتخذنا ذلك اليوم عيدا. قال: أى آية؟ قال ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ قال عمر : قد عرفنا ذلك اليوم والمكان الذي نزلت فيه على النبي ﷺ ، وهو قائم بعرفة يوم جمعة، وعلى ذلك ترجم أبو داود وغيره من أئمة السنة، وساقوا في ذلك أحاديث تتضمنه منطوقا ومفهوماً . قال مسلم بن الحجاج الله تعالى: حدثنا يحيى بن التيمي وقطن بن نسير واللفظ ليحيى أخبرنا جعفر

(١) رواه أحمد في مسنده .

ابن سليمان عن سعيد بن إياس الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة الأسيدى قال وكان من كتاب رسول ﷺ قال: لقينى أبو بكر رضى الله عنه فقال: كيف أنت ياحنظلة؟ قال قلت: نافق حنظلة. قال سبحان الله ، ماتقول؟ قال قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله ﷺ عافسنا الأزواج والأولاد الصغار، فنسينا كثيرا. قال أبو بكر رضى الله عنه : فوالله إنا لنلقى مثل هذا.فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله ﷺ قلت: نافق حنظلة يارسول الله. فقال رسول الله ﷺ: وما ذاك؟ قلت: يارسول الله نكون عندك تذكرنا بالنار والجنة حتى كأنا رأى عين، فاذا خرجنا من عندك عافسنا الازواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا. فقال رسول الله ﷺ :والذى نفسى بيده أن لو تدومون على ماتكونون عندى وفى الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفى طرقكم، ولكن ياحنظلة، ساعة وساعة » ثلاث مرات. حدثنى إسحاق بن منصور أخبرنا عبد الصمد سمعت أبى يحدث حدثنا سعيد الجريرى عن أبى عثمان النهدى عن حنظلة قال: كنا عند رسول الله ﷺ فوعظنا فذكر النار. قال ثم جئت إلى البيت فضاحكت الصبيان ولاعبت المرأة. قال فخرجت فلقيت أبا بكر فذكرت ذلك له قال وأنا فعلت مثل ماتذكر. فلقينا رسول الله ﷺ، فقلت يارسول الله نافق حنظلة. فقال: مه ! فحدثته بالحديث فقال أبو بكر: وأنا قد فعلت مثل مافعل فقال: ياحنظلة ساعة وساعة. ولو كانت تكون قلوبكم كما تكون عند الذكر لصافحتكم الملائكة حتى تسلم عليكم فى الطرق. ومن طريق ثالث فذكرنا الجنة والنار الحديث. وعلى هذا إجماع الأئمة المعتد بإجماعهم، وأن الإيمان قول وعمل ويزيد وينقص، وإذا كان ينقص بالفترة عن الذكر فلأن ينقص بفعل المعاصى من باب أولى كما سيأتى إن شاء الله تبارك وتعالى بيانه قريباً

٢-تفاضـــل أهـــل الإيمـــان

وأهله فـــيـــه على تفـــاضل هل أنت كـــالأمـــلاك أو كـــالرسل

هذه هى المسألة الثانية، وهى تفاضل أهل الإيمان فيه، كما ذكر الله تبارك وتعالى أقسامهم التى قسمهم عليها بمتقضى حكمته فقال تعالى ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله**﴾ الآيات. فقسم تعالى الناجين منهم إلى مقتصدين، وهم الأبرار أصحاب اليمين الذين اقتصروا على التزام الواجبات واجتناب المحرمات فلم يزيدوا على ذلك ولم ينقصوا منه. وإلى سابق بالخيرات، وهم المقربون الذين تقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وتركوا مالا بأس به

خوفاً مما به بأس، ومازالوا يتقربون إلى الله تعالى بذلك حتى كان سمعهم الذى يسمعون به وبصرهم الذى يبصرون به إلى آخر معنى الحديث السابق، فبه يسمعون وبه يبصرون وبه يبطشون وبه يمشون وبه ينطقون وبه يعقلون، يسبحون الليل والنهار لايفترون. وأما الظالم لنفسه ففي المراد به عن السلف الصالح قولان: أحدهما أن المراد به الكافر، فيكون كقول الله عز وجل في تقسيمهم في سورة الواقعة عند البعث ﴿ **وكنتم أزواجاً ثلاثة: فأصحاب الميمنة، ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة، والسابقون السابقون أولئك المقربون** ﴾ إلى آخر الآيات. وقسمهم عند الاحتضار كذلك فقال عز وجل ﴿ **فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم، وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم** ﴾ فإن تفاضل أهل الإيمان فى تقسيم هذه السورة إنما هو على درجتين: سابقين مقربين، وأبرارهم أصحاب اليمين. وأما أصحاب الشمال الذين هم المكذبون الضالون فليسوا من أهل الإسلام باتفاق، وإنما الخلاف فى الظالم نفسه فى آية فاطر. والقول الثانى أن المراد به عصاة الموحدين فإنهم ظالمون لأنفسهم، ولكن ظلم دون ظلم، لايخرج من الدين ولايخلد فى النار، فعلى هذا يكون قسم ثالث فى تفاضل أهل الإيمان. ورجح هذا القول ابن القيم رحمه الله تعالى، فإذا كان هذا التفاوت بين أتباع الرسل فكيف تفاوت مابينهم وبين رسلهم، وقد ذكر الله تبارك وتعالى أن الرسل متفاضلون فقال ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ وقد تقدم تقرير ذلك فى موضعه، وكما أخبر الله تبارك وتعالى عن تفاوتهم فى الإيمان فى دار التكليف كذلك جعل الجنة التى هى دار الثواب متفاوتة الدرجات مع كون كل منهم فيها، فقال فى سورة الرحمن ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان.فبأى آلاء ربكما تكذبان. ذواتا أفنان فبأى آلاء ربكما تكذبان. فيهما عينان تجريان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فيهما من كل فاكهة زوجان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. متكئين على فرش بطائنها من استبرق وجنى الجنتين دان. فبأى آلاء ربكما تكذبان. فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان. فبأى آلا ربكما تكذبان. كأنهن الياقوت والمرجان. فبأى آلاء ربكما تكذبان** ﴾ إلى آخر السورة. وكذا فى سورة الواقعة أخبر بصفة الجنة التى يدخلها السابقون أعظم وأعلى من صفات الجنة التى يدخلها أصحاب اليمين، وكذلك فى سورة المطففين، قال تبارك وتعالى ﴿ **إن الأبرار لفى نعيم، على الأرائك ينظرون، تعرف فى وجوههم نضرة النعيم، يسقون من رحيق مختوم، ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه من تسنيم، عيناً يشرب بها المقربون** ﴾ وغير ذلك من الآيات. وقال النبى ﷺ «جنتان من

ذهب آنيتهما ومافيهما، وجنتان من فضة آنيتهما ومافيهما، ومابين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه فى جنة عدن»[1] وأهل الجنة متفاوتون فى الدرجات حتى إنهم يتراءون، أهل عليين يرون غرفهم من فوقهم كما يرى الكوكب فى الأفق الشرقى أو الغربى، ومتفاوتون فى الأزواج ومتفاوتون فى الفواكه من المطعوم والمشروب، ومتفاوتون فى الفرش والملبوسات، ومتفاوتون فى الملك، ومتفاوتون فى الحسن والجمال والنور، ومتفاوتون فى قربهم من الله عز وجل، ومتفاوتون فى تكثير زيارتهم إياه، ومتفاوتون فى مقاعدهم يوم المزيد، ومتفاوتون تفاوتاً لايعلمه إلا الله عز وجل. وقد قدمنا أحاديث الشفاعة وفيها أن عصاة الموحدين الذين تمسهم النار بقدر ذنوبهم، متفاوتون تفاوتاً بعيداً: متفاوتون فى مقدار ماتأخذ منهم، فمنهم من تأخذه النار إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم من تأخذه كله إلا مواضع السجود. وكذلك يتفاوتون فى مقدار لبثهم فيها وسرعة خروجهم منها، لأنهم يتفاوتون فى الإيمان والتوحيد الذى بسببه يخرجون منها ولولا الإيمان لكانوا مع الكافرين خالدين مخلدين أبداً. فيقال للشفعاء أخرجوا من كان فى قلبه مثقال دينار من إيمان، ثم من كان فى قلبه نصف دينار من إيمان، ثم من كان فى قلبه وزن برة من إيمان، ثم من كان فى قلبه ذرة من إيمان ، ثم من كان فى قلبه أدنى أدنى من مثقال ذرة من إيمان. فأين هذا ممن الإيمان فى قلبه مثل الجبل العظيم، وأين من نوره على الصراط كالشمس، ممن نوره على إبهام قدمه يضىء تارة ويطفأ أخرى ﴿ **أفنجعل المسلمين كالمجرمين، مالكم كيف تحكمون** ﴾ . وفى الصحيحين من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول « بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علىّ وعليهم قمص، فمنها مايبلغ الثدى، ومنها مايبلغ دون ذلك. وعرض علىّ عمر وعليه قميص يجره: قالوا: فما أولته يارسول الله؟ قال: الدين » وقال ابن أبى مليكة: أدركت ثلاثين من أصحاب النبى ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه مامنهم أحد يقول إنه على إيمان جبريل وميكائيل. ذكره البخارى تعليقا مجزوماً به. وقال النبى ﷺ «ملىء عمار إيمانا إلى مشاشه» وقال ﷺ «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان» وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه: لو وزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح. وقرأ الفضيل بن عياض رحمه الله أول الأنفال حتى بلغ ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم** ﴾ قال حين فرغ: إن هذه الآية تخبرك أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن إذا كان مؤمنا حقا فهو من أهل الجنة، فمن لم يشهد أن المؤمن حقاً من أهل الجنة فهو شاكّ فى كتاب الله

---

(١) رواه الشيخان وابن ماجه .

مكذب، أو جاهل لا يعلم، فمن كان على هذه الصفة فهو مؤمن حقاً مستكمل الإيمان، ولايستكمل الإيمان إلا بالعمل، ولايستكمل عبد الإيمان ولايكون مؤمنا حقا حتى يؤثر دينه على شهوته، ولن يهلك عبد حتى يؤثر شهوته على دينه. يا سفيه ما أجهلك، لاترضى أن تقول أنا مؤمن حتى تقول أنا مؤمن حقا مستكمل الإيمان، والله لا تكون مؤمنا حقاً مستكمل الإيمان حتى تؤدى ما افترض الله عليك وتجتنب ماحرم الله عليك وترضى بما قسم الله لك ثم تخاف مع هذا أن لايقبل الله منك. ووصف فضيل الإيمان بأنه قول وعمل، وقرأ ﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ فقد سمى اللهتعالى دين القيمة بالقول والعمل، فالقول الاقرار بالتوحيد والشهادة للنبى ﷺ، والعمل أداء الفرائض واجتناب المحارم، وقرأ ﴿ **واذكر فى الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا، وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة وكان عند ربه مرضيا** ﴾ وقال ﴿ **شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا** ﴾ فالدين التصديق بالعمل كما وصفه الله تعالى، وكما أمر أنبياءه ورسله بإقامته. والتفرق فيه ترك العمل والتفريق بين القول والعمل، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين** ﴾ فالتوبة من الشرك جعلها الله تعالى قولا وعملا بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. وقال أصحاب الرأى: ليس الصلاة ولاالزكاة ولاشىء من الفرائض من الإيمان، افتراء على الله وخلافا لكتابه وسنة نبيه، ولو كان القول كما يقولون لم يقاتل أبو بكر أهل الردة. وقال فضيل: يقول أهل البدع: الإيمان الاقرار بلا عمل، والإيمان واحد، وإنما يتفاضل الناس بالأعمال ولا يتفاضلون بالإيمان. قال: فمن قال ذلك فقد خالف الأثر، ورد على رسول الله ﷺ قوله، لأن رسول الله ﷺ قال «الإيمان بضع وسبعون شعبة أفضلها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان»[1] وتفسير من يقول الإيمان لايتفاضل يقول إن فرائض الله ليست من الإيمان فميز أهل البدع العمل من الإيمان وقالوا إن فرائض الله ليست من الإيمان ومن قال ذلك فقد أعظم الفرية، أخاف أن يكون جاحداً للفرائض راداً على الله أمره، ويقول أهل السنة: إن الله تعالى قرر العمل بالإيمان وإن فرائض الله من الإيمان. قال تعالى ﴿ **والذين آمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ فهذا موصول العمل بالإيمان. ويقول أهل الارجاء: لا ولكنه مقطوع غير موصول، وقال أهل السنة: قال الله تعالى ﴿ **ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن** ﴾ فهذا موصول، وأهل الارجاء يقولون بل هو مقطوع، وقال أهل السنة: قال الله تعالى ﴿ **ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن** ﴾ فهذا موصول، وكل شىء فى القرآن من أشباه هذا فأهل السنة يقولون: هو موصول مجتمع، وأهل الارجاء يقولون:

---

(١) رواه الشيخان.

بل هو مقطوع متفرق. ولو كان الأمر كما يقولون كان من عصى وارتكب المعاصى والمحارم لم يكن عليه سبيل فكان إقراره يكفيه من العمل، فما أسوأ هذا من قول وأقبحه، فإنا لله وإنا إليه راجعون. وقال فضيل: أصل الإيمان عندنا وفرعه - بعد الشهادة لله بالتوحيد، والشهادة للنبى ﷺ بالبلاغ. وبعد أداء الفرائض - صدق الحديث، وحفظ الأمانة وترك الخيانة، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، والنصيحة لجميع المسلمين، والرحمة للناس عامة، قيل له - يعنى فضيلا - هذا من رأيك تقول أو سمعته؟ قال: بل سمعناه وتعلمناه. ولو لم آخذه من أهل الفقه والفضل لم أتكلم به. وقال فضيل: يقول أهل الإرجاء: الإيمان قول بلا عمل، ويقول الجهمية: الإيمان المعرفة بلا قول ولاعمل، ويقول أهل السنة: الإيمان المعرفة والقول والعمل. فمن قال الإيمان قول وعمل فقد أخذ بالتوثقة. ومن قال الإيمان قول بلا عمل فقد خاطر، لأنه لايدرى أيقبل إقراره أو يرد عليه بذنوبه. وقال يعنى فضيلا: قد بينت لك إلا أن تكون أعمى. وقال فضيل: لو قال لى رجل: مؤمن أنت؟ ما كلمته ماعشت. وقال: إذا قلتَ آمنت بالله فهو يجزيك من أن تقول أنا مؤمن. وإذا قلت أنا مؤمن. لايجزيك من أن تقول آمنت بالله لأن آمنت بالله أمر قال الله تعالى **﴿قولوا آمنا بالله ﴾** الآية، وقولك أنا مؤمن تكلف لايضرك أن لاتقوله ولابأس إن قلته على وجه الإقرار وأكرهه على وجه التزكية، وقال فضيل سمعت الثورى يقول: من صلى إلى هذه القبلة فهو عندنا مؤمن، والناس عندنا مؤمنون بالإقرار فى المواريث والمناكحة والحدود والذبائح والنسك. ولهم ذنوب وخطايا الله حسبهم، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، لاندرى مالهم عند الله عز وجل. وقال فضيل سمعت المغيرة الضبى يقول: من شك فى دينه فهو كافر وأنا مؤمن إن شاء الله . قال فضيل: الاستثناء ليس بشك. وقال فضيل: المرجئة كلما سمعوا حديثاً فيه تخويف قالوا: هذا تهديد. وإن المؤمن يخاف تهديد الله وتحذيره وتخويفه ووعيده ويرجو وعده، وإن المنافق لايخاف تهديد الله ولاتحذيره ولاتخويفه ولاوعيده ولايرجو وعده. وقال فضيل: الأعمال تحبط الأعمال، والأعمال تحول دون الأعمال. قال عبد الله قال أبى: أخبرت عن فضيل عن ليث عن مجاهد فى قوله **﴿ ومن يؤت الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً ﴾** قال: الفقه والعلم أ.هـ. من كتاب السنة. وفيه عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه قال «القلوب أربعة: قلب أجرد كأنما فيه سراج يزهر، فذلك قلب المؤمن. وقلب أغلف، فذلك قلب الكافر. وقلب مصفح، فذلك قلب المنافق. وقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل شجرة يسقيها ماء طيب، ومثل النفاق فيه كمثل قرحة يمدها قيح ودم، فأيهما غلب عليه غلبه»[1] أ.هـ. وهذا الموقوف قد روى مرفوعاً إلى النبى ﷺ بإسناد جيد حسن، فقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو النضر حدثنا أبو معاوية حدثنا شيبان عن ليث

(١) رواه أحمد فى المسند .

عن عمرو بن مرة عن أبى البخترى عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه. وقلب مكنوس. وقلب مصفح. فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن سراجه فيه نوره. وأما القلب الأغلف فقلب الكافر. وأما القلب المنكوس فقلب المنافق عرف ثم أنكر. وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق. ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدّها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها الدم والقيح، فأى المادتين غلبت على الأخرى غلبت عليه. والآيات والأحاديث وآثار الصحابة والتابعين فى هذا الباب أكثر من أن تحصر وأشهر من أن تذكر. والمقصود بيان أن الناس متفاوتون فى الدين يتفاوت قلوبهم، متفاضلون فيه بحسب ذلك، فأفضلهم وأعلاهم أولو العزم من الرسل. وأدناهم المخلطون من أهل التوحيد. وبين ذلك مراتب ودرجات لايحيط بها إلا الله عز وجل الذى خلقهم ورزقهم وكما يتفاوتون فى مبلغ الإيمان من قلوبهم يتفاوتون فى أعمال الإيمان الظاهرة، بل والله يتفاضلون فى عمل واحد يعمله كلهم فى آن واحد وفى مكان واحد، فإن الجماعة فى الصلاة صافون كلهم فى رأى العين، مستوون فى القيام والركوع والسجود، والخفض والرفع، والتكبير والتحميد، والتسبيح والتهليل، والتلاوة وسائر الأذكار والحركات والسكنات، فى مسجد واحد ووقت واحد وخلف إمام واحد، وبينهم من التفاوت والتفاضل ما لايحصى: فهذا قرة عينه فى الصلاة يود إطالتها مادام عمره، وآخر يرى نفسه فى أضيق سجن يود انقضاءها فى أسرع من طرفة عين، أو يود الخروج منها، بل يتندم على الدخول فيها، وهذا يعبد الله على وجه الحضور والمراقبة كأنه يشاهده، وآخر قلبه فى الفلوات قد تشعبت به الضيعات وتفرقت به الطرقات حتى إن يدرى مايقول ولا مايفعل ولاكم صلى. وهذا ترفع صلاته تتوهج بالنور حتى تخترق السموات إلى عرش الرحمن عز وجل. وهذا تخرج مظلمة لظلمة قلبه فتغلق أبواب السماء دونها فتلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها، وهذا يكتب له أضعافها وأضعاف مضاعفة، وهذا يخرج منها وماكتب له إلا نصفها إلا ربعها إلا ثمنها إلا عشرها، وهذا يحضرها صورة ولم يكتب له منها شيء. وهذا منافق يأتيها رئاء الناس ولايؤمن بالله واليوم الآخر. هذا والناظر إليهم يراهم مستوين فى فعلها، ولو كشف له الحجاب لرأى من الفرقان مالايقدر قدره إلا الله الرقيب على كل نفس بما كسبت الذى أحاط بكل شيء علماً لاتخفى عليه خافية. وكذلك الجهاد ترى الأمة من الناس يخرجون فيه مع إمام واحد ويقاتلون عدوا واحدا على دين واحد متساوى ظاهراً فى القوى والعدد، فهذا يقاتل حمية وعصبية، وهذا يقاتل رياء وسمعة لتعلم شجاعته ويرى مكانه، وهذا يقاتل للمغنم ليس له هم غيره، وهذا يقاتل لتكون كلمة الله هى العليا

وذا هو المجاهد فى سبيل الله لا لغيره. وهذا هو الذى يكتب له بكل حركة أو سكون أو نصب أو مخمصة عمل صالح. وهكذا الزكاة والصوم والحج والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجميع أعمال الإيمان، الناس فيها على هذا التفاوت والتفاضل بحسب ماوقر فى قلوبهم من العلم واليقين. وعلى ذلك يموتون، وعليه يبعثون، وعلى قدره يقفون فى عرق الموقف، وعلى ذلك الوزن والصحف. وعلى ذلك تقسم الأنوار على الصراط. وبحسب ذلك يمرون عليه. ومن يبطأ به عمله لم يسرع به نسبه. وبذلك يتسابقون فى دخول الجنة. وعلى حسبه رفع درجاتهم. وبقدره تكون مقاعدهم من ربهم تبارك وتعالى فى يوم المزيد. وبمقدار ذلك ممالكهم فيها ونعيمهم، والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

٣- فاسق أهل القبلة مؤمن ناقص الإيمان

والفاسق الملى ذو العصيان ... لم ينف عنه مطلق الإيمان
لكن بقدر الفسق والمعاصى ... إيمانه مازال فى انتقاص

هذه هى المسألة الثالثة. وهى أن فاسق أهل القبلة لاينفى عنه مطلق الإيمان بفسوقه. ولايوصف بالإيمان التام. ولكن هو مؤمن ناقص الإيمان. أو مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته. فلا يعطى الاسم المطلق ولايسلب مطلق الاسم. والمراد بالفسق هنا هو الأصغر. وهو عمل الذنوب الكبائر التى سماها الله ورسوله فسقاً وكفراً وظلماً مع إجراء أحكام المؤمنين على عاملها. فإن الله تعالى سمى الكاذب فاسقاً فقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا** ﴾ ومع هذا لم يخرج ذلك الرجل الذى نزلت فيه الآية من الدين بالكلية ولم ينف عنه الإيمان مطلقاً ولم يمنع من جريان أحكام المؤمنين عليه. وكذلك قال النبى ﷺ «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر». وقال ﷺ «لاترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» الحديث وغيره. وقد استبّ كثير من الصحابة على عهده ومن حضوره. فوعظهم وأصلح بينهم ولم يكفرهم بل بقوا أنصاره ووزراءه فى الدين. وقال الله سبحانه ﴿ **وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله** ﴾ فسمى تعالى كلا من الطائفتين المقتتلتين مؤمنة وأمر بالاصلاح بينهما ولو بقتال الباغية. ثم قال ﴿ **فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين** ﴾ ثم لم ينف عنهم الأخوة أخوة الإيمان لا فيما بين المقتتلين ولافيما بينهما وبين بقية المؤمنين بل أثبتت أخوة الإيمان لهم مطلقاً فقال عز وجل ﴿ **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون** ﴾.

وكذلك في آية القصاص أثبت الإيمان للقاتل والمقتول من المؤمنين وأثبت لهم أخوّة الإيمان فقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى. الحرُّ بالحر والعبد بالعبد والأنثى بالأنثى فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف وأداء إليه بإحسان** ﴾. وكذلك الذين قال لهم النبي ﷺ «لاترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض» سماهم أيضاً مسلمين بعد أن رجعوا كذلك فقال في صفة الخوارج «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق»، ومعلوم أن أصحاب على بن أبي طالب وأهل الشام هما الفرقتان اللتان مرقت الخوارج من بينهما قد اقتتلا قتالا عظيما، فسمى الجميع مسلمين، وقال ﷺ في سبطه الحسن بن علي «إن ابني هذا سيد» وسيصلح الله تعالى به بين فرقتين عظيمتين من المسلمين» فأصلح الله تعالى به بين هاتين الفرقتين بعد موت أبيه رضى الله عنهما في عام الجماعة، ولله الحمد والمنة.

ولامنافاة بين تسمية العمل فسقاً أو عامله فاسقاً، وبين تسميته مسلماً وجريان أحكام المسلمين عليه، لأنه ليس كل فسق يكون كفراً، ولا كل ماسمى كفراً وظلماً يكون مخرجا من الملة حتى ينظر إلى لوازمه وملزوماته، وذلك لأن كلا من الكفر والظلم والفسوق والنفاق جاءت في النصوص على قسمين: أكبر يخرج من الملة لمنافاته أصل الدين بالكلية، وأصغر ينقص الإيمان وينافي كماله ولايخرج صاحبه منه، فكفر دون كفر، وظلم دون ظلم، وفسوق دون فسوق، ونفاق دون نفاق. قال الله تعالى في بيان الكفر ﴿ **إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾ وقال ﴿ **إن الذين كفروا وصدّوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالاً بعيداً. إن الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم وليهديهم طريقاً إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً وكان ذلك على الله يسيراً** ﴾ وقال النبي ﷺ في بيان الكفر الأصغر «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» وقال الله تعالى في الظلم الأكبر ﴿ **إن الشرك لظلم عظيم** ﴾ وقال في الظلم الأصغر ﴿ **واتقوا الله ربكم لاتخرجوهن من بيوتهن ولايخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه، لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً** ﴾ وقال في الفسوق الأكبر ﴿ **إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه** ﴾ وقال تعالى ﴿ **والكافرون هم الفاسقون** ﴾، وقال تعالى في النفاق الأكبر ﴿ **ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وماهم بمؤمنين** ﴾، وقال ﴿ **إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار** ﴾ وقال النبي ﷺ في النفاق الأصغر «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها: إذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا

خاصم فجر». فهذه الخصال كلها نفاق عملي لايخرج من الدين إلا إذا صحبه النفاق الاعتقادى المتقدم، وماتمسك به الخوارج والمعتزلة وأضرابهم من التشبث بنصوص الكفر والفسوق الأصغر واستدلالهم به على الأكبر فذلك مما جنته أفهامهم الفاسدة وأذهانهم البعيدة وقلوبهم الغلف، فضربوا نصوص الوحي بعضها ببعض، واتبعوا ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، فقالت الخوارج: المصر على كبيرة من زنا أو شرب خمر أو ربا كافر مرتد خارج من الدين بالكلية لايصلى عليه ولايدفن فى مقابر المسلمين، ولو أقر لله تعالى بالتوحيد وللرسول ﷺ بالبلاغ، وصلى وصام وزكى وحج وجاهد وهومخلد فى النار أبداً مع إبليس وجنوده ومع فرعون وهامان وقارون. وقالت المعتزلة: العصاة ليسوا مؤمنين ولاكافرين ولكن نسميهم فاسقين: فجعلوا الفسق منزلة بين المنزلتين. ولكنهم لم يحكموا له بمنزلة فى الآخرة بين المنزلتين. بل قضوا بتخليده فى النار أبداً كالذين قبلهم، فوافقوا الخوارج مآلاً وخالفوهم مقالا، وكان الكل مخطئين ضلاًلا. وقابل ذلك المرجئة فقالوا: لاتضر المعاصى مع الإيمان لابنقص ولامنافاة، ولايدخل النار أحد بذنب دون الكفر بالكلية. ولاتفاضل عندهم بين إيمان الفاسق الموحد وبين إيمانى أبى بكر وعمر، حتى ولا تفاضل بينهم وبين الملائكة، لا ولا فرق عندهم بين المؤمنين والمنافقين، إذ الكل مستوفى النطق بالشهادتين كما قدمنا اعتقادهم فى بحث الإيمان: نسأل الله تعالى العافية.

٤- العاصى لايخلد فى النار وأمره إلى الله

ولانقول إنه فى النار	مخلد بل أمره للبارى
تحت مشيئة الاله النافذه	إن شا عفا عنه وإن شا آخذه
بقدر ذنبه إلى الجنان	يخرج إن مات على الإيمان

(ولانقول إنه) أى الفاسق بالمعاصى التى لاتوجب كفراً (فى النار مخلد) هذه هى المسألة الرابعة من مسائل الفصل (بل نقول أمره) مردود حكمه (للبارى) فى الجزاء والعفو (تحت مشيئة الاله النافذة) فى خلقه (إن شاء) الله عز وجل (عفا عنه) وأدخله الجنة من أول وهلة برحمته وفضله (وإن شاء آخذه) أى جازاه وعاقبه (بقدر ذنبه) الذى مات مصراً عليه، كما فى الصحيحين من حديث عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال وحوله عصابة من أصحابه، «بايعونى على أن لاتشركوا بالله شيئاً، ولاتسرقوا، ولا تزنوا ولاتقتلوا أولادكم، ولاتأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولاتعصوا فى معروف. فمن وفى منكم فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب

به فى الدنيا فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله عليه فهو إلى الله: إن شاء عفا عنه، وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك. (وإلى الجنان يخرج) من النار (إن) كان (مات على الإيمان) كماتقدم فى أحاديث الشفاعة وإنه لايخلد فى النار أحد مات على التوحيد بل منها يخرج برحمة أرحم الراحمين ثم بشفاعة الشافعين.

والعرض تيسير الحساب فى النبا ... ومن يناقش الحساب عذبا

فى هذا البيت إشارة إلى تفسير رسول الله ﷺ لقول الله عز وجل ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً** ﴾ الآيات كما فى صحيح البخارى وغيره من طرق عن عائشة رضى الله تعالى عنها فقالت: قال رسول الله ﷺ «ليس أحد يحاسب إلا هلك، قالت: قلت يارسول جعلنى فداءك أليس يقول الله عز وجل ﴿ **فأما من أوتى كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيراً** ﴾ قال: ذلك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك، وفى رواية «عذب» وقد قدمنا من نصوص الحشر وأحوال الموقف والميزان ونشر الصحف والعرض والحساب والصراط والشفاعات وغيرها مايعلم به تفاوت مراتب الناس وتباين أحوالهم فى الآخرة بحسب تفاوتهم فى الدار الدنيا فى طاعة ربهم وضدها من سابق ومقتصد وظالم لنفسه.

إذا عرفت هذا فاعلم أن الذى أثبتته الآيات القرآنية والسنن النبوية ودرج عليه السلف الصالح والصدر الأول من الصحابة والتابعين لهم بإحسان من أئمة التفسير والحديث والسنة أن العصاة من أهل التوحيد على ثلاث طبقات: الأولى قوم رجحت حسناتهم بسيآتهم فأولئك يدخلون الجنة من أول وهلة ولاتمسهم النار أبداً. الطبقة الثانية قوم تساوت حسناتهم وسيآتهم وتكافأت فقصرت بهم سيآتهم عن الجنة وتجاوزت بهم حسناتهم عن النار، وهؤلاء هم أصحاب الأعراف الذين ذكر الله تعالى أنهم يوقفون بين الجنة والنار ماشاء أن يوقفوا، ثم يؤذن لهم فى دخول الجنة، كما قال تبارك وتعالى بعد أن دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ﴿ **ونادى أصحابُ الجنة أصحابَ النار أنْ قد وجدنا ماوعدنا ربنا حقا، فهل وجدتم ماوعد ربكم حقا؟ قالوا نعم، فأذّن مؤذّن بينهم أنْ لعنة الله على الظالمين. الذين يصدُّون عن سبيل الله ويبغونها عوَجا وهم بالآخرة كافرون. وبينهما حجاب، وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم، ونادوا أصحابَ الجنة أن سلام عليكم، لم يدخلوها وهم يطمعون. وإذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لاتجعلنا مع القوم الظالمين. ونادى أصحابُ الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وماكنتم تستكبرون. أهؤلاء الذين أقسمتم لاينالهم الله برحمة،**

ادخلوا الجنة لاخوف علَيكم ولا أنتم تحزنون ﴾ الطبقة الثالثة قوم لقوا الله تعالى مصّرين على كبائر الإثم والفواحش، ومعهم أصل التوحيد، فرجحت سيئاتهم بحسناتهم، فهؤلاء هم الذين يدخلون النار بقدر ذنوبهم، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه، ومنهم من تأخذه إلى حقويه، ومنهم فوق ذلك، حتى إن منهم من لم يحرم منه على النار إلا أثر السجود، حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، وهؤلاء هم الذين يأذن الله تعالى بالشفاعة فيهم لنبينا محمد ﷺ ولغيره من الأنبياء من بعده والأولياء والملائكة ومن شاء الله أن يكرمه، فيحد لهم حداً فيخرجونهم، ثم يحد لهم حداً فيخرجونهم، ثم هكذا فيخرجون من كان فى قلبه وزن دينار من خير، ثم من كان فى قلبه نصف دينار من خير، ثم برة، ثم خردلة، ثم ذرّة، ثم أدنى من ذلك إلى أن يقول الشفعاء: ربنا لم نذر فيها خيراً. ويخرج الله تعالى من النار أقواما لا يعلم عدتهم إلا هو بدون شفاعة الشافعين، ولم يخلد فى النار أحد من الموحدين ولو عمل أى عمل، ولكن كل من كان منهم أعظم إيمانا وأخف ذنبا كان أخف عذابا فى النار وأقل مكثا فيها وأسرع خروجا منها، وكل من كان أضعف إيمانا وأعظم ذنبا كان بضد ذلك والعياذ بالله. والأحاديث فى هذا الباب لاتحصى كثرة، وقد قدمنا منها مافيه كفاية. وإلى هذا المعنى أشار النبى ﷺ بقوله «من قال لا إله إلا الله نفعته يوما من الدهر يصيبه قبل ذلك ما أصاب » . وهذا مقام ضلت فيه الأفهام، وزلت فيه الأقدام وهدى الله الذين آمنوا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم.

قال إمام الأئمة أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة رحمه الله تعالى فى كتاب التوحيد بعد سرده أحاديث الشفاعة بأسانيدها قال: قد روينا أخباراً عن النبى ﷺ يحسب كثير من أهل الجهل والعناد أنها خلاف هذه الأخبار التى ذكرناها مع كثرتها وعدالة ناقليها فى الشفاعة وفى إخراج بعض أهل التوحيد من النار بعد ما دخلوها بذنوبهم وخطاياهم، وليست بخلاف تلك الأخبار عندنا بحمد الله ونعمته. وأهل الجهل الذين ذكرتهم فى هذا الفصل صنفان: صنف منهم من الخوارج والمعتزلة أنكرت إخراج أحد من النار ممن يدخل النار وأنكرت هذه الأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة. الصنف الثانى الغالية من المرجئة التى تزعم أن النار حرمت على من قال لا إله إلا الله تتأول هذه الأخبار التى رويت عن النبى ﷺ فى هذه اللفظة على خلاف تأويلها.

فأول مانبدأ بذكر الأخبار بأسانيدها وألفاظ متونها ثم نبين معانيها بعون الله ومشيئته ونشرح ونوضح أنها ليست بمخالفة للأخبار التى ذكرناها فى الشفاعة وفى إخراج من قضى الله إخراجهم من أهل التوحيد من النار. ثم ساق منها حديث ابن مسعود رضى الله

عنه عن النبي ﷺ قال «لايدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر، ولايدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان»[1]، وحديث عمر بن الخطاب رضى الله عنه: سمعت رسول الله يقول « إنى لأعلم كلمة لايقولها عبد حقاً من قلبه فيموت على ذلك إلا حرم على النار: «لا إله إلا الله » وحديث عتبان بن مالك: قال رسول الله ﷺ «لن يوافى عبد يوم القيامة وهو يقول لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله إلا حرم الله على النار وفى رواية: فإن الله قد حرم على النار – أن تأكل من قال لا إله إلا الله ، وحديث عثمان عن النبى ﷺ قال « من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة» ، وحديث معاذ بن جبل قال: قال رسول الله ﷺ «من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صادقا من قلبه دخل الجنة» ، وحديث عبادة بن الصامت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من لقى يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله دخل الجنة» ، وفى رواية «حرمه الله على النار» وحديث جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ بعثه فقال «اذهب فناد فى الناس أن من شهد أن لا إله إلا الله موقنا – أو مخلصا – دخل الجنة » ، وحديث أنس بن مالك رضى الله عنه قال «قال رجل: يارسول الله ماتركت من حاجة ولاداجة إلا أتيت عليها، قال: أو تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ؟ قال: نعم. قال: فإن هذا يأتى على ذلك كله » وحديث عمر رضى الله عنه «إن رسول أمره أن يؤذن الناس أن من يشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له مخلصا فله الجنة. قال عمر : يارسول الله اذا يتكلوا. قال: فدعهم، وحديث عبد الله بن سلام قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول وجبت له الجنة» . وحديث أبى ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «قال لى جبريل: من مات من أمتك لايشرك بالله شيئا دخل الجنة ولم يدخل النار. قلت: وإن زنى وإن سرق؟ قال: وإن زنى وإن سرق، وحديث أبى الدرداء عن النبى ﷺ أنه قرأ ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قلت: وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ قال: فقرأها رسول الله ﷺ ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قلت وإن زنى وإن سرق يارسول الله ؟ قال ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قلت يارسول الله وإن زنى وسرق يارسول الله ؟ قال ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ قلت: يارسول الله وإن زنى وسرق؟ قال ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾ وإن زنى وسرق، ورغم أنف أبى الدرداء. فلا أزال أقرؤها كذلك حتى ألقاه. وحديث ابن مسعود رضى الله عنه « قال رسول ﷺ كلمة وأنا أقول أخرى. قال: من مات وهو يجعل لله نداً دخل النار. قال واقول: من مات وهو لايجعل لله نداً دخل الجنة. قال أبو بكر: قد كنت أمليت أكثر هذا الباب من كتاب الإيمان وبينت فى ذلك الموضع معنى هذه الأخبار وأن معناها ليس كما يتوهمه المرجئة، وبيقين يعلم كل عالم من أهل الإسلام أن النبى ﷺ

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذى .

لم يرد بهذه الأخبار من قال لا إله إلا الله أو زاد معها شهادة أن محمداً رسول الله ولم يؤمن بأحد من الأنبياء غير محمد ﷺ ولا آمن بشيء من كتاب الله عز وجل ولابجنة ولانار ولابعث ولاحساب أنه من أهل الجنة لايعذب بالنار. ولئن جاز للمرجئة الاحتجاج بهذه الأخبار، وإن كانت هذه الأخبار ظاهرها خلاف أصلهم وخلاف كتاب الله عز وجل وخلاف سنن النبى ﷺ لجاز للجهمية الاحتجاج بأخبار رويت عن النبى إذا تؤولت على ظاهرها استحق من يعلم أن الله ربه وأن محمداً نبيه وإن لم ينطق بذلك لسانه ولايزال يسمع أهل الجهل والعناد يحتجون بأخبار مختصرة غير متقصاة وبأخبار مجملة غير مفصلة لايفهمون أصول العلم فيستدلون بالمتقصى من الأخبار على مختصرها وبالمفسر منها على مجملها، قد ثبتت الأخبار عن النبى ﷺ بلفظة لو حملت على ظاهرها كما حملت المرجئة الأخبار التى ذكرناها فى شهادة أن لا إله إلا الله على ظاهرها لكان العالم بقلبه أن لا إله إلا الله مستحقاً للجنة وان لم يقرّ بذلك بلسانه ولا أقرّ بشيء مما أمر الله تعالى بالإقرار به، ولا آمن بقلبه بشيء مما أمر الله بالإيمان به، ولاعمل بجوارحه شيئاً أمر الله به، ولا انزجر عن شئ حرمه الله من سفك دماء المسلمين وسبى ذراريهم وأخذ أموالهم واستحلال حرمهم، فاسمع الخبر الذى ذكرت أنه غير جائز أن يحمل على ظاهره كما حملت المرجئة الأخبار التى ذكرناها على ظاهرها. ثم ذكر حديث عثمان عن النبى ﷺ قال: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة »[1] وحديث عمران بن حصين سمعت رسول الله ﷺ يقول « من علم أن الله ربه وأنى نبيه صادقا من قلبه – وأومأ بيده إلى فلذة صدره – حرم الله لحمه على النار، وحديث معاذ رضى الله عنه: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من مات وهو يوقن بقلبه أن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من فى القبور. قال ابن سيرين: إما دخل الجنة، وإما قال نجا من النار، كيف جاز للجهمى الاحتجاج بهذه الأخبار أن المرء يستحق الجنة بتصديق القلب أن لا إله إلا الله وبأن الله حق وأن الساعة قائمة وأن الله يبعث من فى القبور، ويترك الاستدلال بما سنبينه بعد إن شاء الله تعالى من معنى هذه الأخبار، لم يؤمن أن يحتج جاهل لم يعرف دين الله ولا أحكام الإسلام بخبر عثمان عن النبى ﷺ «من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة» فيدعى أن جميع الإيمان هو العلم بأن الصلاة عليه حق واجب وإن لم يقر بلسانه مما أمر الله بالإقرار به ولاصدق بقلبه بشيء مما أمر الله بالتصديق به ولا أطاع فى شيء أمر الله به ولا انزجر عن شيء حرمه الله ، إذ النبى ﷺ قد أخبر أن من علم أن الصلاة عليه حق واجب دخل الجنة كما أخبر أن من شهد أن لا إله إلا دخل الجنة ثم ذكر حديث عثمان بسنده، قال أبو بكر: فإن جاز الاحتجاج بمثل هذا الخبر المختصر فى الإيمان واستحقاق المرء به الجنة وترك الاستدلال

(١) رواه مسلم وأحمد فى مسنده .

بالأخبار المفسرة المتقصاة لم يؤمن أن يحتج جاهل معاند فيقول: بل الإيمان إقام صلاة الفجر وصلاة العصر وأن مصليها يستوجب الجنة ويعاذ من النار وإن لم يأت بالتصديق ولا بالإقرار بما أمر أن يصدق به ويقر به، ولايعمل بشيء من الطاعات التى فرض الله على عباده، ولاانزجر عن شيء من المعاصى التى حرمها الله ، ويحتج بخبر عمار بن روبية بإسناده إلى عمار بن روبية رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من صلى قبل طلوع الشمس وقبل غروبها حرمه الله على النار» فقال رجل من أهل البصرة: وأنا سمعته عن رسول الله ﷺ قال أبو بكر: قد أمليت طرق هذا الخبر فى كتاب المختصر من كتاب الصلاة مع أخبار النبى ﷺ «من صلى الصبح فهو فى ذمه الله » وكل عالم يعلم دين الله وأحكامه يعلم أن هاتين الصلاتين لاتوجبان الجنة مع ارتكاب جميع المعاصى، انها إنما رويت فى فضائل هذه الأعمال، وإنما رويت أخبار النبى ﷺ «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» فضيلة لهذا القول، لا أن هذا القول كل الإيمان، قلت: لا إله إلا الله لوازم ومقتضيات وشروط مقيد دخول الجنة بالتزام قائلها لجميعها واستكماله إياها كما قدمنا بسطه ولله الحمد. قال رحمه الله تعالى: ولئن جاز لجاهل أن يقول إن شهادة أن لا إله إلا الله جميع الإيمان إذ النبى ﷺ أخبر أن قائلها يستوجب الجنة ويعاذ من النار لم يؤمن أن يدّعى جاهل معاند أيضاً أن جميع الإيمان القتال فى سبيل الله فواق ناقة فيحتج بقول النبى ﷺ «من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة دخل الجنة» كاحتجاج المرجئة بقول النبى ﷺ «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» ، ويقول معاند آخر جاهل إن الإيمان بكماله المشى فى سبيل الله حتى تغبر قدما الماشى، ويحتج بقول النبى « من اغبرت قدماه فى سبيل الله حرّمه الله على النار» وبقوله ﷺ «لايجتمع غبار فى سبيل الله ودخان جهنم فى منخرى رجل مسلم». ويدعى جاهل آخر أن الإيمان كله عتق رقبة مؤمنة ويحتج بأن النبى ﷺ قال «من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضواً منها عضوا منه من النار» ، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان البكاء من خشية الله تعالى ويحتج بقول النبى ﷺ «لايدخل النار من بكى من خشية الله تعالى» ، ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان صوم يوم فى سبيل الله ويحتج بأن النبى ﷺ قال «من صام يوماً فى سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفاً » ويدعى جاهل آخر أن جميع الإيمان قتل كافر ويحتج بقول النبى ﷺ «لايجتمع كافر وقاتله فى النار أبداً» ثم ذكره بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه. ثم قال رحمه الله تعالى: وهذا الجنس من فضائل الأعمال يطول بتقصيه الكتاب، وفى قدر ماذكرنا غنية وكفاية لما له قصدنا أن النبى ﷺ إنما أخبر بفضائل هذه الأعمال التى ذكرنا وماهو مثلها لا أن النبى ﷺ أراد أن كل عمل ذكره أعلم أن عامله يستوجب بفعله الجنة أو يعاذ من النار أنه

(١) رواه أبو داود وأحمد فى المسند .

جميع الإيمان، وكذلك وإنما أراد النبي ﷺ بقوله : «من قال لا إله إلا الله دخل الجنة» أو «حرم على النار» فضيلة لهذا القول لا ان جميع الإيمان كما ادّعى من لايفهم العلم ويعاند فلا يتعلم هذه الصناعة من أهلها. ومعنى قوله ﷺ «لايجتمع كافر وقاتله فى النار أبداً» هذا لفظ مختصره الخبر المقتضى لهذه اللفظة المختصرة ماحدثنا الربيع بن سليمان قال حدثنا شعيب بن الليث قال حدثنا الليث عن محمد بن العجلان عن سهيل ابن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة رضى الله عنه عن رسول ﷺ قال«لايجتمعان فى النار اجتماعا» يعنى أحدهما مسلم قتل كافرا ثم سدد المسلم وقارب قال أبو بكر: لذلك نقول فى فضائل الأعمال التى ذكرنا: من عمل من المسلمين بعض تلك الأعمال ثم سدد وقارب ومات على إيمانه دخل الجنة ولم يدخل النار موضع الكفر منها وإن ارتكب بعض المعاصى، لذلك لايجتمع قاتل الكافر إذا مات على إيمانه مع الكافر المقتول فى موضع واحد من النار، لا إنه لايدخل النار ولاموضعا منها وان ارتكب جميع الكبائر خلا الشرك بالله عز وجل إذا لم يشأ تعالى أن يغفر له مادون الشرك، فقد أخبر الله عز وجل أن للنار سبعة أبواب فقال لابليس ﴿ **إن عبادى ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين** ﴾ إلى قوله تعالى ﴿ **لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾ فأعلمنا ربنا عز وجل أنه قسم تابعى إبليس من الغاوين سبعة أجزاء على عدد أبواب النار، فجعل لكل باب منهم جزءا معلوما، واستثنى عباده المخلصين من هذا القسم، فكل مرتكب معصية زجر الله عنها فقد أغواه إبليس، والله عز وجل قد يشاء غفران كل معصية يرتكبها المسلم دون الشرك وإن لم يتب منها، لذلك أعلمنا فى محكم تنزيله قوله ﴿ **ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ وأعلمنا خالقنا عز وجل أن آدم الذى خلقه الله بيده وأسكنه جنته وأمر ملائكته بالسجود له عصاه فغوى، وأنه عزوجل برأفته ورحمته اجتباه بعد ذلك فتاب عليه وهدى، ولم يحرمه الله بارتكاب هذا الحوب بعد ارتكابه إياه. فمن لم يغفر الله له حوبته التى ارتكبها وأوقع عليه اسم غاو فهو داخل فى الأجزاء جزءاً وقسما لأبواب النار سبعة. وفى ذكره آدم ﷺ وقوله عز وجل ﴿ **وعصى آدم ربه فغوى** ﴾ مايبين ويوضح أن اسم الغوى قد يقع على مرتكب خطيئة قد زجر الله عن اتيانها وإن لم تكن تلك الخطيئة كفراً ولاشركا ولامايقاربهما ويشبههما، ومحال أن يكون المؤمن الموحد لله عز وجل قلبه ولسانه المطيع لخالقه فى أكثر مافرض الله عليه وندبه إليه من أعمال البر غير المفروض عليه والمنتهى عن أكثر المعاصى وان ارتكب بعض المعاصى والحوبات فى قسم من كفر بالله ودعا معه آلهة له أو صاحبة أو ولداً – تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً – ولم يؤمن بشىء مما أمر الله تعالى بالإيمان به ولا أطاع الله فى شىء أمر به من الفرائض والنوافل ولا انزجر عن معصية نهى الله عنها محال أن يجتمع هذان فى درجة

واحدة من النار، والعقل مركب على أن يعلم أن كل من كان أعظم خطيئة وأكثر ذنوبا لم يتجاوز الله عن ذنوبه كان أشد عذاباً فى النار، كما يعلم كل عاقل أن كل من كان أكثر طاعة لله عز وجل وتقرباً اليه بفعل الخيرات واجتناب السيئات كان أرفع درجة فى الجنان وأعظم ثواباً وأجزل نعمة، فكيف يجوز أن يتوهم عاقل مسلم أن أهل التوحيد يجتمعون فى النار فى الدرجة مع من كان يفترى على الله عز وجل فيدعو له شريكا وشركا فيدعو له صاحبة وولداً ويكفر به ويشرك ويكفر بكل ما أمر الله بالإيمان به ويكذب جميع الرسل ويترك جميع الفرائض ويرتكب جميع المعاصى فيعبد النيران ويسجد للأصنام والصلبان، فمن لم يفهم هذا الباب لم يجد بداً من تكذيب الأخبار الثابتة من التى ذكرتها عن النبى ﷺ فى اخراج أهل التوحيد من النار، اذ محال أن يقال أخرجوا من النار من ليس فيها، وأكثر استحالة من هذا أن يقال يخرج من النار من ليس فيها. وفى أبطال أخبار النبى ﷺ اضمحلال الدين وابطال الإسلام، والله عز وجل لم يجمع بين جميع الكفار فى موضع واحد من النار ولاسوّى بين عذاب جميعهم، قال الله عز وجل ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النّار** ﴾ وقال ﴿ **أدخلوا آل فرعون اشد العذاب** ﴾.

ثم لما انتهى من الكلام على ما احتج به المرجئة على باطلهم وكفر به الخوارج وردوه بباطل آخر، شرع رحمه الله فى بيان ماتشبث به الخوارج واحتجوا به على باطلهم، وماكفر به المرجئة وردوه بباطل آخر. فقال رحمه الله تعالى: باب ذكر أخبار رويت عن النبى ﷺ ثابتة من جهة النقل، جهل معناها فرقتان: فرقة المعتزلة والخوارج احتجوا بها وادعوا أن مرتكب الكبيرة اذا مات قبل التوبة منها مخلد فى النار محرم عليه الجنان. والفرقة الأخرى المرجئة كفرت بهذه الأخبار وأنكرتها ودفعتها جهلا منها بمعانيها، وأنا ذاكرها بأسانيدها وألفاظ متونها ومبين معانيها بتوفيق الله .

ثم ذكر بأسانيده حديث أسامة بن زيد وسعد بن أبى وقاص وأبى بكرة وسعد بن أبى مالك رضى الله عنهم، قال رسول الله ﷺ «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنّة عليه حرام»، وحديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ قال«من انتسب لغير أبيه فلن يرح بريح الجنة، وريحها يوجد من مسيرة سبعين عاماً»[(١)] وحديث حذيفة قال: قال رسول الله «لايدخل الجنة قتات» وفى رواية «نمام» وحديث أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال: «من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النّار وحرم عليه الجنة. فقال رجل: وان كان شيئاً يسيراً؟ قال: وان كان قضيباً من اراك. وحديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ «لايدخل الجنة نمام ولاعاق ولامدمن خمر»، وحديث جبير بن مطعم قال : قال رسول الله «لايدخل الجنة قاطع » وحديث عمر بن الخطاب رضى عنه قال: قال رسول الله ﷺ

(١) رواه مسلم وأحمد فى المسند .

«ثلاثة لايدخلون الجنة: العاق لوالديه، والديوث ورجلة النساء»[1]، وحديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما قال رسول الله ﷺ «ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، ومدمن خمر، والمنان بما أعطى»، وحديث أبي بكرة عن النبي ﷺ قال «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها حرم الله عليه الجنّة ان يشم ريحها».

ثم قال رحمه الله تعالى: معنى هذه الأخبار انما هو على أحد معنيين: احدهما لايدخل الجنة اى بعض الجنان، اذ النبى ﷺ قد أعلم أنها جنان من جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها، فمعنى هذه الأخبار التى ذكرها من فعل كذا لبعض المعاصى حرم الله عليه الجنة أو لم يدخل الجنة معناه لايدخل بعض الجنان التى هى أعلى وأشرف وأنبل وأكثر نعيما وسروراً وبهجة وأوسع، لأنه اراد لايدخل شيئاً من تلك الجنان التى هى فى الجنة، وعبد الله بن عمرو قد بين خبره الذى روى عن النبى ﷺ «لايدخل الجنة عاقٌ ولامنّان ولامدمن خمر» انه انما اراد حظيرة القدس من الجنة على ما تأولت على احد المعنيين. ثم ساق بإسناده عن عبد الله بن عمرو انه قال «لايدخل حظيرة القدس سكير ولاعاق ولامنّان» قال: والمعنى الثانى ماقد اعلمت أصحابى مالا أحصى من مرّة ان كل وعيد فى الكتاب والسنة لأهل التوحيد فإنما هو على شريطة، اى إلا أن يشاء تعالى أن يغفر ويصفح ويتكرم ويتفضل فلا يعذب على ارتكاب تلك الخطيئة، اذ الله عز جل قد خبر فى محكم كتابه انه قد يشاء ان يغفر دون الشرك من الذنوب فى قوله تعالى ﴿ **ان الله لايغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء** ﴾ قد امليت هذه المسألة فى كتاب معانى القرآن الكتاب الأول، واستدللت أيضاً بخبر عن النبى ﷺ بهذا المعنى. وساق باسناده إلى قيس بن محمد بن الأشعث أن الأشعث وهب له غلاماً، فغضب عليه وقال: والله ماوهبت لك شيئاً. فلما أصبح رده عليه وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من حلف على يمين صبراً ليقتطع مال امرىء مسلم لقى الله يوم القيامة وهو مجتمع عليه غضبان، إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، قلت وتقدم حديث عبادة بن الصامت فى قصة البيعة، وهو دليل هذا المعنى، قال أبو بكر: فاسمعوا الخبر المصرح بصحة ماذكرت أنها جنان فى جنة، واسم الجنة واقع على كل جنة منها على الانفراد لتستدلوا بذلك على صحة تأويلنا الأخبار التى ذكرنا عن النبى ﷺ من فعل كذا وكذا لبعض المعاصى لم يدخل الجنة إنما أراد بعض التى هى أعلى وأشرف وأفضل وأنبل وأكثر نعيما وأوسع، إذ محال أن يقول النبى ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة ويريد لايدخل شيئا من الجنان، ويخبر أنه يدخل الجنة فتكون إحدى الكلمتين دافعة الأخرى وأحد الخبرين دافعا الآخر، لأن هذا الجنس مما لايدخله التناسخ، ولكنه من ألفاظ العام الذى يراد به الخاص. ثم ساق باسناده إلى أنس بن مالك رضى الله عنه «ان

(١) رواه النسائى .

الربيّع أتت النبي ﷺ فقالت: يارسول الله أنبئني عن حارثة أصيب يوم بدر فان كان في الجنة صبرت واحتسبت، وإن كان غير ذلك اجتهدت في البكاء. فقال: يا أم حارثة إنها جنان في جنة وإنه أصاب الفردوس الأعلى قال أبو بكر: قد أمليت أكثر طرق هذا الخبر في كتاب الجهاد، وقد أمليت في كتاب ذكر نعيم الجنة ذكر درجات الجنة وبعد مابين الدرجتين، منها إن اخبار النبي ﷺ أن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف كما ترون الكوكب الدرى في أفق من آفاق السماء لتفاضل مابينها، وقول بعض أصحابه: تلك منازل الأنبياء لايبلغها غيرهم، قال «بلى رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»، وأمليت أخبار النبي ﷺ بين كل درجتين من درج الجنة مسيرة مائة عام. فمعنى هذه الأخبار التي فيها ذكر بعض الذنوب الذى يرتكبه بعض المؤمنين أن مرتكبه لايدخل الجنة، معناها لايدخل العالى من الجنان التى هى دار المتقين الذين لم يرتكبوا تلك الذنوب والحوبات والخطايا. ثم قال: وقد يجوز أن يقول ﷺ من فعل كذا وكذا لم يدخل الجنة يريد لم يدخل الجنة التى يدخلها فيه من لم يرتكب هذه الحوبة، لأنه يحبس عن دخول الجنة إما للمحاسبة على الذنب أو لإدخاله النار ليعذب بقدر ذلك الذنب، إن كان ذلك الذنب مما يتسوجب به المرتكب النار إن لم يعف الله ويصفح ويتكرم فيغفر ذلك الذنب فمعنى هذه الأخبار على هذه المعانى لأنها إذا لم تحمل على هذه المعانى كانت على وجه التهاتر والتكاذب وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ على ما قال على بن أبى طالب رضى الله عنه إذا حدثتم عن رسول الله ﷺ فظنوا به الذى هو أهناه وأهداه وأتقاه، ثم ساقه بإسناده عن على رضى الله عنه فذكره. انتهى كلامه رحمه الله تعالى باختصار بعض مكرره فلاتستطله فانه كلام متين من إمام متضلع من معانى الكتاب والسنة ذى خبرة وعلم لمواردها ومصادرها. وقوله رحمه الله تعالى: وعلى العلماء أن يتأولوا أخبار رسول الله ﷺ لم يعن رحمه الله التأويل الذى اصطلحه المتكلمون لصرف النصوص عن معانيها إلا الاحتملات البعيدة التى هضموا بها معانى النصوص بما اقتضته عقولهم السخيفة وليس ذلك من طريقته ولا من شأنه رحمه الله وانما عنى ما أشار إليه فى غير موضع من كتبه من حمل المجمل على المفسر، والمختصر على المتقصى، والمطلق على المقيد، والعموم على الخصوص، وما أشبه ذلك من التأليف بين النصوص ومدلولاتها لئلا تكون متناقضة يرد بعضها معنى بعض، لأن ذلك مما ينزه عنه كلام الله وكلام رسوله ﷺ. وهذه طريقة جميع أئمة المسلمين من علماء التفسير والحديث والفقه فى أصول الدين وفروعه رحمهم الله تعالى ورضى عنهم.

مسألة. فان قيل وما الجمع بين ماتقدم من حديث عبادة بن الصامت فيمن ارتكب

حداً لم يقوم عليه قال فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، وبين ماصرحت به النصوص التى فى الميزان والحساب والجنة من أن من رجحت خطاياه وسيئاته بحسناته تمسه النار ولابد. قلنا لا إشكال فى ذلك ولا منافاة ولله الحمد. وقد حصل الجمع الفاصل للنزاع بحديث عائشة رضى الله عنها الذى ذكرنا فى شرح البيت الأدنى بأن من يشأ عز وجل أن يعفو عنه يحاسبه الحساب اليسير الذى فسره النبى ﷺ بالعرض وقال فى معنى العرض فى الأحاديث السابقة فى صفته: «يدنو أحدكم من ربه عز وجل حتى يضع عليه كنفه، فيقول: أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم، ويقول أعملت كذا وكذا؟ فيقول نعم ، فيقرره ثم يقول: إنى سترت عليك فى الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم. وأما الذين يدخلون النار بذنوبهم فهم ممن يناقش الحساب وقد قال رسول الله ﷺ «من نوقش الحساب عذب» نسأل الله عز وجل أن ييسر حسابنا ويتجاوز عنا ويغفر لنا بمنة وكرمه آمين.

﴿ ولانكفر بالمعاصى مؤمنا إلا مع استحلاله لما جنى ﴾

(ولانكفر بالمعاصى) التى قدمنا ذكرها وأنها لا توجب كفراً، والمراد بها الكبائر التى ليست بشرك، ولاتسلتزمه ولاتنافى اعتقاد القلب ولاعمله (مؤمنا) مقراً بتحريمها معتقداً له، مؤمنا بالحدود المترتبة عليها، ولكن نقول يفسق بفعلها ويقام عليه الحد بارتكابها وينقص إيمانه بقدر ماتجارأ عليه منها. والدليل على فسقه ونقصان إيمانه قول الله عز وجل ﴿ **والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم** ﴾ ومافى معناها من آيات الحدود والكبائر، وقول النبى ﷺ «لايزنى الزانى حين يزنى وهومؤمن ولايسرق حين يسرق وهو مؤمن ولايشرب الخمر حين يشرب بها وهو مؤمن، والتوبة معروضة بعد»[1] الحديث فى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه. والدليل على أن النفى فى هذا الحديث وغيره ليس لمطلق الإيمان بل لكماله هو ماقدمنا من النصوص التى صرحت بتسميته مؤمناً وأثبتت له أخوة الإيمان، وأبقت له أحكام المؤمنين.

(إلا مع استحلاله لماجنى) هذه هى المسألة الخامسة وهو أن عامل الكبيرة يكفر باستحلاله إياها بل يكفر بمجرد اعتقاده بتحليل ماحرم الله ورسوله لو لم يعمل به لأنه حينئذ يكون مكذباً بالكتاب ومكذباً بالرسول ﷺ وذلك كفر بالكتاب والسنة والاجماع. فمن جحد أمراً مجمعاً عليه معلوما من الدين بالضرورة فلا شك فى كفره.

﴿ وتقبل التوبة قبل الغرغره كما أتى فى الشرعة المطهره ﴾

هذه هى المسئلة السادسة وهى أن التوبة إذا استكملت شروطها مقبولة من كل ذنب

---

(١) رواه الشيخان .

كفراً كان أو دونه. وقد دعا الله تبارك وتعالى إليها جميع عباده فدعا اليها من قال المسيح هو الله ، ومن قال هو ثالث ثلاثة، ومن قال يد الله مغلولة، ومن قال ان الله فقير ونحن أغنياء، ومن دعا للّه الصاحبة والولد فقال لهم جميعاً ﴿ **أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم** ﴾ ودعا إليها من هو أعظم محادة للّه من هؤلاء وهو من قال أنا ربكم الأعلى ماعلمت لكم من إله غيرى فقال الله تبارك وتعالى لرسوله موسى ﴿ **اذهب إلى فرعون إنه طغى، فقل هل لك إلى أن تزكى، وأهديك إلى ربك فتخشى** ﴾ وقال له فى الآية الأخرى ﴿ **أن ائت القوم الظالمين. قوم فرعون ألا يتقون** ﴾ وفى الآية الأخرى ﴿**اذهبا إلى فرعون إنه طغى، فقولا له قولا ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ ودعا إلى التوبة من عمل أكبر الكبائر وهى الشرك وقتل النفس بدون حق والزنا، فقال تعالى ﴿ **ومن يفعل ذلك يلق أثاما، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا، إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما** ﴾ ودعا اليها من كتم ما أنزل الله من البينات والهدى فقال تعالى ﴿ **إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد مابيناه للناس فى الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم** ﴾ ودعا اليها المشركين قاطبة فقال بعد الأمر بقتلهم حيث وجدوا ﴿ **فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم** ﴾ ودعا اليها المنافقين قاطبة فقال تعالى ﴿ **إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا، إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين** ﴾ ودعا اليها جميع المسرفين بأى ذنب كان فقال تعالى ﴿ **ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم، وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له** ﴾ الآيات وغيرها مالايحصى، بل لم يرسل الله تعالى الرسل وينزل الكتب إلا دعوة منه لعباده إلى التوبة ليتوب عليهم إنه هو التوب الرحيم.

وفى الصحيح[1] من حديث أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «للّهُ أشدُّ فرحاً بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها، فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدى وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»، وفيه عن أبى هريرة رضى عنه عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه عز وجل قال « أذنب عبدى ذنباً فقال: اللهم اغفر لى ذنبى، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب فقال: أى ربى اغفر

---

(١) صحيح مسلم .

لي ذنبي، فقال تبارك وتعالى: أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب، اعمل ماشئت فقد غفرت لك، وفيه عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها وفيه عن أبي سعيد الخدرى رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على راهب فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا. فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض، فدل على رجل عالم فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فان بها أناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم ، ولاترجع إلى أرضك فانها أرض سوء. فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلا بقلبه إلى الله ، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيراً قط. فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال: قيسوا مابين الأرضين، فإلى أيتهما كان أدنى فهو له. فقاسوه، فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد، فقبضته ملائكة الرحمة، قال قتادة فقال الحسن: ذكر لنا أنه «لما أتاه الموت ناء بصدره» وفي رواية «فلما كان في بعض الطريق أدركه الموت فناء بصدره، ثم مات، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فكان إلى القرية الصالحة أقرب منها شبراً فجعل من أهلها. وفيه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: أن أناساً من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا فأتوا محمدا ﷺ فقالوا: إن الذى تقول وتدعو اليه لحسن، لو تخبرنا هل لما عملنا كفارة، فنزل **﴿ والذين لايدعون مع الله إلهاً آخر، ولايقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق، ولايزنون ﴾** ونزل **﴿ قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله ﴾** وقال محمد بن اسحاق: قال نافع عن عبد الله بن عمرعن عمر رضى الله عنهما فى حديثه قال «وكنا نقول: ما الله بقابل ممن افتتن صرفاً ولاعدلا ولاتوبة، عرفوا الله ثم رجعوا إلى الكفر لبلاء أصابهم. قال: وكانوا يقولون ذلك لأنفسهم. قال: فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة أنزل الله تعالى فيهم وفى قولنا وقولهم لأنفسهم: **﴿ ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً، إنه هو الغفور الرحيم. وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون. واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ﴾** قال عمر رضى الله عنه: فكتبتها بيدى فى صحيفة: وبعثت بها إلى هشام بن العاصى رضى الله عنه. قال فقال هشام: لما أتتنى جعلت أقرأها بذى طوى، أصعد بها فيه وأصوب ولا أفهمها، حتى قلت

اللهم أفهمنيها. قال: فألقى الله عز وجل فى قلبى أنها إنما أنزلت فينا وفيما كنا نقول فى أنفسنا ويقال فينا، فرجعت إلى بعيرى فجلست عليه فلحقت برسول الله ﷺ بالمدينة.

والأحاديث فى شأن التوبة والحث عليها وفى تكفيرها للذنوب كثيرة جداً لها مصنفات مستقلة، وحيث ذكرت من الآيات والأحاديث فانما المراد بها التوبة النصوح، وهى التى اجتمع فيها ثلاثة شروط: الأول الإقلاع عن الذنب، الثانى الندم على فعله، الثالث العزم على أن لايعود فيه. فإن كان فى ذلك الذنب حق لآدمى لزم استحلاله منه إن أمكن، للحديث الذى قدمنا «من كان عنده لأخيه مظلمة فليتحلل منه اليوم، فانه ليس ثم دينار ولادرهم» الحديث فى الصحيح. وهذه الشروط فى كيفية التوبة. وأما الشرط فى زمانها فهو ما أشرنا إليه فى المتن بقولنا «قبل الغرغرة» وهى حشرجة الروح فى الصدر، والمراد بذلك الاحتضار عند ما يرى الملائكة ويبدأ بها السياق، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب، فأولئك يتوب الله عليهم، وكان الله عليما حكيما. وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدَهم الموتُ قال إنى تبت الآن، ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً** ﴾ وعن أبى العالية أنه كان يحدث أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يقولون: كل ذنب أصابه عبد فهو جهالة، رواه ابن جرير وقال عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة قال: اجتمع أصحاب رسول الله ﷺ فرأوا أن كل شىء عصى الله به فهو جهالة عمداً كان أوغيره. وقال مجاهد: كل عامل بمعصية الله فهو جاهل حين عملها. وقال ابن عباس رضى الله عنهما: من جهالته عمل السوء، وعنه رضى الله عنه قال ﴿ **ثم يتوبون من قريب** ﴾ قال: بينه وبين أن ينظر إلى ملك الموت. وقال الضحاك: ماكان دون الموت فهو قريب، وقال قتادة والسدّى: مادام فى صحته. وهو مروى عن ابن عباس. وقال الحسن البصرى: ثم يتوبون من قريب مالم يغرغر. وقال عكرمة: الدنيا كلها قريب، وروى الإمام أحمد وغيره عن ابن عمر رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر» وله عن عبد الرحمن بين البيلمانى قال: اجتمع أربعة من أصحاب رسول الله ﷺ فقال أحدهم: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله تعالى يقبل توبة العبد قبل أن يموت بيوم» فقال الآخر أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بنصف يوم» فقال الثالث: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال نعم، قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله يقبل توبة العبد قبل أن يموت بضحوة» وقال الرابع: أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال: نعم. قال: وأنا سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر بنفسه»، وروى ابن مردويه

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الله يقبل توبة عبده مالم يغرغر». وهذا توقيت زمان التوبة فى حق كل فرد من العباد، وأمل فى حق عمر الدنيا، فقد تقدم فى الآيات والأحاديث أنها تنقطع بطلوع الشمس من مغربها، لأنها أول آيات القيامة العظام وحين الإياس من الدنيا، كما أن رؤية ملك الموت آية الانتقال من الدنيا وحين الإياس من الحياة، وكذلك الأمم المخسوف بها انقطعت التوبة عنهم برؤيتهم العذاب. قال الله تبارك وتعالى ﴿ **أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً فى الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون. فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ماكانوا به يستهزئون. فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا، سنة الله التى قد خلت فى عباده وخسر هنالك الكافرون** ﴾.

فصـــــل

فى معرفة نبينا محمد ﷺ وتبليغه الرسالة

وإكمال الله لنا به الدين، وأنه خاتم النبيين، وأفضل الخلق أجمعين

وأن من ادعى النبوة بعده فهو كاذب يكفر من صدّقه واتبعه

﴿ نبينا محمد من هاشم   إلى الذبيح دون شك ينتمى ﴾

(نبينا محمد) ﷺ (من) ولد (هاشم)، وهو ﷺ أبو القاسم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب واسمه شيبة الحمد بن هاشم واسمه عمرو بن عبد مناف واسمه مغيرة بن قُصَىّ واسمه زيد بن كلاب بن مرة بن كعب بن لُؤَىّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان. وأمه ﷺ آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى. وأم عبد الله فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤى. وأم عبد المطلب سلمى بنت عمرو بن زيد بن لبيد بن خداش بن عامر بن غنم بن عدى بن النجار. وأم هاشم عاتكة بنت مرة بن هلال وأم عبد مناف حبى بنت رحليل بن حبشية بن سلول بن كعب بن عمرو الخزاعى . وأم قُصَىّ فاطمة بنت سعيد بن سيل أحد الجدرة من جعثمة الأسد من اليمن. وأم كلاب هند بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ابن خزيمة. وأم مرة حبشية بنت شيبان بن محارب بن فهر بن مالك بن النضر. وأم كعب ماوية بنت كعب بن القين بن الجسر من قضاعة. وأم لؤى سلمى بنت عمرو الخزاعى. وأم غالب ليلى بنت سعد بن هذيل بن مدركة. وأم فهر بن مالك جندلة بنت الحارث بن مضاض الجرهمى. وأم مالك عاتكة بنت عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان.

وأم النضر برة بنت مرّ بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وأم كنانة عوانة بنت سعد بن قيس بن عيلان بن مضر. وأم خزيم امرأة من قضاعة. وأم مدركة بن الياس خندف بنت عمران بن الحاف بن قضاعة. وأم الياس ابن مضر جرهمية. وأم مضر سودة بنت عك بن عدنان. وأم ربيعة أخى مضر شقيقة بنت عك بن عدنان، وهاتان القبيلتان المضروب بهما المثل - ربيعة ومضر - ابنا نزار بن معد بن عدنان. ولمضر أخ شقيق وهو إياد بن نزار، ولربيعة أخ شقيق أيضاً وهو أنمار بن نزار.

وهذا هو النسب المتفق على سرده، لاخلاف فيه لأحد. وكذا لاخلاف فى أن نسب عدنان إلى الذبيح إسماعيل الحليم ابن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام. وكذا لا خلاف فى أن ابراهيم ينتمى إلى سام بن نوح وهو أبو العرب قاطبة، وكذا لاخلاف فى ان نوحا ينتمى إلى شيث بن آدم وهو وصى أبيه عليهم السلام. وإنما الخلاف فى كمية الآباء بين عدنان وإسماعيل بن ابراهيم، وبين ابراهيم وسام بن نوح، وبين نوح وشيث بن آدم. وقد كان كثير من أئمة الدين - كمالك بن أنس الإمام وغيره - يكرهون تعداد الآباء من فوق عدنان. ويقولون : هو رجم بالغيب، ومايدرى من يفعل ذلك، والله تعالى يقول ﴿ **وقروناً بعد ذلك كثيراً** ﴾ وقال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله: كان قوم من السلف - منهم عبد الله بن مسعود وعمرو بن ميمون الأودى ومحمد بن كعب القرظى - إذا تلوا ﴿ **والذين من بعدهم لايعلمهم إلاالله** ﴾ قالوا: كذب النسابون، وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان إذا بلغ عدنان يقول: كذب النسابون. قال السهيلى: وقد رأى جماعة جواز ذلك، منهم ابن إسحق والبخارى والزبير بن بكار والطبرى وغيرهم من العلماء، قال أبوعمر بن عبد البر: والذى عليه أئمة هذا الشأن فى نسب عدنان قالوا: عدنان بن أدد بن مقوم بن ناحور بن تيرح بن يعرب بن يشجب بن نابت بن إسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما السلام.

والمقصود أن نبينا محمد ﷺ أخرجه الله تعالى من أوسط العرب نسباً وأكرمهم حسباً، وأعلاهم كعباً، وأعظمهم جرثومة، وأشرفهم أصلا وأطيبهم فرعا. وقال مسلم بن الحجاج رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن مهران الرازى ومحمد بن عبد الرحمن بن سهم جميعاً عن الوليد. قال ابن مهران: حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا الأوزاعى عن أبى عمار شداد أنه سمع واثلة بن الأسقع يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل واصطفى قريشاً من كنانة واصطفى من قريش بنى هاشم واصطفانى من بنى هاشم»[1]. وروى الترمذى عن العباس بن عبد المطلب قال: قلت يارسول الله إن قريشاً جلسوا فتذاكروا أحسابهم بينهم فجعلوا مثلك مثل نخلة فى كبوة من الأرض. فقال النبى

(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد.

ﷺ «إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى من خير فرقهم وخير الفريقين، ثم خير القبائل فجعلنى فى خير قبيلته ، ثم خير البيوت فجعلنى فى خير بيوتهم، فأنا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً، وفى رواية فقام النبى ﷺ على المنبر فقال «من أنا؟ فقالوا: أنت رسول الله عليك السلام. قال: أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، إن الله تعالى خلق الخلق فجعلنى فى خيرهم، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً فجعلنى فى خيرهم بيتاً وخيرهم نفسا، هذا حديث حسن. وحمى الله تبارك وتعالى أصول نبينا من سفاح الجاهلية فلم يشب نسبه شىء من ذلك لامن جهة آبائه ولا من جهة أمهاته ولم يولد إلا من نكاح كنكاح الإسلام كما رواه جماعة عن جعفر الصادق عن آبائه مرفوعاً «إنى ولدت من نكاح ولم أولد من سفاح».

وكان مولده ﷺ عام الفيل كما روى الترمذى وغيره عن عبد المطلب بن عبد الله بن قيس بن مخرمة عن أبيه عن جده قال: ولدت أنا ورسول الله ﷺ عام الفيل. قال: وسأل عثمان بن عفان قباث بن أشيم أخا بنى يعمر بن ليث: أنت أكبر أم رسول الله ﷺ؟ فقال: رسول الله أكبر منى، وأنا أقدم منه فى الميلاد. قال: ورأيت حدق الفيل أخضر محيلا. قال الترمذى: حديث حسن.

﴿ مولده بمكة المطهره هجرته لطيبة المنوره ﴾
﴿ بعد اربعين بدأ الوحى به ثم دعا إلى سبيل ربه﴾
﴿عشر سنين أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه ووحدوا ﴾
﴿وكان قبل ذاك فى غار حرا يخلو بذكر ربه عن الورى ﴾

(مولده) ﷺ (بمكة المطهرة) من كل رجس حساً ومعنى (هجرته) ﷺ (لطيبة) المدينة (المنورة) وكان ذلك موجوداً فى الصحف التى بشرت به ﷺ من التوراة والإنجيل وغيرهما، والآيات فى ذلك والدلائل على ذلك لاتحصى، ثم كان الأمر كما بشرت، فولد بمكة وأوحى إليه فيها وبعث بالدعوة إلى الله فيها، ثم كانت هجرته إلى المدينة كما سيأتى إن شاء الله عز وجل.

(بعد أربعين) سنة من عمره ﷺ (بدأ الوحى) من الله عز وجل إليه (به) ﷺ كما فى الصحيحين عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال «كان رسول ﷺ ربعة من القوم، ليس بالطويل البائن ولابالقصير، أزهر اللون ليس بأبيض أمهق ولا آدم، ليس بجعد قطط ولاسبط رجل. بعثه الله على رأس أربعين سنة فأقام بمكة عشر سنين، الحديث وكيفية بدء الوحى ماذكره البخارى رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل

عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت «أول مابدىء به رسول الله من الوحى الرؤيا الصالحة فى النوم، فكان لايرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح. ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه – وهو التعبد – الليالى ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك. ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها، حتى جاءه الحق وهو فى غار حراء، فجاءه الملك فقال: اقرأ. قال: ما أنا بقارىء. قال فأخذنى فغطنى حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذنى فغطنى الثانية حتى بلغ منى الجهد، ثم أرسلنى فقال: اقرأ. فقلت: ما أنا بقارىء. فأخذنى فغطنى الثالثة، ثم أرسلنى فقال ﴿ **اقرأ باسم ربك الذى خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم** ﴾ فرجع بها رسول اللهﷺ يرجف فؤاده، فدخل على خديجة بنت خويلد فقال: زملونى زملونى، فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال لخديجة وأخبرها الخبر: لقد خشيت على نفسى. فقالت خديجة: كلا واللهلايخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكَلَّ وتكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق. فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّى ابن عم خديجة وكان امرءاً قد تنصر فى الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبرانى، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ماشاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمى، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك. فقال له ورقة: يا ابن أخى ماذا ترى؟ فأخبره رسول اللهﷺ خبر مارأى. فقال له ورقة: هذا الناموس الذى أنزل الله على موسى. ياليتنى فيها جذع. ليتنى أكون حياً إذ يخرجك قومك. فقال رسول اللهﷺ: أو مخرجىَّ هم؟ قال: نعم. لم يأت رجل قط بمثل ماجئت به إلا عودى. وإن يدركنى يومك أنصرك نصراً مؤزراً. ثم لم ينشب ورقة أن توفى وفتر الوحى. قال ابن شهاب وأخبرنى أبو سلمة بن عبد الرحمن أن جابر بن عبد الله الأنصارى قال وهو يحدث عن فترة الوحى. فقال فى حديثه «بينا أنا أمشى إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت بصرى فإذا الملك الذى جاءنى جالس على كرسى بين السماء والأرض، فرعبت منه، فرجعت فقلت: زملونى زملونى. فأنزل الله تعالى ﴿ **يا أيها المدّثر قم فأنذر** ﴾ إلى قوله ﴿ **والرجْزَ فاهجر** ﴾ فحمى الوحى وتتابع». تابعه عبد الله بن يوسف وأبو صالح وتابعه هلال بن رداد عن الزهرى. وقال يونس ومعمر «بوادره». حدثنا موسى بن اسماعيل قال حدثنا أبو عوانة قال حدثنا موسى بن أبى عائشة قال حدثنا سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى ﴿ **لاتحرك به لسانك لتعجل به** ﴾ قال «كان رسول اللهﷺ يعالج من التنزيل شدة وكان مما يحرك شفتيه. فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لك كما كان رسول اللهﷺ يحركهما. وقال سعيد: وأنا أحركهما كما رأيت ابن عباس

يحركهما. فحرك شفتيه. فأنزل الله تعالى ﴿ **لاتحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه** ﴾ قال جمعه لك بصدرك وتقرأه ﴿ **فإذا قرأناه فاتبع قرآنه** ﴾ قال فاستمع له وأنصت ﴿ **ثم إن علينا بيانه** ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبى كما قرأه، وقال رحمه الله تعالى: حدثنا عبد الله بن يوسف قال أخبرنا مالك عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين رضـــــى الله عنها «أن الحارث بن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله كيف يأتيك الوحى؟ فقال رسول الله ﷺ : أحيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو أشده علىّ، فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال، وأحياناً يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى مايقول قالت عائشة رضى الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحى فى اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً.

(ثم دعا إلى سبيل ربه) وهو على دين الإسلام الذى أرسل الله تعالى به رسله وأنزل به كتبه، وهو دينه فى السماء والأرض ولن يقبل الله تعالى من أحد ديناً سواه، (عشر سنين) دعوته إلى التوحيد وترك عبادة الأوثان فقط قبل أن يفرض عليه الصلوات الخمس ولاغيرها قائلا (أيها الناس اعبدوا رباً تعالى شأنه) لاتعبدوا إلا الله (ووحدوا) تفسير لذلك. وهذه دعوة من قبله من نوح إلى خاتمهم محمد ﷺ كلهم يقول ﴿ **ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره** ﴾ وكانت الدعوة فى أول البعثة سراً ثلاث سنين فيما ذكر ابن اسحاق وغيره قال ابن مسعود رضى الله عنه: مـازال النبى ﷺ مستخفياً حتى نزلت ﴿ **فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين** ﴾. وقال البخارى رحمه الله تعالى فى تفسير سورة الشعراء: قوله عز وجل ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين – واخفض جناحك** ﴾ حدثنا عمر بن حفص بن غياث حدثنا أبى حدثنا الأعمش قال حدثنى عمرو بن مرّة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ صعد النبى ﷺ على الصفا فجعل ينادى: يابنى فهر، يابنى عدى، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ماهو. فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادى تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقىّ؟ قالوا: نعم، ماجربنا عليك إلا صدقاً. قال: فإنى نذير لكم بين يدى عذاب شديد. فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت ﴿ **تبت يدا أبى لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وماكسب** ﴾ حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزهرى قال أخبرنى سعيد بن المسيب وأبو سلمة عن عبد الرحمن أن أبا هريرة رضى الله عنه قال «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ قال: يامعشر قريش – أو كلمة نحوها – اشتروا أنفسكم، لا أغنى عنكم من الله شيئاً. يابنى

عبد مناف، لا أغنى عنكم من الله شيئاً. ياعباس بن عبد المطلب، لا أغنى عنك من الله شيئاً وياصفية عمة رسول الله ﷺ، لا أغنى عنك من الله شيئاً ويافاطمة بنت محمد ﷺ، سلينى ماشئت من مالى، لا أغنى عنك من الله شيئاً. ورواهما مسلم أيضاً وقال رحمه الله: حدثنا قتيبة بن سعيد وزهير بن حرب قالا حدثنا جرير عن عبد الملك بن عمير عن موسى بن طلحة عن أبى هريرة رضى الله عنه قال «لما نزلت هذه الآية ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فاجتمعوا، فعمّ وخص، فقال: يابنى كعب ابن لؤى، أنقذوا أنفسكم من النار. يابنى مرة بن كعب، أنقذوا أنفسكم من النار. يابنى عبد شمس، أنقذوا أنفسكم من النار. يابنى عبد مناف، أنقذوا أنفسكم من النار. يابنى هاشم، أنقذوا أنفسكم من النار. يابنى عبد المطلب، أنقذوا أنفسكم من النار. يافاطمة، أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئاً غير أن لكم رحماً سأبلها ببلالها. وله عن عائشة رضى الله عنها قالت «لما نزلت ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ قام رسول الله ﷺ على الصفا فقال: يافاطمة بنت محمد، ياصفية بنت عبد المطلب، يابنى عبد المطلب، لا أملك لكم من الله شيئاً سلونى من مالى ماشئتم، وله عن قبيصة بن المخارق وزهير بن عمرو قالا «لمانزلت ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ انطلق رسول الله ﷺ إلى رضمة من جبل فعلا أعلاها حجراً ثم نادى: يابنى عبد مناف إنى نذير، إنما مثلى ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يربأ أهله، فخشى أن يسبقوه، فجعل يهتف: ياصباحاه. وكان قبل ذلك فى غار حراء الخ. تقدم معناه فى حديث الحارث بن هشام.

حديث الإسراء والمعراج

﴿ وبعد خمسين من الأعوام مضت لعمر سيد الأنام ﴾
﴿ أسرى به الله إليه فى الظلم وفرض الخمس عليه وحتم ﴾

وكان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، والمعراج من المسجد الأقصى إلى سدرة المنتهى ثم إلى حيث شاء الله عز وجل، قال الله تبارك وتعالى فى ذكر الإسراء: ﴿ **بسم ا الرحمن الرحيم، سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذى باركنا حوله لنريهّ من آياتنا إنه هو السميع البصير** ﴾. وقال تبارك وتعالى فى ذكر المعراج ﴿ **ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى. عندها جنة المأوى. إذ يغشى السدرة مايغشى. مازاغ البصر وماطغى. لقد رأى من آيات ربه الكبرى** ﴾.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب حديث الإسراء وقول الله تعالى ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** ﴾ حدثنا يحيى بن بكير حدثنا

الليث عن عقيل عن ابن شهاب حدثنى أبو سلمة بن عبد الرحمن سمعت جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «لما كذبنى قريش، قمت فى الحجر فجلا الله لى بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه». باب المعراج. حدثنا هدبة من خالد حدثنا همام بن يحيى حدثنا قتادة عن أنس بن مالك عن مالك بن صعصعة رضى الله عنهما أن نبى الله ﷺ حدثهم عن ليلة أسرى به قال: «بينما أنا فى الحطيم – وربما قال فى الحجر – مضطجعاً إذ أتانى آت، فقد قال وسمعته يقول، فشق مابين هذه إلى هذه. فقلت للجارود وهو إلى جنبى مايعنى به؟ قال من ثغرة نحره إلى شعرته وسمعته يقول: من قصته إلى شعرته «فاستخرج قلبى. ثم أتيت بطست من ذهب مملوءة إيماناً فغسل قلبى، ثم حشى، ثم أعيد. ثم أتيت بدابة دون البغل وفوق الحمار أبيض» فقال الجارود هو البراق يا أبا حمزة؟ قال أنس نعم «يضع خطوه عند أقصى طرفه، فحملت عليه، فانطلق بى جبريل حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح، فقيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا فيها آدم فقال: هذا أبوك آدم فسلم عليه، فسلمت عليه فرد السلام، ثم قال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم صعد حتى أتى السماء الثانية فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء. ففتح فلما خلصت إذا يحيى وعيسى وهما ابنا الخالة، قال هذا يحيى وعيسى فسلم عليهما. فسلمت فردا ثم قالا: مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى إلى السماء الثالثة فاستفتح. قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد أرسل إليه؟ قال نعم، قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء، ففتح فلما خلصت فإذا يوسف، قال هذا يوسف فسلم عليه، فسلمت عليه فردَّ ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح. ثم صعد بى حتى أتى السماء الرابعة فاستفتح. قيل من هذا؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ . قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم. قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء. فلماخلصت إذا إدريس، قال هذا إدريس فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء الخامسة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ ، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم. قيل مرحباً به فنعم المجىء جاء. فلما خلصت فإذا هارون. قال هذا هارون فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، ثم صعد بى حتى أتى السماء السادسة فاستفتح، قيل من هذا؟ قال جبريل قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل أو قد أرسل إليه؟ قال نعم، قال مرحباً به فنعم المجىء

جاء فلما خلصت فإذا موسى، قال هذا موسى فسلم عليه، فسلمت عليه فرد ثم قال مرحباً بالأخ الصالح والنبى الصالح، فلما تجاوزت بكى، قيل له مايبكيك؟ قال أبكى لأن غلاماً بعث بعدى يدخل الجنة من أمته أكثر ممن يدخلها من أمتى. ثم صعد بى إلى السابعة فاستفتح جبريل، قيل من هذا؟ قال: جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال نعم، قال مرحباً به فنعم المجيء جاء. فلما خلصت فإذا إبراهيم قال: هذا أبوك فسلم عليه، فسلمت عليه فرد عليّ السلام قال مرحباً بالابن الصالح والنبى الصالح. ثم رفعت إلى سدرة المنتهى فاذا نَبِقها مثل قلال هجر، وإذ ورقها مثل آذان الفيلة، قال هذه سدرة المنتهى، وإذا أربعة أنهار: نهران باطنان ونهران ظاهران، فقلت ماهذان ياجبريل؟ قال أما الباطنان فنهران فى الجنة، وأما الظاهران فالنيل والفرات، ثم رفع لى البيت المعمور ثم أتيت بإناء من خمر وإناء من لبن وإناء من عسل، فأخذت اللبن فقال هىَ الفطرة التى أنت عليها وأمتك، ثم فرضت عليّ الصلوات خمسين صلاة كل يوم، فرجعت فمررت على موسى فقال: بما أمرت؟ قال أمرت بخمسين صلاة كل يوم، قال إن أمتك لاتستطيع خمسين صلاة كل يوم، وإنى واللهقد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فرجعت فوضع عنى عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشراً، فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فوضع عنى عشراً فرجعت إلى موسى فقال مثله، فرجعت فأمرت بعشر صلوات كل يوم، فرجعت فقال مثله، فرجعت فأمرت بخمس صلوات كل يوم. فرجعت إلى موسى فقال: بما أمرت؟ قلت أمرت بخمس صلوات كل يوم، قال: إن أمتك لاتستطيع خمس صلوات كل يوم، وإنى قد جربت الناس قبلك وعالجت بنى إسرائيل أشد المعالجة، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، قال سألت ربى حتى استحييت ولكنى أرضى وأسلم، قال فلما جاوزت نادانى مناد: أمضيت فريضتى وخففت عن عبادى، رواه مسلم مختصراً. قلت وقوله فى هذه الرواية عن إدريس مرحباً بالأخ الصالح هذا قد يشكل، لأن إدريس من آبائه، والمعنى واللهأعلم على مافى الحديث «نحن معاشر الأنبياء أبناء علات[1]». الخ وقال البخارى رحمه الله تعالى حدثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثنى سليمان عن شريك بن عبد الله أنه قال: سمعت ابن مالك – يعنى أنساً رضى الله عنه – يقول ليلة أسرى اللهﷺ برسول الله من مسجد الكعبة «إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم فى المسجد الحرام فقال أولهم: أيهم هو؟ فقال أوسطهم هو خيرهم، فقال آخرهم خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولاينام قلبه. وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولاتنام قلوبهم. فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه منهم

---

(١) هم الأبناء لأب واحد وأمهات شتى .

جبريل فشق جبريل مابين نحره إلى لبته حتى أفرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده حتى أنقى جوفه. ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب محشو إيماناً وحكمة فحشا به صدره ولَغاديده – يعني عروق حلقه. ثم أطبقه. ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب بابا من أبوابها فناداه أهل السماء: من هذا؟ فقال جبريل. قالوا ومن معك؟ قال محمد، قال وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا فمرحباً به وأهلا، فيستبشر أهل السماء لايعلم أهل السماء بمايريد الله به في الأرض حتى يعلمهم، فوجد في السماء الدنيا آدم فقال له جبريل: هذا أبوك فسلم عليه، فسلم وردَّ عليه آدم وقال مرحباً وأهلا يابني نعم الابن أنت، فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان، فقال: ماهذان النهران ياجبريل؟ قال هذا النيل والفرات. ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد، فضرب يده فإذا هو مسك، فقال ماهذا ياجبريل؟ قال هذا الكوثر الذى خبأ لك ربك. ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ماقالت له الأولى: من هذا؟ قال جبريل، قالوا ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قالوا وقد بعث إليه؟ قال نعم، قالوا مرحباً به وأهلا. ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا مثل ماقالت الأولى والثانية، ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء الخامسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السادسة فقالوا له مثل ذلك، ثم عرج به إلى السماء السابعة فقالوا له مثل ذلك، كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فأوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة لم أحفظ اسمه وابراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله، فقال موسى رب لم أظن أن يرفع عليّ أحد، ثم علَا به فوق ذلك بما لايعلمه إلا الله تعالى حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى، فأوحى الله فيما أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة، ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال: يامحمد ماذا عهد إليك ربك؟ قال عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة، قال إن أمتك لاتستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك وعنهم، فالتفت النبى ﷺ إلى جبريل كأنه يستشيره في ذلك، فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت، فعلا به إلى الجبار فقال وهو مكانه: يارب خفف عنا فإن أمتى لاتستطيع هذا، فوضع عنى عشر صلوات، ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت إلى خمس صلوات، ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يامحمد والله لقد راودت بنى اسرائيل قومى على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجساداً وقلوباً وأبداناً وأبصاراً وأسماعاً، فارجع فليخفف عنك ربك، كل ذلك يلتفت النبى ﷺ إلى جبريل ليشير عليه ولايكره ذلك جبريل، فرفعه عند الخامسة فقال : يارب ان أمتى ضعفاء أجسامهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا.

فقال الجبار: يامحمد، قال لبيك وسعديك، قال أنه لا يبدل القول لدىّ، كما فرضت عليك فى أم الكتاب. قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهى خمسون فى أم الكتاب وهى خمس عليك، فرجع إلى موسى فقال: كيف فعلت؟ فقال خفف عنا، أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها، قال موسى: قد واللهراودت بنى اسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه، ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا، قال رسول الله ﷺ : ياموسى قد واللهاستحييت من ربى مما اختلفت اليه. قال فاهبط باسم الله . قال واستيقظ وهو فى المسجد الحرام. ورواه مسلم بعد حديث ثابت البنانى أصله وقال نحو حديث ثابت النبانى وقدم فيه شيئا وأخر وزاد ونقص، وهذا السياق روايته لحديث ثابت قال رحمه الله تعالى: حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا حماد ابن سلمة حدثنا ثابت البنانى عن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال «أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، قال فركبته حتى أتيت بيت المقدس. قال فربطته بالحلقة التى يربط بها الأنبياء. قال ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت، فجاءنى جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد. قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل من أنت؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث إليه؟ قال قد بعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بابنى الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا صلوات الله عليهما وسلامه، فرحبا ودعوا لى بخير، ثم عرج بى إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال جبريل. قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه. ففتح لنا فإذا أنا بيوسف عليه السلام إذ هو قد أعطى شطر الحسن فرحب ودعا لى بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ قال وقد بعث اليه؟ قال بعث اليه، ففتح الباب فإذا أنا بإدريس عليه السلام فرحب ودعا لى بخير، قال الله عزوجل ﴿ **ورفعناه مكاناً علياً** ﴾ ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل، قل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه، ففتح لنا فإذا أنا بهرون ﷺ ، فرحب ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل عليه السلام، قيل من هذا؟ قال جبريل، قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه، ففتح لنا فإذا بموسى ﷺ فرحب بى ودعا لى بخير، ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا؟ قال جبريل،

قيل ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل وقد بعث اليه؟ قال قد بعث اليه، ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم ﷺ مسنداً ظهره الى البيت المعمور، واذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لايعودون اليه، ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ماغشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إلى ماأوحى، ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة، فنزلت إلى موسى ﷺ فقال: مافرض ربك على أمتك؟ قلت خمسين صلاة، قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لايطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم. قال فرجعت إلى ربي فقلت يارب خفف عن أمتي، فحط عني خمساً، فرجعت إلى موسى فقلت حط عني خمساً، قال ان أمتك لاتطيق ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف. قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى عليه السلام حتى قال: يامحمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة، ومن همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشراً، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئاً، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال فنزلت حتى انتهيت إلى موسى ﷺ فأخبرته فقال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه. وقال البخاري رحمه الله تعالى: باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء. حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن يونس عن ابن شهاب عن أنس بن مالك رضى عنه قال: كان أبو ذر رضي الله عنه يحدث أن رسول الله ﷺ قال: فرج عن سقف بيتي وأنا بمكة فنزل جبريل ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ملىء حكمة وإيماناً فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فخرج بي إلى السماء الدنيا، فلما جئت إلى السماء الدنيا قال جبريل لخازن السماء: افتح. قال: من هذا؟ قال جبريل، قال هل معك أحد؟ قال نعم معي محمد ﷺ، فقال أرسل اليه؟ قال نعم. فلما فتح علونا السماء الدنيا فإذا رجل قاعد على يمينه أسورة وعلى يساره أسورة، اذا نظر قبل يمينه ضحك واذا نظر قبل يساره بكى، فقال مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، قلت لجبريل من هذا؟ قال هذا آدم وهذه الأسورة عن يمينه وشماله ذريته، فأهل اليمين منهم أهل الجنة والأسورة التي عن شماله أهل النار، فاذا نظر عن يمينه ضحك واذا نظر قبل شماله بكى، حتى عرج بي إلى السماء الثانية فقال لخازنها افتح فقال له خازنها مثل ماقال الأول، ففتح. قال أنس فذكر أنه وجد في السماوات آدم وادريس وموسى وعيسى وابراهيم صلوات الله وسلامه عليهم، ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه ذكر أنه وجد آدم في السماء الدنيا وابراهيم في السماء السادسة، قال أنس: فلما مرّ جبريل بالنبي ﷺ بإدريس قال مرحباً

بالنبى الصالح والأخ الصالح، فقلت من هذا؟ قال هذا إدريس، ثم مررت بموسى فقال مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال هذا موسى، ثم مررت بعيسى فقال مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح، قلت من هذا؟ قال هذا عيسى، ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبى الصالح والابن الصالح، قلت من هذا؟ قال هذا ابراهيم ﷺ. قال ابن شهاب فأخبرنى ابن حزم أن ابن عباس وأباحبة الأنصارى كانا يقولان: قال النبى ﷺ «ثم عرج بى حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال النبى ﷺ «فرض الله على أمتى خمسين صلاة، فرجعت بذلك حتى مررت على موسى فقال مافرض الله لك على أمتك؟ قلت فرض خمسين صلاة، قال فارجع إلى ربك فإن أمتك لاتطيق ذلك، فراجعت فوضع شطرها، فرجعت اليه فقال: ارجع الى ربك فإن أمتك لاتطيق ذلك، فراجعته فقال هى خمس وهى خمسون لايبدل القول لدىّ، فرجعت إلى موسى فقال: راجع ربك، فقلت استحييت من ربى ثم انطلق بى حتى انتهى بى إلى سدرة المنتهى وغشيها ألوان لاأدرى ماهى ثم أدخلت الجنة فاذا فيها جبال اللؤلؤ واذا ترابها المسك. وافقه عليه مسلم رحمه الله تعالى. وله عن مرة عن عبد الله قال لما أسرى برسول الله ﷺ انتهى به إلى سدرة المنتهى وهى فى السماء السادسة اليها ينتهى مايعرج به من الأرض فيقبض منها، واليها ينتهى مايهبط به من فوقها فيقبض منها، قال ﴿ **إذ يغشى السدرة مايغشى** ﴾ قال فراش من ذهب، قال فأعطى رسول الله ﷺ ثلاثاً: أعطى الصلوات الخمس، وأعطى خواتيم سورة البقرة، وغفر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحمات. وله عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لقد رأيتنى فى الحجر وقريش تسألنى عن مسراى، فسألتنى عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها، فكربت كربة ماكربت مثلها قط، قال فرفعه الله لى أنظر إليه: مايسألونى عن شيء إلا أنبأتهم، الحديث. وهذا الذى ذكرنا من حديث أنس وجابر ومالك بن صعصعة وأبى ذر وابن مسعود وأبى هريرة وابن عباس وأبى حبة هى من أصح ماورد وأقواه وأجوده وأسنده وأشهره وأظهره لاتفاق الشيخين على إخراجها، وعن هؤلاء روايات أخرلم نذكرها استغناء عنها بما فى الصحيحين. وفى الباب أحاديث أخرعن جماعة من الصحابة منهم من لم نذكر: عمر بن الخطاب وعلى وأبو سعيد وشداد بن أوس وأبى بن كعب وعبد الرحمن بن قرظ وأبو ليلى وعبد الله بن عمرو وحذيفة وبريدة وأبو أيوب وأبو أمامة وسمرة بن جندب وأبو الحمأ وصهيب الرومى وأم هانىء وعائشة وأسماء ابنتا أبى بكر رضى الله عنهم أجمعين. ثم الذى دلت عليه الآيات والأحاديث أن الإسراء والمعراج كانا يقظة لامناما، ولاينافى ذلك ماذكر فى بعض الروايات فى قوله ﷺ بينا أنا نائم فإن ذلك عند أول ماأتياه ولايدل على أنه استمر

نائما، ولذا كانت رؤيا الأنبياء وحيا، ولكن في سياق الأحاديث من ركوبه ونزوله وربطه وصلاته وصعوده وهبوطه وغير ذلك مايدل على أنه أسرى بروحه وجسده يقظة لامناما، وكذا لاينافي ذلك رواية شريك «فاسيتقظت وأنا بالمسجد الحرام» فان رواية شريك فيها أوهام كثيرة تخالف رواية الجمهور عن أنس في أكثر من عشرة مواضع سردها في الفتح، وسياقه يدل على أنه بالمعنى، وصرح في مواضع كثيرة أنه لم يثبتها، وتصريح الآية ﴿ **سبحان الذى أسرى بعبده** ﴾ شامل للروح والجسد، وكذلك قوله تعالى في سورة النجم ﴿**ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى** ﴾ جعل رؤية النبى ﷺ لجبريل عند سدرة المنتهى مقابلا لرؤيته إياه في الأبطح، وهى رؤية عين حقيقة لامناما. ولو كان الإسراء والمعراج بروحه في المنام لم تكن معجزة ولاكان لتكذيب قريش بها وقولهم كنا نضرب أكباد الإبل إلى البيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً، ومحمد يزعم أنه أسرى به إليه وأصبح فينا، إلى آخر تكذيبهم واستهزائهم به ﷺ، لو كان ذلك رؤيا مناما لم يستبعدوه ولم يكن لردهم عليه معنى، لأن الإنسان قد يرى في منامه ماهو أبعد من بيت المقدس ولايكذبه أحد استبعاداً لرؤياه، وإنما قصّ عليهم رسول الله ﷺ مسرى حقيقة يقظة لا مناما فكذبوه واستهزءوا به استبعاداً لذلك واستعظاما له، مع نوع مكابرة لقلة علمهم بقدرة الله عز وجل وأن الله يفعل مايريد، ولهذا لما قالوا للصديق وأخبروه الخبر قال: إن كان قال ذلك لقد صدق، قالوا وتصدقه بذلك؟ قال نعم، إني لأصدقه فيما هو أبعد من ذلك في خبر السماء يأتيه، يأتيه بكرة وعشيا. أو كما قال.

واختلف السلف الصالح هل رأى نبينا محمد ﷺ ربّه ليلة المعراج؟ فروى ابن خزيمة وغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: أتعجبون أن تكون الخلة لابراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد ﷺ؟ وعن عكرمة قالك سمعت ابن عباس وسئل هل رأى محمد ﷺ ربه؟ قال نعم. فقلت لابن عباس: أليس يقول الله تعالى ﴿ **لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار** ﴾؟ قال لا أم لك، ذلك نوره إذا تجلى بنوره لم يدركه شيء. وروى عنه من طرق لاتحصى كثرة قال:رأى محمد ﷺ ربه. وعنه رآه بقلبه. وفي رواية: رآه بفؤاده مرتين، رواه مسلم وغيره. وله عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ هل رأيت ربك[1]؟ قال: نور أنى أراه؟ وفي رواية قال: رأيت نوراً، قال ابن خزيمة في قوله «نور أنى أراه»: هذا يحتمل معنيين على سعة لسان العرب: أحدهما الإثبات ومعناه أنى أراه، أو كيف أراه فهو نور، أو فإن ما أرى نور. ويؤيد هذا رواية «رأيت نوراً» المعنى الثانى النفى قال: والعرب قد تقول «أنى» على معنى النفى كقوله عز وجل ﴿ **قالوا أنى يكون له الملك علينا** ﴾، الآية، يريدون كيف يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه، ثم روى عن أبي ذر قال: رآه بقلبه ولم

(١) رواه مسلم .

يره بعينه، وله عن عباد بن منصور قال: سألت الحسن فقلت ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ مس ذا يا أبا سعيد؟ قال ربى. وله عن المبارك بن فضالة قال: كان الحسن يحلف بالله لقد رأى محمد ﷺ ربه. وله عن كعب قال: إن الله قسم رؤيته وكلامه بين موسى ومحمد صلوات الله عليهما فرآه محمد مرتين وكلم موسى مرتين. وروى ابن أبي حاتم عن عباد بن منصور قال: سألت عكرمة عن قوله ﴿ ماكذب الفؤاد مارأى ﴾ فقال عكرمة تريد أن أخبرك أنه قد رآه؟ قلت نعم. قال قد رآه، ثم قد رآه. وروى ابن جرير عن محمد بن كعب عن بعض أصحاب النبي ﷺ قال: قلنا يارسول الله هل رأيت ربك؟ قال «لم أره بعيني، ورأيته بفؤادي مرتين» ثم تلا ﴿ ثم دنا فتدلى ﴾ وقال البغوى: وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه، وهو أنس والحسن وعكرمة قالوا: رأى محمد ربه. قال ابن كثير: وقول البغوى فيه نظر. وروى البخارى ومسلم عن مسروق قال: قلت لعائشة رضى الله عنها يا أمتاه هل رأى محمد ﷺ ربه؟ فقالت: لقد قفّ شعرى مما قلت، أين أنت من «ثلاث من حدثكهن فقد كذب: من حدثك أن محمدا ﷺ رأى ربه فقد كذب- ثم قرأت ﴿ لاتدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾، ﴿ وماكان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾ - ومن حدثك أنه يعلم مافى غد فقد كذب - ثم قرأت ﴿ وماتدرى نفس ماذا تكسب غداً ﴾ ومن حدثك أنه كتم فقد كذب - ثم قرأت ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ﴾ الآية - ولكنه رأى جبريل عليه السلام فى صورته مرتين» هذا لفظ البخارى، ولفظ مسلم عن مسروق قال: كنت متكئاً عند عائشة رضى الله عنها فقالت «يا أبا عائش ثلاث من تكلم بواحدة منهن فقد أعظم على الله الفرية، قلت: ماهنّ؟ قالت: من زعم أن محمداً ﷺ رأى ربّه فقد أعظم على الله الفرية. قال: وكنت متكئاً فجلست فقلت: يا أم المؤمنين أنظرينى ولاتعجلينى، ألم يقل الله عز وجل ﴿ ولقد رآه بالأفق المبين ﴾ ، ﴿ ولقد رآه نزلة آخرى ﴾ فقالت: أنا أول هذه الأمّة سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: إنما هو جبريل لم أرَه على صورته التى خلق عليها غير هاتين المرتين، منهبطاً من السماء ساداً أعظم خلقه مابين السماء إلى الأرض. فقالت أو لم تسمع أن الله يقول ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾ أولم تسمع أن الله يقول ﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى بإذنه مايشاء إنه علىّ حكيم ﴾ قالت: ومن زعم أن رسول الله ﷺ كتم شيئاً من كتاب الله فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته ﴾ قالت ومن زعم أنه يخبر بما يكون فى غد فقد أعظم على الله الفرية والله يقول ﴿ قل لايعلم ما فى السموات والأرض الغيب إلا الله ﴾ وزاد فى رواية - قالت:

ولو كان محمد ﷺ كاتماً شيئاً مما أنزل إليه لكتم هذه الآية ﴿ **وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفى فى نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحقُّ أن تخشاه** ﴾ وعن أبي هريرة وابن مسعود في آية النجم مثل قول عائشة، قال أبو بكر بن خزيمة رحمه الله في قول عائشة رضى الله عنها «**فقد أعظم على الله الفرية**» قال: هذه لفظة أحسب عائشة تكلمت بها فى وقت غضب كانت لفظة أحسن منها يكون فيها درك لبغيتها، كان أجمل بها، ليس يحسن فى اللفظ أن يقول قائل أو قائلة قد أعظم ابن عباس الفرية وأبو ذر وأنس بن مالك وجماعات من الناس الفرية على ربهم، ولكن قد يتكلم المرء عند الغضب باللفظة التى يكون غيرها أحسن وأجمل منها، أكثر مافى هذا أن عائشة رضى الله عنها وأبا ذر وابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك رضى الله عنه قد اختلفوا: هل رأى النبى ﷺ ربَّه؟ فقالت عائشة رضى الله عنها: لم يرَ النبى ﷺ ربه، وقال أبو ذرو ابن عباس رضى الله عنهما قد رأى النبى ﷺ ربه، وقد أعلمت فى مواضع من كتبنا أن النفى لايوجب علماً والإثبات هو الذى يوجب العلم، لم تحك عائشة عن النبى ﷺ أنه خبرها أنه لم ير ربه عز وجل، وإنما تلت قوله عز وجل ﴿**لاتدركه الأبصار** ﴾ وقوله ﴿ **ما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا** ﴾ ومن تدبر هاتين الآيتين ووفق لإدراك الصواب علم أنه ليس فى واحدة من الآيتين مايستحق من قال إن محمداً رأى ربه الرمى بالفرية على الله، كيف بأن يقول قد أعظم الفرية على الله – ثم قال رحمه تعالى: فقد ثبت عن ابن عباس إثباته أن النبى ﷺ قد رأى ربه، وبيقين يعلم كل عالم أن هذا ليس من الجنس الذى يدرك بالعقول والآراء والجنان والظنون، ولايدرك مثل هذا العلم إلا من طريق النبوة إما بكتاب أو بقول نبى مصطفى، ولا أظن أحداً من أهل العلم يتوهم أن ابن عباس قال رأى النبى ﷺ ربه برأى ولا ظن لا و لا أبو ذر ولا أنس بن مالك، نقول كما قال معمر بن راشد لما ذكر اختلاف عائشة رضى الله عنها وابن عباس فى هذه المسألة: ما عائشة عندنا أعلم من ابن عباس، نقول عائشة الصديقة بنت الصديق حبيبة حبيب الله عالمة فقيهة، كذلك ابن عباس رضى الله عنهما ابن عم النبى ﷺ قد دعا النبى ﷺ له أن يرزق الحكمة والعلم. وهذا المعنى من الدعاء وهو المسمى ترجمان القرآن، وقد كان الفاروق رضى عنه يسأله عن معانى القرآن فيقبل منه وإن خالفه غيره ممن هو أكبر سناً من هو أقدم صحبة للنبى ﷺ وإذا اختلفا فمحال أن يقال قد أعظم ابن عباس الفرية على الله لأنه قد أثبت شيئاً نفته عائشة رضى الله عنها، والعلماء لايطلقون هذه اللفظة، وإن غلط بعض العلماء فى معنى الآية من كتاب الله عز وجل أو خالف سنة أو سننا من سنن النبى ﷺ لم تبلغ المرء تلك السنن، فكيف يجوز أن يقال أعظم الفرية على الله من أثبت شيئا لم ينفه كتاب ولاسنة، فتفهموا

هذا لاتغالطوا. ثم قال رحمه الله تعالى: وقد كنت قديما أقول إن عائشة حكت عن النبى ﷺ ماكانت تعتقد فى هذه المسألة أن النبى ﷺ لم يرَ ربه جل وعلا وأن النبى ﷺ اعلمها ذلك وذكر ابن عباس رضى الله عنهما وأنس بن مالك وأبو ذر رضى الله عنهم عن النبى ﷺ أنه رأى ربه لعلم كل عالم يفهم هذه الصناعة أن الواجب من طريق العلم والفقه قبول قول من روى عن النبى ﷺ أنه رأى ربه إذ جائز أن تكون عائشة رضى الله عنها سمعت النبى ﷺ يقول لمْ أرَ ربى قبل أن يرى ربه عز وجل، ثم يسمع غيرها أن النبى ﷺ يخبر أنه قد رأى ربه بعد رؤيته ربه، فيكون الواجب من طريق العلم قبول خبر من أخبر أن النبى ﷺ رأى ربه. انتهى كلامه رحمه الله .

حديث الهجرة

﴿ وبعد أعوام ثلاثة مضت   من بعد معراج النبى وانقضت ﴾
﴿ أوذن بالهجرة نحو يثربا   مع كل مسلم له قد صحبا ﴾

(وبعد أعوام ثلاثة) وقيل خمسة، وقيل أقل من ذلك وقيل أكثر، وهذا الذى فى المتن هو اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى فى الثلاثة الأصول، وله فيه سلف، وليست مسألة التاريخ اعتقادية فى هذا الباب، والإسراء والمعراج ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة فلا تأثير لاختلاف أهل السير فى تاريخه وتعيين سنته ووقته، غير أن الراجح فيه كونه بين عاشر البعثة وبين هجرته ﷺ إلى المدينة، وعلى قولِ من يقول إن خديجة رضى الله عنها أدركت فريضة الصلوات فالمعراج فى سنة عشر أو قبلها واللهأعلم، لأنها توفيت هي وأبو طالب فى ذلك العام.

(أوذنَ بالهجرة) أمره الله عز وجل بها (نحو يثرب) وهى المدينة المنورة (مع كل مسلم) فى ذاك الزمن (له قد صحبا) على الإسلام، وكانت هجرة النبى ﷺ بعد ثلاث عشرة سنة من البعثة وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. قال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مطر بن الفضل حدثنا روح بن عبادة حدثنا هشام حدثنا عكرمة عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: بعث رسول اللهﷺ لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمرَ بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين. وقال البغوى رحمه الله تعالى فى تفسير قول الله عز وجل ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون ويمكر خير الله والله خير الماكرين** ﴾: وهذه الآية معطوفة على قوله ﴿ **واذكروا إذ أنتم قليل** ﴾ واذكر ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ ﴿ **وإذ قالوا اللهم** ﴾ وأن هذه السورة مدنية وهذا المكر والقول إنما كان بمكة، ولكن الله ذكرهم بالمدينة كقوله

تعالى ﴿ **إلا تنصروه فقد نصره الله** ﴾ وكان هذا المكر على ماذكره ابن عباس وغيره من أهل التفسير أن قريشاً فرقوا لما أسلمت الأنصار أن يتفاقم أمر رسول الله ﷺ ، فاجتمع نفر من كبارهم في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله ﷺ، وكانت رءوسهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة وأبو جهل بن هشام وأبو سفيان والمطعم بن عدى وشيبة بن ربيعة والنضر بن الحارث وأبو البخترى بن هشام وزمعة بن الأسود وحكيم بن حزام ونبيه ومنبه بن الحجاج وأمية بن خلف، فاعترضهم إبليس لعنة الله في صورة شيخ، فلما رأوه قالوا من أنت؟ قال شيخ من نجد سمعت باجتماعكم فأردت أن أحضركم ولن تعدموا منى رأياً ونصحاً، قالوا ادخل، فدخل. فقال أبو البخترى: أما أنا فأرى أن تأخذوا محمداً وتحبسوه في بيت وتشدوا وثاقه، وتسدوا باب البيت، غير كوة تلقون إليه طعامه وشرابه وتتربصوا به ريب المنون حتى يهلك فيه كما هلك من قبله من الشعراء قال فصرخ عدو الله الشيخ النجدى وقال: بئس الرأى رأيتم، والله لئن حبستموه في بيت فخرج أمره من وراء الباب الذى أغلقتم دونه إلى أصحابه فيوشك أن يثبوا عليكم ويقاتلوكم ويأخذوه من أيديكم. قالوا صدق الشيخ النجدى. فقال هشام بن عمرو من بنى عامر بن لؤىّ أما أنا فأرى أن تحملوه على بعير وتخرجوه من بين أظهركم فلا يضركم ماصنع وإلى أين وقع إذا غاب عنكم واسترحتم منه. فقال إبليس لعنه الله: ماهذا لكم برأى تعتمدونه، تعمدون إلى رجل قد أفسد أحلامكم فتخرجونه إلى غيركم فيفسدهم، ألم تروا إلى حلاوة منطقه وحلاوة لسانه وأخذ القلوب بما تسمع من حديثه، والله لئن فعلتم ذلك ليذهبن وليستميلن قلوب قوم ثم يسير بهم إليكم فيخرجكم من بلادكم. قالوا صدق الشيخ النجدى. فقال أبو جهل: والله لأشيرن عليكم برأى ما أرى غيره، إنى أرى أن تأخذوا من كل بطن من قريش شاباً نسيباً وسيطاً فتياً ثم يعطى كل فتى منهم سيفا صارماً ثم يضربونه ضربة رجل واحد، فإذا قتلوه تفرّق دمه في القبائل كلها، ولا أظن هذا الحى من بنى هاشم يقوون على حرب قريش كلها، وإنهم إذا رأوا ذلك قبلوا العقل فتؤدى قريش ديته. فقال إبليس لعنه الله: صدق هذا الفتى وهو أجودكم رأيا، القول ماقال لا أرى رأياً غيره. فتفرقوا على قول أبى جهل وهم مجمعون له، فأتى جبريل النبى ﷺ وأخبره بذلك، وأمره أن لايبيت في مضجعه الذى يبيت فيه، فأذن الله له عند ذلك بالخروج إلى المدينة، فأمرَ رسول الله ﷺ على بن أبى طالب أن ينام في مضجعه وقال له «اتشح ببردتى هذه فإنه لن يخلص إليك منهم أمر تكرهه. ثم خرج النبى ﷺ فأخذ قبضة من تراب فأخذ الله أبصارهم عنه، فجعل ينثر التراب على رءوسهم وهو يقرأ ﴿ **إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا** ﴾ إلى قوله ﴿ **فهم لايبصرون** ﴾ ومضى إلى غار ثور هو وأبو بكر، وخلف علياً بمكة حتى يؤدى عنه الودائع التى كانت عنده، وكانت الودائع تودع عنده ﷺ

لصدقة وأمانته، وبات المشركون يحرسون عليا في فراش رسول الله ﷺ يحسبون أنه النبي ﷺ فلما أصبحوا ساروا إليه فرأوا علياً رضى الله عنه فقالوا أين صاحبك؟ قال لا أدرى، فاقتصوا أثرَه وأرسلوا في طلبه، فلما بلغوا الغار رأوا على بابه نسج العنكبوت فقالوا لو دخله لمَ يكن نسج العنكبوت على بابه فمكث فيه ثلاثاً ثم قدم المدينة، فذلك قوله تعالى ﴿ **وإذ يمكر بك الذين كفروا** ﴾ وبسط حديث الهجرة ما ساقه البخارى رحمه الله تعالى قال: حدثنا يحيى بن بكير قال حدثنا الليث عن عقيل قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير رضى الله عنه أن عائشة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ قالت «لم أعقل أبوىَّ قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله ﷺ طرَفى النهار بكرة وعشية.فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً نحو أرض الحبشة حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدغنة وهُو سيد القارة فقال: أين ترى يا أبا بكر؟ فقال أبو بكر: أخرجنى قومِي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربى. قال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لايخرج ولايخرج، إنك تكسب المعدوم وتصل الرحم وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، ارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابنِ الدغنة، فطاف ابن الدغنة عشية في أشراف قريش فقال لهم: إن أبا بكر لايَخرج مثله ولايُخرج، تخرجون رجلا يكسب المعدوم ويصل الرحم ويحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق. فلم تكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبا بكر فليعبد ربه في داره، فليصل فيها وليقرأ ماشاء، ولايؤذينا بذلك ولا يستعلن به، فإنا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فلبث أبو بكر بمكة يعبد ربه في داره ولايستعلن بصلاته ولايقرأ في غير داره. ثم بدا لأبى بكر فابتنى مسجداً بفناء داره وكان يصلى فيه ويقرأ القرآن، فينقذف عليه نساء المشركين وأبناؤهم وهم يعجبون منه وينظرون إليه، وكان أبو بكر رجلا بكاء لايملك عينيه إذا قرأ، وأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين فأرسلوا إلى ابن الدغنة فقدم عليهم فقالوا: إنا كنا أجرنا أبا بكر بجوارك على أن يعبد ربّه في داره، فقد جاوز ذلك فابتنى مسجدا بفناء داره فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا فانهه فإن أحب ان يقتصر على ان يعبد ربه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك فسله ان يرد إليك ذمتك، فإنا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فاما أن تقتصر على ذلك وإما أن ترجع إلىَّ ذمتى فإنى لا أحب ان تسمع العرب انى اخفرت رجلا عقدت له. فقال أبو بكر فأنا ارد إليك جوارك وارضى بجوار الله عز وجل – والنبى ﷺ يومئذ بمكة – فقال النبى ﷺ للمسلمين «إنى رأيت دار هجرتكم ذات نخل بين لابَتين» وهما الحرتان،

مهاجر من هاجر قبل المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة وتجهز ابو بكر قبل المدينة، فقال له رسول الله ﷺ «على رسلك، فإني أرجو ان يؤذن لي» فقال ابو بكر: وهل ترجو ذلك بأبي انت؟ قال نعم فحبس ابو بكر نفسه على رسول الله ﷺ ليصحبه، وعلف راحلتين كانتا عنده ورق السمر وهو الخبط اربعة اشهر، قال ابن شهاب قال عروة قالت عائشة رضي الله عنها: فبينما نحن في يوم جلوس في بيت ابي بكر في نحر الظهيرة قال قائل لأبي بكر: هذا رسول الله متقنعاً في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال ابو بكر : فدى له ابي وامي، والله ماجاء به في هذه الساعة إلا امر. قالت: فجاء رسول الله ﷺ فاستأذن فأذن له فدخل، فقال النبي ﷺ لأبي بكر: اخرج مَن عندك، فقال ابو بكر: إ نما هم اهلك بَأبي انت يارسول الله، قال فأني قد أُذن لي في الخروج فقال ابو بكر: الصحبة بأبي انت وامي يارسول الله قال رسول الله ﷺ نعمَ، قال ابو بكر : فخذ بأبي انت يارسول الله إحدى راحلتي هاتين: قال رسول الله ﷺ بالثمن. قالت عائشة: فجهزناهما احث الجهاز. وصنعنا لهما سفرة في جراب، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطته على فم الجراب فبذلك سميت ذاتَ النطاق. قالت: ثم لحق رسول الله ﷺ وابو بكر بغار في جبل ثور فكمنا فيه ثلاث ليالٍ يبيت عندهما عبد الله بن ابي بكر وهو غلام شاب ثقف لقن، فيدلج من عندهما بسحر فيصبح مع قريش بمكة كبائت فلا يسمع امراً يكادان به إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام. ويرعى عليهما عامر بن فهيرة مولى أبي بكر منحة من غنم فيريحها عليهم حين تذهب ساعة من العشاء فيبيتان في رِسل، وهو لبن منحتهما ورضيفهما حتى ينعق بهما عامر بن فهيرة بغلس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث. واستأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر رجلا من بني الديل وهو من بني عبد بن عدى هادياً خرِّيتاً، والخريت الماهر بالهداية، قد غمس حلفاً في آل العاص بن وائل السهمي وهو على دين كفار قريش، فأمناه فدفعا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليال براحلتيهما صبح ثلاث، وانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل فأخذ بهم طريق الساحل. قال ابن شهاب: واخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي – وهو ابن اخي سراقة بن جعشم يقول: جاءنا رسل كفار قريش يجعلون في رسول الله ﷺ وابي بكر دية كل واحد منهما من قتله او اسره، فبينما انا جالس في مجلس من مجالس قومي بني مدلج اقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جلوس فقال: ياسراقة إني قد رأيت آنفا اسودة بالساحل اراها محمداً واصحابه. قال سراقة فعرفت انهم هم فقلت له: إنهم ليسوا هم، ولكنك رأيت فُلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا يبتغون ضالة لهم. ثم لبثت في المجلس ساعة ثم قمت فدخلت فأمرت جارتي ان تخرج بفرسي وهي من وراء أكمة فتحبسها علي، واخذت

رمحى فخرجت به من ظهر البيت فخططت بزجه الأرض وخفضت عاليه حتى أُتيت فرسى فركبتها فرفعتها تقرب بى حتى دنوت منهم، فعثرت بى فرسى فخررت عنها، فقمت فأهويت يدى إلى كنانتى فاستخرجت منها الأزلام فاستقسمت بها: أضرهم؟ ام لا؟ فخرج الذى اكره، فركبت فرسى وعصيت الأزلام تقرب بى، حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لايلتفت وابو بكر يكثر الالتفات ساخت يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عنان ساطع فى السماء مثل الدخان، فاستقسمت بالأزلام فخرج الذى اكره، فناديتهم بالأمان فوقفوا، فركبت فرسى حتى جئتهم، ووقع فى نفسى حين لقيت مالقيت من الحبس عنهم ان سيظهر امر رسول الله ﷺ ، فقلت له: إن قومك قد جعلوا فيك الدية، واخبرتهم اخبار مايريد الناس بهم، وعرضت عليهم الزاد والمتاع، فلم يرزآنى ولم يسألانى إلا ان قال: اخف عنا، فسألته ان يكتب لى كتاب امن فأمر عامر بن فهيرة فكتب فى رقعة من اديم. ثم مضى رسول الله ﷺ قال ابن شهاب فأخبرنى عروة بن الزبير ان رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجاراً قافلين من الشام، فكسا الزبير رسول الله ﷺ وابا بكر ثياباً بيضا. وسمع المسلمون بالمدينة بمخرج رسول الله ﷺ من مكة فكانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه حتى يردهم حر الظهيرة، فانقلبوا يوماً بعدما اطالوا انتظاره فلما اووا إلى بيوتهم أوفى رجل من يهود على اطم من آطامهم لأمر ينظر إليه، فبصر برسول الله ﷺ واصحابه مبيضين يزول بهم السراب، فلم يملك اليهودى ان قال بأعلى صوته: يامعشر العرب، هذا جدكم الذى تنتظرون. فثار المسلمون إلى السلاح فتلقوا رسول الله ﷺ بظهر الحرة، فعدل بهم ذات اليمين حتى نزل بهم فى بنى عمرو بن عوف، وذلك يوم الأثنين من شهر ربيع الأول، فقام ابو بكر للناس وجلس رسول الله ﷺ صامتاً، فطفق من جاء من الأنصار ممن لم ير رسول الله ﷺ يحيي أبا بكر حتى اصابت الشمس رسول الله ﷺ ، فأقبل ابوبكر حتى ظلل عليه بردائه، فعرف الناس رسول الله عند ذلك ، فلبث رسول الله ﷺ فى بنى عمرو بن عوف بضع عشرة ليلة، وأسس المسجد الذى أسس على التقوى، وصلى فيه رسول الله ﷺ، ثم ركب راحلته فسار يمشى معه الناس حتى بركت عند مسجد النبى ﷺ بالمدينة وهو يصلى فيه يومئذ رجال من المسلمين، وكان مربداً للتمر لسهل وسهيل غلامين يتيمين فى حجر أسعد بن زرارة، فقال رسول الله ﷺ حين بركت به راحلته: هذا إن شاء الله المنزل. ثم دعا رسول الله ﷺ الغلامين فساومهما بالمربد ليتخذه مسجداً، فقالا: لا بل نَهبهُ لك يارسول الله، فأبى رسول الله ﷺ ان يقبله منهما هبة حتى ابتاعه منهما، ثم بناه مسجداً وطفق رسول الله ﷺ ينقل معهم اللبن فى بنيانه، ويقول وهو

ينقل اللبن:

هذا الحمال لاحمال خيبر هــــذا ابرّ ربنـــا وأطهـــــر

ويقول:

اللهم إن الأجر اجر الآخره فارحم الأنصار والمهاجره

فتمثل بشعر رجل من المسلمين لم يسم لى، قال ابن شهاب: ولم يبلغنا فى الأحاديث ان رسول اللهﷺ تمثل ببيت شعر تام إلا هذا البيت.

وهذا الكلام كماترى ليس من باب الشعر، ولاهو فى شيء من بحوره واوزانه، وإنما هو كلام منتثر اتفقت تقفيته لا عن قصد كما يقع كثيراً.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنى محمد حدثنا عبد الصمد حدثنا ابى حدثنا عبد العزيز ابن صهيب حدثنا انس بن مالك رضى الله عنه قال: اقبل نبى اللهﷺ إلى المدينة وهو مردف ابا بكر، وابو بكر شيخ يعرف ونبى اللهﷺ شاب لايعرف، قال فيلقى، الرجل ابا بكر فيقول: يا ابا بكر من هذا الرجل الذى بين يديك؟ فيقول: هذا الرجل يهدينى السبيل. قال فيحسب الحاسب أنه إنما يعنى الطريق، وإنما يعنى سبيل الخير. فالتفت أبو بكر فإذا هو بفارس قد لحقهم فقال: يارسول الله هذا فارس قد لحق بنا، فالتفت نبى اللهﷺ فقال «اللهم اصرعه» فصرعه الفرس، ثم قامت تحمحم، فقال : يانبى الله مرنى بما شئت. قال : فقف مكانك لاتتركن أحداً يلحق بنا. قال: فكان أول النهار جاهداً على نبى اللهﷺ وكان آخر النهار مسلحة له، فنزل رسول اللهﷺ جانب الحرة، ثم بعث إلى الأنصار فجاءوا إلى نبى اللهﷺ وأبى بكرفسلموا عليهما وقالوا: اركبا آمنين مطاعين، فركب نبى اللهﷺ وأبو بكر وحفوا بهما بالسلاح، فقيل فى المدينة: جاء نبى الله ، جاء نبى اللهﷺ فأشرفوا ينظرون ويقولون: جاء نبى الله جاء نبى اللهﷺ فأقبل يسير حتى نزل دار أبى أيوب فإنه ليحرث أهله إذ سمع به عبد الله بن سلام وهوفى نخل لأهله يخترف لهم، فعجل أن يضع الذى يخترف لهم فيها فجاء وهى معه فتسمع من نبى اللهﷺ ثم رجع إلى اهله، فقال نبى اللهﷺ : أى بيوت أهلنا أقرب؟ فقال أبو أيوب أنا يانبى الله صلى الله عليك وسلم، هذه دارى وهذا بابى، قال: فانطلق فهيىء لنا مقيلا .قال قوما على بركة الله تعالى. فلما جاء نبى اللهﷺ جاء عبد الله بن سلام فقال: أشهد انك رسول الله وانك جئت بحق، وقد علمت يهود أنى سيدهم وابن سيدهم، وأعلمهم وابن أعلمهم فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا أنى قد اسلمت فإنهم إن يعلموا أنى قد أسلمت قالوا فىَّ ماليس فى. فأرسل نبىالله ﷺفأقبلوا فدخلوا عليه فقال لهم رسول الله ﷺ: يامعشر اليهود، ويلكم اتقوا، فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقاً وأنى جئتكم بحق، فأسلموا. قالوا: ما نعلمه. قالوا للنبى ﷺ

قالها ثلاث مرار. قال فأى رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ قالوا ذاك سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعملنا. قال أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ، ماكان ليسلم. قال: أفرأيتم إن أسلم؟ قالوا: حاشا لله ماكان ليسلم. قال: أفرأيتم ان أسلم؟ قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: يا بن سلام اخرج إليهم. فخرج فقال يامعشر اليهود اتقوا الله ، فو الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله وأنه جاء بحق، فقالوا كذبت، فأخرجهم رسول الله ﷺ.

وقال رحمه الله تعالى: حدثنا أحمد بن عثمان حدثنا شريح بن مسلمة حدثنا إبراهيم بن يوسف عن أبيه عن ابى اسحاق قال سمعت البراء يحدث قال: ابتاع ابو بكر من عازب رحلا فحملته معه، قال فسأله عازب عن مسير رسول الله ﷺ، قال أخذ علينا بالرصد فخرجنا ليلا فأحثثنا ليلتنا ويومنا حتى قام قائم الظهيرة، ثم رفعت لنا صخرة أتيناها ولها شيء من ظل، قال ففرشت لرسول الله ﷺ فروة معي ثم اضطجع عليها النبى ﷺ فانطلقت أنفض ماحوله فإذا انا براع قد أقبل فى غنمه يريد من الصخرة مثل الذى أردنا، فسألته لمن انت؟ ياغلام؟ فقال أنا لفلان، فقلت هل فى غنمك من لبن؟ قال نعم. قلت له هل انت حالب؟ قال نعم. قال فأخذ شاة من غنمه فقلت له انفض الضرع قال فحلب كثبة من لبن ومعي إداوة من ماء عليها خرقة قد روأتها لرسول الله ﷺ، فصببت على اللبن حتى برد اسفله ثم أتيت به النبى ﷺ فقلت اشرب يارسول الله ، فشرب رسول الله حتى رضيت. ثم ارتحلنا والطلب فى أثرنا. قال البراء فدخلت مع أبى بكر على أهله فإذا عائشة ابنته مضطجعة قد اصابتها حمى فرأيت أباها أقبل وقال: كيف أنت يابنية؟ وقال حدثنا محمد بن بشار حدثنا غندر حدثنا شعبة عن أبى إسحق قال سمعت البراء بن عازب رضى الله عنهما قال: أول ماقدم علينا مصعب بن عمير وابن أم مكتوم وكانا يقرئان الناس، فقدم بلال وسعد وعمار بن ياسر، ثم قدم عمر بن الخطاب فى عشرين من أصحاب النبى ﷺ ثم قدم النبى ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم برسول الله حتى جعل الإماء يقلن: قدم رسول الله ﷺ ، فما قدم حتى قرأت ﴿ **سبح اسم ربك الأعلى** ﴾ فى سور من المفصل.

الاذن بالقتـــال

﴿ وبعـــدها كلف بالقـــتـــال   لشـيـعـة الكفـــران والضـــلال ﴾

﴿ حـــتى أتوا للدين منقـــادينا   ودخلوا فى السلم مـــــذعنينا ﴾

(وبعدها) أى بعد الهجرة (كلف) أى أمر (بالقتال) فى سبيل الله عز وجل (لشيعة) أعوان (الكفر) بالله وما أرسل الله به رسله ونزّل به كتبه (والضلال) عن صراطه المستقيم.

وكان الجهاد بمكة بإقامة الحجة والبيان بما يتلوه عليهم من القرآن من حين أنزل عليه ﷺ ﴿ يا أيها المدثر قم فأنذر ﴾ الآيات، وهى أول مانزل بعد فترة الوحى، وبينها وبين نزول الآيات من صدر سورة الفلق ثلاث سنين فيما ذكر ابن اسحاق رحمه الله، وذلك مدة الفترة، وسمى الله تعالى تلاوة القرآن على المشركين جهاداً لهم، فقال تعالى لنبيه ﷺ ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفوراً. ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيراً، فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾ . وأما الجهاد المحسوس بالسيف فلم يكن بمكة مأموراً إلا بالعفو أو الإعراض عن الجاهلين والصبر على أذاهم واحتمال مايلقى منهم كقوله تعالى ﴿ خذ العفو، وأمر بالعرف، وأعرض عن الجاهلين ﴾ الآيات وقوله ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين ﴾ الآيات وغيرها. ولهذا قال أئمة التفسير إن آيات الإعراض عن المشركين نسختها آيات السيف، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وصارت لهم دار منعة وإخوان صدق وأنصار حق، أُذن الله تعالى لهم فى الجهاد فقال عز وجل ﴿ أذن للذين يقاتَلون بأنهم ظُلموا وان الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيَع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً، ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله قوى عزيز، الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، ولله عاقبة الأمور ﴾، وقال تعالى ﴿ وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولاتعتدوا إن الله لايحب المعتدين، واقتلوهم حيث ثقفتوهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل، ولاتقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه، فإن قاتلوكم فاقتلوهم،كذلك جزاء الكافرين، فإن انتهوا فإن ا غفور رحيم. وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فضربَ الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فَشدوا الوثاق فإما مناً بعد وإما فداء حتى تضع الحرب أوزارها، ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلوَ بعضكم ببعض ﴾ الآيات. وقال تعالى ﴿ قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ماقد سلف، وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين. وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله، فإن انتهوا فان الله بما يعلمون بصير.وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم المصير ﴾، وقال تعالى ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيَقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقاً فى التوراة والإنجيل والقرآن، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به، وذلك هو الفوز العظيم. التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون

الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين ﴾، وقال تعالى ﴿ إن الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ – إلى أن قال عز وجل: ﴿ يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم.تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل‌الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون. يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة في جنات عدن ذلك الفوز العظيم. وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب، وبشر المؤمنين. يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله ﴾ الآية وقال النبيﷺ «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لاإله إلا الله»(١) الحديث، وقال ﷺ «بعثت بالسيف بين يدى الساعة حتى يعبدوا الله وحده لاشريك له بأن يقولوا لا إله إلا الله»، أو كما قال، وقال ﷺ «اغزوا باسم اللهفى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله»، الحديث، والآيات والأحاديث في الجهاد أكثر من أن تحصى، وقد أفردت لها مصنفات مستقلات. والجهاد ذروة سنام الإسلام، ولايقوم إلا به، كما أن بيان شرائعه لاتقوم إلا بالكتاب، ولهذا قرن اللهتعالى بينهما فقال ﴿ لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ﴾ فالكتاب لبيان الحق والهداية إليه، والحديد لحمل الناس على الحق وأطرهم عليه.

والمقصود أن النبى ﷺ حين أذن الله له بالقتال وأمره به، شمر عن ساعد الاجتهاد في شأنه وكان بينه وبين المشركين ماكان من الوقائع المشهورة والغزوات المذكورة كبدر وأحد والخندق وخيبر والفتح وغيرها فوق عشرين غزوة وفوق أربعين سرية، ونصره الله بالرعب في قلوب أعدائه مسافة شهر، حتى فتح الله به وبكتابه وأنصاره البلاد والقلوب وعمرها، وعمرالبلاد بالعدل والقلوب بالعلم، فلله الحمد والمنة. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: بعث النبى ﷺ بأربعة أسياف: سيف للمشركين ﴿ واقتلوا المشركين حيث ثقفتوهم﴾ ، وسيف للمنافقين ﴿ يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم﴾، وسيف لأهل الكتاب ﴿ قاتلوا الذين لايؤمنون بالله واليوم الآخر ولايحرّمون ماحرم الله ورسوله ولايدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون ﴾. وسيف للبغاة ﴿ وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله ﴾ وقد بذل المهاجرون والأنصار مع رسول اللهﷺ أموالهم وأنفسهم في سبيل الله كما وصفهم الله تبارك وتعالى ﴿إنما المؤمنونَ الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون ﴾ وبذل المشركون جهدهم ومجهودهم في عداوته وقتاله

---

(١) رواه الشيخان .

وألبوا وتحزبوا كما قال الله تعالى ﴿ **إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدُّوا عن سبيل الله فَسينفقُونها ثم تكون عليهم حسرة ثـم يغلـبون** ﴾ الآيات. وقـال تعـالى ﴿ **يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كـره الكافـرون. هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** ﴾ فقد فعل تبارك وتعالى .

(حتى أتوا للدّين) دين الإسلام، (منقادينا) الألف للإطلاق طوعاً وكرهاً، (ودخلوا فى السلم) أى الإسلام (مذعنينا) مستسلمين. وكان معظم ظهوره بعد الفتح لأن الناس كانوا ينتظرون بإسلامهم قريشاً لأنهم فى الجاهلية هم سادة العرب وقادتها، وكذلك هم فى الإسلام، فلما أسلموا بادر كل قوم بإسلامهم، وتواترت الوفود إلى رسول الله ﷺ من كل فج عميق، وانتشر الإسلام وجرت أحكامه، وانتشرت أعلامه فى كل جزيرة العرب والنبى ﷺ حيّ، وأنزل الله عز وجل عليه ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ ولهذا علم هو أصحابه أن ذلك أجله، أعلمه الله به، كما قال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا موسى بن اسماعيل حدثنا أبو عوانة عن أبى بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: كان عمر يدخلنى مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد فى نفسه فقال: لم تدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر: إنه من حيث علمتم. فدعاه ذات يوم فأدخله فما رأيت أنه دعانى يومئذ إلا ليريهم. قال ماتقولون فى قول الله تعالى ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح**﴾ فقال بعضهم : أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا. وسكت بعضهم فلم يقل شيئاً. فقال لى: أكذاك تقول يا ابن عباس؟ فقلت: لا. قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له قال ﴿ **إذا جاء نصر الله والفتح** ﴾ وذلك علامة أجلك ﴿ **فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً** ﴾ فقال عمر: ما أعلم منها إلا ماتقول. وفرض الله عليه بعد الهجرة جميع الفرائض التى لم تفرض من قبل، فالجهاد فى السنة الأولى، وأتمت صلاة السفر فى الأولى، وشرع الأذان والصيام وزكاة الفطر وزكاة النصب وتحويل القبلة إلى الكعبة كلها فى الثانية، وشرع التيمم سنة ست، وصلاة الخوف سنة سبع، والحج فى السادسة وقيل فى التاسعة وقيل فى العاشرة وفيها حج ﷺ، وأنزل الله عز وجل وهو واقف بعرفة يوم الجمعة ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً**﴾ كما قدمنا الحديث فى الصحيحين.

وفاتـه صلـوات الله وسلامـه عليـه

﴿ وبعـــد أن قـــد بلغ الرســـاله   واســتنقــذ الخلق من الجــهـــاله ﴾
﴿ وأكـــمـل الله له الإســلامـــا   وقـــام دين الحق واســتــقـــامـــا ﴾
﴿ قـــبـــضـــه العلى الأعلى   ســبــحـــانه إلى الرفـيق الأعلى ﴾

(وبعد أن قد بلغ) الرسول محمد ﷺ (الرسالة) من القرآن وبيانه أمرا ونهياً وخبراً ووعداً ووعيداً وقصصاً (واستنقذ الخلق) حتى أنقذهم اللهبه (من الجهالة) من الشرك ومادونه (وأكمل الله له الاسلاما) بجمع شرائعه ظاهرها وباطنها، (وقام) ظهر (دين الحق) الذى بعثه الله ليظهره على الدين كله (واستقاما) اعتدل فلم يبق عليه غبار ولا عنه معدل، وذهبت عنه غياهب الشرك وظلم الغى وطخاية الشبهاتِ، وجاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ﴿ **وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا** ﴾ ، ﴿ **قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد** ﴾، وتبين الرشد من الغى والشرك من التوحيد والصدق من النفاق واليقين من الشك وسبيل النجاة من سبل الشك وطريق الجنة من طريق جهنم ﴿**ليميز الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون** ﴾ ولم يبق من خير آجل ولاعاجل إلا دل الأمة عليه، ولاشر عاجل ولا آجل إلا وحذرهم منه ونهاهم عنه حتى ترك أمته على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعده إلا هالك، وترك فيهم مالم يضلوا إن تمسكوا به كتاب الله، وبعد هذا (قبضه الله العلى) بجميع معالى العلو ذاتاً وقهراً وقدراً (الأعلى) بكل تلك المعانى، فلا شىء أعلى منه عز وجل (سبحانه) وكان قبضه إياه (إلى الرفيق الأعلى) وهى أعلى عليين، وهى الوسيلة التى هى أعلى دوجة فى الجنة ولاتنبغى إلا له ﷺ، وقد أمرنا أن نسأل الله له ذلك، اللهم آت نبينا محمدا الوسيلة والفضيلة آمين، وكانت وفاته ﷺ فى ربيع الأول نهار الاثنين بعد حجة الوداع بفوق ثمانين ليلة، قال تبارك وتعالى ﴿ **ومامحمد إلارسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزى الله الشاكرين. وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابا مؤجلا، ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها، وسنجزى الشاكرين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وماجعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون. كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم بالشرّ والخير فتنة والينا ترجعون** ﴾ ، وقال ﴿ **إنك ميت وإنهم ميتون ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون** ﴾.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة حدثنا سفيان عن سليمان الأحول عن سعيد

ابن جبير قال ابن عباس: يوم الخميس ومااالخميسْ، اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال «آتونى أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً» فتنازعوا ولاينبغى عند نبى تنازع، فقالوا: ماشأنه، استفهموه فذهبوا يردون عليه فقال: دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى إليه. وأوصاهم بثلاث قال« أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزهم» وسكت عن الثالثه، أو قال : فنسيتها. وله عن عائشة رضى الله عنها : دخل عبد الرحمن ابن أبى بكر على النبى ﷺ وأنا مسندته إلى صدرى ومع عبد الرحمن سواك رطب يستن به، فأبده رسول الله ﷺ بصره، فأخذت السواك فقصمته ونفضته وطيبته ثم دفعته إلى النبى ﷺ فاستن به، فما رأيت رسول الله ﷺ استن استنانا قط أحسن، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ثم قال «فى الرفيق الأعلى» ثلاثاً ثم قضى، وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتى وذاقنتى، وفى رواية قالت: وبين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يديه فى الماء فيمسح بهما وجهه ويقول «لا إله إلا الله ، إن للموت سكرات»، ثم نصب يده فجعل يقول «فى الرفيق الأعلى» حتى قبض ومالت يده. وفى أخرى قالت: فجمع الله بين ريقى وريقه فى آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة. وفى الصحيحين وهذا لفظ مسلم عن عبيد الله بن عبد الله قال: دخلت عائشة رضى الله عنها فقلت لها: ألا تحدثينى عن مرض رسول الله ﷺ . قالت بلى، ثقل النبى ﷺ فقال «أصلى الناس»؟ قلنا لا، وهم ينتظرونك يارسول الله. قال «ضعوا لى ماء فى المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق. فقال: «أصلى الناس»؟ قلنا: لا، وهم ينتظرونك يارسول الله . فقال «ضعوا لى ماء فى المخضب» ففعلنا فاغتسل، ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال «أصلى الناس» فقلنا : لا، وهم ينتظرونك يارسول الله فقال «ضعوا لى ماء فى المخضب» ففعلنا، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمى عليه، ثم أفاق فقال: أصلى الناس؟ فقلنا: لا، وهم ينتظرونك يارسول الله. قال والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الآخرة، قالت: فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبى بكر أن يصلى بالناس، فأتاه الرسول فقال: إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تصلى بالناس. فقال أبو بكر– وكان رجلا رقيقاً – ياعمر صل بالناس. قال، فقال عمر: أنت أحق بذلك. قالت فصلى أبو بكر بالناس تلك الأيام. ثم إن رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس لصلاة الظهر،وأبو بكر يصلى بالناس، فما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر فأومأ إليه النبى ﷺ أن لايتأخر، وقال لهما «أجلسانى إلى جنبه»، فأجلساه إلى جنب أبى بكر، وكان أبو بكر يصلى وهو قائم بصلاة النبى ﷺ، والناس يصلون بصلاة أبى بكر، والنبى ﷺ قاعد. الحديث. وفيه عن أنس رضى الله عنه أن أبا بكر كان يصلى لهم فى وجع رسول الله ﷺ الذى توفى فيه،

حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة كشف رسول الله ﷺ ستر الحجرة، فنظرنا إليه وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله ﷺ ضاحكاً فبهتنا ونحن في الصلاة من فرح بخروج رسول الله ﷺ، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله ﷺ خارج للصلاة فأشار إليهم رسول الله ﷺ بيده أن أتموا صلاتكم. قال: ثم دخل رسول الله ﷺ فأرخى الستر، قال: فتوفي رسول الله ﷺ من يومه ذلك. وفي رواية قال: لم يخرج إلينا نبي الله ﷺ ثلاثاً فأقيمت الصلاة فذهب أبو بكر يتقدم، فقال نبي الله ﷺ بالحجاب فدفعه، فما وضح لنا وجه نبي الله ﷺ مانظرنا منظراً قط كان أعجب إلينا من وجه النبي ﷺ حين وضح لنا. وقال البخاري رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن بكيرحدثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة، أن عائشة رضي الله عنها أخبرته أن أبا بكررضي الله عنه أقبل على فرس من مسكنه بالسنح حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل عائشة فتيمم رسول الله ﷺ وهومغشي بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكبَّ عليه فقبله وبكى، ثم قال بأبي أنت وأمي، والله لايجمع الله عليك موتتين: أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها. قال الزهري: وحدثني أبو سلمة عن عبد الله بن عباس أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس فقال: اجلس ياعمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد من كان منكم يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حيٌّ لايموت. قال الله تعالى **﴿ ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ﴾** إلى قوله **﴿ الشاكرين ﴾**. وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله تعالى أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها الناس منه كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها. فأخبرني سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه قال: والله ماهو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت حتى لاتقلني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته قالها أن النبي ﷺ قد مات.

تبليغه صلوات الله عليه رسالة الله

﴿ نشهد بالحق بلا ارتياب بأنه المرسل بالكتاب ﴾
﴿ وأنه بلغ ماقد أرسلا به وكل ماإليه أنزلا ﴾

(نشهد بالحق) بيقين وصدق (بلا ارتياب) بدون شك (بأنه المرسل بالكتاب) بالقرآن إلى كافة الناس من الجن والإنس بشيرا ونذيراً. قال الله تبارك وتعالى ممتناً على عباده المؤمنين ببعثة رسول الله ﷺ **﴿ لقد منَّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا منهم يتلو**

عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ﴾ وقال تعالى ﴿ يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم. هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين. وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم. ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾، وقال تبارك وتعالى ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم ﴾ يمتن تبارك وتعالى بأجل نعمه على عباده وأعظمها وأعلاها وأتمها وأكملها ارساله فيهم محمدا ﷺ رسولا من عند الله تبارك وتعالى العلى العظيم الذى ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، بكلامه الذى هو صفته، وهو كتابه العزيز الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، ليهديهم به من الضلالة، ويبصرهم به من العمى، وينقذهم به من دركات الردى، ويخرجهم به من الظلمات إلى النور بإذنه ﴿ كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد. اللهالذى له مافى السموات وما فى الأرض﴾ يالها من نعمة ما أعظمها وأجلها، ومنة ما أكملها وأجزلها ﴿ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم ﴾ أكمل تلك النعمة وأتمها وزادها إجلالا يكون ذلك الرسول من أنفسهم يعرفون شخصه ونسبه ورحمه، مامن أهل بيت من العرب إلا وله ﷺ فيهم نسب ﴿ قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة فى القربى ﴾ ثم جعل الرسالة بلسانهم الذى به يتحاورون، ومن جنس كلامهم الذى فيه يتفاخرون. معجزا بالفصاحة التى فى ميدانها يتسابقون بأوضح المبانى وأفصحها وأكمل المعانى وأصحها، مع اتساق سياقه وسلاسة ألفاظه، وانتساق تراكيبه وملاحه مفرداته. ثم مع هذا التالى له من أنفسهم رسول من عند ربهم ثم هو ﷺ مؤد لتلك الأمانة مبلغ كلام ربه كما قاله رب العزة لم يقله النبى ﷺ بالمعنى فقط بل كما قال عز وجل ﴿ يتلو عليهم آياته ﴾ الضمير لله عز وجل، ليسمعوا لذيذ خطابه، ويتأملوا لطيف عتابه ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليذكر أولو الألباب ﴾ ﴿ويزكيهم ﴾ يطهرهم ظاهراً وباطناً حساً ومعنى لمن التزمه واتبعه، أما قلوبهم فيزكيها بالإيمان من دنس ورجس الشرك ورجزه كما قال تعالى ﴿ فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور﴾ و﴿ والرجز فاهجر ﴾ ، وكذا يطهرهم بمحاسن الأخلاق الظاهرة والباطنة من مساوئها، وكذا يطهرهم من جميع الذنوب بالتوبة النصوح، وكذا يطهر ظواهرهم بما أمرهم به وأرشدهم إليه من الطهارات الحسية من الأحداث والأنجاس على اختلاف أضربها ﴿ ويعلمهم الكتاب ﴾ القرآن المجيد ﴿ والحكمة ﴾ السنة النبوية

التى هى تبيان القرآن وتفسيره وتوضيحه، وتدل كما قال الله تعالى له ﷺ ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم** ﴾ وقال النبى ﷺ «أوتيت القرآن ومثله» يعنى السنة ﴿ **وإن كانوا من قبل** ﴾ إرساله إليهم وبعثه فيهم ﴿ **لفى ضلال مبين** ﴾ من الشرك وعبادة الأصنام وغير ذلك من السبل المضلة عن الصراط المستقيم الموجبة لدخول جهنم، والخلود فى عذابها الأليم المقيم، أجارنا الله منها.وذلك تأويل دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام إذ يقول فيما أخبر الله عنه ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم** ﴾ فاستجاب الله له تلك الدعوة المباركة كما قضى الله عز وجل ذلك فى الأزل وسبق علمه وسطره فى كتابه وأخذ على رسله الميثاق فى الإيمان به والقيام بنصره كما قال تبارك وتعالى ﴿ **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى، قالوا أقررنا، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين. فمن تولى بعد ذلك فأولئك هم الفاسقون** ﴾، وقال النبى ﷺ فيما روى الترمذى «كنت نبياً وآدم منجدل فى طينته [1]» وفى رواية أخرى «وآدم بين الروح والجسد» يعنى وجبت له فى الكتاب، ولأن السائل قال له: متى وجبت لك النبوة؟ هذا معنى الحديث، وقال ﷺ «إن دعوة أبى إبراهيم وبشرى عيسى ورؤيا أمى» أوكما قال، فأما دعوة إبراهيم فما فى الآية السابقة، وأما بشرى عيسى فقول الله عز وجل ﴿ **وإذ قال عيسى ابن مريم يابنى اسرائيل إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة ومبشراً برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد** ﴾ الآية، وأما رؤيا أمه فإنها رأت كأنه خرج منها نور أضاء له قصور بصرى من أرض الشام، الحديث.وقد شهد الله تبارك وتعالى له بالرسالة كما شهد لنفسه بالإلهية فقال تعالى ﴿ والله **يعلم إنك لرسوله** ﴾ وقال تعالى ﴿ **لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيداً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنا أرسلناك بالحق بشيراً ونذيراً ولاتسأل عن أصحاب الجحيم** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى ا بإذنه وسراجاً منيراً** ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ **انا أرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا.من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ وغير ذلك من الآيات. وقال تبارك وتعالى فى عموم رسالته إلى الأحمر والأسود

---

(١) على تقدير صحته، ليس معناه أنه كان قد نبىء يومئذ، ولا أنه ولد نبيا، ولم يبدأ الوحى إلا بعد تمام الأربعين من عمره وذلك العمر الذى قال الله تعالى ﴿ فقد لبثت فيكم عمرا من قبله ﴾، وقال ﴿ وماكنت تتلو من قبله من كتاب ﴾ الآية وقال ﴿ وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب ﴾ وقال ﴿ ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان ﴾ ولعله قد بسط هذا المعنى فى موضع غير هذا أ.هـ. مؤلفه.

والجن والإنس ﴿ وما أرسلناك الا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾، وقال تعالى ﴿ ورحمتى وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون، الذين يتبعون الرسول النبى الأمي الذى يجدونه مكتوباً عندهم فى التوراة والإنجيل، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرَهُم والأغلال التى كانت عليهم، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون قل يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم جميعاً الذى له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحيى ويميت، فآمنوا بالله ورسوله النبى الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ﴾ ومعنى كونه أمياً: لايقرأ ولايكتب، وكذلك أمته أمية لايقرأون ولايكتبون، قال الله تبارك وتعالى ﴿ وماكنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك فلا تكونن ظهيراً للكافرين ﴾ وقال تعالى ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ﴾ الآيات، وقال تعالى ﴿ وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان، ولكن جعلناه نورا نهدى به من نشاء من عبادنا، وإنك لتهدى إلى صراط مستقيم، صراط الله ﴾ وقال تعالى ﴿ تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ماكنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا ﴾ وغير ذلك من الآيات، وقال تعالى أيضاً فى ذكر عموم رسالته إلى أهل الشرائع من قبله ﴿ يا أهل الكتابَ قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير. قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ الآيات، ﴿ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولانشرك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أرباباً من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون ﴾ وقال تعالى ﴿ ولما جاءهم رسول من عند الله مصدقاً لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لايعلمون ﴾ وقال ﴿ ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدقاً لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءكم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين ﴾ وغير ذلك من الآيات. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مامن الانبياء من نبى إلا قد أعطى من الآيات مامثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذى أوتيت وحيا أوحى الله إلى، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة» وفيه عنه رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «والذى نفس محمد بيده، لايسمع بى أحد من هذه الأمة يهودى ولانصرانى ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به إلا كان من أصحاب النار»، وفى حديث الخصائص «وكان

النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة، وهو في الصحيحين، وقال رسول الله ﷺ «لو كان موسى حياً واتبعتموه وتركتموني لضللتم» وقال رسول الله ﷺ «لو كان موسى حيا ماوسعه الا اتباعي» وأخبر ﷺ أن عيسى ينزل حكما بشريعة نبينا محمد ﷺ يقيم كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ فلا ناسخ ولامغير لشريعته، ولايسع أحداً الخروج عنها، ولله الحمد والمنة.

والمقصود أن الله تبارك وتعالى اختصه بعموم الرسالة إلى الثقلين، ولم يقبل من أحد صرفاً ولا عدلا إلا باتباعه، ولايصل أحد دار السلام التي دعا الله إليها عباده إلا من طريقه، فهو ﷺ أكرم الرسل، وأمته خير الأمم، وشريعته أكمل الشرائع، وكتابه مهيمن على كل كتاب أنزل، لانسخ له بعده ولاتغيير، ولاتحويل ولاتبديل وأيده الله تعالى بالمعجزات الظاهرة والآيات الباهرة التي أعظمها هذا القرآن الذي تحدى الله به أفصح الأمم وأبلغها وأقدرها على المنطق وأكثرها فيه إتساعاً وأطولها فيه باعا، وأكملها على أضربه وأنواعه اطلاعا، مع عظم محادّتهم له ومشاقتهم فيه وشدة حرصهم على رده، وهو ينادي عليهم بأبلغ عبارة وأوجزها، وأمتنها وأجزلها **﴿ أم يقولون تقوّله، بل لايؤمنون، فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ ﴿ أم يقولون افتراه، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات ﴾، ﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾** ثم نادى عليهم بالعجز عن ذلك كله فلا يقدر أحد منهم على شيء منه لامجتمعين ولامتفرقين، لافي زمن واحد ولا في أزمان، فقال تعالى: **﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾**، وذلك من الآيات، ولهذا لما أراد مسيلمة الكذاب معارضته مكابرة ومباهاته مع علمه أنه لايقدر على شيء البتة فلما فعل ذلك جعل الله تعالى كلامه أسمج مايسمع وأركّ ماينطق به، وصار أضحوكة للصبيان في كل زمان ومكان، حتى أنه لايشبه كلام العقلاء ولا المجانين ولا النساء ولا المخنثين، وصار كذبه معلوماً عند كل أحد، ووسمه الله عز وجل على لسان نبيه محمد ﷺ باسم الكذاب فلا يسمى إلا به، ولا يعرف إلا به، حتى صار أشهر من عليه العلم، بل لاعلم له غيره أبدا، ويروى أن أصحاب الفيلسوف الكندي قالوا له: أيها الحكيم اعمل لنا مثل هذا القرآن، فقال: نعم أعمل مثل بعضه، فاحتجب أياماً كثيرة ثم خرج فقال: والله ما أقدر ولايطيق هذا أحد، إني فتحت المصحف فخرجت سورة المائدة، فنظرت فإذا هو قد نطق بالوفاء ونهى عن النكث وحلل تحليلا عاما، ثم استثنى بعد استثناء، ثم أخبر عن قدرته وحكمته في سطرين، ولا يقدر أحد أن يأتي

بهذا، قلت : وهذا الذى قاله الفيلسوف مقدار فهمه ومبلغ علمه، وإلا فبلاغة القرآن فوق مايصف الواصفون، وكيف يقدر البشر أن يصفوا صفات من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير. ومن ذلك انشقاق القمر قال الله تعالى ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الآيات، وفى الصحيحين عن أنس رضى الله عنه قال «سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر»[1] وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال «انشق القمر على عهد رسول ﷺ فرقتين فرقة فوق الجبل وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ اشهدوا» زاد فى رواية «ونحن مع النبى ﷺ ومنها حنين الجذع إليه ﷺ كما فى الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما «أن النبى ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار أورجل: يارسول الله ألا نجعل لك منبراً؟ قال: إن شئتم، فجعلوا له منبراً، فلما كان يوم الجمعة دفع إلى المنبر فصاحت النخلة صياح الصبى، ثم نزل النبى ﷺ فضمها إليه وهى تئن أنين الصبى الذى يسكن، قال: كانت تبكى على ماكانت تسمع من الذكر عندها، وفى رواية «قال فلما صنع له المنبر وكان عليه فسمعنا من ذلك الجذع صوتاً كصوت العشار، حتى جاء النبى ﷺ فوضع يده عليها فسكنت.

فيا حامداً معنى بصورة عاقل   أمالك من قلب شهيد ولاسمع
يحن إليه الجذع شوقاً ومالنا   ألسنا بذاك الشوق أولى من الجذع

ومنها تسبيح الطعام وتكثير القليل باذن الله عز وجل، ونبع الماء من أصابعه الشريفة ﷺ ، كما فى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله عنه قال «كنا نعد الآيات بركة، وأنتم تعدونها تخويفا. كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء، فجاءوا باناء فيه ماء قليل، فأدخل يده فى الإناء ثم قال: حى على الطهور المبارك والبركة من الله عز وجل، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهويؤكل. وعن أنس رضى الله عنه قال «أتى النبى ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم، قال وكانوا ثلاثمة أو زهاء ثلاثمائة، وعن سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركوة فتوضأ، فجهش الناس نحوه فقال : مالكم؟ قالوا ليس عندنا مانتوضأ ولانشرب إلا مابين يديك. فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا. قلت كم كنتم؟ قال لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة، وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال : كنا يوم الحديبية أربع عشرة مائة والحديبية بئر فنزحناها حتى لم نترك فيها قطرة، فجلس النبى ﷺ على شفير البئر فدعا

(١) رواه الشيخان .

بماء فمضمض ومج في البئر فمكثنا غير بعيد، ثم استقينا حتى روينا ورويت وأصدرت ركائبنا، وعن أنس بن مالك قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله ﷺ ضعيفا أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ قالت: نعم فأخرجت أقراصا من شعير ثم أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ثم دسته تحت يدى ولاثتنى ببعضه، ثم أرسلتنى إلى رسول الله ﷺ ، قال فذهبت به فوجدت رسول الله ﷺ في المسجد ومعه الناس فقمت عليهم فقال لى رسول الله ﷺ «أرسلك أبو طلحة»؟ فقلت: نعم. قال «بطعام»؟ قلت: نعم. فقال رسول الله لمن معه «قوموا» فانطلق وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم، قد جاء رسول الله ﷺ بالناس وليس عندناما نطعمهم، فقالت الله ورسوله أعلم، فانطلق أبو طلحة حتى لقى رسول الله ﷺ، فأقبل رسول الله ﷺ وأبو طلحة معه فقال رسول الله ﷺ «هلم يا أم سليم ماعندك» فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله ﷺ ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته، ثم قال رسول الله ﷺ فيه ماشاء الله أن يقول ثم قال «ائذن لعشرة» فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا ثم خرجوا ثم قال «ائذن لعشرة» فأكل القوم كلهم حتى شبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا. وعن جابر رضى عنه أن أباه توفى وعليه دين، فأتيت النبى ﷺ فقلت: إن على أبى دينا وليس عندى إلا مايخرج نخله ولايبلغ مايخرج سنين ماعليه، فانطلق معى لكيلا يفحش على الغرماء، فمشى حول بيدر من بيادر التمر، فدعا ثم آخر ثم جلس عليه فقال انزعوه فأوفاهم الذى لهم وبقى مثل ما أعطاهم.وفى حديث أبى قتادة الطويل فى تلك الغزوة: ثم دعا بميضأة كانت معى فيها شيء من ماء فتوضأ منها وضوءا دون وضوء، قال وبقى منها شيء من ماء، ثم قال لأبى قتادة «احفظ علينا ميضأتك فسيكون لها نبأ» الحديث، إلى أن قال: فانتهينا إلى الناس حين امتد النهار وحمى كل شيء وهم يقولون: يارسول الله هلكنا عطشا فقال «لا هلك عليكم – ثم قال – اطلقوا لى غمرى» قال ودعا بالميضأة فجعل رسول الله يصب وأبو قتادة يسقيهم، فلم يعد أن رأى الناس ماء فى الميضة تكالبوا عليها، فقال رسول الله ﷺ «احسنوا الملء كلكم سيروى قال ففعلوا، فجعل رسول الله ﷺ يصب وأسقيهم حتى مابقى غيرى وغير رسول الله ﷺ قال ثم صب رسول الله ﷺ فقال لى «اشرب»فقلت لا أشرب حتى تشرب يارسول الله ، قال «ان ساقى القوم آخرهم شربا»(١) قال فشربت وشرب رسول الله ﷺ قال فأتى الناس الماء جامين رواء. وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان يقول: الله الذى لا إله هو إن كنت لاعتمد بكبدى على الأرض من الجوع، وإن كنت لأشد الحجر على بطنى من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذى يخرجون منه فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعنى فمر ولم يفعل، ثم مربى

---

(١) رواه مسلم وأحمد .

عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل، ثم مر بي أبو القاسم ﷺ فتبسم حين رآني وعرف مافي نفسي وما وفي وجهي ثم قال «أبا هر» قلت لبيك يارسول الله قال. «الحق» ومضى فتبعته فدخل فاستأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح فقال «من أين هذا اللبن» قالوا أهداه لك فلان أو فلانة قال «أبا هر» قلت: لبيك يارسول الله ، قال «الحق إلى أهل الصفة فادعهم لي» قال وأهل الصفة أضياف الإسلام لايأوون إلى أهل ولامال ولاعلى أحد، اذا اتته صدقة بعث بها اليهم ولم يتناول منها شيئا وإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها وأشركهم فيها، فساءني ذلك فقلت وما هذا اللبن في أهل الصفة، كنت أحق أن أصيب من هذا اللبن شربة أتقوى بها، فاذا جاء أمرني فكنت أنا أعطيهم، وماعسى أن يبلغني من هذا اللين، ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد، فأتيتهم فدعوتهم، فأقبلوا فاستأذنوا فأذن لهم وأخذوا مجالسهم من البيت قال «أبا هر» قلت لبيك يارسول الله ، قال «خذ فأعطهم» قال فاخذت القدح فجعلت أعطيه الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح، فاعطى الرجل فيشرب حتى يروى ثم يرد على القدح، حتى انتهيت إلى النبي ﷺ وقد روى القوم كلهم، فأخذ القدح فوضعه على يده فنظر إلي فتبسم فقال «يا أبا هر» قلت لبيك يارسول الله قال «بقيت أنا وأنت» قلت صدقت يارسول الله، قال «اقعد فاشرب» فقعدت فشربت، فقال «اشرب» فشربت، فمازال يقول اشرب حتى قلت «لا والذي بعثك بالحق ما أجد له مسلكا» قال «فأرني» فأعطيته القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة، وقال أبو داود رحمه الله: حدثنا سليمان بن داود المهر حدثنا ابن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب قال: كان جابر بن عبد الله يحدث أن يهودية من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ فاخذ رسول الله ﷺ الذراع فاكل منها وأكل رهط من أصحابه معه، ثم قال لهم رسول الله ﷺ «ارفعو أيديكم» وأرسل رسول الله ﷺ إلى المرأة فدعاها فقال لها «أسممت هذه الشاة» قال اليهودية. من أخبرك؟ قال «أخبرتني هذه التي في يدي» وهي الذراع. قالت نعم قال «فما أردت بذلك»؟ قالت: قلت إن كنت نبيا فلن تضرك وإن لم تكن نبيا استرحنا منك. الحديث وهو في صحيح البخاري عن أبي هريرة في مواضع مختصرا ومطولا. لكن الشاهد منه في هذه الرواية أصرح وهو قوله «اخبرتني هذه» للذراع. وقد رواه جماعة من الصحابة في عامة الأمهات وغيرها. ودلائل نبوته ﷺ أكثر من أن تحصى في الأسفار فضلا عن هذا المختصر، وقد جمعت فيها التصانيف المستقلات من المختصرات والمطولات وبالله التوفيق. وكذا قد صنفت التصانيف الجمة في صفاته الخَلقية والخُلقية وسيرته وشمائله ومعاملاته مع الحق ومع الخلق فلتراجع لها مصنفاتها: وكذا خصائصه التي انفرد بها في الدنيا

والآخرة عن غيره من الرسل السماويين والارضيين وقد تقدم التنبيه على مهمات من ذلك.

(و) نشهد (انه بلغ) إلى الناس كافة (ما) أى الذى (قد أرسلا) بالبناء للمفعول والالف للاطلاق (به) من ربه (وكل ما اليه انزلا) من الكتاب والحكمة وفى هذا البحث مسائل عظيمة الخطر جليلة القدر:

الأولى – أنه أى الرسول ﷺ مبلغ عن الله عز وجل، لم يقل شيئا من رأيه فيما يتعلق بالتبليغ، بل ليس عليه إلا بلاغ الرسالة من الله إلى الناس، وتلاوة آياته على الناس، وتعليمهم الحكمة والتبيان، وذلك معنى كونه ﷺ رسول الله فأمره ونهيه تبليغ لأمره ونهيه، وأخباره وقصصه تبليغ لما قصه الله وأخبر به، ولذا كانت طاعته طاعه لله عز وجل، ومعصيته معصية لله عز وجل، وتكذيبه تكذيبا لإخبار الله عز وجل فى أنه رسول. قال الله تبارك وتعالى ﴿ **وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيداً. من يطع الرسول فقد أطاع الله ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظاً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون. ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فانما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وان تطيعوه تهتدوا وماعلى الرسول إلا البلاغ المبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فإن أعرضوا فما أرسلنك عليهم حفيظا، إن عليك الا البلاغ** ﴾ وقال تعالى ﴿ **انما أنت منذر ولكل قوم هاد** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إن أنت إلا نذير** ﴾ وقال ﴿ **قل إنما أنا منذر وما من إله إلا الله الواحد القهار** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد فاستقيموا إليه واستغفروه** ﴾ وقال ﴿ **نحن أعلم بما يقولون، وما أنت عليهم بجبار، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد** ﴾ وقال تعالى ﴿ **قل إنى لن يجيرنى من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحدا، إلا بلاغا من الله ورسالاته،ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبدا** ﴾ وقال ﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فذكر إن نفعت الذكرى، سيذكر من يخشى** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وما آتاكم الرسول فخذوه، ومانهاكم عنه فانتهوا** ﴾ وغير ذلك من الآيات ﴿ **وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى** ﴾ وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عن أبى امامة رضى الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ليدخلن الجنة بشفاعة رجل ليس بنبى مثل الحيين – أو مثل أحد الحيين – ربيعة ومضر. فقال رجل: يارسول الله وماربيعة من مضر؟ قال «انما أقول ما أقول»، وله عن عبد الله بن عمرو قال كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ﷺ أريد حفظه، فنهتنى قريش

فقالوا إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ﷺ ورسول الله ﷺ يتكلم في الغضب والرضا، فأمسكت عن الكتاب حتى ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال «أكتب فوالذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق» وله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال «لا أقول إلا حقا». قال بعض أصحابه فإنك تداعبنا، قال «إني لاأقول إلا حقا» وللبزار عنه رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «ما أخبرتكم أنه من عند الله فهو الذي لاشك فيه» وغير ذلك من الأحاديث، ويكفي في ذلك قول الله تعالى ﴿ **ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمن، ثم لقطعنا منه الوتين** ﴾ الآيات.

المسألة الثانية – أنه ﷺ بلغ جميع ما أرسل به لم يكتم منه حرفاً واحداً، قال الله تعالى ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس** ﴾. وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال «قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ثم قال: لا ألفين أحدكم يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء يقول يارسول الله ﷺ أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء يقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع تخفق فيقول يارسول أغثني فأقول لا أملك لك شيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت فيقول يارسول الله أغثني فأقول لا أملك لك شيئا قد أبلغتك وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل قوله ﷺ وقد تركت فيكم مالن تضلوا بعده إنا اعتصمتم به كتاب الله، وأنتم تسألون عني فما أنتم قائلون؟ قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت. فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكتها إلى الناس: اللهم اشهد اللهم اشهد ثلاث مرات. الحديث. وفيهما من حديث ابن عباس في ذلك الجمع الأعظم حين خطب: اللهم هل بلغت اللهم هل بلغت؟ ومن حديث أبي بكر في تلك الخطبة أيضا ألا بلغت؟ قالوا نعم. قال اللهم اشهد فليبلغ الشاهد الغائب فربّ مبلغ أوعى من سامع. وفي صحيح البخاري من رواية أبي جحيفة وهب ابن عبد الله السوائي قال: قلت لعليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: هل عندكم شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال «لا و الذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلا في القرآن، ومافي هذه الصحيفة، قلت: ومافي هذه الصحيفة؟ قال «العقل وفكاك الأسير وأن لايقتل مسلم بكافر»، وفيه من رواية الأعمش

عن إبراهيم التيمى عن أبيه عن على رضى الله عنه قال: ماعندنا شيء إلا كتاب الله وهذه الصحيفة عن النبىﷺ «المدينة حرم مابين عير إلى كذا، من أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» الحديث. وفى رواية قال: خطبنا على رضى الله عنه على منبر من آجر وعليه سيف فيه صحيفة معلقة فقال «والله ماعندنا من كتاب يقرأ إلا كتاب الله »، ومافى هذه الصحيفة فنشرها فإذا فيها أسنان الإبل، وإذا فيها: المدينة حرم من عير إلى كذا، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا. وإذا فيه: ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لايقبل الله منه صرفاً ولاعدلا، وإذا فيها من والى قوماً بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لايقبل الله منه صرفا ولا عدلا، ولابن أبى حاتم عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: كنت عند ابن عباس، فجاء رجل فقال له: إن أناساً يأتون فيخبرونا أن عندكم شيئاً لم يبده رسول اللهﷺ للناس. فقال ابن عباس «ألم تعلم أن الله تعالى قال ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك، وإن لم تفعل فما بلغت رسالته** ﴾ والله ماورثنا رسول اللهﷺ سوداء فى بيضاء، وإسناده جيد. وتقدم قول عائشة رضى الله عنها قالت «من حدثك أن محمداً ﷺ كتم شيئاً مما أنزل عليه فقد كذب،والله‌تعالى يقول ﴿ **يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك** ﴾ الآية.

المسألة الثالثة – أن هذا الذى بلغه الرسول ﷺ عن ربه تعالى هو جميع دين الإسلام مكملا محكماً لم يبق فيه نقص بوجه من الوجوه فيحتاج إلى تكميل، ولم يبق فيه إشكال فيحتاج إلى حل، ولا إجمال فيفتقر إلى تفصيل، قال الله تعالى ﴿ **ما فرطنا فى الكتاب من شيء** ﴾ فكما أن الإمامَ المبين قد أحصى كل ماهو كائن، كما علمه الله عز وجل، فكذلك هذا القرآن وافٍ شافٍ كافٍ محيط بجميع أصول الشريعة وفروعها وأقوالها وأعمالها وسرها وعلانيتها، فمن لم يكفه فلا كفى، ومن لم يشفه فلا شفى. ﴿ **أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن فى ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون، فبأى حديث بعده يؤمنون** ﴾ وكما وفى بتقرير الدين وتكميله وشرحه وتفصيله كذلك هو وافٍ بالذب عنه وبردِّ كل شبهة ترد عليه، وبقمع كل ملحد ومعاند ومشاق ومحادّ، وبدمغ كل باطل وإزهاقه ﴿ **ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾. ﴿ **بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق** ﴾، ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر، وإنا له لحافظون** ﴾ ﴿**إن الذين يلحدون فى آياتنا لايخفَوْن علينا، أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة، اعملوا ماشئتم إنه بما تعملون بصير. إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم**

وإنه لكتاب عزيز، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. ما يقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك، إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم. ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فُصلت آياته أأعجمي وعربي، قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء، والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى، أولئك ينادون من مكان بعيد ﴾. وكذلك السنة من جوامع كلم الرسول ﷺ التى اختصه الله بها، هى روح المعانى والوحى الثانى، والحكمة والبيان وتبيان القرآن، والنور والبرهان. فلم يتوفَّ ﷺ حتى بين الشريعة أكمل بيان، ولم يكن ليتوفاه الله تعالى قبل بيان مابالناس إليه حاجة فى دينهم ودنياهم وآخرتهم، والله تعالى يقول ﴿ وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون ﴾ ويقول تعالى ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم ولعلهم يتفكرون ﴾ ثم يخبر أنه ما أنزل عليك الكتاب إلا لذلك، فكيف يتوفاه قبل إنفاذ ذلك وإنجازه، مع قوله تعالى له ﷺ ولأمته كلهم ﴿ ولأتم نعمتى عليكم ولعلكم تهتدون، كما أرسلنا فيكم رسولا يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون ﴾ فكيف يعدنا تعالى بإتمام النعمة وإكمال الدين ثم يتوفى رسوله قبل إنجاز ذلك وهو عز وجل ﴿ لايخلف الميعاد ﴾ ؟ والذى بعثه بالحق بشيراً ونذيراً ماتوفاه الله عز وجل حتى بلغَ ما أُرسله الله به أكمل بلاغ وبينَه أتم بيان وفصله أوضح تفصيل وأُكمل به الدين وأُتمَّ علينا النعمة ولهذا أُنزل عليه فى آخر ما أُنزل فى يوم الجمعة الذى اختصَّ به وهو وأمته وهداهم له فى أشرف موقف وأفضل عشية يوم الحج الأكبر وهو واقف بعرفة فى ذلك الجمع الأعظم الذى لم يتفق وقوع مثله ولم يتفق أكثر الناس برسول الله ﷺ بعده ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾، فأخبر فيها بأكمال دينه الذى وعدنا إظهاره فى قوله عز وجل ﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ وبإتمامه النعمة كما وعد فى قوله تعالى ﴿ ولأتم عليكم نعمتى ﴾ وتقدم الحديث الصحيح فى قول اليهودى لعمر فى شأنها وما ردّ عليه به. وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس قوله تعالى ﴿ اليوم أكملت لكم دينكم ﴾ وهو الإسلام، أخبر الله نبيه ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم شرائع الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً، وقد أتمه فلا ينقصه أبداً، وقد رضيه فلا يسخطه أبداً، قلت وفى ضمن هذا الخطاب معنى فارضوا به أنتم لأنفسكم، ولهذا قال النبى ﷺ «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً»[1] وأمرنا بهذا الذكر فى كل مساء وصباح، وقال أسباط عن السدى: نزلت هذه الآية

---

(١) رواه مسلم والترمذى وأحمد .

يوم عرفة ولم ينزل بعدها حلال ولاحرام، ورجع رسول الله ﷺ فمات، قالت أسماء بنت عميس. حججت مع رسول الله ﷺ تلك الحجة، فبينما نحن نسير إذ تجلى له جبريل، فمال رسول الله ﷺ على الراحلة فلم تطق الراحلة من ثقل ما يميلها من القرآن فبركت، فأتيته فسجيت عليه برداً كان عليّ وقال ابن جرير وغير واحد: مات رسول الله ﷺ بعد يوم عرفة بأحد وثمانين يوماً. رواهما ابن جرير، وله عن هارون بن عنترة عن أبيه قال: لما نزلت ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ وذلك يوم الحج بكى عمر رضى الله عنه، فقال له النبى ﷺ مايبكيك؟ قال رضى الله عنه كنا فى زيادة من ديننا فأما إذا أكمل فأنه لم يكمل شىء إلا نقص، فقال «صدقت» وقال ابن عباس رضى عنهما فى قول الله تعالى ﴿ **ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾ قال ولايأتونك بمثل أى بما يلتمسون به غير القرآن والرسول ﴿ **الا جئناك بالحق** ﴾ الآية أى لإنزال جبريل من الله تعالى بجوابهم، وماهذا إلا اعتناء وكبر شرف للرسول ﷺ حيث كان يأتيه الوحى من الله عز وجل بالقرآن صباحا ومساء وليلا ونهاراً، سفرا وحضرا، وكل مرة كان يأتيه الملك بالقرآن لا كانزال الكتب قبله المتقدمة، فهذا المقام أعلى وأجل وأعظم مكانة من سائر إخوانه الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. فالقرآن أشرف كتاب أنزله الله، ومحمد ﷺ أعظم نبى أرسله الله تعالى.

وقد جمع الله للقرآن الصفتين معا: ففى الملأ الأعلى أنزل جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة فى السماء الدنيا، ثم أنزل بعد ذلك إلى الأرض منّجما بحسب الوقائع والحوادث ﴿ **كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا، ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا** ﴾، ﴿ **وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا** ﴾ وكما وفى بالردّ على كل مشاق لله ورسوله من الوثنيين والمنافقين والكتابيين وغيرهم، ونزل منجما على حسب ذلك، فكذلك هو واف برد شبهة كل ملحد إلى يوم القيامة، اقرأ على من ادّعى النبوة ﴿ **ولكن رسول الله وخاتم النبيين** ﴾، وعلى الدجال فواتح سورة الكهف، وعلى المعطل والمشبه ﴿ **ليس كمثله شىء وهو السميع البصير** ﴾، ﴿ **يعلم مابين أيديهم وماخلفهم ولايحيطون به علما** ﴾، وعلى النافى للقدر ﴿ **من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم** ﴾، ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقدر** ﴾، وعلى الجبرية الغلاة ﴿ **لايكلف الله نفسا إلا وسعها** ﴾، ﴿ **رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل** ﴾، ﴿ **قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين** ﴾، وعلى نفاة الرؤية ﴿ **وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة** ﴾ وعلى الرافضة ﴿ **ثانى اثنين إذهما فى الغار، إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا** ﴾ وعلى الناصبة ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ الآية

﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾، وعلى الفريقين ﴿**والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا** ﴾ وعلى كل ذى بدعة مطلقاً ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ إلى اخرها مع قوله تعالى ﴿ **أفغير دين الله يبغون** ﴾، ﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه** ﴾.

المسألة الرابعة ـ أن هذا الدين التام المكمل الذى بلغه الرسول ﷺ إلى الناس كافة لايقبل زيادة على ماشرع فيه من أصول الملة وفروعها ولانقصاً منها ولاتغييراً ولاتبديلا ولايقبل من أحد ديناً سواه، ولاتقبل لأحد عبادة لم يتعبدها محمد رسول الله ﷺ ولا أصحابه، ولايعبد الله تعالى إلا بماشرع وهذه المسألة يأتى إن شاء الله الكلام عليها فى الفصل الأخير، والله المستعان.

محمد ﷺ خاتم الرسل، فلانبى بعده

المسألة الخامسة – أن محمداً ﷺ خاتم الرسل فلا نبى بعده، وكتابه خاتم الكتب فلا كتاب بعده، فهو محكم أبداً. وهذه المسألة هى المشار إليها بهذا البيت والذى بعده.

﴿ وكل من بعده قد ادعى نبوة فكاذب فيما ادعى ﴾
﴿ فهو ختام الرسل باتفاق وأفضل الخلق على الإطلاق ﴾

قال الله تبارك وتعالى ﴿ **ماكان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما** ﴾ وقال تعالى ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾ وقال تعالى ﴿ **ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ وقال تعالى ﴿ **إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده** ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال حدثنى معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لى خمسة أسماء، أنا محمد وأنا أحمد، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب»، ورواه مسلم وزاد «وأنا العاقب الذى ليس بعده نبى» وله عن أبى موسى رضى الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يسمى لنا نفسه أسماء فقال «أنا محمد وأحمد والمقفى والحاشر ونبى التوبة ونبى الرحمة». وقال البخارى رحمه الله تعالى: باب خاتم النبيين ﷺ، حدثنا محمد بن سنان حدثنا سليم عن سعيد بن ميناء عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: قال النبى ﷺ «مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها يتعجبون ويقولون:

لولا موضع اللبنة. رواه مسلم وزاد: قال رسول الله ﷺ «فأنا موضع اللبنة، جئت فختمت الأنبياء»، وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا قتيبة عن سعيد حدثنا إسماعيل بن جعفر عن عبد الله بن دينار عن أبى صالح عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال«ان مثلى ومثل الأنبياء من قبلى كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلاموضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال ﷺ «فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين» رواه مسلم من طرق. وله عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «مثلى ومثل النبيين» فذكر نحوه، وقال الإمام أحمد رحمه الله تعالى: حدثنا أبو عامر الأزدى حدثنا زهير بن محمد عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الطفيل بن أبىّ بن كعب عن أبيه رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «مثلى فى النبيين كمثل رجل بنى داراً فأحسنها وأكملها، وترك فيها موضع لبنة لم يضعها، وجعل الناس يطوفون بالبنيان ويعجبون منه ويقولون: لو تم موضع هذه اللبنة، فأنا فى النبيين موضع تلك اللبنة». وروا‌ه الترمذى عن أبى عامر العقدى به وقال حسن صحيح. وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن شعبة عن الحكم عن مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً، فقال: أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ قال «ألا ترضى أن تكون منى بمنزل هارون من موسى إلا أنه ليس نبى بعدى». ورواه مسلم من طريق مصعب هذه ومن طريق سعيد بن المسيب عن عامر بن سعيد بن أبى وقاص عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلىّ «أنت منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبىّ بعدى» قال سعيد فأحببت أن أشافه بها سعداً فلقيت سعداً فحدثته بما حدثنى به عامر فقال: أنا سمعته، فقلت أنت سمعته؟ فوضع إصبعيه على أذنيه فقال نعم وإلا سُكتا. وتقدم فى حديث ذكر الدجال قوله ﷺ «انه يبدى أنه نبىّ، وأنا خاتم النبيين ولانبى بعدى» الحديث. وعن ثوبان الطويل عند أبى داود وغيره «وأنه سيكون فى أمتى كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبىّ، وأنا خاتم النبيين ولانبىّ بعدى» وللبخارى ومسلم وهذا لفظه: عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «نحن الآخرون ونحن السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتيت الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، ثم هذا اليوم الذى كتبه الله علينا هدانا الله له فالناس فيه تبع، اليهود غداً والنصارى بعد غد». وفى رواية «وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق». وفى صحيح البخارى(١) فى موضعه من صحيحه من طرق عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال «إنما أجلكم فى أجل من خلا من الأمم مابين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال: من يعمل إلى

(١) أنظر فتح البارى شرح صحيح البخارى، من تحقيقنا ح ٣٢٧٢ .

نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط. فقال: من يعمل من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط؟ فعملت النصارى من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط، فقال : من يعمل من صلاة العضر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين؟ قال: ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين، ألا لكم الأجر مرتين. فغضبت اليهود والنصارى، فقالوا نحن أكثر عملاً وأقل عطاء، قال الله تعالى: هل ظلمتكم من حقكم شيئاً؟ قالوا: لا، قال: فإنه فضلي أوتيه من شئت. ولهما عن أبي حازم قال: قاعدت أبا هريرة رضى الله عنه خمس سنين سمعته يحدث عن النبي ﷺ قال «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء» كلما هلك نبي خلف نبي، وإنه لانبي بعدى، وسيكون خلفاء فيكثرون. قالوا: فما تأمرنا؟ قال: فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم، وروى الإمام أحمد والترمذى وصححه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن الرسالة والنبوّة قد انقطعت، فلا رسول بعدى ولانبي» قال فشقّ ذلك على الناس، فقال «ولكن المبشرات» قالوا: يارسول الله وما المبشرات؟ قال «رؤيا الرجل المسلم وهي جزء من أجزاء النبوة» وللبخارى من حديث أبي هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول «لم يبق من النبوّة إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة». وقال مسلم رحمه الله تعالى: حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة بن سعيد وعلى بن حجر قالوا: حدثنا اسماعيل – وهو ابن جعفر – عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لى الغنائم، وجعلت لى الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون. وروى الإمام أحمد عن العرباض بن سارية رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إنى عند الله لخاتم النبيين وإن آدم لمنجدل في طينته». وله عن عبد الله بن عمرو رضى الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ يوماً كالمودع فقال «أنا محمد النبي الأميّ (ثلاثا) ولانبي بعدى، أوتيت فواتح الكلم وجوامعه وخواتمه. وقد وردت عدة أحاديث في صفة خاتم النبوة بين كتفيه آية باهرة ودلالة ظاهرة على أنه لانبي بعده لابأس أن نذكر ماتيسر منها. فروى البخارى ومسلم عن السائب بن يزيد رضى الله عنه قال «ذهبت بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يارسول الله إن ابن أختي وقع. فمسح رأسي ودعا لى بالبركة، وتوضأ فشربت من وضوئه،ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم بين كتفيه مثل زر الحجلة، ولمسلم عن جابر بن سمرة رضى الله عنه قال «كان رسول الله ﷺ قد شمط مقدم رأسه ولحيته»، وكان إذا ادهن لم يتبين، وإذا شعث رأسه تبين، وكان كثير شعر اللحية. فقال رجل: وجهه مثل

السيف. قال: بل كان مثل الشمس والقمر، وكان مستديراً، ورأيت الخاتم عند كتفه مثل بيضة الحمامة يشبهه الحسن. وفى رواية قال: «رأيت خاتماً فى ظهر رسول الله ﷺ كأنه بيضة حمام». وله عن عبد الله بن سرجس رضى الله عنه قال «رأيت النبى ﷺ وأكلت معه خبزاً ولحماً - أوقال ثريداً - قال فقلت له: أستغفر لك النبى ﷺ ؟ قال: نعم ولك ثم تلا هذه الآية ﴿ واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات ﴾ قال «ثم درت خلفه فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه عند ناغض كتفه اليسرى جمع عليه خيلان كأمثال الثآليل» وروى أبو داود الطيالسى عن معاوية بن قرة عن أبيه قال «أتيت رسول ﷺ فقلت: يارسول الله أرنى الخاتم، فقال أدخل يدك فأدخلت يدى فى جربانه فجعلت ألمس أنظر إلى الخاتم، فإذا هو على نغض كتفه مثل البيضة، فما منعه ذاك أن جعل يدعو لى وإن يدى لفى جربانه. ورواه النسائى. وروى الإمام أحمد عن أبى رمثة التيمى قال «خرجت مع أبى حتى أتيت الرسول الله ﷺ فرأيت برأسه ردع حناء، ورأيت على كتفه مثل التفاحة، فقال أبى: إنى طبيب أفلا أطبها لك؟ قال: طبيبها الذى خلقها. قال «وقال لأبى هذا ابنك؟ قال: نعم.قال: أما إنه لايجنى عليك ولاتجنى عليه». وروى البيهقى عن سلمان الفارسى قال «أتيت رسول الله ﷺ فألقى رداءه وقال: ياسلمان انظر إلى ما أمرت به؟ قال فرأيت الخاتم بين كتفيه مثل بيضة الحمامة. وروى يعقوب بن سفيان بإسناده عن التنوحى الذى بعثه هرقل إلى رسول الله ﷺ وهو بتبوك الحديث، وفيه «فحل حبوته عن ظهره ثم قال: ههنا اض لما أمرت به، قال فجلت فى ظهره فإذا أنا بخاتم فى موضع غضروف الكتف مثل الحجمة الضخمة. وروى الإمام أحمد عن غياث البكرى قال: كنا نجالس أبا سعيد الخدرى بالمدينة فسألته عن خاتم رسول الله ﷺ الذى كان بين كتفيه فقال بأصبعه السبابة: هكذا لحم ناشز بين كتفيه ﷺ وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن عبد الله بن أبى حسين حدثنا نافع بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال «قدم مسليمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ فجعل يقول: ان جعل لى محمد من بعده - يعنى الأمر - تبعته. وقدمها فى بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس وفى يد رسول الله ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسليمة فى أصحابه وقال «لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدو أمر الله فيك. ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عنى. ثم انصرف عنه. قال ابن عباس: فسألته عن قول رسول الله ﷺ «وإنى لأراك الذى أريت فيه ما رأيت» فأخبرنى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا نائم رأيت فى يدىَّ سوارين من ذهب، فأهمنى شأنهما، فأوحى إلى فى المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين

يخرجان بعدى أحدهما العنسي والآخر مسليمة. حدثنا إسحاق بن منصور حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن همام أنه سمع أبا هريرة رضى الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ «بينا أنا نائم أتيت بخزائن الأرض، فوضع فى كفى سواران من ذهب، فكبر على، فأوحى إلىّ أن أنفخهما، فنفختهما فذهبا، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جداً وفيما أشرنا إليه كفاية.

(فهو) محمد ﷺ (خاتم الرسل) فلا نبى بعده، والرسالة من باب أولى إذ لايرسل إلا بعد أن يتنبأ، فالنبوة وحى مطلق مجرد ، فإن أمر بتبليغه فرسالة، فكل رسول نبى ولاعكس (باتفاق) من كل كتاب منزل وكل نبى مرسل وكل مؤمن بالله واليوم الآخر (وأفضل الخلق) كلهم (على الاطلاق) بلا استثناء قال الله تبارك وتعالى ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ قال أئمة التفسير من الصحابة فمن بعدهم: هو محمد ﷺ وتقدم قوله ﷺ «أنا سيد ولد آدم ولافخر» وقد أخذ الله عز وجل على جميع الرسل الميثاق فى الإيمان به ونصرته وبشر به كل نبى قومه وبعث إلى الجن والإنس والأسود والأحمر كافة، وأتى فى الدنيا من المعجزات مالم يؤته نبى قبله من انشقاق القمر وحنين الجذع إليه ونبع الماء من أصابعه وتسليم الأشجار والأحجار عليه وغير ذلك.

وأعظم معجزاته هذا القرآن معجزة خالدة أبد الآبدين ودهر الداهرين، لاتفنى عجائبه ولايدرك غاية إعجازه ولايندرس بمرور الأعصار ولايمل مع التكرار. بل يجلى مع ذلك ويتجلى ويعلو على غيره ولايعلى، وكل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها ولم يبق إلا تذكارها، وهوكل يوم براهينه فى مزيد ومعجزاته فى تجديد ﴿ **لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾.

وقد ظهرت ﷺ فضيلته فى ليلة الإسراء والمعراج بتقدمه عليهم إماماً، وعلوه فوق الجميع مقاما، حتى جاوز السبع الطباق إلى سدرة المنتهى إلى حيث شاء الله عز وجل، واختص ﷺ بأشياء فى سماحة شريعته، ووضع الآصار عن أمته وكونه أكثرهم تابعاً، وكذلك يبدو فضله فى الآخرة بكونه أول من تنشق عنه الأرض، وأول شافع وأول مشفع وأول من يستفتح باب الجنة وأول من يدخلها من الأمم أمته، وله الحوض المورود وهو الكوثر، وهو أكثر الانبياء واردا، وله اللواء المعقود وهو لواء الحمد تحته آدم فمن دونه.وله المقام المحمود الذى يغبطه به الأولون والآخرون،ويرغب إليه كلا الخلائق حتى إبراهيم خليل الرحمن، وهو وأمته أول من يجوز الصراط وهم ثلث أهل الجنة، لماجاء أنهم ثمانون صفاً وغيرهم من الأمم أربعون صفاً، وهذه عدة صفوف أهل الجنة مائة وعشرون صفاً،

ويشفع الواحد من أمته في مثل ربيعة ومضر، وله ﷺ الوسيلة وهي أعلى درجة في الجنة ليس فوقها إلا عرش الرحمن عز وجل، وليست هي لأحد غيره ﷺ، وغير ذلك من مقاماته العلية التي لاينالها غيره ولايدركها سواه، وهذا مقام يطول ذكره ولايقدر قدره. ولا يحيطُ بغايته إلا الذي اصطفاه له، وأكرمه به جعلنا الله عز وجل ممن اقتدى به واهتدى بهديه وكان هواه تبعاً لماجاء به آمين.

مسألة: في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطى بها شيئا كرهه، فقال: لاوالذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم خده وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب اليهودي إليه ﷺ فقال: أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطم وجهي؟ فقال: لم لطمت وجهه؟ فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رؤي في وجهه ثم قال «لاتفضلوا بين أنبياء الله عز وجل، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله. ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من بعث، فإذا موسى آخذ بالعرش فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بعث قبلي؟ ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس ابن متي»[1] ولهما عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال «ماينبغي لعبد أن يقول إني خير من يونس ابن متي» ولهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال «لاينبغي لعبد أن يقول أنا خير من يونس بن متي» وفي رواية لمسلم عن النبي ﷺ أنه قال – يعني الله تبارك وتعالى – «لاينبغي لعبد لي» الحديث. قال النووي رحمه الله تعالى في الحديث الأول قوله ﷺ «لا تفضلوا بين أنبياء الله» جوابه من خمسة أوجه: أحدها أنه ﷺ قاله قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به. والثاني قاله أدباً وتواضعاً. والثالث أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول. والرابع إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث. والخامس أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى. رواه ابن كثير رحمه الله تعالى وجها أن التفضيل ليس إليكم وإنما هو إلى الله عز وجل، وعليكم الانقياد له والتسليم والإيمان به. أ.هـ. قلت الوجه الأول من كلام النووي ضعيف، والثاني والخامس فيهما نظر، والرابع قريب. ويقوى عندي الوجه الثالث مع ماذكره ابن كثير، فليس التفضيل بالرأي ومجرد العصبية، ولا بما يلزم منه تنقص المفضول والحطّ من قدره، كل هذا ومافي معناه محرم قطعاً منهي عنه شرعاً، وهوالذي غضب منه رسول الله ﷺ ولو لم يقصده ذلك الأنصاري رضي الله عنه، فغضب النبي ﷺ ونهيه عن ذلك تعليم عام للأمة وزجر بليغ لجميعهم كيلا يقع ذلك أو يصدر عن أحد منهم فيهلك. وأما التفضيل

بما أكرمه الله عز وجل ورفع به درجته ونوه فى الوحى بشرفه من الفضائل الشرعية والأخروية وغير ذلك مما شهد الله تعالى به ورسولهﷺ مما ذكرنا ومما لم نذكر فهو الذى يجب اعتقاده والإيمان به والتصديق والانقياد له والتسليم، فلا يؤخذ علم مايختص بالله ورسوله إلا عن الله وعن رسوله ﷺ. والله المستعان وبه التوفيق.

وقال النووى رحمه الله تعالى فيما قاله ﷺ فى شأن يونس أنه ﷺ قال هذا زاجرا عن أن يتخيل أحد من الجاهلين شيئا من حط مرتبة يونس ﷺ من أجمل مافى القرآن من قصته: قال العلماء وماجرى ليونس ﷺلم يحطه من درجة النبوة مثقال ذرة وخصص يونس بالذكر لما ذكرناه من ذكره فى القرآن بماذكر. وأما قوله ﷺ ماينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس، فالضمير قيل يعود إلى النبى ﷺ، وقيل يعود إلى القائل، أى لايقول ذلك بعض الجاهلين من المجتهدين فى عبادة أوغير ذلك من الفضائل، فإنه لو بلغ من الفضائل مابلغ لم يبلغ درجة النبوة. ويؤيد هذا التأويل الرواية التى فيها قوله ﷺ «لاينبغى لعبد أن يقول أنا خير من يونس ابن متى» والله أعلم.

فصل فى من هو أفضل الأمة بعد رسول اللهﷺ وذكر الصحابة بمحاسنهم، والكف عن مساويهم وماشجر بينهم رضى الله عنهم

أهم مافى هذا الفصل خمس مسائل: الأولى مسائل الخلافة. والثانية فضل الصحابة وتفاضلهم بينهم. والثالثة تولى أصحاب النبى ﷺ وأهل بيته سلام الله ورحمته وبركته عليهم ومحبة الجميع والذب عنهم. الرابعة ذكرهم بمحاسنهم والكف عن مساويهم. والخامسة السكوت عما شجر بينهم وأن الجميع مجتهد: فمصيبهم له أجران أجرعلى اجتهاده وأجر على اصابته، ومخطؤهم له أجر الاجتهاد وخطؤه مغفور.

﴿ وبعده الخليفة الشفيق   نعم نقيب الأمة الصديق ﴾
﴿ ذاك رفيق المصطفى فى الغار   شيخ المهاجرين والأنصار ﴾
﴿ وهو الذى بنفسه تولى   جهاد من عن الهدى تولى ﴾

(وبعده) أى بعد رسول اللهﷺ (الخليفة) له فى أمته (الشفيق) بهم وعليهم (نعم) فعل مدح (نقيب) فاعل نعم، والنقيب عريف القوم وأفضلهم (الصدّيق) هو المخصوص بالمدح وهو النقابة منه لجميع الأمة، وهو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو ابن كعب بن سعد بن مرة التيمى، أول الرجال اسلاما، وأفضل الأمة على الإطلاق رضى الله عنه فلنسق الكلام أولا فى خلافته، ثم فى مقاماته أيام خلافته رضى الله عنه.

فأما خلافته فقد تقدم الحديث فى تقديم النبى ﷺ إياه إماما فى الصلاة مقامه أيام مرضه ﷺ ، وهو فى الصحيحين من طرق عن عائشة بألفاظ، وعن جماعة غيرها من الصحابة رضى الله عنهم فى الصحيحين وغيرهما، منهم أنس وابن عباس وسهل بن سعد وأبو موسى الأشعرى وعمر بن الخطاب، وقد راجعته عائشة وحفصة رضى الله عنهما مرارا وهو يكرر مرارا عديدة يقول «مروا أبا بكر فليصل بالناس، مروا أبا بكر فليصل بالناس[1]، مروا أبا بكر فليصل بالناس» ولما أشير بغيره حرك يده وقال «ليصل بالناس ابن أبى قحافة» وفى رواية يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر رضى الله عنه. وروى البخارى ومسلم عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضى الله عنه قال «أتت امرأة النبى ﷺ فأمرها أن ترجع إليه، قالت أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال ﷺ: إن لم تجدينى فأت أبا بكر وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «بينما أنا نائم رأيتنى على قليب عليها دلو فنزعت منها ماشاء الله ثم أخذها ابن أبى قحافة فنزع منها ذَنوبا أو ذنوبين. وفى نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه، ثم استحالت غرباً، فأخذها ابن الخطاب فلم أر عبقريا من الناس ينزع نزع عمر حتى ضرب الناس بعطن. وفيهما عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة أن ابن عباس رضى الله عنهما كان يحدّث «أن رجلا أتى رسول الله ﷺ فقال إنى رأيت الليلة فى المنام ظلة تنطف السمن والعسل، فأرى الناس يتكففون منها فالمستكثر والمستقل، وإذا سبب واصل من الأرض إلى السماء فأراك أخذت به فعلوت، ثم أخذ به رجل آخر فعلا به، ثم أخذ به رجل آخر فينقطع، ثم وصل فقال أبو بكر: يارسول الله بأبى أنت والله لتدعنى فأعبرها، فقال النبى ﷺ اعبرها. قال: أما الظللة فالإسلام، وأما الذى ينطف السمن والعسل فالقرآن حلاوته تنطف، فالمتكثر من القرآن والمستقل. وأما السَبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذى أنت عليه تأخذ به فيعليك الله عز وجل، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع ثم يوصل فيعلو به. فأخبرنى يارسول الله بأبى أنت أصبت أم أخطأت؟ قال النبى ﷺ: أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً. قال فوالله يارسول الله لتحدثنى بالذى أخطأت قال أتقسم، وفيهما عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ الناس وقال «إن الله تعالى خير عبداً بين الدنيا وبين ماعنده، فاختار ما عند الله عز وجل قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: إن من أمنَّ الناس علىَّ فى صحبته وماله أبا بكر رضى الله عنه ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر خليلا، ولكن أخوّة الإسلام ومودته. لايبقين فى المسجد باب إلا سد إلاباب أبا بكر رضى الله عنه قال » قال

(١) رواه الشيخان وأبو داود .

وروى عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه: ادعى لى أبا بكر أباك وأخاك حتى أكتب كتابا، فإنى أخاف أن يتمنى متمن ويقول قائل أنا أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر. وروى أبو داود عن عبد الله بن زمعة رضى الله عنه قال «لما برسول الله ﷺ وأنا عنده فى نفر من المسلمين دعاه بلال إلى الصلاة فقال: مروا من يصلى للناس. فخرج عبد الله بن زمعة فإذا عمر فى الناس، وكان أبو بكر غائباً، فقلت: ياعمر قم فصل بالناس. فتقدم فكبر، فلما سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رضى الله عنه رجلا مجهرا قال : فأين أبو بكر؟ يأبى الله ذلك والمسلمون. فبعث إلى أبى بكر رضى الله عنه فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس. وفي رواية قال «لما اسمع النبى ﷺ صوت عمر رضى عنه قال ابن زمعة: خرج النبى ﷺ حتى أطلع رأسه من حجرته ثم قال ﷺ : لا، لا، لا. ليصل للناس ابن أبى قحافة. وله عن الحسن عن أبى بكر رضى الله عنه «أن النبى ﷺ قال ذات يوم: من رأى منكم رؤيا؟ قلت أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبى بكر، ووزن عمر وأبو بكر فرجح أبو بكر، ووزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فرأينا الكراهية فى وجه رسول ﷺ. ورواه من طريق عبد الرحمن بن أبى بكرة بمعناه ولم يذكر الكراهية قال «فاستاء لها رسول الله ﷺ » يعنى فساءه ذلك فقال «خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء» وله عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه أنه كان يحدث أن رسول ﷺ قال «أرى الليلة رجل صالح أن أبا بكر نيط برسول الله ﷺ ونيط عمر بأبى بكر ونيط عثمان بعمر قال جابر فلما قمنا من عند رسول الله ﷺ قلنا: أما الرجل الصالح فرسول الله ﷺ ، وأما تنوط بعضهم ببعض فهم ولاة هذا الأمر الذى بعث الله به نبيه ﷺ . وله عن سمرة بن جندب رضى الله عنه «أن رجلا قال: يارسول الله إنى رأيت كأن دلوا دليت من السماء، فجاء أبو بكر فأخذ بعراقيها شرب شرباً ضعيفاً، ثم جاء عمر فأخذ بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء عثمان بعراقيها فشرب حتى تضلع، ثم جاء على فأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شيىء، وروى الترمذى عن حذيفة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال « إنى لأرى مابقائى فيكم، فاقتدوا باللذين من بعدى» وأشار إلى أبى بكر وعمر. حديث حسن. وله عن عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول ﷺ، «لاينبغى لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره»(١) . وروى مسلم عن عائشة رضى الله عنها وسئلت: من كان رسول الله مستخلفا لو استخلفه؟ قالت أبو بكر. فقيل لها ثم من بعد أبى بكر؟ قالت عمر، قيل لها. من بعد عمر؟ قالت أبو عبيدة بن الجراح.

وصفة بيعته رضى الله عنه بخلافة النبوة مارواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها. زوج النبى ﷺ أن رسول الله مات وأبو بكر بالسنح، فقام عمر يقول: والله مامات رسول الله ﷺ

---

(١) رواه الترمذى .

قالت وقال عمر والله ماكان يقع في نفسي إلا ذاك، وليبعثه اللهفليقطعن ايدى رجال وارجلهم، فجاء أبو بكر فكشف عن رسول اللهﷺ فقبله فقال: بأبي انت وامى، طبت حياً وميتا. والذى نفسى بيده لايذيقك الله الموتتين ابدا. ثم خرج فقال: ايها الحالف على رِسْلك. فلما تكلم جلس عمر رضى الله عنهما، فحمد الله ابو بكر واثنى عليه وقال: ألا مَن كان يعبد محمدا فإن محمدا ﷺ قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لايموت وقال ﴿ **إنك ميت وانهم ميتون** ﴾ وقال ﴿ **ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً، وسيجزى الله الشاكرين** ﴾ قال فنشج الناس يبكون.

قال واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة فقالوا: منا أمير ومنكم أمير، فذهب اليهم أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه، فذهب عمر يتكلم فأسكته أبو بكر ثم تكلم أبلغ الناس، فقال فى كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء. فقال حباب: والله لانفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر لا ولكن نحن الامراء وأنتم الوزراء إن قريش هم أوسط العرب دارا وأعربهم أحساباً، فبايعوا عمر بن الخطاب أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول اللهﷺ فأخذ عمر بيده فبايعه وبايعه الناس، فقال قائل: قتلتم سعد بن عبادة، فقال عمر: قتله الله زاد فى رواية: فما كانت من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوف عمر الناس وإن فيهم النفاق، فردهم اللهبذلك، ثم بصر أبو بكر الناس الهدى وعرفهم الحق الذى عليهم وخرجوا به يتلون ﴿ **ومامحمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل** ﴾ إلى ﴿ **الشاكرين** ﴾.

وفيه أيضا عن عمر رضى عنه من خطبته الطويلة قال: ثم إنه بلغنى أن قائلا منكم يقول: واللهلو مات عمر بايعت فلانا. فلا يغترن امرؤ أن يقول إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة وتمت، ألا إنها قد كانت كذلك، ولكن الله وقى شرها. وليس منكم من تقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر. من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا، وإنه قد كان من خيرنا حين توفى الله نبينا ﷺ. إلا أن الأنصار خالفونا واجتمعوا بأسرهم فى سقيفة بنى ساعدة، وخالف عنا على والزبير ومن معهما، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر فقلت لأبى بكر: يا أبا بكر انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار. فانطلقنا نريدهم، فلما دنونا منهم لقينا منهم رجلا صالحا فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم، فقال أين تريدون يامعشر المهاجرين؟ فقلنا: نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار، فقال: لاعليكم أن لاتقربوهم، اقضوا أمركم، فقلت: والله لنأتينهم، فانطلقنا حتى أتينا سقيفة بنى ساعة فإذا

رجل مزمل بين ظهرانيهم، فقلت: من هذا؟ فقالوا هذا سعد بن عبادة. فقلت: ماله؟ قالوا يوعك. فلما جلسنا قليلا تشهد خطيبهم فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال: أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام، وأنتم معشر المهاجرين رهط، وقد دفت دافة من قومكم فإذا هم يريدون أن يختزلونا من أصلنا وأن يحضنونا من الأمر. فلما سكت أردت أن أتكلم، وكنت زوّرت مقالة أعجبتني أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر، وكنت أدارى منه بعض الحد فلما أردت أن أتكلم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلم أبوبكر فكان هو أحلم منى وأوقر، والله ماترك كلمة أعجبتنى فى تزويرى إلا قال فى بديهته مثلها وأفضل منها، حتى سكت فقال: ماذكر فيكم من خير فأنتم له أهل، ولن يعرف هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش، هم أوسط العرب نسبا ودارا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم. فأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح وهو جالس بيننا، فلم أكره مما قال غيرها. كان والله أن أقدّم تضرب عنقى ولايقربنى ذلك من إثم أحب إلى من أتأمر على قوم فيهم أبو بكر، اللهم إلا أن تسول إلى نفسى عند الموت شيئاً لا أجده الآن. فقال قائل من الأنصار: أنا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجّب، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش. فكثر اللغط وارتفعت الأصوات حتى فرقت من الاختلاف، فقلت: ابسط يدك يا أبا بكر. فبسط يده فبايعته وبايعه المهاجرون ثم بايعته الأنصار، ونزونا على سعد بن عبادة. فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عبادة، فقلت قتل الله سعد بن عبادة. قال عمر: وإنا والله ماوجدنا فيما حضرنا من أمر أقوى من مبايعة أبى بكر، خشينا إن فارقنا القوم ولم تكن بيعة أن يبايعوا رجلا منهم بعدنا، فاما بايعناهم على مالاترضى وإما نخالفهم فيكون فساد، فمن بايع رجلا على غير مشورة المسلمين فلا يتابع هو والذى بايعه تغرة أن يقتلا.

وروى الإمام أحمد عن حميد بن عبد الرحمن قال: توفى رسول الله ﷺ وأبو بكر رضى الله عنه فى صائفة من المدينة، قال فجاء فكشف عن وجهه فقبله وقال: فداك أبى وأمى، ما أطيبك حياً وميتاً، مات محمد ورب الكعبة. فذكر الحديث. فانطلق أبو بكر وعمر رضى الله عنهما يتعادان حتى أتوهم، فتكلم أبو بكر فلم يترك شيئا أنزل فى الأنصار أو ذكره رسول الله ﷺ من شأنهم إلا ذكره، وقال: لقد علمتم أن رسول الله ﷺ قال «لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار واديا لسلكت وادى الأنصار»[1] ولقد علمت ياسعد أن رسول الله ﷺ قال وأنت قاعد «قريش ولاة هذا الأمر فبر الناس تبع لبرهم، وفاجرهم تبع لفاجرهم» فقال له سعد: صدقت، نحن الوزراء وأنتم الأمراء، وله باسناد جيد عن رافع الطائى رفيق أبى بكر الصديق فى غزوة ذات السلاسل قال: وسألته عما قيل فى بيعتهم

(١) رواه الشيخان وأحمد.

فقال وهو يحدث عما تقاولت به الأنصار وما كلمهم به وماكلم به عمر بن الخطاب رضى الله عنه الأنصار وماذكر به من إمامتي إياهم بأمر رسول اللهﷺ في مرضه، فبايعوني لذلك وقبلتها منهم، وتخوفت أن تكون فتنة بعدها ردّة. وروى البخارى عن أنس بن مالك أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر وذلك الغد من يوم توفى رسول اللهﷺ وأبوبكر صامت لايتكلم قال: كنت أرجو أن يعيش رسول اللهﷺ حتى يدبرنا، يريد بذلك أن يكون آخرهم، فان يك محمد قد مات فإن الله تعالى قد جعل بين أظهركم نورا تهتدون، به هدى الله محمداً ﷺ، وإن أبا بكر صاحب رسول اللهﷺ وثاني اثنين وإنه أولى المسلمين بأموركم فقدموا فبايعوه، وكانت طائفة قد بايعوه قبل ذلك في سقيفة بني ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر. قال الزهرى عن أنس بن مالك سمعت عمر يقول يومئذ لأبي بكر: اصعد المنبر، فلم يزل به حتى صعد المنبر فبايعه عامة الناس. وقال محمد بن اسحاق حدثني الزهرى حدثني أنس ين مالك قال: لما بويع أبو بكر في السقيفة وكان الغد جلس أبو بكر رضى الله عنه على المنبر، وقام عمر فتكلم قبل أبي بكر فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أيها الناس، إني قد كنت قلت لكم بالأمس مقالة ماكانت وماوجدتها في كتاب الله ولاكانت عهدا عهدها إلي رسول اللهﷺولكني أرى أن رسول الله ﷺ سيدبر أمرنا - يقول يكون آخرنا -وإن الله قد أبقى فيكم الذى هدى له رسول الله ﷺ فإن اعتصمتم به هداكم اللهلماكان هداه الله له، وإن الله تعالى قد جمع أمركم على خيركم صاحب رسول اللهﷺ وثاني اثنين إذ هما في الغار، فقوموا فبايعوه. فبايع الناس أبا بكر رضى الله عنه بيعة العامة بعد بيعة السقيفة. ثم تكلم أبو بكر فحمد الله تعالى وأثنى بما هو أهله ثم قال: أما بعد أيها الناس فإني قد وليت عليكم ولست بخيركم، فان أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني. الصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف منكم قوى عندى حتى أزيح علته إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله عز وجل. لايدع قوم الجهاد في سبيل الله عز وجل إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشفع في قوم قط الفاحشة إلاعمهم اللهبالبلاء. أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم. قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله. وروى البيهقي من طريق ابن خزيمة باسناد عن أبي سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قُبض رسول اللهﷺ واجتمع الناس في دار سعد بن عبادة وفيهم أبو بكر وعمر، قال فقام خطيب الأنصار فقال: أتعلمون أن رسول اللهﷺ كان من المهاجرين وخليفته من المهاجرين ونحن كنا أنصار رسول الله ﷺ ونحن أنصار خليفته كما كنا أنصاره. قال فقام عمر بن الخطاب فقال: صدق قائلكم، أما لو قلتم غير هذا لم نبايعكم. وأخذ بيد أبي بكر وقال: هذا صاحبكم. فبايعه عمر وبايعه

المهاجرون والأنصار. قال فصعد أبو بكر المنبر فنظر فى وجوه القوم فلم ير الزبير، قال فدعا بالزبير فجاء فقال: قلتَ ابن عمة رسول اللهﷺ وحواريه أردت أن تشق عصا المسلمين. فقال: لاتثريب ياخليفة رسول اللهﷺ ، فقام فبايعه. ثم نظر فى وجوه القوم فلم ير عليا. فدعا بعلى بن أبى طالب فجاء فقال: قلت ابن عم رسول اللهﷺ ، وختنه على ابنته، أردت أن تشق عصا المسلمين. قال: لاتثريب ياخليفة رسول اللهﷺ فبايعه. وروى مسلم من طريق ابن شهاب عن عروة عن عائشة رضى الله عنها أنها أخبرته أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ أرسلت إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنهما تسأله ميراثها من رسول اللهﷺ مما أفاء الله عليه بالمدينة وفَدَك ومابقى من خمس خيبر، فقال أبو بكر إن رسول اللهﷺ قال «لانورث، ماتركناه صدقة» إنما يأكل آل محمد ﷺ فى هذا المال، وإنى والله لا أغير شيئاً من صدقة رسول اللهﷺ عن حالتها التى كانت عليها فى عهد رسول الله ﷺ ولأعلمن فيها بما عمل رسول اللهﷺ . فأبى أبو بكر أن يدفع إلى فاطمة شيئاً، فوجدت فاطمة على أبى بكر فى ذلك. قال فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد النبى ﷺ ستة أشهر، فلما توفيت دفنها زوجها على بن أبى طالب ليلا ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها على. وكان لعلى رضى الله عنه من الناس وجه حياة فاطمة رضى الله عنها ، فلما توفيت استنكر علىٌ وجوه الناس، فالتمس مصالحة أبى بكر ومبايعته ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبى بكر أن ائتنا ولايأتينا معك أحد – كراهية أن يحضر عمر بن الخطاب رضى الله عنه – فقال عمر لأبى بكر و الله لاتدخل عليهم وحدك، فقال أبو بكر وماعساهم أن يفعلوا بى، إنى والله لآتيهم. فدخل عليهم رضى الله عنه، فتشهد على بن أبى طالب رضى الله ثم قال: إنا عرفنا يا أبا بكر فضيلتك وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، ولكنك استبددت علينا بالأمر، وكنا نحن نرى لنا حقاً لقرابتنا من رسول اللهﷺ فلم يزل يكلم أبا بكر حتى فاضت عينا أبى بكر رضى الله عنه، فلما تكلم أبو بكر رضى الله عنه قال: والذى نفسى بيده لقرابة رسول الله ﷺ أحبُّ إلىَّ أن أصل من قرابتى. وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال فإنى لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرا رأيت رسول اللهﷺ يصنعه فيها إلا صنعته. فقال على لأبى بكر رضى الله عنهما: موعدك العشية للبيعة. فلما صلى أبو بكر رضى الله عنه صلاة الظهر رقى على المنبر فتشهد وذكر شأن على وتخلفه عن البيعة وعذره بالذى اعتذر إليه، ثم استغفر وتشهد على بن أبى طالب رضى الله عنه فعظم حق أبى بكر رضى الله وأنه لم يحمله على الذى صنعه نفاسة على أبى بكر ولا إنكار للذى فضله به، ولكنا كنا نرى لنا فى الأمر نصيباً فاستبد علينا به فوجدنا فى أنفسنا. فسر بذلك المسلمون وقالوا أصبت، فكان المسلمون إلى على قريباً حين راجع الأمر بالمعروف.

وهذا لاينافى ماذكر فى بيعته إياه حين أرسل إليه لما افتقده ليلة السقيفة أو صبحتها، ولفظة «لم يكن بايع تلك الأشهر» إن كان من قول عائشة فلعلها لم تعلم بيعته الأولى التى أثبتها أبو سعيد وغيره، لأن الرجال فى مثل هذه المسألة أقوم وأعلم بها إذ لايحضرها النساء. وأيضاً فقد قدمنا مراراً أن مجرد النفى لايكون علما وعند المثبت زيادة علم انفرد بها عن النافى، إذ غاية ماعند النافى أنه لايعلم . ولعل عائشة تيقنت عدم حضوره بيعة السقيفة من العشى ولم يبلغها حضوره صبحتها فى البيعة العامة. وإن كان هذا كلام بعض الرواة فهو بمجرد مافهمه من البيعة الأخرى ظن أنه لم يبايع قبل ذلك فقال مصرحاً بظنه «ولم يكن بايع تلك الأشهر» وإنما كانت هذه البيعة بعد موت فاطمة رضى الله عنها لإزالة ماكان حصل من الوحشة والمشاجرة بسبب دعواها، ويشهد لذلك أن على بن أبى طالب رضى الله عنه لم يفارق الصديق رضى الله عنه فى وقت من الأوقات ولاينقطع فى صلاة من الصلوات خلفه، كان خروجه معه إلى ذى القصة حين عقد ألوية الأمراء الأحد عشر فى حياة فاطمة رضى الله عنها فى الشهر الثالث من وفاة رسول اللهﷺ كما روى الدارقطنى من طريق مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: لما برز أبو بكر إلى ذى القصة واستوى على راحلته، أخذ على بن أبى طالب رضى الله عنه بزمامها وقال: إلى أين ياخليفة رسول الله ﷺ ؟ أقول ماقال رسول الله ﷺ يوم أحد: لم سيفك ولاتفجعنا بنفسك وارجع إلى المدينة، فوالله لئن فجعنا بك لايكون للإسلام نظام أبدا، فرجع. ورواه زكريا الساجى من حديث عبد الوهاب ابن موسى بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف والزهرى أيضا عن أبى الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: خرج أبى شاهرا سيفه راكبا على راحلته إلى وادى القصة فجاء على بن أبى طالب رضى الله عنه فأخذ بزمام راحلته فقال: إلى أين ياخليفة رسول الله ؟ أقول لك ماقال رسول اللهﷺ يوم أحد: لم سيفك ولاتفجعنا بنفسك فوالله لئن أصبنا بك لايكون للإسلام نظام أبداً. فرجع وأمضى الجيش. وفى الصحيح خروجهما إلى خارج المدينة وأن أبا بكر رضى الله عنه وجد الحسن بن على يلعب مع الصبيان فحمله وهو يقول:

يا بأبى شبيه بالنبى ليس شبيها بعلى

وعلى رضى الله عنه يضحك. ومن تدبر النصوص فى ذلك واجماع المهاجرين والأنصار وأهل بيت النبى ﷺ وغيرهم ظهر له تأويل قول الصادق المصدوق ﷺ «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».

وأما فضله فقال تبارك وتعالى ﴿ **ثانى اثنين إذ هما فى الغار** ﴾ وقال الله تبارك وتعالى ﴿ **والذى جاء بالصدق وصدّق به، أولئك هم المتقون** ﴾ وقال ﴿ **وسيجنّبها الأتقى الذى**

يؤتى ماله يتزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى، إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى ﴾ حكى جماعة من المفسرين على أنها نزلت فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه. وفى الصحيحين من حديث الهجرة الطويل «فارتحلنا والقوم يطلبوننا فلم يدركنا أحد منهم غير سراقة بن مالك بن جعشم على فرس له، فقلت: هذا الطلب، قد لحقنا يارسول الله، فقال: لاتحزن إن الله معنا. وفيهما من حديث أنس بن مالك رضى الله عنه عن أبى بكر رضى الله عنه قال «قلت للنبى ﷺ وأنا فى الغار: لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ماظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما وفيهما عن ابن عمر رضى الله عنهما قال «كنا نخير بين الناس فى زمن النبى ﷺ فنخير أبا بكر ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان ابن عفان رضى الله عنهم»، وفى لفظ قال «كنا فى زمن النبى ﷺ لانعدل بأبى بكر أحدا ثم عمر ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبى ﷺ لانفاضل بينهم» وفيهما واللفظ لمسلم عن سعيد بن المسيب وأبى سلمة بن عبد الرحمن أنهما سمعا أبا هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «بينما رجل يسوق بقرة له قد حمل عليها التفتت إليه البقرة فقالت: إنى لم أخلق لهذا ولكنى إنما خلقت للحرث، فقال الناس: سبحان الله تعجبا وفزعا أبقرة تكلم؟ فقال رسول الله ﷺ : فانى أؤمن به وأبو بكر وعمر» وقال أبو هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ «بينما راع فى غنمه عدا عليها الذئب فأخذ منها شاة فطلبه الراعى حتى استنقذها منه، فالتفت اليه الذئب فقال له: من لها يوم السبع، يوم ليس لها راع غيرى. فقال الناس سبحان الله . فقال رسول الله ﷺ : فانى أؤمن بذلك أنا وأبو بكر وعمر، وفى رواية لهما «ومن ثم أبو بكر وعمر» ولمسلم «وماهما ثم» وفى صحيح البخارى عن همام قال: سمعت عمارا يقول «رأيت رسول الله ﷺ ومامعه إلا خمسة أعبد وامرأتان وأبو بكر» (١) . وفيه عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال «كنت جالساً عند النبى ﷺ إذ أقبل أبو بكر آخذ بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبته، فقال النبى ﷺ : أما صاحبكم فقد غامر، فسلم وقال: يارسول الله إنه كان بينى وبين ابن الخطاب شىء فأسرعت اليه ثم ندمت فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت إليك. فقال: يغفر الله لك يا أبا بكر ثلاثاً، ثم إن عمر رضى الله عنه ندم فأتى منزل أبا بكر فسأل: أثم أبو بكر؟ فقالوا لا، فأتى إلى النبى ﷺ فسلم عليه فجعل وجه النبى ﷺ يتمعّر حتى أشفق أبو بكر رضى الله عنه فجثا على ركبتيه فقال: يارسول الله ﷺ أنا كنت أظلم مرتين. فقال ﷺ : إن الله بعثنى إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ مرتين. فما أوذى بعدها - وفى رواية - فقال رسول الله ﷺ ، هل أنتم تاركو لى صاحبى، هل أنتم تاركو لى صاحبى؟ إنى قلت يا أيها الناس إنى رسول الله إليكم فقلتم كذبت وقال أبو بكر

(١) رواه الترمذى .

صدقت. قال أبو عبد الله – هو البخارى – سبق بالخير. ولهما عن أبى هريرة رضى الله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: من أنفق زوجين من شيء من الأشياء فى سبيل الله دعى من أبوب الجنة: ياعبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة، ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام وباب الريان. فقال أبو بكر: ماعلى هذا الذى يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. وقال: هل يدعى منها كلها أحد يارسول الله ؟ قال نعم، وأرجو أن تكون منهم يا أبا بكر» وفيه عن عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت أى الناس أحبُّ إليك؟ قال: عائشة، فقلت من الرجال؟ فقال: أبوها. قلت ثم من ؟ قال: ثم عمر بن الخطاب، فعد رجالا. وفيه عن محمد ابن الحنفيه قال: قلت لأبى أى الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال أبو بكر، قلت ثم من؟ قال عمر، وخشيت أن يقول عثمان فقلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجل من المسلمين. وفيه عن عروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله بن العاص أخبرنى بأشد ماصنع المشركون برسول الله ﷺ ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلى بفناء الكعبة إذا أقبل عقبة بن أبى معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه فى عنقه فخنقه خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفع عن رسول الله ﷺ وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم. وفيهما عن سعيد بن المسيب قال: أخبرنى أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه أنه توضأ فى بيته ثم خرج فقلت: لألزمن لرسول الله ﷺ ولأكونن معه يومى هذا، قال فجاء المسجد فسأل عن النبى ﷺ فقالوا خرج ووجه ههنا، فخرجت على أثره أسأل عنه حتى دخل بئر أريس فجلست عند الباب وبابها من جريد حتى قضى رسول الله ﷺ حاجته فتوضأ، فقمت إليه فإذا هو جالس على بئر أريس وتوسط قفها وكشف عن ساقيه ودلاهما فى البئر فسلمت عليه ثم انصرفت فجلست عند الباب فقلت لأكونن بواب رسول الله ﷺ اليوم، فجاء أبو بكر فدفع الباب فقلت: من هذا؟ فقال أبو بكر، فقلت على رسلك، ثم ذهبت فقلت يارسول الله هذا أبو بكر يستأذن، فقال ائذن له وبشره بالجنة، فأقبلت حتى قلت لأبى بكر: ادخل ورسول الله ﷺ يبشرك بالجنة، فدخل أبو بكر فجلس عن يمين رسول الله ﷺ معه فى القف ودل رجليه فى البئر كما صنع النبى ﷺ وكف عن ساقيه، ثم رجعت فجلست وقد تركت أخى يتوضأ ويلحقنى، فقلت إن يرد الله بفلان خيراً – يريد أخاه – يأت به، فإذا إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عمر بن الخطاب، فقلت: على رِسْلك، ثم جئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه فقلت: هذا عمر بن الخطاب يستأذن، فقال: ائذن له وبشره بالجنة، فجئت فقلت له ادخل وبشرك

رسول الله ﷺ بالجنة، فدخل فجلس مع رسول الله ﷺ فى القف عن يساره ودلى رجليه فى البئر، ثم رجعت فجلست فقلت ان يرد الله بفلان خيرا يأت به، فجاء إنسان يحرك الباب، فقلت من هذا؟ فقال عثمان بن عفان، فقلت على رِسْلك، فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته فقال: ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه، فقلت له ادخل وبشرك رسول الله بالجنة على بلوى تصيبك، فدخل فوجد القف قد ملئ فجلس وجاهه من الشق الآخر. قال سعيد بن المسيب: فأولتها قبورهم. وفيهما عن أنس رضى الله عنه أن النبى ﷺ صعد أحدا وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم فقال «اثبت»، فإنما عليك نبى وصديق وشهيدان. وللترمذى عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال لأبى بكر «أنت صاحبى على الحوض» وصاحبى فى الغار. وقال حسن صحيح. وله عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال «أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق، ووافق ذلك عندى مالا، فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً. قال فجئت بنصف مالى، فقال رسول الله ﷺ ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله. وأتى أبو بكر رضى الله عنه بكل ماعنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال أبقيت لهم الله ورسوله. قلت لا أسبقه إلى شيء أبدا. هذا حديث حسن صحيح. ولمسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من أصبح منكم اليوم صائما؟ قال أبو بكر أنا، قال فمن تبع منكم اليوم جنازة؟ قال أبو بكر أنا. قال فمن أطعم منكم اليوم مسكيناً ؟ قال أبو بكر أنا. قال فمن عاد منكم اليوم مريضاً؟ قال أبو بكر أنا فقال رسول الله ﷺ: ما اجتمعن فى امرئ إلا دخل الجنة. والأحاديث فى الصديق كثيرة جداً، قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكر كفاية فى التنبية على ماوراءه، وما أحسن ماقال حسان بن ثابت رضى الله عنه:

إذا تذكرتَ شجواً من أخى ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية أوفاها وأعدلها ... بعد النبى وأولاها بما حملا
والتالى الثانى المحمود مشهده ... وأول الناس منهم صدّق الرسلا
وعاش حميداً لأمر الله متبعاً ... بأمر صاحبه الماضى وما انتقلا

وأما ما منحه الله تعالى من المواقف العظيمة مع النبى ﷺ من حين بعثته إلى أن توفاه الله عل وجل من نصرته والذب عنه والشفقة عليه والدعوة إلى مادعا إليه وملازمته إياه ومواساته بنفسه وماله، وتقدمه معه فى كل خير، فأمر لاتدرك غايته، ثم لما توفى الله عز وجل نبيه ﷺ كان من رحمة الله تعالى بهذه الأمة أن ولاه أمرهم بعد نبيه، وجمعهم عليه بلطفه، فجمع الله به شمل العرب بعد شتاته، وقمع به كل عدوّ للدين ودمر عليه وألف له الأمة وردهم إليه، بعد أن ارتد أكثرهم عن دينه وانقلب الغالب منهم على أعقابهم

كافرين. حتى قيل: لم يبق يصلي إلا في ثلاثة مساجد الحرمين الشريفين ومسجد العلاء ابن الحضرمي بالبحرين، فردهم الله تعالى إلى الحق طوعا وكرها وأطفأ به كل فتنة في أقل من ستة أشهر ولله الحمد والمنة. قال الله تبارك وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي ا بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل ا ولايخافون لومة لائم** ﴾ الآيات. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه والحسن البصري وقتادة: هم أبو بكر وأصحابه الذين قاتلوا أهل الردة ومانعي الزكاة. وذلك أن النبي ﷺ لما قبض ارتد عامة العرب، إلا أهل مكة والمدينة والبحرين من عبد القيس، ومنع بعضهم الزكاة.وهمّ أبو بكر رضي الله عنه بقتالهم فكره ذلك أصحاب النبي ﷺ وقال عمر رضي الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابهم على الله عز وجل» فقال أبو بكر رضي عنه: فو الله لأقتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لومنعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله لقاتلتهم على منعها. قال أنس بن مالك رضي الله عنه: كرهت الصحابة رضي الله عنهم قتال مانعي الزكاة وقالوا أهل القبلة، فتقلد أبو بكر رضي الله عنه سيفه وخرج وحده، فلم يجدوا بدا من الخروج في أثره قال ابن مسعود رضي الله عنه: كرهنا ذلك في الابتداء، ثم حمدناه في الانتهاء. قال أبوبكر بن عياش: سمعت أبا حصين يقول: ماولد بعد النبيين مولود أفضل من أبي بكر رضي الله عنه ، لقد قام مقام نبي من الأنبياء في قتال أهل الردّة، وكان قد ارتد في حياة النبي ﷺ ثلاث فرق منهم بنو مذحج ورئيسهم ذو الخمار عبهلة بن كعب العنسي ويلقب الأسود، وكان كاهنا مشعبذا فتنبأ باليمن واستولى على بلاده، فكتب رسول الله ﷺ إلى معاذ بن جبل ومن معه من المسلمين وأمرهم أن يحثوا الناس على التمسك بدينهم وعلى النهوض لحرب الأسود فقتله فيروز الديلمي على فراشه قال رضي الله عنه: فأتى الخبر النبي ﷺ من السماء في الليلة التي قتل فيها، فقال ﷺ «قتل الأسود البارحة قتله رجل مبارك» قيل ومن هو؟ قال «فيروز، فاز فيروز» فبشر النبي ﷺ أصحابه بهلاك الأسود، وقبض النبي ﷺ من الغد وأتى خبر مقتل العنسي المدينة في آخر شهر ربيع الأول بعد ماخرج أسامة وكان ذلك أول فتح جاء أبا بكر رضي الله عنه والفرقة الثانية بنو حنيفة ورئيسهم مسيلمة الكذاب، وكان قد تنبأ في حياة رسول الله ﷺ في آخر سنة عشر وزعم أنه اشترك مع محمد ﷺ في النبوة، وكتب إلى رسول الله ﷺ «من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله : أما بعد فإن الأرض نصفها لي ونصفها لك.، وبعث إليه رجلين من أصحابه فقال لهما رسول الله ﷺ «لولا أن الرسل لاتقتل لضربت أعناقكما »

ثم أجاب « من محمد رسول الله ﷺ ، إلى مسليمة الكذاب: إمابعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين. ومرض رسول الله ﷺ وتوفي ، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد إلي مسليمة الكذاب في جيش كثير حتى أهلكه الله على يدى وحشى غلام مطعم ابن عدىّ الذى قتل حمزة بن عبد المطلب بعد حرب شديدة، وكان وحشى يقول: قتلت خير الناس في الجاهلية وشر الناس في الإسلام. والفرقة الثالثة بنو أسد ورأسهم طليحة بن خويلد، وكان طليحة اخر من ارتد وادعى النبوة في حياة النبي ﷺ وأول من قوتل بعد وفاة رسول الله ﷺ من أهل الردّة، فبعث أبو بكر خالد بن الوليد فهزمهم خالد بعد قتال شديد، وأفلت طليحة فمر على وجهه هاربا نحو الشام، ثم إنه أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه.

وارتد بعد وفاة النبي ﷺ في خلافة أبي بكر رضي الله عنه خلق كثير حتى كفى الله المسلين أمرهم، ونصر دينه على يدى أبي بكر رضى عنه ، قالت عائشة رضى الله عنها: توفى رسول الله وارتدت العرب واشرأبٌ النفاق ونزل بأبى مالو نزل بجبّار لهاضه. انتهى من تفسير البغوى رحمه . وروى.ابن أبي حاتم عن حسن البصرى **﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾** قال حسن: هو والله أبو بكر وأصحابه. وأخرج عبد بن بن حميد وابن جرير وابن المنذر وأبو الشيخ والبيهقي في سننه وابن عساكر عن قتادة: قال الله تعالى هذه الآية **﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم ﴾** وقد علم أنه سيرتد مرتدون من الناس، فلما قبض نبيه ﷺ ارتد عامة العرب عن الإسلام إلا ثلاثة مساجد أهل المدينة، وأهل مكة، وأهل جؤاثى من عبد القيس. وقال الذين ارتدوا: نصلى الصلاة ولانزكى، والله لاتغصب أموالنا. فكلم أبو بكر في ذلك ليتجاوز عنهم، قيل له: إنهم لو قد فقهوا أدوا الزكاة. فقال: والله لا أفرق بين شيء جمعه الله عز وجل، ولو منعونى عقالا مما فرض الله ورسوله لقاتلتهم عليه، فبعث الله عصائب مع أبي بكر فقاتلوا حتى أقروا بالماعون وهو الزكاة. قال قتادة: فكنا نتحدث أن هذه الآية نزلت في أبي بكر وأصحابه **﴿ فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه﴾** إلى آخر الآية. ولا ينافي هذا ماورد من أنها نزلت في أهل اليمن كما أخرج ابن جرير عن شريح عن عبيد قال: لما أنزل الله تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه ﴾**. الآية، قال عمر رضى الله عنه: أنا وقومى يارسول الله؟ قال «لا. بل هذا وقومه» يعنى أبا موسى الأشعرى. وأخرج ابن سعيد وابن أبي شيبة في مسندة وعبد بن حميد والحكيم الترمذى وابن جرير وابن المنذر وانب أبي حاتم والطبراني وأبو الشيخ وابن مردويه **﴿فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه ﴾** قال رسول الله «هم قوم هذا» وأشار إلى أبي موسى الأشعرى رضى الله عنه. وأخرج أبو الشيخ وابن مردويه والحاكم في جمعه لحديث

شعبة والبيهقى وابن عساكر عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال تليت على النبى ﷺ ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم** ﴾ الآية فقال النبى ﷺ «قومك يا أبا موسى الأشعرى، أهل اليمن». وأخرج ابن أبى حاتم فى الكنى والطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ وابن مردويه بسند حسن عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عن قوله ﴿ **فسوف يأتى الله بقوم** ﴾ الآية فقال «هؤلاء قوم من أهل اليمن ثم كندة ثم السكون ثم تجيب»، وأخرج البخارى فى تأريخه وابن أبى حاتم وأبو الشيخ عن ابن عباس فى الآية قال: هم قوم من أهل اليمن ثم من كندة ثم من السكون. وأخرج ابن أبى شيبة عنه قال: هم أهل القادسية، قلت: وكان غالب أهل القادسية من أهل اليمن، بل كانت بجيلة ربع الناس فضلا عن غيرهم، وكان بأس الناس الذى هم فيه، كما رواه ابن اسحاق عن اسماعيل بن أبى خالد عن قيس بن أبى حازم قال: وكان يمر عمرو بن معد يكرب الزبيدى فيقول: يامعشر المهاجرين كونوا أسودا، فإنما الفارسى تيس. وقد قتل رضى الله عنه أسوار فارس الفرسَ وأبلى بلاء حسنا، وكانت له اليد البيضاء يومئذ، وأخرج البخارى رحمه الله تعالى فى تأريخه عن القاسم بن مخيمرة قال: أتيت ابن عمير فرحب بى ثم تلا ﴿ **من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه** ﴾ الآية ثم ضرب على منكبى وقال: أحلف بالله أنه لمنكم أهل اليمن – ثلاثا – وكل هذا لاينافى ماقدمناه من نزولها فى أبى بكر أولا، فإن أهل اليمن لم يرتد جميع قبائلهم يومئذ، وإنما ارتد كثير منهم مع الأسود العنسى وثبت كثير منهم على الإيمان مع معاذ بن جبل وأبى موسى وفيروز الديلمى وغيرهم من عمال النبى ﷺ ، ونشب بين مؤمنهم وكافرهم قتال عظيم حتى قتل الله الأسود على يد فيروز وأيد الله الذين آمنوا منهم على عدوهم فأصبحوا ظاهرين، ولكن لم يرجع أمرهم على ماكانوا عليه قبل العنسى إلا فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه، فانه لم يزل يتابع الكتائب مددا لمؤمنهم على كافرهم حتى راجعوا الإسلام وكانوا من أعظم أنصاره حتى صار رؤساء ردتهم كعمرو بن معد يكرب وقيس بن مشكوح وغيرهم من أعظم الناس وأشدهم بلاء فى أيام الردة والفتوح، فحينئذ عاد المعنى إلى أبى بكر وأصحابه وهم من أصحابه، وكل هذا فى شأن السبب لنزول الآية، وإلا فهى عامة لكل مؤمن يحب الله ويحبه ويوالى فيه ويعادى فيه ولايخاف فى الله لومة لائم، وكان أبو بكر وأصحابه أسعد الناس بذلك وأقدمهم فيه وأسبقهم إليه وأول من تناولته الآية، رضى الله عنه وأرضاه وعن أنصار الإسلام وحزبه أجمعين. وفى الصحيحين وغيرهما عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: لما توفى رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر رضى الله عنه: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ «أمرت أن

أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله عز وجل» فقال أبو بكر: والله لأقتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر بن الخطاب: فوالله ماهو إلا أن رأيت الله عز وجل قد شرح صدر أبى بكر للقتال فعرفت أنه الحق. وتفاصيل مواقفه العظام رضى الله عنه مشهورة مبسوطة فى كتب السيرة وغيرها، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر، وكانت وفاته رضى الله عنه فى يوم الإثنين عشية وقيل بعد المغرب ودفن من ليلته وذلك لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة بعد مرض خمسة عشر يوما، وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه يصلى بالمسلمين، وفى أثناء هذا المرض عهد بالأمر من بعده إلى عمر بن الخطاب، وكان الذى كتب العهد عثمان بن عفان وقرىء على المسلمين فأقروا به وسمعوا له وأطاعوا. وكان عمر الصدّيق رضى الله عنه يوم توفى ثلاثا وستين سنة السن الذى توفى فيه رسول الله ﷺ، وقد جمع الله بينهما فى التربة كماجمع بينهما فى الحياة، فرضى الله عنه وأرضاه، ومن جميع أبواب الجنة دعاه، وقد فعل ولله الحمد والمنة.

﴿ ثانيــه فى الفـضل بلا ارتيـاب الصــادع الناطق بالصــواب ﴾
﴿ أعنى به الشـهم أبا حـفص عـمـر من ظاهر الدين القــويم ونصــر ﴾
﴿ الصــارم المنكى على الكفـــار ومـوسع الفـتـوح فى الأمـصـار ﴾

ثانيه أى ثانى أبى بكر (فى الفضل) على الناس بعده فلا أفضل منه وكذا هو ثانيه فى الخلافة بالاجماع (بلا ارتياب) أى بلا شك (الصادع) بالحق المجاهر به الذى لايخاف فى الله لومة لائم، ومنه قول الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ فكان عمر رضى الله عنه كذلك، وبه سماه النبى ﷺ فاروقا (الناطق بالصواب) والذى وافق الوحى فى أشياء قبل نزوله كما سيأتى. (أعنى به) أى بهذا النعت (الشهم) الذكى المتوقد السيد المطاع الحكم القوى فى أمر الله الشديد فى دين الله (أبا حفص عمر) بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب العدوى ثانى الخلفاء وإمام الحنفاء بعد أبى بكر رضى الله عنهما وأول من تسمى أمير المؤمنين، (الصارم) السيف المسلول (المنكى) من النكاية (على الكفار) لشدته عليهم وإثخانه إياهم حتى إن كان شيطانه ليخافه أن يأمره بمعصية كما قاله على بن أبى طالب رضى الله عنه (وموسع) من الاتساع (الفتوح) فتوح الإسلام (فى الأمصار) فكمل فتوح بلاد الروم بعد اليرموك ثم بلاد فارس حتى مزق الله به ملكهم كل ممزق، ثم أوغل فى بلاد الترك كما هو

مبسوط في كتب السير وغيرها. تقدمت إشارات النصوص النبوية إلى خلافته قريبا مع ذكر أبي بكر رضي الله عنه وكثير من فضائله أيضا التي شارك فيها أبا بكر. وفي الصحيحين عن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «رأيتني دخلت الجنة فإذا أنا بالرميصاء امرأة أبي طلحة، وسمعت خشخشة فقلت من هذا؟ فقال هذا بلال، ورأيت قصرا بفنائه جارية، فقلت لمن هذا؟ فقال لعمر، فأردت أن أدخله فأنظر إليه فذكرت غيرتك، فقال عمر: بأبي وأمي يارسول الله أعليك أغار؟»[1] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال «بينا نحن عند رسول الله ﷺ إذ قال: بينا أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر، فقلت لمن هذا القصر؟ فقالوا لعمر، فذكرت غيرته فوليت مدبراً. فبكى عمروقال: أعليك أغار يارسول الله ؟ وعن حمزة بن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن أبيه عن رسول الله ﷺ قال «بينا أنا نائم إذ رأيت قدحا أتيت به فيه لبن فشربت منه حتى إني لأرى الرى يجرى في أظفاري، ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. قالوا فما أولت ذلك يارسول الله؟ قال العلم وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «بينا أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدى، ومنها مايبلغ دون ذلك. وعرض علي عمر بن الخطاب وعليه قميص يجتره. قالوا فما أولته يارسول الله؟ قال: الدين. وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال «استأذن عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ، وعنده نسوة من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن على صوته ﷺ، فلما استأذن عمر بن الخطاب قمن فبادرون الحجاب، فأذن له رسول الله ﷺ ، فدخل عمر ورسول الله ﷺ يضحك، فقال عمر: أضحك الله سنك يارسول الله ، فقال النبي ﷺ : عجبت من هؤلاء اللاتي كن عندي، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب. فقال عمر: فأنت أحق أن يهبن يارسول الله فقال: عمر ياعدوات أنفسهن، أتهبنني ولاتهبن رسول الله ﷺ ؟ فقلن: نعم أنت أفظ وأغلظ من رسول الله ﷺ . فقال رسول الله ﷺ : ايها يا ابن الخطاب، والذي نفسي بيده مالقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك» وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ «لقد كان فيمن كان قبلكم من بني إسرائيل رجال يكلمون من غير أن يكونوا أنبياء، فإن يكن من أمتي منهم أحد فعمر»، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: لما توفي عبد الله بن أبيّ جاء ابنه عبد الله بن عبد الله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه وأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه فقال: تصلي عليه وهو منافق وقد نهاك الله أن تستغفر لهم؟ قال إنما خيرني الله– أو أخبرني الله – فقال ﴿ **استغفر لهم أو لا تستغفر لهم، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم** ﴾ فقال: سأزيده على سبعين. قال فصلى عليه رسول الله ﷺ

(١) انظر الفتح ح ٣٤٧٦ .

وصلينا معه ثم أنزل الله عليه ﴿ **ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولاتقم على قبره، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون** ﴾ متفق على جميعها. وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال «لما مات عبد بن أبيّ ابن سلول دعى له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يارسول الله أتصلي على ابن أبيّ وقد قال يوم كذا كذا وكذا، قال أعدد عليه قوله. فتبسم رسول الله ﷺ وقال: أخر عني ياعمر، فلما أكثرت عليه قال: إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين يغفر له لزدت عليها. قال فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يلبث إلايسيراً حتى نزلت الآيتان من براءة ﴿ **ولاتصل على أحد منهم مات أبداً** ﴾ إلى قوله ﴿ **وهم فاسقون** ﴾ قال: فعجبت من جرأتي على رسول الله ﷺ والله ورسوله أعلم» وفي صحيح مسلم من حديث ابن عباس رضي الله عنه في قصة أسارى بدر بطوله قال ابن عباس. فلما أسروا الأسارى قال رسول الله ﷺ لأبي بكر وعمر: ماترون في هؤلاء الأسارى؟ فقال أبو بكر هم يانبي الله بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية، فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله أن يهديهم للإسلام. فقال رسول الله ﷺ: ماترى يا ابن الخطاب؟ قلت: لا والله يارسول الله. ما أرى الذى رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تضرب أعناقهم فتمكن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكنني من فلان – نسيبا لعمر – فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى رسول الله ﷺ ماقال أبو بكر ولم يهو ماقلت، فلما كان من الغد جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر قاعدين يبكيان، قلت: يارسول الله أخبرني من أى شيء تبكي أنت وصاحبك، فان وجدت بكاء بكيت، وإن لم أجد بكاء تباكيت لبكائكما، فقال رسول الله ﷺ أبكي للذى عرض علي في أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة – شجرة قريبة من نبي الله ﷺ – وأنزل الله عز وجل ﴿ **ماكان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض** ﴾ إلى قوله ﴿ **فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا** ﴾ فأحل الله الغنيمة لهم. وفي صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: قال عمر رضي الله عنه : وافقت الله في ثلاث – أو وافقني الله في ثلاث – قلت يارسول الله لو اتخذت من مقام ابراهيم مصلى فأنزل الله تعالى ﴿ **واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى** ﴾، وقلت يارسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب، قال وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه فدخلت عليهن قلت إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله ﷺ خيراً منكن، حتى أتيت إحد نسائه قالت ياعمر مافي رسول الله ﷺ مايعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله تعالى ﴿ **عسى ربه**

إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات ﴾ وعنه رضى الله عنه أن رجلا سأل النبىﷺ عن الساعة فقال متى الساعة؟ قال وماذا أعددت لها؟ قال لاشىء، إلا أنى أحب اللهورسوله ﷺ. فقال: أنت مع من أحببت. قال أنس: فما فرحنا بشىء كما فرحنا بقول النبى ﷺ «أنت مع من أحببت» قال أنس: فأنا أحب النبى ﷺ وأبو بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبى إياهم وإن لم أعمل بمثل أعمالهم. وعن ابن عمر رضى الله عنه قال: مارأيت أحداً قط بعد رسول اللهﷺ من حين قبض كان أحد وأجود حتى انتهى من عمر ابن الخطاب رضى الله عنه. وعن المسور بن مخرمة قال: لما طعن عمر رضى الله عنه جعل يألم، فقال ابن عباس رضى الله عنهما وكأنه يجزعه: يا أمير المؤمنين، ولئن كان ذلك لقد صحبت رسول اللهﷺ فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت أبا بكر فأحسنت صحبته، ثم فارقته وهو عنك راض. ثم صحبت صحبتهم، ولئن فارقتهم لتفارقنهم وهم عنك راضون. قال: أما ماذكرت من صحبة رسول اللهﷺ ورضاه فإنما ذاك من الله تعالى منٌ به تعالى علىّ، وأما ما ذكرت من صحبة أبى بكر ورضاه فانما ذلك من الله عز وجل ذكره منٌ به على، وأما ماترى من جزعى فهو من أجلك وأجل صاحبك، والله وأن لى طلاع الأرض ذهبا لافتديت به من عذاب الله عز وجل قبل أن أراه. وفيهما عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: وضع عمر على سريره، فتكنفه الناس يدعون ويصلون قبل أن يرفع وأنا فيهم، فلم يرعنى إلا رجل أخذ منكبى فإذا على رضى الله عنه فترحم على عمر وقال: ماخلفت أحدا أحب إلى أن ألقى الله بمثل عمله منك. وايم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله تعالى مع صاحبيك، وحسبك أنى كنت أسمع النبى ﷺ يقول كثيرا: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر. زاد مسلم فى آخره أيضا: فان كنت لأرجو أو لأظن أن يجعلك الله تعالى معهما. والأحاديث فى فضله كثيرة جدا قد أفردت بالتصنيف، وفيما ذكرنا كفاية.

وكان قصة استشهاده ماذكره البخارى رحمه الله تعالى قال: حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن حصين عن عمرو بن ميمون قال: رأيت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قبل أن يصاب بأيام بالمدينة وقف على حذيفة بن اليمان وعثمان بن حنيف وقال: كيف فعلتما؟ أتخافان أن تكونا قد حملتما الأرض مالا تطيق؟ قالا حملناها أمرا هى له مطيقة، مافيها كبير فضل، قال: انظر أن تكونا حملتما الأرض مالاتطيق. قالا لا. فقال عمر لئن سلمنى الله تعالى لأدعن أرامل أهل العراق لايحتجن إلى رجل بعدى أبدا. قال فما أتت عليه رابعة حتى أصيب رضى الله عنه. قال إنى لقائم مابينى وبينه إلا عبد الله بن عباس غداة أصيب وكان إذا مر بين الصفين قال استووا، حتى إذ لم ير فيهن

خللا تقدم فكبر، وربما قرأ سورة يوسف أو النحل أو نحو ذلك في الركعة الأولى حتى يجتمع الناس، فما هو إلا أن كبر حتى سمعته يقول: قتلني - أو أكلني - الكلب حين طعنه، فطار العلج بسكين ذات طرفين لايمر على أحد يمينا ولاشمالا إلا طعنه، حتى طعن ثلاثة عشر رجلا مات منهم سبعة، فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا فلما ظن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه، وتناول عمر يد عبد الرحمن بن عوف فقدمه، فمن يلى عمر فقد رأى الذى أرى وأما نواحي المسجد فلا يدرون غير أنهم فقدوا صوت عمر رضى الله عنه وهم يقولون: سبحان الله سبحان الله، فصلى بهم عبد الرحمن بن عوف صلاة خفيفة، فلما انصرفوا قال: ياابن عباس، انظر من قتلني. فجال ساعة ثم جاء فقال: إنه غلام المغيرة، فقال: الصنع؟ قال: نعم. قال: قاتله الله ، لقد أمرت به معروفا، الحمد لله الذى لم يجعل منيتي بيد رجل يدعى الإسلام، فقد كنتَ أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة. وكان العباس أكثرهم رقيقا. فقال: إن شئت فعلتُ، أي إن شئت قتلنا. قال: كذبت، بعدما تكلموا بلسانكم، وصلوا قبلتكم، وحجوا حجكم. فاحتمل إلى بيته فانطلقنا معه وكأن الناس لم تصبهم قبل يومئذ، فقائل يقول: لابأس، وقائل يقول: أخاف عليه. فأتي بنبيذ فشربه فخرج من جوفه، ثم أتي بلبن فشربه فخرج من جرحه، فعلموا أنه ميت، فدخلنا عليه وجاء الناس يثنون عليه، وجاء رجل شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من صحبة رسول الله وقدم في الإسلام ماقد علمت، ثم وليتَ فعدلَتَ، ثم شهادة. قال: وددت أن ذلك كفاف، لاعليَّ ولالي. فلما أدبر إذا إزاره يمس الأرض، قال: ردوا عليَّ الغلام، قال: ابن أخى ارفع ثوبك، إنه أبقى لثوبك، وأتقى لربك. ياعبد الله بن عمر انظر ماعلي من الدّين، فحسبوه فوجدوه ستة وثمانين ألفا أو نحوه، قال: إن وفى له مال آل عمر فأدِّه من أموالهم، وإلا فسل بنى عدى بن كعب، فإن لم تفِ أموالهم فسل في قريش ولاتعد إلى غيرهم،فأدِّ عنى هذا المال، وانطلقْ إلى عائشة فقل: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام - ولاتقل أمير المؤمنين فإنى لست اليوم للمؤمنين أميرا - وقل: يستأذن عمر بن الخطاب أن يدفن مع صاحبيه. فسلم واستأذن ثم دخل عليها فوجدها قاعدة تبكي، فقال: يقرأ عليك عمر بن الخطاب السلام ويستأذن أن يدفن مع صاحبيه، فقالت:كنت أريد لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي. فلما أقبل قيل هذا عبد الله بن عمر قد جاء، قال ارفعوني، فأسنده رجل إليه فقال: مالديك؟ قال: الذى تحب يا أمير المؤمنين، أذنت. قال: الحمد لله. ماكان من شيء أهمَّ إلى من ذلك، فإذا أنا قضيت فاحملوني، ثم سلم فقل: يستأذن عمر بن الخطاب، فان أذنت لى فأدخلوني، وإن ردتني ردوني إلى مقابر المسلمين. وجاءت أم المؤمنين حفصة رضى الله عنها والنساء تسير معها، فلما رأيناها قمنا،

فولجت عليه فبكت عنده ساعة، واستأذنت الرجال فولجت داخلا لهم فسمعنا بكاءها من الداخل، فقالوا: أوص يا أمير المؤمنين، استخلف. قال: ما أجد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر – أو الرهط – الذين توفى رسول اللهﷺ وهو عنهم راض، فسمى عليا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن، وقال ليشهدكم عبد الله بن عمر وليس له من الأمر شيء – كهيئة التعزية له – فان أصابت الإمرة سعدا فهو ذاك، وإلا فليستعن به أيكم ما أُمّر، فأنى لم أعزله عن عجز ولاخيانة. وقال: أوصى الخليفة من بعدى بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم؛ وأوصيه بالأنصار خيرا الذين تبوّأوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم وأن يعفو عن مسيئهم. وأوصيه بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباة المال وغيظ العدو وأن لايؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم. وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام أن يؤخذ من حواشى أموالهم وترد على فقرائهم. وأوصيه بذمة الله وذمة رسول اللهﷺ أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ولايكلفوا إلا طاقتهم. فلما قبض خرجنا به فانطلقنا نمشى. فسلم عبد الله بن عمر قال: يستأذن عمر بن الخطاب. قالت أدخلوه. فوضع هنالك مع صاحبيه . فلما فرغ من دفنه اجتمع هؤلاء الرهط، فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، فقال الزبير: قد جعلت أمرى إلى على، فقال طلحة: قد جعلت أمرى إلى عثمان. وقال سعد: قد جعلت أمرى إلى عبد الرحمن بن عوف. فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فلنجعله إليه، والله عليه والإسلام لينظرن أفضلهم فى نفسه. فأسكت الشيخان، فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إلىّ و اللهعلى أن لا آلوا عن أفضلكم؟ قالا: نعم. فأخذ بيد أحدهما فقال: لك من قرابة رسول اللهﷺ والقدم فى الإسلام ماقدم علمت، فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن؟ ثم خلا بالآخر فقال له مثل ذلك. فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك ياعثمان، فبايعه وبايع له على رضى الله عنه، وولج أهل الدار فبايعوه، رضى الله عنهم أجمعين.

وكانت مدة خلافة الفاروق رضى الله عنه عشر سنين وستة أشهر، وكانت وفاته على المشهور لثلاث بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين، وله من العمر ثلاث وستون سنة على الأشهر، وهى السنن التى توفى لها رسول اللهﷺ ثم أبو بكر الصديق رضى الله عنه، وبويع لعثمان فى ثلاث من المحرم دخول سنة أربع وعشرين، وأول من بايعه عبد الرحمن ابن عوف ثم على بن أبى طالب ثم بقية أصحاب الشورى ثم بقية أهل الدار ثم بقية المهاجرين والأنصار رضى الله عنهم أجمعين.

﴿ ثالثـهـم عـثـمـان ذو النورين ذو الحلم والحـيـا بغـيـر مين ﴾
﴿ بحـر العلوم جـامع القـرآن منه استحت مـلائك الرحـمن ﴾
﴿ بايع عنه سـيـد الأكـوان بكفـه فى بيـعـة الرضـوان ﴾

(ثالثهم) فى الخلافة والفضل كما فى حديث ابن عمر السابق (عثمان) بن عفان بن أبى العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، من السابقين الأولين إلى الإسلام بدعوة الصديق إياه، وزوّجه رسول الله ﷺ رقية ابنته رضى الله عنها، وهاجر الهجرتين وهى معه، وتخلف عن بدر لمرضها. وضرب له النبى ﷺ بسهمه وأجره، وبعد وفاتها زوجه النبى ﷺ أم كلثوم بمثل صداق رقية على مثل صحبتها وبذلك تسمى (ذو النورين) لأنه تزوج ابنتى نبى واحدة بعد واحدة ولم يتفق ذلك لغيره رضى الله عنه. (ذا الحلم) التام الذى لم يدركه غيره (والحياء) الإيمانى الذى يقول فيه النبى ﷺ «الحياء شعبة من الإيمان» وقال «أشدكم حياء عثمان» (بحر العلوم) الفهم التام فى كتاب الله تعالى حتى إن كان ليقوم به فى ركعة واحدة فلا يركع إلا فى خاتمتها إلا ماكان من سجود القرآن. (جامع القرآن) لما خشى الاختلاف فى القرآن والخصام فيه فى أثناء خلافته رضى الله عنه فجمع الناس على قراءة واحدة وكتب المصحف على القراءة الأخيرة التى درسها جبريل على رسول الله ﷺ سنى حياته.

وكان سبب ذلك أن حذيفة بن اليمان كان فى بعض الغزوات، وقد اجتمع فيها خلق من أهل الشام ممن يقرأ على قراءة المقداد بن الأسود وأبى الدرداء، وجماعة من أهل العراق ممن يقرأ على قراءة عبد الله بن مسعود وأبى موسى، وجعل من لايعلم بجواز القراءة على سبعة أحرف يفضل قراءته على قراءة غيره وربما خطأه الآخر أو كفره، فأدى ذلك إلى خلاف شديد وانتشار الكلام السيء بين الناس، فركب حذيفة إلى عثمان فقال: يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن تختلف فى كتابها كاختلاف اليهود والنصارى فى كتبهم، وذكر له ماشاهد من اختلاف الناس فى القراءة فعند ذلك جمع الصحابة وشاورهم فى ذلك ورأى أن يكتب المصحف على حرف واحد وأن يجمع الناس فى سائر الأقاليم على القراءة به دون ماسواه لما رأى فى ذلك من مصلحة كف المنازعة ودفع الاختلاف، فاستدعى بالصحف التى كان أمر زيد بن ثابت بجمعها فكانت عند الصديق أيام حياته، ثم كانت عند عمر، فلما توفى صارت إلى حفصة أم المؤمنين. فاستدعى بها عثمان وأمرزيد بن ثابت الأنصارى أن يكتب وأن يملى عليه سعيد بن العاص الأموى بحضرة عبد الله بن الزبير الأسدى وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومى، وأمرهم إذا اختلفوا فى شيء

أن يكتبوه بلغة قريش، فكتب لأهل الشام مصحفاً، ولأهل مصر آخر، وبعث إلى البصرة مصحفاً، وإلى الكوفة بآخر، وأرسل إلى مكة مصحفاً، وإلى اليمن مثله، وأقر بالمدينة مصحفاً، ويقال لهذه المصاحف «الأئمة»، ثم عمد إلى بقية المصاحف التى بأيدى الناس مما يخالف ماكتبه فحرقه لئلا يقع بسببه اختلاف. وروى أبو داود الطيالسي وأبو بكر بن أبى داود السجستانى عن سويد بن غفلة قال: قال لى على رضى الله عنه حين حرق عثمان المصاحف: لو لم يصنعه هو لصنعته. ويروى البيهقى عنه رضى الله عنه قال: قال على رضى الله عنه: أيها الناس إياكم والغلو فى عثمان تقولون حرق المصاحف، واللهماحرقها إلا عن ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ ولو وليت مثل ماولى لفعلت مثل الذى فعل.

(منه استحت ملائك الرحمن) كما فى الصحيح عن عطاء وسليمان بن يسار وأبى سلمة بن عبد الرحمن أن عائشة رضى الله عنها قالت «كان رسول الله ﷺ مضطجعاً فى بيتى كاشفاً عن فخذيه أو ساقيه، فاستأذن أبو بكر فأذن له وهو على تلك الحال فتحدث، ثم استأذن عمر فأذن له وهو كذلك فتحدث، ثم استأذن عثمان فجلس رسول الله ﷺ وسوّى ثيابه. قال محمد - يعنى ابن أبى حرملة الراوى عنهم - ولا أقول ذلك فى يوم واحد فدخل فتحدث، فلما خرج قالت عائشة: دخل أبو بكر فلم تهتش له ودخل عمر ولم تباله، ثم دخل عثمان فجلست وسويت ثيابك. فقال: ألا أستحى من رجل تستحى منه الملائكة »(١) . وعن سعيد بن العاص أن عائشة رضى الله عنها وعثمان رضى الله عنه حدثاه «أن أبا بكر رضى الله عنه استأذن على رسول الله ﷺ وهو مضطجع على فراشه لابس مرط عائشة، فأذن لأبى بكر وهو كذلك فقضى إليه حاجته ثم انصرف، ثم استأذن عمر فأذن له وهو على تلك الحال فقضى إليه حاجته ثم انصرف، قال عثمان ثم استأذنت عليه فجلس وقال لعائشة: اجمعى عليك ثيابك فقضيت إليه حاجتى ثم انصرفت. فقالت عائشة: يارسول الله مالى لم أرك فزعت لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما كما فزعت لعثمان؟ قال رسول الله ﷺ : إن عثمان رجل حي وإنى خشيت إن أذنت له على تلك الحال أن لايبلغ إلى فى حاجته. (بايع عنه) حين ذهب لمكة فى حاجة الرسول ﷺ والمسلمين (سيد الأكوان) محمد رسول الله ﷺ (بكفه) ضرب بها على الأخرى وقال: هذه لعثمان (فى بيعة الرضوان) لما غاب عنها فيما ذكرنا، وكان انحباسه بمكة هو سبب البيعة كما قال محمد بن اسحاق بن يسار فى السيرة، ثم دعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه ليبعثه إلى مكة ليبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له فقال: يارسول إنى أخاف قريشا على نفسى، وليس بمكة من بنى عدى بن كعب من يمنعنى، وقد عرفت قريش عداوتى إياها وغلظى عليها، ولكنى أدلك على رجل أعز بها منى عثمان بن

(١) رواه مسلم .

عفان رضى الله عنه، فبعثه إلى أبى سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وأنه إنما جاء زائرا لهذا البيت ومعظما لحرمته. فخرج عثمان رضى الله عنه إلى مكة فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة أو قبل أن يدخلها فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان رضى الله عنه حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به فقال لعثمان رضى الله عنه حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف. فقال: ماكنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ. احتبسته قريش عندها فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان رضى الله عنه قد قتل، قال ابن اسحاق: فحدثنى عبد الله بن أبى بكر رضى عنهما أن رسول ﷺ قال حين بلغه أن عثمان رضى الله عنه قد قتل «لانبرح حتى نناجز القوم» ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة. فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، وكان جابر بن عبد الله رضى الله عنهما يقول: إن رسول الله ﷺ لم يبايعهم على الموت ولكن بايعنا على أن لا نفر. فبايع الناس ولم يتخلف أحد من المسلمين حضرها إلا الجد بن قيس فكان جابر رضى الله عنه يقول: والله لكأنى أنظر إليه لاصقا بابط ناقته قد مال إليها يستتر بها من الناس، ثم أتى رسولَ الله ﷺ أن الذى كان من أمر عثمان باطل. وفى الصحيحين عن عثمان بن موهب قال: جاء رجل من أهل مصر حج البيت فرأى قوما جلوسا فقال: من هؤلاء القوم؟ قالوا: هؤلاء قريش، قال: فمن الشيخ فيهم؟ قالوا: عبد الله بن عمر. قال: يابن عمر، إنى سائلك عن شيء فحدثنى عنه، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدها؟ قال: نعم. قال: هل تعلم أنه تغيب عن بيعة الرضوان، فلم يشهدها؟ قال: نعم.قال الله أكبر . قال ابن عمر: تعال أبين لك، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له. وأما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ وكانت مريضة فقال له رسول الله ﷺ: إن لك أجر رجل ممن شهد بدار وسهمه. وأما تغيبه عن بيعة الرضوان فلو كان أحد أعز ببطن مكة من عثمان لبعثه مكانه، فبعث رسول الله ﷺ عثمان فكانت بيعة الرضوان بعد ماذهب عثمان إلى مكة، فقال رسول الله ﷺ بيده اليمنى: هذه يد عثمان فضرب بها على يده فقال هذه لعثمان. فقال له ابن عمر رضى الله عنه: اذهب بها الآن معك. وروى البيهقى عن أنس رضى الله قال: لما أمر رسول الله ﷺ ببيعة الرضوان كان عثمان بن عفان رضى الله عنه رسولِ الله ﷺ إلى أهل مكة، فبايع الناس، فقال رسول الله ﷺ فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضى الله خيرا من أيديهم لأنفسهم، ورواه

الترمذى وقال: حسن صحيح. وفى الصحيحين عن عروة أن عبد الله بن عدى بن الخيار أخبره أن المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قالا: مامنعك أن تكلم عثمان لأخيك الوليد فقد أكثر الناس فيه، فقصدت لعثمان حتى خرج إلى الصلاة، قلت: إن لى إليك حاجة وهى نصيحة لك: قال: يا أيها المرء أعوذ بالله منك. فانصرفت فرجعت إليهم إذ جاء رسول عثمان، فأتيته فقال: مانصحيتك؟ فقلت: ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق، وأنزل عليه الكتاب، وكنتَ ممن استجاب لله تعالى ولرسوله ﷺ، فهاجرتَ الهجرتين، وصحبت رسول الله ﷺ ورأيتَ هديه. وقد أكثر الناس فى شأن الوليد. قال: أدركتَ رسول الله ﷺ؟ قلتُ لا، ولكن خلص إلىَّ من علمه مايخلص إلى العذراء فى سترها. قال: أما بعد فإن الله بعث محمداً ﷺ بالحق فكنتُ ممن استجاب لله ولرسوله ﷺ وآمنتُ بما بعث به وهاجرتُ الهجرتين - كما قلتَ - وصحبت رسول الله ﷺ وبايعته، فوالله إن عصيته، ولاغششته، حتى توفاه الله عز وجل، ثم أبو بكرمثله، ثم عمر مثله، ثم استخلفت، أفليس لى من الحق مثل الذى لهم؟ قلت بلى. قال: فما هذه الأحاديث التى تبلغنى عنكم؟ أما ماذكرتَ من شأن الوليد فسآخذه فيه بالحق إن شاء الله. ثم دعا عليا فأمره أن يجلده، فجلده ثمانين.

وفى المسند والسنن عن عمرو بن جاوان قال: قال الأحنف: انطلقنا حجاجاً فمررنا بالمدينة، فبينا نحن فى منزلنا إذ جاءنا آت فقال: الناس فى المسجد. فانطلقت أنا وصاحبى، فإذا الناس مجتمعون على نفر فى المسجد، قال فتخللتهم حتى قمت عليهم، فإذا على بن أبى طالب والزبير وطلحة وسعد بن أبى وقاص، قال فلم يكن ذلك بأسرع من أن جاء عثمان يمشى. فقال: ههنا على؟ قالوا نعم. قال: ههنا الزبير؟ قالوا نعم؟ قال: ههنا طلحة؟ قالوا نعم: قال: ههنا سعد بن أبى وقاص؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال «من يبتاع مربد بنى فلان غفر الله له» فابتعته، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنى قد ابتعته، قال «اجعله فى مسجدنا وأجره لك»؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله إلا هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ قال «من يبتاع بئر رومة» فابتعتها بكذا وكذا، فأتيت رسول الله ﷺ فقلت: إنى قد ابتعتها - يعنى بئر رومة - قال: اجعلها سقاية للمسلين، ولك أجرها؟ قالوا نعم. قال: أنشدكم بالله الذى لا إله هو، تعلمون أن رسول الله ﷺ نظر فى وجوه القوم يوم جيش العسرة فقال «من يجهز هؤلاء غفر الله له» فجهزتهم حتى مايفقدون خطاما ولاعقالا؟ قالوا: اللهم نعم. فقال: اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد. ثم انصرف رضى الله عنه.

وروى أحمد والترمذى والنسائى عن ثمامة بن جزء القشيرى قال: شهدت الدار يوم

أصيب عثمان، فاطلع عليه اطلاعه، فقال: ادعوا لى صاحبيكم اللذين ألباكم علىّ، فدعيا له، فقال أنشدكما الله ، تعلمان أن رسول اللهﷺ لما قدم المدينة ضاق المسجد بأهله فقال «من يشترى هذه البقعة من خالص ماله فيكون كالمسلمين وله خير منها فى الجنة. فاشتريتها من خالص مالى فجعلتها بين المسلمين، وأنتم تمنوعنى أن أصلى فيها ركعتين. ثم قال: أنشدكم اللهأتعلمون أن رسول اللهﷺ لما قدم المدينة لم يكن فيها غير بئر يستعذب منه إلا بئر رومة فقال رسول اللهﷺ : من يشتريها من خالص ماله فيكون دلوه فيها كدلاء المسلمين وله خير منها فى الجنة. فاشتريتها من خالص مالى، وأنتم تمنعونى أن اشرب منها. ثم قال: هل تعلمون أنى صاحب جيش العسرة؟ قالوا: اللهم نعم. وقال الترمذى حسن.

وله عن عبد الرحمن بن خباب رضى الله عنه قال: شهدت النبى ﷺ وهو يحث على جيش العسرة، فقام عثمان بن عفان فقال: يارسول الله على مائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله ، ثم حض على الجيش فقام عثمان فقال: يارسول الله على مائتا بعير بأحلاسها واقتابها فى سبيل الله ثم حض على الجيش، فقام عثمان فقال: على ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها فى سبيل الله، فأنا رأيت رسول اللهﷺ ينزل من على المنبر وهو يقول «ماعلى عثمان ماعمل بعد هذا، ما على عثمان ماعمل بعد هذا.

وله عن عبد الرحمن بن سمرة قال: جاء عثمان إلى رسول اللهﷺ بألف دينار فى كمه حين جهز جيش العسرة فنثرها فى حجره، فقال عبد الرحمن:فرأيت النبى ﷺ يقلبها فى حجره ويقول «ماضر عثمان ماعمل بعد اليوم» (مرتين) حسَّنهُ الترمذى.

وروى الإمام أحمد وأصحاب السنن عن أبى أمامة بن سهل بن حنيف فى قصة توعدهم إياه بالقتل، قال: ولم يقتلوننى؟ فإنى سمعت رسول اللهﷺيقول «لايحل دم امرىء إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس» فوالله مازنيت فى جاهلية ولا إسلام قط، ولاتمنيت بدلا بدينى منذ هدانى الله له، ولاقتلت نفساً. فبم يقتلوننى.

وروى الإمام أحمد وغيره عن النعمان بن بشير عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرسل رسول اللهﷺ إلى عثمان بن عفان فأقبل عليه رسول اللهﷺ ، فلما رأينا إقبال رسول الله ﷺ على عثمان أقبلت إحدانا على الأخرى، فكان من آخر كلمة أن ضرب على منكبه وقال «ياعثمان، إن الله تعالى عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تخلعه حتى تلقانى» (ثلاثا).

وروى أحمد والترمذى وقال: حسن غريب عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: ذكر

رسول الله ﷺ فتنة فقال «يقتل فيها هذا المقنع يومئذ مظلوما» فنظرنا فإذا هو عثمان بن عفان.

وروى أحمد بإسناد جيد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول «إنكم تلقون بعدى فتنة واختلافاً - أو قال اختلافا وفتنة - فقال قائل من الناس: فمن لنا يارسول الله؟ قال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك.

وله عن مرة البهزى قال: بينما نحن مع رسول الله ﷺ في طريق من طرق المدينة فقال «كيف تصنعون في فتنة تثور في أقطار الأرض كأنها صياصي البقر» قالوا نصنع ماذا يارسول الله ؟ قال «عليكم بهذا وأصحابه، أو اتبعوا هذا وأصحابه» قال فأسرعت حتى عييت، فأدركت الرجل فقلت: هذا يارسول الله ؟ قال «هذا» فإذا هو عثمان بن عفان، فقال هذا وأصحابه يذكره.

وروى الترمذى في جامعه عنه رضي الله عنه قال لولا حديث سمعته من رسول الله ﷺ ماتكلمت، وذكر الفتن فقربها، فمر رجل متقنع في ثوب فقال «هذا يومئذ على الهدى» فقمت إليه فإذا هوعثمان بن عفان. فأقبلت عليه بوجهه فقلت: هذا؟ قال «نعم» ثم قال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.

وفي الباب عن ابن عمر وعبد الله بن حوالة وكعب بن عجرة.وروى أحمد وابن ماجه وغيرهما عن كعب بن عجرة رضي الله عنه قال «ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها وعظمها، قال: ثم مر رجل مقنع في ملحفة فقال: هذا يومئذ على الحق. قال فانطلقت مسرعاً - أو محضرا - وأخذت بضبعيه فقلت: هذا يارسول الله؟ قال: هذا.

وروى أبو داود الطيالسى بإسناد رجاله ثقات عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «تهجمون على رجل معتجر ببردة من أهل الجنة يبايع الناس» قال فهجمنا على عثمان بن عفان معتجرا يبايع الناس.

وقد تقدم من الأحاديث التي تشير إلى خلافته وأشياء من فضائله مع ذكر صاحبيه رضي الله عنهما، وفي فضائله منفرداً ومع غيره من السابقين أحاديث كثيرة، وفيما أشرنا إليه كفاية.

وكان الاعتداء على حياته رضي الله عنه يوم الجمعة لثماني عشرة خلت من ذى الحجة سنة خمس وثلاثين على الصحيح المشهور، وكانت خلافته ثنتي عشرة سنة إلا اثنى عشر يوما، لأنه بيوع له في مستهل المحرم سنة أربع وعشرين. وأما عمره رضي الله عنه فإنه قد جاوز ثنتين وثمانين سنة. والله علم.

﴿ والرابع ابن عم خـــيـــر الرسل   أعنى الإمـام الحق ذا القـدر العلى ﴾

﴿ مـبـيـد كل خـارجي مـارق   وكل خب رافـضي فـاسق ﴾
﴿ من كـان للرسـول في مكان   هارون من مـوسى بلانكران ﴾
﴿ ولا في نبـوّة فـقـد قـدمت مـا   يكفي لمن من سـوء ظن سلمـا ﴾

(والرابع) في الفضل والخلافة (ابن عم) محمد ﷺ (خير الرسل) أكرمهم على الله عز وجل (أعنى) بذلك (الإمام الحق) بالإجماع بلا مدافعة ولاممانعة (ذا) صاحب (القدر العلى) الرفيع، وهو أمير المؤمنين أبو السبطين على بن أبى طالب بن عبد المطلب بن هاشم رضى الله عنه وأرضاه كان أبو طالب عم النبى ﷺ أخا شقيقا لأبيه عبد الله وأمه فاطمة بنت عمرو، كفل أبو طالب رسول الله ﷺ بعد موت جده عبد المطلب وهو ابن ثمان سنين، ولما بعث آواه الله تعالى به وحماه، وهو مع ذلك على دين قومه، ولله فى ذلك حكمة، وقد حرص النبى ﷺ على هداية عمه كل الحرص، ولم يكن ذلك حتى خرجت روحه وهو يقول: على ملة عبد المطلب، وأنزل الله تعالى فى ذلك تعزية لنبيه ﷺ ﴿ **إنك لاتهدى من أحببت، ولكن الله يهدى من يشاء** ﴾ وقال النبى ﷺ «لأستغفرن لك مالم أُنْهَ عنك»، فنهاه الله تعالى عن الاستغفار له بقوله عز وجل ﴿ **ما كان للنبى والذى آمنوا أن يسغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم**﴾ الآيات. وفى صحيح مسلم عن العباس بن عبد المطلب أنه قال «يارسول الله هل نفعتَ أبا طالب بشىء، فإنه كان يحوطك ويغضب لك، قال: نعم، هو فى ضحضاح من نار، ولولا أنا لكان فى الدرك الأسفل من النار. وفى لفظ «وجدته فى غمرات من النار فأخرجته إلى ضحضاح»، وفيه عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله ﷺ ذكر عنده عمه أبو طالب فقال «لعله تنفعه شفاعتى يوم القيامة فيجعل فى ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلى منه دماغه»، وفيه عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال «أهون أهل النار عذابا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه». وكفل النبى ﷺ عليا رضى الله عنه وهو صغير، فلما بعث آمن به وهو ابن ثمان سنين، وهو أول من آمن من الصبيان، كما أن أبا بكر رضى الله عنه أول من آمن به من الرجال، وخديجة رضى الله عنها أول من آمن به من النساء، وورقة بن نوفل رضى الله عنه أول من آمن به من الشيوخ وزيد بن حارثة رضى الله عنه أول من آمن به من الموالى. وبلال رضى الله عنه أول من آمن به من الأرقاء ﷺ ورضى عنهم أجمعين. وكان على رضى الله عنه صاحب دعوة قريش حين نزلت على الرسول ﷺ ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ فأمر عليا أن يدعوهم له فيجتمعون للنذارة. وهو الذى فاداه بنفسه فنام على فراشه ليلة مكر المشركين كما قدمنا فى حديث الهجرة. وهو الذى أدى الأمانات عنه بعدها. وهو الذى برز مع حمزة وعبيدة لخصمائهم يوم بدر وكان يقول: أنا أول من يجثو

للخصومة بين يدى الرحمن يوم القيامة. وشهد مع الرسول ﷺ المشاهد كلها إلا تبوك على مايأتي. وهو صاحب عمرو بن ود وخيله يوم الخندق. وفتح الله على يديه يوم خيبر بعد قتله فارسهم مرحب . وكان مع حماة النبي ﷺ يوم أحد. وكان صاحب النداء بسورة براءة تبليغاً عن الرسول ﷺ في الموسم، وشريكه في هديه في حجة الوادع، وخليفته في أهله في غزوة تبوك، وصاحب تجهيزه حين توفي مع جماعة من أهل البيت رضى الله عنهم. وقد ثبت له في الأحاديث الصحاح والحسان من الفضائل الجمة مافيه كفاية وغنية عن تلفيق الرافضةوخلطهم وكذبهم عليه وعلى رسول الله ﷺ وقولهم عليه مالم يقل قبحهم الله .

(مبيد) أى مدمر (كل خارجى) نسبة إلى الخروج من الطاعة، ولكن صار هذا الاسم علما على الحرورية الذين كفروا أهل القبلة والمعاصى وحكموا بتخليدهم فى النار بذلك، واستحلوا دماءهم وأموالهم، حتى الصحابة من السابقين الأولين من أهل بدر وغيرهم، حتى على بن أبى طالب وعمار بن ياسر وخباب وأقرانهم رضى الله عنهم، ثم صار هذا الاسم عاما لكل من اتبع مذهبهم الفاسد وسلك طريقتهم الخائبة، وكل ذنب يكفرون به المؤمنين فهو تكفير لأنفسهم من وجوه عديدة وهم لايشعرون. فمنها أن تكفير المؤمن إن لم يكن كذلك كفر فاعله كما فى الحديث «أيما امرىء قال لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما إن كان كما قال، وإلا رجعت عليه». ومنها أن من أكبر الكبائر التى يكفرون بها المؤمنين قتل النفس التى حرم الله إلا بالحق وهم أسرع الناس فى ذلك يقتلون أهل الإيمان ويدعون أهل الأوثان. ومنها أن المؤمن وإن عمل المعاصى فهو لا يستحلها وإنما يقع فيها لغلبة نفسه إياه وتسويل شيطانه له وهو مقر بتحريمها وبما يترتب عليه من الحدود الشرعية فيما ارتكبه، وهم يقتلون النفس التى حرم الله قتلها إلا بالحق، ويأخذون الأموال التى حرم الله أخذها إلا بالحق، ويفعلون الأفاعيل القبيحة مستحلين لها، والذى يعمل الكبيرة مستحلا لها أولى بالكفر ممن يعملها مقرا بتحريمها بل لامخالف فى ذلك إذ هو تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله تعالى به رسله عليهم السلام، وإنما توقف الصحابة عن تكفير أهل النهروان لأنهم كانوا يتأولون فحكموا أنهم بغاة.

(مارق) اسم فاعل من المروق وهو الخروج من جانب غير مقصود الخروج منه، وسمى الخوارج «مارقة» لقول النبى ﷺ فيهم «يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية» وقوله «تمرق مارقة» الحديث. ففي الصحيح عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال «أتى رجل رسول الله ﷺ بالجعرانة منصرفه من حنين، وفى ثوب بلال فضة، ورسول الله ﷺ يقبض منها ويعطى الناس. فقال: يامحمد اعدل، قال: ويلك ومن يعدل إذا لم أكن أعدل؟ لقد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دعنى

يارسول الله فأقتل هذا المنافق، فقال معاذ الله أن يتحدث الناس أني أقتل أصحابي، إن هذا وأصحابه يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم، يمرقون منه كما يمرق السهم من الرمية »[1] وفيه عن أبي سعيد في قصة الذهبية «فجاء رجل كث اللحية مشرف الوجنتين غائر العينين ناتيء الجبين محلوق الرأس فقال: اتق الله يامحمد، قال فقال رسول الله ﷺ: فمن يطع الله إن عصيته؟ أيأمنني على أهل الأرض ولاتأمنوني؟ قال ثم أدبر الرجل فاستأذن رجل من القوم في قتله - يرون أنه خالد بن الوليد - فقال رسول الله ﷺ: إن من ضئضىء هذا قومًا يقرؤن القرآن لايجاوز حناجرهم، يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد »وفي لفظ «ثمود» وفي لفظ «فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: يارسول الله ائذن لي فيه أضرب عنقه، قال رسول الله ﷺ: دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يقرؤن القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر إلى نضيه فلا يوجد فيه شيء وهو القدح، ثم ينظر إلى قُذَذه فلا يوجد فيه شيء، سبق الفرث والدم، آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البَضْعة تَدَرْدَر، يخرجون على حين فرقة من الناس. قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا من رسول الله ﷺ، وأشهد أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قاتلهم وأنا معه، فأمر بذلك الرجل فالتمس فوجد، فأتى به حتى نظرت إليه على نظرة رسول الله ﷺ الذي نعت » وفيه عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة من الناس سيماهم التحالق قال «هم شر الخلق، أو من أشر الخلق، يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق» قال فضرب النبي ﷺ لهم مثلا - أو قال قولا - الرجل يرمي الرمية أو قال الفوق فينظر في النصل فلا يرى بصيرة، وينظر في النضي فلا يرى بصيرة، وينظر في الفوق فلا يرى بصيرة: قال قال أبو سعيد وأنتم قتلتموهم يا أهل العراق. وفيه عنه رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ «تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلها أولى الطائفتين بالحق - وفي رواية - يكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق. وفي لفظ قال قال ﷺ «تمرق مارقة في فرقة من الناس، فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق». وفي رواية «يخرجون على فرقة مختلفة، يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق» وفيه عن سويد بن غفلة قال: قال علي رضي الله عنه «إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ فلأن أخرّ من السماء أحب إلي من أن أقول عليه مالم يقل، وإذاحدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة.سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الاسنان سفهاء الأحلام، يقولون من خير قول البرية، يقرأون القرآن

(١) رواه مسلم وأبو داود .

لايجاوز حناجرهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم، فإن فى قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة » وفيه عن عبيدة عنه رضى الله عنه قال «ذكر الخوارج فقال: فيهم رجل مخدج اليد - أو مودن اليد، أو مودون اليد - لولا أن تطروا لحدثتكم بما وعد الله تعالى الذين يقتلونهم على لسان محمد ﷺ .قال قلت: أنت سمعت من محمد ﷺ قال: إى ورب الكعبة، إى ورب الكعبة » إى ورب الكعبة.

وفيه عن زيد بن وهب الجهنى أنه كان فى الجيش الذى كانوا مع على رضى الله عنه الذين ساروا إلى الخوارج، فقال على رضى الله عنه: أيها الناس إنى سمعت رسول الله ﷺ يقول[1] : «يخرج قوم من أمتى يقرأون القرآن ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشىء، ولاصلاتكم إلى صلاتهم بشىء، ولاصيامكم إلى صيامهم بشىء، يقرأون القرآن يحسبونه أنه لهم وهو عليهم، لاتجاوز صلاتهم تراقيهم، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ماقضى لهم على لسان نبيهم ﷺ لاتكلوا عن العمل. وآية ذلك أن فيهم رجلا له عضد وليس له ذراع، على رأس عضده مثل حلمة الثدى، عليه شعرات بيض » فتذهبون إلى معاوية وأهل الشام وتتركون هؤلاء يخلفونكم فى ذراريكم وأموالكم؟ والله إنى لأرجو أن يكونوا هؤلاء القوم فانهم قد سفكوا الدم الحرام، وأغاروا فى سرح الناس، فسيروا على اسم الله ،قال سلمة بن كهيل فنزلنى زيد بن وهب منزلا حتى مررنا على قنطرة فلما التقينا وعلى الخوارج يومئذ عبد الله بن وهب الراسبى فقال لهم: ألقوا الرماح وسلوا سيوفكم من جفونها فإنى أخاف أن يناشدوكم كما ناشدوكم يوم حروراء، فرجعوا فوحشوا برماحهم وسلو السيوف وشجرهم الناس برماحهم، قال وقتل بعضهم على بعض، وما أصيب من الناس يومئذ إلا رجلان. فقال على رضى الله عنه التمسوا فيهم المخدج فالتمسوه فلم يجدوه، فقام على رضى الله عنه بنفسه حتى أتى ناسا قد قتل بعضهم على بعض قال أخروهم، فوجدوه مما يلى الأرض فكبر ثم قال: صدق الله وبلغ رسوله، قال فقام إليه عبيدة السلمانى فقال: يا أمير المؤمنين، اللهالذى لا إله إلا هو لسمعت هذا الحديث من رسول اللهﷺ ؟ فقال أى والله الذى لا إله إلا هو. حتى استحلفه ثلاثاً وهو يحلف له » وفيه عن عبيد الله بن أبى رافع مولى رسول اللهﷺ أن الحرورية لما خرجت وهو مع على بن أبى طالب رضى الله عنه قالوا: لا حكم إلا لله، قال على: كلمة حق أريد بها باطل: إن رسول الله وصف لنا وإنى لأعرف صفتهم فى هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم ولايجاوز هذا منهم - وأشار إلى حلقه - من أبغض خلق الله إليه، منهم أسود إحدى يديه طبى شاة أو حلمة ثدى. فلما قتلهم على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: انظروا، فنظروا فلم يجدوا شيئاً، فقال: ارجعوا فوالله ماكذبت ولا كذبت - مرتين أو ثلاثا

(١) رواه أبو داود .

– ثم وجدوه في خربة فأتوا به حتى وضعوه بين يديه. قال عبد الله :وأنا حاضر ذلك من أمرهم وقول علي رضي الله عنه فيهم. وفيه عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن بعدي من أمتي قوما يقرأون القرآن لايجاوز حلاقيمهم يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ثم لايعودون فيه، هم شر الخلق والخليقة. ومثله عن رافع بن عمر الغفاري رضي الله عنه. وفي سنن أبي داود عن أبي سعيد الخدري وأنس بن مالك عن رسول الله ﷺ قال «سيكون في أمتي اختلاف وفرقة، قوم يحبون القتل ويسيئون الفعل، يقرأون القرآن لايجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتد السهم على فوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، قالوا يارسول الله ماسيماهم؟ قال: التحليق. وله عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «سيماهم التحليق والتسبيد، فاذا رأيتموهم فأيتموهم» قال أبو داود: التسبيد استئصال الشعر. والأحاديث في ذم الخوارج والأمر بقتالهم والثناء على مقاتليهم كثيرة جداً وفيما ذكرنا كفاية.

(و) مبيد (كل خب رافضي فاسق) الخب الخداع الخائن، والرافضي نسبة إلى الرفض وهو الترك بازدراء واستهانة، سموا بذلك لرفضهم الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وزعموا أنهما ظلما علياً واغتصبوه الخلافة ومنعوا فاطمة رضي الله عنها فدك، وبذلك يحطون عليهما ثم على عائشة ثم على غيرها من الصحابة. وهم أقسام كثيرة لاكثرهم الله تعالى ،أعظمهم غلوا وأسوأهم قولا وأخبثهم اعتقادا بل وأخبث من اليهود والنصارى هم السبئية أتباع عبد الله بن سبأ اليهودي قبحه الله ، كانوا يعتقدون في علي رضي الله عنه الإلهية كما يعتقد النصارى في عيسى عليه السلام،وهم الذين أحرقهم علي رضي الله عنه بالنار، وأنكر ذلك عليه ابن عباس كما في صحيح البخاري والمسند وأبي داود والترمذي والنسائي عن عكرمة رضي الله عنه قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم، فبلغ ذلك ابن عباس فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي رسول الله ﷺ «لا تعذبوا بعذاب الله» ولقتلتهم لقول رسول الله ﷺ «من بدل دينه فاقتلوه». حكى عن أبي المظفر الاسفرايني في الملل والنحل أن الذين أحرقهم علي رضي الله عنه طائفة من الروافض ادعوا فيه الإلهية وهم السبئية وكان كبيرهم عبد الله بن سبأ يهودياً ثم أظهر الإسلام وابتدع هذه المقالة. وتفصيل ذلك ماذكره في الفتح من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي رضي الله عنه إن هنا قوما على باب المسجد يزعمون أنك ربهم، فدعاهم فقال لهم: ويلكم ماتقولون؟ قالوا أنت ربنا وخالقنا ورازقنا، قال: ويلكم إنما أنا عبد مثلكم آكل الطعام كما تأكلون، وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني إن شاء وإن عصيته خشيت أن يعذبني.

فاتقوا الله وارجعوا، فأبوا. لما كان الغد غدوا عليه فجاء قنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام، فقال ادخلهم فقالوا كذلك، فلما كان الثالث قال لئن قلتم ذلك لاقتلنكم بأخبث قتلة فأبوا إلا ذلك، فأمر على رضى الله عنه أن يخد لهم أخدوداً بين المسجد والقصر، وأمر بالحطب أن يطرح فى الأخدود ويضرم بالنار ثم قال لهم: إنى طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا، فقذف بهم حتى إذا احترقوا قال:

إنى إذا رأيت أمراً منكراً   أوقدت نارى ودعوت قنبرا

قال الحافظ ابن حجر: إسناده صحيح، ومنهم طائفة يعتقدون أن لا إله إلا على، وهم النصيرية الذين يقول شاعرهم الملعون قبحه الله.

أشهد ألا إله إلا   حيدرة الأذرع البطين
ولا سبيل إليه إلا   محمد الصادق الأمين
ولا حجاب عليه إلا   سلمان ذو القوة المتين

ومنهم من يدعى فيه الرسالة وأن جبريل خانها فنزل بها على محمد ﷺ ومنهم من يدعى فيه العصمة، ويرى خلافة أبى بكر وعمر وعثمان باطلة، ويشتمون طلحة والزبير وعائشة ويرمونها بما رماها به ابن سلول قبحهم الله ومنهم من يدعى أنه رفع إلى السماء كما رفع عيسى وسينزل كما ينزل عيسى وهم أصحاب الرجعة.

ومنهم من يدعى أنه وصى رسول الله ﷺ بأمته، وأنه عهد إليه مايعهده إلى غيره وبلغه ماكتمه الناس وغير ذلك من فرقهم الضالة وشيعهم الخاطئة.

وأما الزيدية الذى يدعون أنهم أصحاب زيد بن على وأتباعه فهؤلاء لايشتمون الشيخين ولا عائشة ولاسائر العشرة، ولكنهم يفضلون عليا رضى الله عنه ويقدمونه فى الخلافة ثم أبو بكر ثم عمر ثم يسكتون عن عثمان رضى الله عنه. ويحطون على معاوية غفر الله له. هذا الذى وقفنا عليه فى بعض رسائلهم، ثم رأيت فى بعضها السكوت عن أبى بكر وعمر، فلا يذكرونهما بخير ولاشر، ولابخلافة ولاغيرها، ثم يحصرون الخلافة فى على رضى الله عنه وذريته ففرقة تدعى عصمتهم، وأخرى لاتدعى ذلك. والمقصود أنهم فرق كثيرة. متفاوتون فى أقولهم وأفعالهم واعتقاداتهم وأخفهم بدعة الزيدية، هذا فى شأن أهل البيت طهرهم الله تعالى، وأما فى مسألة الصفات والقضاء والقدر والوعد والوعيد وسائر المعتقدات فقد دهى كل فرقة منهم مادهى غيرهم من الناس، ولكن المشهور من غالبهم الاعتزال واعتمادهم كتب العلاف والجبائى وأشباهه، والزيدية عمدتهم فى تفسير القرآن كشاف الزمخشرى وقد شحنه بقول القدرية المعتزلة، وهم أخف وأهون ممن يكفر بكثير من القرآن بالكلية نعوذ

بالله، ومحل بسط مقالاتهم وفرق ضلالاتهم كتب المقالات. هذا وقد قال على رضى الله عنهما ماقدمناه فى الصحيح، وفى كتاب السنة عن علقمة فى خطبة على رضى الله عنه على منبر الكوفة: ألا إنه بلغنى أن قوماً يفضلونى على أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، ولو كنت تقدمت فى ذلك لعاقبت فيه، ولكن أكره العقوبة قبل التقدم. من قال شيئاً من ذلك فهو مفترٍ، عليه ماعلى المفترى. وخير الناس كان بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضى الله فيها ماشاء. وهذا الكلام مشهور عنه من طرق لاتحصى، لأنه رضى الله عنه وكرم الله وجهه كان يجهر به ويظهره فى المحافل وعلى المنابر، ويذم الرافضة كثيراً، وقد جلد من قيل له إنه تكلم فى عرض أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها جلده مائة وكان من أشد الناس على الرافضة وأسطاهم بهم رضى الله عنه.

(من كان) بمعنى صار (للرسول) ﷺ(فى مكان) أى منزلة (هارون من موسى) عليهما السلام فى الاستخلاف، فموسى استخلف هارون فى مدة الميعاد، ومحمد ﷺ استخلف عليا فى غزوة تبوك، ففى الصحيحين عن ابراهيم بن سعد عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلى رضى الله عنه «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ وفيها من رواية مصعب بن سعد عن أبيه أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا رضى الله عنه، فقال: أتخلفنى فى الصبيان والنساء؟ قال: ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس بنبى بعدى، هذا الاستثناء يزيل الاشكال من الرواية الأولى ويخصص عموم المنزلة بخصوص الاخوة والاستخلاف فى أهله فقط لا فى النبوة كمشاركة هارون لموسى فيها إذ يقول الله تعالى لموسى ﴿ **اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى** ﴾ ، وقال لهما ﴿ **فأتيا فرعون فقولا إنا رسولا ربك** ﴾ ولهذا قلنا فى المتن (لا فى النبوة) لمنزلة هارون من موسى فيها، فلا تتوهم ذلك من اقتصارى على الرواية الأولى، (فقد قدمت) فى فصل النبوة (مايكفى) فى هذا الباب (لمن من سوء ظن) بأخيه المسلم وهو قولى:

(وكل من من بعده قد ادعى   نبوة فكاذب فيما ادعى)

ومابعده، وفى الصحيحين فى تفسير قول الله تعالى ﴿ **هذان خصمان اختصموا فى ربهم** ﴾ عن قيس بن عدى عن أبى ذر رضى الله عنه إنه كان يقسم فيها أن هذه الآية نزلت فى حمزة وصاحبيه وعتبة وصاحبيه، برزوا فى يوم بدر. وفيهما عنه عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: أنا أول من يجثو بين يدى الرحمن للخصومة يوم القيامة. قال قيس: وفيهم نزلت ﴿ **هذان خصمان اختصموا فى ربهم** ﴾ قال: هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة : شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. وفيهما عن سهل بن

سعد رضى الله عنه أن رسول اللهﷺ قال يوم خيبر «لأعطين هذه الراية غداً رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله. قال فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها، فلما أصبح الناس غدوا على رسول اللهﷺ كلهم يرجو أن يعطاها فقال: أين على بن أبى طالب؟ فقيل هو يارسول الله يشتكى عينيه، قال: فأرسلوا إليه. فأتى به فبصق رسول اللهﷺ فى عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية فقال على: يارسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال عليه الصلاة والسلام: انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله تعالى فيه، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خيرا لك من أن تكون لك حمر النعم » وعن سلمة بن الأكوع نحوه مختصرا ، ونحوه عند مسلم أيضاً. وفيهما عن عبد العزيز بن أبى حازم عن أبيه أن رجلا جاء إلى سهل بن سعد فقال: هذا فلان لأمير المدينة يدعو علياً عند المنبر. قال: ماذا يقول له؟ يقول أبو تراب؟ فضحك وقال: والله ماسماه إلا النبى ﷺ وماكان له اسم أحب إليه منه، فاستطعمت الحليب سهلا وقلت: يا أبا العباس كيف؟ قال «دخل على رضى الله عنه على فاطمة، ثم خرج فاضطجع فى المسجد، فقال النبى ﷺ: أين ابن عمك؟ قالت: فى المسجد فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وخلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: اجلس يا أبا تراب مرتين. وفى رواية مسلم عن أبى حازم عن سهل بن سعد قال «استعمل على المدينة رجل من آل مروان، قال فدعا سهل ابن سعد فأمره أن يشتم علياً قال فأبى سهل فقال له أما إذا أبيت فقل لعن الله أبا تراب، فقال سهل: ماكان لعلى اسم أحب إليه من أبى تراب، وإن كان ليفرح إذا دعى به. فقال له أخبرنا عن قصته أسمى أبا تراب فذكره، وفى صحيح البخارى عن سعيد بن عبيدة قال «جاء رجل إلى ابن عمر رضى الله عنهما فسأله عن عثمان، فذكر من محاسن عمله وقال لعل ذلك يسوؤك؟ قال نعم. قال فأرغم الله بأنفك. ثم سأله عن على ذكر محاسن عمله وقال هو ذاك بيته أوسط بيوت النبى ﷺ ثم قال: لعل ذاك يسوؤك؟ قال: أجل. قال: فأرغم الله بأنفك انطلق واجهد على جهدك. وفيهما عن ابن أبى ليلى قال: حدثنا على رضى الله عنه أن فاطمة عليها السلام شكت ماتلقى من أثر الرحى، فأتى النبى ﷺ سبى، فانطلقت فلم تجده فوجدت عائشة رضى الله عنه فأخبرتها، فلما جاء النبى ﷺ أخبرته فجاء لينا وقد أخذنا مضاجعنا فذهبت لأقوم، فقال: على مكانكما. فقعد بيننا حتى وجدت برد قدميه على صدرى وقال: ألا أعلمكما خيرا مما سألتمانى؟ إذا أخذتما مضاجعكما؟ تكبران أربعاً وثلاثين وتسبحان ثلاثا وثلاثين وتحمدان ثلاثا وثلاثين فهو خير لكما من خادم »[1] وفى البخارى عن ابن سيرين عن عبيدة عن على رضى الله عنه قال «اقضوا

---

(١) رواه الشيخان .

كما كنتم تقضون، فإنى أكره الاختلاف حتى يكون الناس جماعة أو أموت كما مات أصحابى. فكان ابن سيرين يرى أن عامة مايروى عن على رضى الله عنه الكذب». قلت وأكثر مايكذب على على رضى الله عنه الرافضة الذين يدعون مشايعته ونشر فضائله ومثالب غيره من الصحابة، فيسندون ذلك إليه رضى الله عنه وهو برىء منهم، وهم أعدى عدو له. وفى الصحيحين من طرق عنه رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لاتكذبوا على فإنه من كذب على فليلج النار» .وفى فضائله رضى الله عنه من الأحاديث الصحاح والحسان مايغنى عن أكاذيب الرافضة، وهم يجهلون غالب ما له من الفضائل فيها، وفى صحيح مسلم عن عامر بن سعد ابن أبى وقاص عن أبيه رضى الله عنه قال: أمر معاوية بن أبى سفيان سعدا فقال: مامنعك أن تسب أبا تراب؟ فقال: أما ماذكرت فثلاث قالهن رسول الله ﷺ لأن تكون لى واحدة منهن أحب إلى من من حمر النعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول له وقد خلفه في مغازيه فقال له على رضى الله عنه: يارسول الله خلفتنى مع النساء والصبيان، فقال له رسول الله ﷺ : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لانبوة بعدى؟ وسمعته يقول يوم خيبر: لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، قال فتطاولنا لها قال ادعوا لى علياً، فأتى به أرمد فبصق فى عينيه ودفع إليه الراية ليلة فتح الله عليه. ولمانزلت هذه الآية ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسنا وحسينا فقال «اللهم هؤلاء أهلى». وفى صحيح مسلم عن زر قال: قال على رضى الله عنه: والذى فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبى ﷺ إلى أن لايحبنى إلا مؤمن ولايبغضنى إلا منافق. والأحاديث فى فضله كثيرة جدا، وقد تقدم الحديث فى الاشارة إلى خلافته رضى الله عنه فى رؤيا الرجل الصالح الدلو التى شرب منها أبو بكر وعمر وعثمان، ثم جاء على وأخذ بعراقيها فانتشطت وانتضح عليه منها شىء، وكان تأويل ذلك ما أصابه رضى الله عنه من اختلاف الناس عليه والفتن الهائلة والدماء المهرقة والأمور الصعاب والأسلحة المسلولة بين المسلمين بسبب السبئية ومن وافقهم من أهل الأمصار على قتل عثمان، وكان غالبهم منافقين، وقليل منهم من أبناء الصحابة مغروورون،فحصل من ذلك يوم الجمل وصفين وغيرهما وقائع يطول ذكرها .

فأما وقعة الجمل فكانت بمحض فعل السبئية قبحهم الله تعالى، ليس باختيار على رضى الله عنه ولاطلحة ولا الزبير ولا أم المؤمنين رضى الله عنهم، بل بات الفريقان متصالحين بخير ليلة، فتواطأ أهل الفتنة، وتمالؤا على أن يفرقوا بين الفريقين وينشبوا الحرب بين الفئتين من الغلس، فثار الناس من نومهم إلى السلاح فلم يشعر أصحاب رسول الله ﷺ إلا بالرءوس تندر والمعاصم تتطاير مايدرون ما الأمر حتى عقر الجمل

وانكشف الحال عن عشرة آلاف قتيل فإنا لله وإنا إليه راجعون، وإنما أنشب أهل الفتنة الحرب بين الفريقين لعلمهم أنهما إنا تصالحا دارت الدائرة عليهم وأخذوا بدم عثمان وأقيم عليهم كتاب الله فقالوا نشغلهم بأنفسهم، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

وأما في قتاله أهل الشام فكانوا هم مع معاوية، وكان هو رضى الله عنه متأولاً يطلب بدم عثمان ويرى أنه وليه وإن قتلته في جيش علي، فكان معذورا في خطئه بذلك، وأما علي رضى الله عنه فكان مجتهداً مصيبا وفالجاً محقاً يريد جمع كلمة الأمة حتى إذا كانوا جماعة وخمدت الفتن وطفئت نارها أخذ بالحق من قتلة عثمان، وكان رضى الله عنه أعلم بكتاب الله من المطالبين بدم عثمان، وكان السبئية يخافونه أعظم من خصمائه، وذلك الذى حملهم على ما فعلوه يوم الجمل فكان أهل الشام بغاة اجتهدوا فأخطئوا وعلى رضى الله عنه يقاتلهم ليرجعوا إلى الحق ويفيئوا إلى أمر الله ، ولهذا كان أهل بدر الموجودون على وجه الأرض كلهم في جيشه وعمار قتل معه رضى الله عنه كما في الصحيحين من حديث أبي سعيد في بناء المسجد، فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين، فرآه النبي ﷺ فينفض التراب عنه ويقول : ويح عمارا تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، قال يقول عمار أعوذ بالله من الفتن فقتله أهل الشام مصداق ما أخبرهم به الصادق المصدق ﷺ وهو يدعوهم إلى الجماعة والائتلاف وإلى طاعة الإمام التي هي من أسباب دخول الجنة ويدعونه إلى الفتنة والفرقة التي هي من أسباب دخول النار، وكان علي رضى الله عنه أسعد منهم وأولاهم بالحق لقتله الخوارج بالنهروان، وقد قال النبي ﷺ تقتلهم أولى الطائفتين بالحق كما قدمنا. وفي سنن أبي داود عن الأقرع مؤذن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: بعثني عمر إلى الأسقف [1] فدعوته فقال له عمر: وهل تجدني في الكتاب؟ قال نعم. قال: كيف تجدني؟ قال أجدك قرنا، فرفع عليه الدرة فقال: قرن مه؟ فقال: قرن حديد، أمين شديد. قال كيف تجد الذي يجيء من بعدي؟ فقال: أجده خليفة صالحا غير أنه يؤثر قرابته، قال عمر: يرحم الله عثمان (ثلاثا) فقال: كيف تجد الذي بعده؟ قال أجده صدأ حديد، فوضع عمر يده على رأسه فقال يادفراه يادفراه، فقال: يا أمير المؤمنين إنه خليفة صالح، ولكنه يستخلف حين يستخلف والسيف مسلول والدم مهراق» وكان الأمر كما أخبر، وكان رضى الله عنه أيام خلافته على طريق الحق والاستقامة والتمسك بكتاب الله وهدى محمد ﷺ مجتهدا في جمع شمل الأمة واطفاء الفتن والتذفيف على أهل البدع حتى اعتدى على حياته رضى الله عنه الشقي ابن ملجم

---

(١) لعله يريد كعب الأحبار.

الخارجي قبحه الله وقد فعل، وذلك يوم الجمعة في وقت الفجر وهو يقول: الصلاة الصلاة، فمكث يوم الجمعة وليلة السبت، وتوفى ليلة الأحد لإحدى عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين عن ثلاث وستين سنة، فكانت مدة خلافته كلها أربع سنين وتسعة أشهر إلا ليال، وهو يومئذ أفضل من على وجه الأرض بالإجماع وذلك مصداق ماروى الإمام أحمد وأبو داود وغيرهما عن سفينة إبى عبد الرحمن مولى رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «الخلافة ثلاثون سنة، ثم تكون بعد ذلك ملكا» قال سفينة: فخذ سنتى أبى بكر وعشر عمر واثنتى عشرة عثمان وست على رضى الله عنهم أجمعين. قلت. سفينة رضى الله عنه حذف الزائد والناقص عن السنين من الأشهر على ماجرت به عادات العرب في حذف الكسور في الحساب، وعلى ماقدمنا ضبطه فأيام كل منهم لا تكمل ثلاثين إلا بخلافة الحسن بن على رضى الله عنه، وهي ستة أشهر، ثم أصلح الله به الفئتين من المسلمين كما أخبر النبي ﷺ، وولى معاوية بذلك واجتمع الناس عليه وكان ذلك العام يسمى «عام الجماعة» وكان معاوية رضى الله عنه أول ملوك الإسلام وخيرهم، وروى الإمام أحمد عن على رضى الله عنه قال: سبق رسول الله ﷺ ، وصلّىٰ أبو بكر، وثلّث عمر، ثم خبطتنا بعده فتنة فهو ماشاء الله . وفي رواية : يقضي الله فيها مايشاء. وله عنه رضى الله عنه قال ليحبنى قوم حتى يدخلوا النار في حبى، وليبغضنى قوم حتى يدخلوا النار فى بغضى. وله عنه رضى الله عنه قال: يهلك فيَّ رجلان مفرط غال، ومبغض قالٍ. وله عنه رضى الله عنه قال: يهلك فيَّ رجلان محب مفرط ومبغض مفتر. وله عن الشعبي عن علقمة قال: أتدرى مامثل على في هذه الأمة؟ قال قلت: ومامثله؟ قال: مثله كمثل ابن مريم، أحبه قوم حتى هلكوا فى حبه، وأبغضه قوم حتى هلكوا في بغضه. وقد روى عبد الله بن أحمد هذا المعنى مسندا عن على بن أبي طالب رضى الله عنه قال: دعاني رسول الله ﷺ فقال «إن فيك من عيسى مثلا، أبغضته يهود حتى بهتوا أمه، وأحبته النصارى حتى أنزلوه بالمنزل الذي ليس به» ألا وإنه يهلك فيَّ اثنان: محب مفرط يقرظنى بما ليس فيّ، ومبغض مفتر يحمله شنآنى على أن بهتنى، ألا وإنى لست بنبي ولاموصى إلىّ، ولكن أعمل بكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ما استطعت، فما أمرتكم به من طاعة الله فحق عليكم طاعتى فيما أحببتم وكرهتم. كان رضي الله عنه يخبر أصحابه بولاية معاوية رضى عنه ويقول : لاتكرهوا إمارة معاوية، والذى نفسى بيده مابينكم وبين أن تنظروا إلى جماجم الرجال تندر عن كواهلهم كأنها الحنظل إلا أن يفارقكم معاوية. وكان أحمد بن حنبل رحمه الله يقول: لا أعلم أحدا يحفظ له من الفضائل في الأحاديث الصحاح مايحفظ لعلى، رضى الله عنه وعن أصحاب رسول الله ﷺ أجمعين.

(ف) يليهم في الفضل (الستة المكملون) عدد (العشرة) المشهود لهم بالجنة كما في السنن عن عبد الرحمن بن الأخنس أنه كان في المسجد، فذكر رجل عليا عليه السلام، فقام سعيد بن زيد فقال: أشهد على رسول الله ﷺ أني سمعته وهو يقول «عشرة في الجنة[1]: النبي ﷺ في الجنة، وأبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلى في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير بن العوام في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، ولو شئت لسميت العاشر. قال فقالوا: من هو؟ فسكت، قال فقالوا: من هو؟ فقال «هو سعيد بن زيد» رضى الله عنهم. وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة. وفي الصحيح عن أبي عثمان قال: لم يبق مع النبي ﷺ في بعض تلك الأيام التي قاتل فيها رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد. وفيه عن قيس بن أبي حازم قال: رأيت يد طلحة التي وقى بها النبي قد شلت.

وفيه عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال: رسول الله ﷺ يوم الأحزاب «من يأتينا بخبر القوم؟» فقال الزبير: أنا . ثم قال «من يأتينا بخبر القوم؟ فقال الزبير: أنا. ثم قال «من يأتينا بخر القوم؟» فقال الزبير: أنا. ثم قال «إن لكل نبي حواريا، وحواري الزبير». وفيه عن مروان بن الحكم قال: أصاب عثمان رضى الله عنه رعاف شديد سنة الرعاف حتى حبسه عن الحج وأوصى، فدخل عليه رجل من قريش قال: استخلف. قال: وقالوه؟ قال نعم. قال ومن؟ فسكت. فدخل عليه رجل آخر - أحسبه الحارث - فقال استخلف. فقال عثمان وقالوا؟ فقال نعم. قال ومن هو؟ فسكت، فلعلهم قالوا الزبير، قال: نعم، أما والذى نفسي بيده إنه لخيرهم ماعلمت، وإن كان لأحبهم إلى رسول الله ﷺ. وفي رواية قال: أما والله إنكم لتعلمون أنه خيركم (ثلاثا). وفيه عن عبد الله بن الزبير رضى الله عنهما قال : كنت يوم الأحزاب جعلت أنا وعمر ابن أبي سلمة في النساء فنظرت فاذا أنا بالزبير على فرسه يختلف إلى بني قريظة مرتين أو ثلاثا، فلما رجعت قلت: يا أبتي رأيتك تختلف. قال: وهل رأيتني يابني؟ قلت نعم. قال: كان رسول الله ﷺ قال: من يأتي بني قريظة فيأتيني بخبرهم، فانطلقت، فلما رجعت جمع لي رسول الله بين أبويه فقال: فداك أبي وأمي. وعن هشام بن عروة عن أبيه أن أصحاب النبي ﷺ قالوا للزبير يوم وقعة اليرموك: ألا تشد فنشد معك، فحمل عليهم، فضربوه ضربتين على عاتقه بينهما ضربة ضربها يوم بدر، قال عروة: فكنت أدخل أصابعي في تلك الضربات ألعب وأنا صغير. قلت: وقد اخترق صفوف الروم يومئذ أربع مرات، مرتين دخولا فيهم ومرتين رجوعا، وكانت الضربتان في رجعته من المرة الأخرى، كما هو مبسوط في موضعه من السير. وفي مسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه

(١) رواه أبو داود والترمذي .

أن رسول الله ﷺ كان على حراء هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة فقال رسول الله ﷺ «اهدأ فما عليك إلا نبى أوصديق أو شهيد» زاد فى رواية: وسعد بن أبى وقاص.

وفيه عن عائشة رضى الله عنها قالت: أرق رسول الله ﷺ ذات ليلة فقال «ليت رجلا صالحا من أصحابى يحرسنى الليلة». قالت وسمعنا صوت السلاح، فقال رسول الله ﷺ «من هذا» ؟ قال: سعد بن أبى وقاص يارسول الله، جئت أحرسك. قالت عائشة: فنام رسول الله ﷺ حتى سمعت غطيطه. وفيهما عن عبد الله بن شداد قال: سمعت عليا يقول: ماجمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد غير سعد بن مالك، فانه جعل يقول له يوم أحد «ارم فداك أبى وأمى». وعن عامر بن سعد عن أبيه أن النبى ﷺ جمع له أبويه يوم أحد، قال كان رجل من المشركين قد أحرق المسلمين فقال لى النبى ﷺ «ارم فداك أبى وأمى» قال: فنزعت له بسهم ليس فيه نصل، فأصبت جنبه، فسقط فانكشفت عورته، فضحك رسول الله ﷺ حتى نظرت إلى نواجذه، وفيه عن مصعب بن سعد عن أبيه أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال حلفت أم سعد أن لاتكلمه أبدا حتى يكفر بدينه ولاتأكل ولاتشرب، قالت: زعمت أن الله وصاك بوالديك، وأنا أمك وأنا آمرك بهذا قال : مكثت ثلاثا حتى غشى عليها من الجهد، فقام ابن لها يقال له عمارة فسقاها فجعلت تدعو على سعد، فأنزل الله عز وجل فى القرآن هذه الآيات ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حسنا. وإن جاهداك على أن تشرك بى** ﴾ وفيها ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ قال: وأصاب رسول الله ﷺ غنيمة عظيمة فاذا فيها سيف، فأخذته فأتيت به الرسول ﷺ فقلت: نفلنى هذا السيف فانا من قد علمتَ حاله، فقال «رده من حيث أخذته» فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه فى القبض لامتنى نفسى فرجعت إليه فقلت: أعطينيه. قال فشد لى صوته «رده من حيث أخذته» قال فأنزل الله عز وجل ﴿ **يسألونك عن الأنفال** ﴾ قال ومرضت فأرسلت إلى النبى ﷺ فأتانى فقلت: دعنى أقسم مالى حيث شئت قال فأبى: قلت: فالنصف، قال فأبى، قلت فالثلث، قال فسكت فكان بعد الثلث جائزا. قال وأتيت على نفر من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقيك خمراً. وذلك قبل أن تحرم الخمر، قال فأتيتهم فى حش – والحش البستان – فاذا رأس جزور مشوى عندهم وزق من خمر، قال فأكلت وشربت معهم.، قال فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم فقلت: المهاجرون خير من الأنصار، قال فأخذ رجل أحد لحي الرأس فضربنى به فخرج بأنفى، فأتيت رسول الله ﷺ فأخبرته، فأنزل الله عز وجل فيّ – يعنى نفسه – بشأن الخمر ﴿ **إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان** ﴾. وعنه رضى الله عنه قال: كنا مع النبى ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبى

ﷺ: اطرد هؤلاء لايجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسميهما، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ماشاء الله أن يقع فتحدث في نفسه، فأنزل الله عز وجل ﴿ **ولاتطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه** ﴾.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لكل أمة أمينا وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[1]. وعنه رضي الله عنه أن أهل اليمن قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: ابعث معنا رجلا يعلمنا السنة والإسلام، قال فأخذ بيد أبي عبيدة فقال «هذا أمين هذه الأمة». وعن حذيفة رضي الله عنه قال: جاء أهل نجران إلى رسول الله ﷺ فقالوا يارسول الله ابعث إلينا رجلا أمينا فقال: لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين ، قال فاستشرف لها الناس، قال فبعث أبا عبيدة بن الجراح.

وروى ابن اسحاق في قصة خالد مع بني جذيمة فقال له عبد الرحمن: عملت بأمر الجاهلية في الإسلام. فقال: إنما ثأرت بأبيك، فقال عبد الرحمن: كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة، حتى كان بينهما شر، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابي، فوالله لو كان لك أحد ذهبا ثم أنفقته في سبيل الله ما أدركت غدوة رجل من أصحابي ولاروحته».

(وسائر الصحب) بقيتهم (الكرام البررة) الذين هم خير القرون من هذه الأمة اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ونصرة دينه، ثم هم على مراتبهم: أفضلهم السابقون الأولون من المهاجرين، ثم من الأنصار، ثم أهل بدر، ثم أهل أحد، ثم أهل الثبات في غزوة الأحزاب التي نجم فيها النفاق، ثم بيعة الرضوان، ثم من هاجر من قبل الفتح وقاتل أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى.

﴿ وأهل بيت المصطفى الأطهار   وتابعيه السادة الأخيار ﴾
﴿ فكلهم في محكم القرآن   أثنى عليهم خالق الأكوان ﴾
﴿ في الفتح والحديد والقتال   وغيرها بأكمل الخصال ﴾
﴿ كذاك في التوراة والانجيل   صفاتهم معلومة التفصيل ﴾
﴿ وذكرهم في سنة المختار   قد سار سير الشمس في الأقطار ﴾

(وأهل بيت) الرسول محمد ﷺ (المصطفى) تقدم معناه، (المختار) اسم مفعول من الاختيار بمعنى التفضيل، وهن زوجاته اللاتي هن أمهات المؤمنين كما قال الله تعالى فيهن ﴿ **وأزواجه أمهاتهم** ﴾ وخيرهن تعالى بين إرادة زينة الحياة الدنيا وبين إرادة الله ورسوله فاخترن الله تعالى ورسول الله ﷺ وقال الله تعالى فيهن ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم**

(١) رواه الشيخان والترمذي .

الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا.واذكرن مايتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة﴾
وهن زوجاته في الدنيا والآخرة. فمنهن خديجة أم المؤمنين الصدّيقة الأولى التي هي أول من صدقه ﷺ فيما بعث به على الاطلاق قبل كل أحد رضى الله عنها، وقرأ جبريل عليها السلام من ربها وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لاصخب فيه ولاوصب، ومازالت تؤويه وتسكن جأشه وتعاضده بالنفس والمال حتى توفاها الله عز وجل.

وعائشة رضى الله عنها الصدّيقة بنت الصديق حبيبة حبيب اللهﷺ المبرأة من فوق سبع سماوات بأربع عشرة آية تتلى في المحاريب والكتاتيب في كل زمان ومكان، التي كان ينزل الوحي عليه وهو في حجرها، وتوفى في حجرها، وقد خلط ريقها بريقه ﷺ في آخر ساعة من الدنيا وأولها من الآخرة، ودفن في حجرتها، وكانت من أفقه الصحابه في الحديث والتفسير وغير ذلك، حتى كان الأكابر من أصحاب رسول اللهﷺ يسألونها عن أشياء كثيرة فيجدون منها عندها علما، لاسيما ما قاله الرسول ﷺ أو فعله في الحضر. أقرأها جبريل السلام أيضا كما أقرأه على خديجة.

ومنهن أم سلمة رضى الله عنها ذات الهجرتين مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم إلى المدينة ثم تزوجها نبي اللهﷺ بعد وفاة زوجها رضى الله عنه، وقد رأت جبريل عند النبي ﷺ في صورة دحية بن خليفة رضى الله عنه.

ومنهن زينب أم المؤمنين التي زوجه الله إياها من فوق سبع سماوات، وهي أطولهن يدا لانفاقها من كسب يدها، وأسرعهن لحوقا به ﷺ، وبسببها نزل الحجاب.

وصفية بنت حيي من ولد هارون بن عمران رسول الله وأخي رسوله موسى الكليم عليهما السلام.

وجويرية بنت الحارث ملك بني المصطلق التي كانت هي السبب في عتق السبي من قبيلتها.

وسودة بنت زمعة التي كانت أيضا من أسباب الحجاب، ولما كبرت اختارت نبي الله عز وجل أن تبقى في عصمة نكاحه، ووهبت يومها لعائشة تستحقه مع قسمها.

وأم حبيبة ذات الهجرتين أيضا. وميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها التي نكحها النبي ﷺ في عمرة القضاء وهما حلالان على ماحدثت به هي والسفير بينهما. وكلهن زوجاته في الدنيا والآخرة رضى الله عنهن.

ويدخل أهلَ بيته في هذه الآية من باب أولى بل بنص الحديث الخمسة الذين جللهم النبيﷺبكسائه كما في صحيح مسلم عن عائشة رضى الله عنها قالت: خرج النبي ﷺ غداة وعليه مرط مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين

فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا** ﴾. ويدخل في أهل بيته آله الذين حرمت عليهم الصدقة بنو هاشم وبنو المطلب كما في الصحيح عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا، رأيت رسول الله ﷺ وسمعت حديثه وغدوت معه وصليت خلفه. لقد لقيت يازيد خيرا كثيرا، حدثنا يازيد ماسمعت من رسول الله ﷺ، قال: يا ابن أخي والله لقد كبرت سني وقدم عهدي ونسيت بعض الذي كنت أعرف من رسول، الله ﷺ فما حدثتكم فاقبلوا ومالا فلا تكلفونيه. ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوما فينا خطيبا بما يدعى خما بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: أما بعد ألا أيها الناس فانما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله تعالى ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي، فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده، قال ومن هم؟ قال هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال نعم – وفي رواية – أحدهما كتاب الله عز وجل هو حبل الله من اتبعه كان على الهدى ومن تركه كان على ضلالة. وفيه: فقلنا مَن أهل بيته، نساؤه؟ قال : ولا وايم الله، إن المرأة تكون مع الرجل العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع إلى أبيها وقومها، أهل بيته أصله وعصبته الذين حرموا الصدقة بعده. وفي الصحيح أيضا عن المسور بن مخرمة قال: قال رسول الله ﷺ «إنما فاطمة بضعة مني يؤذيني ما آذاها». وفيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: اجتمع نساء النبي ﷺ فلم يغادر منهن امرأة فجاءت فاطمة تمشي كأنت مشيتها مشية رسول الله ﷺ فقال مرحبا بابنتي فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم إنه أسرَّ إليها حديثا فبكت فاطمة، ثم إنه سارَّها فضحكت أيضا، فقلت لها ما يبكيك؟ فقالت ماكنت لأفشي سر رسول الله ﷺ . فقلت ما رأيت كاليوم فرحا أقرب من حزن. فقلت لها حين بكت أخصك رسول الله ﷺ بحديثه دوننا ثم تبكين، وسألتها عما قال فقالت: ماكنت لأفشي سر رسول الله ﷺ. حتى إذا قبض سألتها فقالت: إنه كان حدثني أن جبريل كان يعارضه بالقرآن كل عام مرة وإنه عارضه به في العام مرتين ولا أراني إلا قد حضر أجلي، وإنك أول أهلي لحوقا بي ونعم السلف أنا لك فبكيت لذلك. ثم إنه سارني فقال ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء المؤمنين أوسيدة نساء هذه الأمة؟ فضحكت لذلك. وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال

لحسن «اللهم إني أحبه فأحبه وأحبب من يحبه» ونحوه عن البراء بن عازب، وفيه عن أبى بكرة رضى الله عنه سمعت النبى ﷺ على المنبر والحسن إلى جنبه ينظر إلى الناس مرة وإليه مرة يقول «ابنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[1]. وفيه عن أسامة بن زيد رضى الله عنهما عن النبى ﷺ أنه كان يأخذه والحسن يقول «اللهم إنى أحبهما فأحبها» أو كما قال. وللترمذى عن أبى سعيد رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة» وقال حسن صحيح، وفى الصحيح عن ابن عمر رضى الله عنهما أن النبى ﷺ قال «إن الحسن والحسين ريحانتاى من الدنيا»، وللترمذى – وقال حسن – عن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يخطبنا إذ جاء الحسن والحسين عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله ﷺ من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال «صدق الله ﴿ **إنما أموالكم وأولادكم فتنة** ﴾ نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثى ورفعتهما». وله عن على رضى الله عنه قال: الحسن أشبه برسول الله ﷺ مابين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه برسول الله ﷺ ماكان أسفل من ذلك. هذا حديث حسن غريب.

(وتابعيه) تابعوا الرسول ﷺ وأصحابه (السادة) من ساد يسود (الاخيار) على مراتبهم كما قال تعالى فيهم على الترتيب ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه** ﴾ الآية، وقال تعالى فى سورة الجمعة فى ذكر التابعين بعد ذكر الصحابة ﴿ **هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ هذا فى الصحابة، ثم قال فى التابعين ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾وغير ذلك من الآيات. وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى المقبرة فقال «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، وددت أنا قد رأينا إخواننا. قالوا أو لسنا إخوانك يارسول الله، قال أنتم أصحابى وإخواننا الذين لم يأتوا بعد الحديث. وفى المسند عن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «وددت أنى لقيت إخوانى» قال فقال أصحاب النبى ﷺ: نحن إخوانك قال «أنتم أصحابى ولكن إخوانى الذين آمنوا بى ولم يرونى» إسناده حسن وقد صحح. وفيه عن أبى أمامة وأنس بن مالك رضى الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ «طوبى لمن رآنى وآمن بى، وطوبى لمن آمن بى ولم يرنى سبع مرات» وروى الحاكم وغيره عن عبد الرحمن بن يزيد قال: كنا عند عبد الله بن مسعود جلوسا فذكرنا أصحاب النبى وماسبقونا به، فقال عبد الله: إن أمر محمد كان بينا لمن رآه، والذى لا إله غيره ما آمن

---
(١) رواه البخارى والترمذى وأبو داود .

أحد قط إيمانا أفضل من إيمان بغيب، ثم قرأ ﴿ الم ، ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين، الذى يؤمنون بالغيب ﴾ إلى قوله ﴿ المفلحون ﴾ وقال: على شرطهما.

وبالجملة (فكلهم فى محكم القرآن أثنى عليهم خالق الأكوان) فى مواضع من كتابه (كالفتح) أى سورة الفتح من أولها إلى آخرها (و) سورة (الحديد) كقوله تعالى فيها ﴿ آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه ﴾ إلى قوله ﴿ ومالكم ألا تنفقوا فى سبيل الله ولله ميراث السماوات والأرض، لايستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا وكلا وعد الله الحسنى ﴾ الآيات (و) سورة (القتال). كقوله تعالى ﴿ والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل على محمد وهو الحق من ربهم كفر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم ﴾ الآيات (و) سورة (الحشر) إلى آخرها، وقد رتب تعالى فيها الصحابة على منازلهم وتفاضلهم ثم أردفهم بذكر التابعين. فقال تعالى ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون. والذين تبوأوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة ما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون. والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولاتجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ أخرج الله بهذه الآية وغيرها شاتم الصحابة من جميع الفرق الذين فى قلوبهم غل لهم إلى يوم القيامة، ولهذا منعهم كثير من الأئمة الفيء وحرموه عليهم. (و) فى سورة (التوبة و) سورة (الأنفال) بكمالها تارة فى الثناء عليهم وتارة فى تحذيرهم من عدوهم ووصف المشركين والمنافقين بأنواعهم وسماهم ليحذروهم، وتارة فى حثهم على الطاعة والجماعة والجهاد فى سبيل الله والاثخان فى الكفار لهم عند لقائهم إياهم وعدم فرارهم منهم، ووعده تعالى إياهم بالنصر على عدوهم، وتارة بتذكيرهم بنعم الله عليهم وامتنانه عليهم أن هداهم للإسلام وجنبهم السبل المضلة. وألف بين قلوبهم وآواهم وأيدهم بنصره بعد إذ كانوا مستضعفين أذلة، وتارة يخبرهم ويهيجهم ويشوقهم بما أعد لهم فى الدار الآخرة على قيامهم بطاعته تعالى وطاعة رسوله، وجهادهم بأموالهم فى سبيله وله الحمد والمنة، وغير ذلك؛ من سور القرآن وآياته (كذاك فى التوراة) الكتاب المنزل على موسى عليه السلام (و) فى (الانجيل) الكتاب المنزل على عيسى عليه السلام (صفاتهم) التى جعلهم الله عليها) (معلومة التفصيل) كما أخبر الله تعالى عن ذلك بقوله عز وجل ﴿ محمد رسول الله والذين معه أشدّاء على الكفار رحماء

بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من أثر السجود. ذلك مثلهم في التوراة ﴾.

هنا تم الكلام ثم قال تعالى ﴿ ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزرّاع ليغيظ بهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما ﴾ وتقدم قول الاسقف لعمر وصفة الخلفاء رضى اللهعنهم وغير ذلك. (وذكرهم) بالمناقب الجمة والفضائل الكثيرة (فى سنة المختار) محمد ﷺ عموما وخصوصا من الأحاديث الصحاح والحسان، (قد سار) انتشر وأعلن (سير الشمس فى الاقطار) تمثيلا لشهرة فضائلهم ووضوحها لاتحصيها الاسفار الكبار. وفى الصحيح عن أبى بردة عن أبيه رضى الله عنه قال: صليت المغرب مع رسول اللهﷺ ثم قلنا له لو جلسنا حتى نصلى معه العشاء، قال فجلسنا فخرج علينا فقال «مازلتم ههنا» قلنا يارسول الله صلينا معك المغرب ثم قلنا نجلس حتى نصلى معك العشاء، قال «أحسنتم» أو «أصبتم» قال فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيرا مايرفع رأسه إلى السماء فقال «النجوم أمنة السماء، فاذا ذهبت النجوم أتى السماء ماتوعد، وأنا أمنة لأصحابى فاذا ذهبت أتى أصحابى مايوعدون، وأصحابى أمنة لأمتى فاذا ذهب أصحابى أتى أمتى ما يوعدون ». وفيه عن أبى سعيد رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «يأتى على الناس زمان[1] يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى رسول الله ﷺ ؟ فيقلون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: فيكم من رأى من صحب رسول اللهﷺ؟ فيقولون نعم، فيفتح لهم، ثم يغزو فئام من الناس فيقال لهم: هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله ﷺ ؟ فيقولون نعم فيتفح لهم » وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: سئل رسول اللهﷺ أى الناس خير؟ قال «أقرانى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته». وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول اللهﷺ «خير أمتى القرن الذى بعثت فيه، ثم الذين يلونهم» والله أعلم أذكر الثالث أم لا «ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يستشهدوا» وعن عمران بن حصين رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال «إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» قال عمران فلا أدرى أقال رسول اللهﷺ بعد قرنه مرتين أو ثلاثا «ثم يكون بعدهم قوم يشهدون ولايستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون ولايوفون ويظهر فيهم السمن» زاد فى رواية «ويحلفون ولا يستحلفون » وعن عائشة رضى اللهعنها قالت: سأل رجل النبى ﷺ أى الناس خير؟ قال«القرن الذى أنا فيه ثم الثانى ثم الثالث».وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: رسول اللهﷺ لاتسبوا أصحابى. فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد

---

(١) رواه الشيخان .

ذهبا ما أدرك مدَّ أحدهم ولانصيفه. وعن أبي سعيد رضى الله عنه قال: كان بين خالد بين الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ «لاتسبوا أحداً من أصحابي، فان أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا ما أدرك مدّ أحدهم ولانصيفه». وفي الصحيحين من حديث علي رضى عنه في قصة كتاب حاطب مع الظعينة – وفيه – فقال عمر: إنه قد خان الله ورسوله فدعني فلأضرب عنقه، فقال «أليس من أهل بدر» فقال ﷺ «لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد وجبت لكم الجنة» أو «فقد غفرت لكم» فدمعت عينا عمر رضي الله عنه وقال: الله ورسوله أعلم. وعن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: حدثني أصحاب محمد ﷺ ممن شهد بدرا أنهم كانوا عدة أصحاب طالوت الذين جاوزوا معه النهر: بضعة عشر وثلاثمائة، قال البراء: لا والله ماجاوز معه النهر إلا مؤمن. وعن أنس بن مالك رضى الله عنه ﴿ **إنا فتحنا لك فتحا مبينا** ﴾ قال: الحديبية، قال أصحابه هنيئا مريئا فمالنا؟ فأنزل الله تعالى ﴿ **ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار** ﴾ وكل هذا في الصحيح. وروى الترمذي عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «لايدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة. وقال الترمذي حسن صحيح. وقد وردت أحاديث في فضائل الصحابة والتابعين رضى الله عنهم منها عامة ومنها خاص بالمهاجرين ومنها خاص بالأنصار ومنها خاص بالآحاد فردا فردا، ومنها القطع لأحدهم بالجنة مطلقا، ومنها القطع لبعضهم بمجاورة رسول الله ﷺ في الجنة ليس هذا موضع بسطها.

﴿ ثم السكوت واجب عما جرى بينهمُ من فعل ماقد قدرا ﴾
﴿ فكلهم مجتهد مثابُ وخطؤهم يغفره الوهاب ﴾

أجمع أهل السنة والجماعة الذين هم أهل الحل والعقد الذين يعتد باجماعهم على وجوب السكوت على الخوض في الفتن التي جرت بين الصحابة رضى الله عنهم بعد قتل عثمان رضى الله عنه والاسترجاع على تلك المصائب التي أصيبت بها هذه الأمة والاستغفار للقتلى من الطرفين والترحم عليهم وحفظ فضائل الصحابة والاعتراف لهم بسوابقهم ونشر مناقبهم، عملا بقول الله عز وجل ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان** ﴾ الآية، واعتقاد أن الكل منهم مجتهد إن أصاب فله أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته، وإن أخطأ فله أجر الاجتهاد والخطأ مغفور، ولا نقول إنهم معصومون بل مجتهدون إما مصيبون وإما مخطئون لم يتعمدوا الخطأ في ذلك. وماروى من الأحاديث في مساويهم الكثير منه مكذوب، ومنه ماقد زيد فيه أو

نقص وغيّر عن وجهه، والصحيح منه هم فيه معذورون.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى معتقد أهل السنة: وهم مع ذلك لايعتقدون أن واحدا من الصحابة معصوم عن كبائر الاثم وصغائره، بل يجوز عليهم الذنوب فى الجملة، ولهم من السوابق والفضائل مايوجب مغفرة مايصدر منهم إن صدر، حتى إنهم يغفر لهم من السيئات ما لايغفر لمن بعدهم، وقد ثبت بقول رسول الله ﷺ أنهم خير القرون وان المدّ من أحدهم إذا تصدق به كان أفضل من جبل أحد ذهبا من بعدهم، ثم إذا كان قد صدر عن أحد منهم ذنب فيكون قد تاب منه أو أتى بحسنة تمحوه أو غفر له بفضل سابقته أو بشفاعة محمد ﷺ الذى هم أحق الناس بشفاعته أو ابتلى ببلاء فى الدنيا كفر به عنه فاذا كان هذا فى الذنوب المحققة فكيف بالأمور التى كانوا فيها مجتهدين إن أصابوا فلهم أجران وإن أخطأوا فلهم أجر واحد والخطأ مغفور، ثم القدر الذى ينكر من فعل قليل نزر مغفور فى جنب فضائل القوم ومحاسنهم من الإيمان بالله ورسوله والجهاد فى سبيله والهجرة والنصرة والعلم النافع والعمل الصالح. ومن نظر فى سيرة القوم بعلم القوم بعلم وبصيرة وما منّ الله عليهم به من الفضائل علم يقينا أنهم خير الخلق بعد الأنبياء لا كان ولايكون مثلهم، وأنهم الصفوة من قرون هذه الأمة التى هى خير الأمم وأكرمهم على الله عز وجل.

وقال القاضى عياض فى ذكر الصحابة رضى الله عنهم وفضائلهم: وأما الحروب التى جرت فكانت لكل طائفة شبهة واعتقدت تصويب نفسها بسببها، وكلهم عدول رضى الله عنهم ومتأولون فى حروبهم وغيرها، ولم يخرج شيء من ذلك أحدا منهم عن العدالة لانهم مجتهدون اختلفوا فى مسائل من محل الاجتهاد كما يختلف المجتهدون بعدهم فى مسائل من الدماء وغيرها، ولايلزم من ذلك نقص أحد منهم.

واعلم أن سبب تلك الحروب أن القضايا كانت مشتبهة، فلشدة اشتباهها اختلف اجتهادهم وصاروا ثلاثة أقسام: قسم ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى هذا الطرف وأن مخالفه باغ فوجب عليهم نصرته وقتال الباغى عليه فيما اعتقدوه، ففعلوا ذلك، ولم يكن يحل لمن هذه صفته التأخر عن مساعدة إمام العدل فى قتال البغاة فى اعتقاده. وقسم عكس هؤلاء ظهر لهم بالاجتهاد أن الحق فى الطرف الآخر فوجب عليهم مساعدته وقتال الباغى عليه. وقسم ثالث اشتبهت عليهم القضية وتحيروا فيها ولم يظهر لهم ترجيح أحد الطرفين فاعتزلوا الفريقين، فكان هذا الاعتزال هو الواجب فى حقهم، لأنه لايحل الإقدام على قتال مسلم حتى يظهر أنه مستحق لذلك، ولو ظهر لهؤلاء رجحان أحد الطرفين وأن الحق معه لما جاز لهم التأخر عن نصرته فى قتال البغاة عليه فكلهم معذورون رضى الله

عنهم.ولهذا اتفق أهل الحق ومن يعتد به في الإجماع على قبول شهادتهم ورواياتهم وكمال عدالتهم رضى الله عنهم أجمعين، وكلام الأئمة فى هذا الباب يطول، وما أحسن ما قال إمام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وقد سئل عن الفتن أيام الصحابة فقال تاليا قول الله عز وجل **﴿ تلك أمة قد خلت لها ماكسبت ولكم ماكسبتم ولاتسألون عما كانوا يعملون ﴾**.

خاتمة

فى وجوب التمسك بالكتاب والسنة
والرجوع عند الاختلاف اليهما، فما خالفهما فهو رد

﴿ شرط قبول السعى أن يجتمعا فيه إصابة وإخلاص معا ﴾
﴿ لله رب العرش لا سواه موافق الشرع الذى ارتضاه ﴾

(شرط) فى (قبول) الله تعالى (السعى) أى العمل من العبد وخبرالمبتدأ (أن يجتمعا) الألف للاطلاق (فيه) أى فى السعى، شيئان: أحدهما (إصابة) ضد الخطأ، والثانى (اخلاص) ضد الشرك (معا) أى لم يفترقا، وتفسيره فى البيت الذى بعده، فتفسير الاخلاص كون العمل (لله رب العرش) خالصا (لا) شرك فيه (سواه)، وهذا هو معنى لاإله إلا الله، وتفسير الاصابة كونه (موافق الشرع) الثابت عن الله (الذى ارتضاه) اللهتعالى لعباده دينا وأرسل به رسله اليهم وأنزل به كتبه عليهم ولم يقبل من أحد دينا سواه ولا أحسن دينا ممن التزمه، وقد سفه نفسه من رغب عنه. وقد جمع بين هذين الشرطين فى قوله تعالى **﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحاً ولايشرك بعبادة ربه أحد ﴾** وقد تقم الكلام على الإخلاص مستوفى فى بابه.

وأما مسألة التمسك بالكتاب والسنة فنذكر فيه فصولا:

(الفصل الأول) فى ذكر وجوب طاعة الله ورسوله: قال الله تعالى **﴿ واتقوا النار التى أعدت للكافرين وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون ﴾** وقال تعالى **﴿ قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لايحب الكافرين ﴾** وقال تعالى **﴿ فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما﴾**، وقال تعالى **﴿ ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحَسُن أولئك رفيقا. ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما ﴾** وقال تعالى **﴿ وأرسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا. من يطع الرسول فقد أطاع الله، ومن تولى فما أرسلناك عليهم حفيظا ﴾**، وقال تعالى **﴿ يا أيها**

الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فان تنازعتم فى شىء فردّوه إلى والله الرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾.وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله والرسول يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم. ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين ﴾ وقال ﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيماً ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم، واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه اليه تحشرون ﴾ وقال تعالى ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إن الله مع الصابرين ﴾ وقال تعالى ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا. وأولئك هم المفلحون، ومن يطع الله ورسوله ويخشَ الله ويتقه فأولئك هم الفائزون ﴾ وقال تعالى﴿ وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون ﴾ وقال تعالى ﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول، فان تولوا فانما عليه ماحمل وعليكم ماحملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ وقال تعالى ﴿ لاتجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾ وقال تعالى ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه، إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله ، فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله. إن الله غفور رحيم ﴾ وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم، ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما ﴾ وقال تعالى ﴿وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيَرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا ﴾ وقال تعالى ﴿ لقد كانَ لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾ وقال ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولاتبطلوا أعمالكم ﴾، وقال تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولاتولوا عنه وأنتم تسمعون. ولاتكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون﴾ وقال تعالى ﴿ ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار، ومن يتولّ يعذبه عذابا أليما ﴾ وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه

ومانهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب ﴾ وقال تعالى ﴿ **وأطيعوا الله والرسول فان توليتم فانما على رسولنا البلاغ المبين** ﴾ وقال تعالى ﴿ **فاتقوا الله يا أولي الالباب الذين آمنوا قد أنزل الله اليكم ذكرا رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور** ﴾ وقال ﴿ **انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا** ﴾ وغير ذلك من الآيات.

وقال البخارى رحمه الله تعالى: حدثنا محمد بن سنان حدثنا فليح حدثنا هلال عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى» قالوا: يارسول ومن يأبى؟ قال «من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى». حدثنا محمد بن عبادة أخبرنا يزيد حدثنا سليم بن حيان وأثنى عليه حدثنا سعيد بن ميناء حدثنا -أو سمعت - جابر بن عبدالله يقول «جاءت ملائكة إلى النبى ﷺ وهو نائم». الحديث تقدم، وفيه «فمن أطاع محمدا فقد أطاع الله ومن عصى محمدا ﷺ فقد عصى الله، ومحمد فرق بين الناس» وله عن حذيفة قال: يامعشر القراء استقيموا فقد سبقتم سبقا بعيدا. وإن أخذتم يمينا وشمالا لقد ضللتم ضلالا بعيدا. وله عن أبى موسى رضى الله عنه تعالى عن النبى ﷺ قال «إنما مثلى ومثل مابعثنى الله به كمثل رجل أتى قوما فقال: ياقوم إنى رأيت الجيش بعينى، وإنى أنا النذير العريان، فالنجاء فأطاعه طائفه منهم فأدلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا؟ وكذّبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم. فذلك مثل من أطاعنى فاتبع ماجئت به، ومثل من عصانى وكذب بما جئت به من الحق » وفيهما عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال «دعونى ماتركتكم، إنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، واذا أمرتكم بأمر فأتوا منه مااستطعتم»[1] وفيه عن عائشة رضى الله عنه قالت «صنع رسول الله ﷺ شيئا ترخص فيه وتنزّه عنه قوم، فبلغ ذلك النبى ﷺ فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزّهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إنى أعلمهم بالله وأشدهم له خشية» وفيه عن المغيرة بن شعبة عن النبى ﷺ قال «لايزال طائفة من أمتى ظاهرين حتى يأتيهم أمر الله وهم ظاهرون». وعن معاوية رضى الله عنه قال: سمعت النبى ﷺ يقول «من يرد الله به خيرا يفقه فى الدين، وإنما أنا قاسم، ويعطى الله عز وجل، ولن يزال أمر هذه الأمة مستقيما حتى تقوم الساعة، أو حتى يأتى أمر الله تبارك وتعالى » وفى المسند وابن ماجه وغيرهما قال: كنا جلوسا عند النبى ﷺ فخط خطا هكذا أمامه فقال «هذا سبيل الله عز وجل» وخطين عن يمينه وخطين عن شماله قال «هذه سبل الشيطان» ثم وضع يده فى

(١) رواه الشيخان .

الخط الأوسط ثم تلا هذه الآية ﴿ **وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون** ﴾. وفي المسند والترمذي وحسنه عن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال «ضرب الله مثلا صراطا مستقيما، وعن جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة وعلى الأبواب ستور مرخاة وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط المستقيم جميعا ولاتفرّقوا، وداع يدعو من فوق الصراط، فاذا أراد الانسان أن يفتح شيئا من تلك الأبواب قال: ويحك لاتفتحه فانك إن تفتحه تلجه. فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله ، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم، وفي جامع الترمذي عن العرباض بن سارية قال: وعظنا رسول الله ﷺ يوما بعد صلاة الغداة موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب، فقال رجل: إن هذه موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا يارسول الله؟ قال أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبد حبشي، فانه من يعش منكم ير اختلافا كثيرا، وإياكم ومحدثات الأمور فانها ضلالة، فمن أدرك ذلك منكم فعليه بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ. وقال هذا حديث حسن صحيح. ورواه أحمد وزاد «وإياكم ومحدثات الأمور، فان كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» وفي رواية. قلنا يارسول الله إن هذه لموعظة مودع فماذا تعهد إلينا. قال «قد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لايزيغ عنها بعدي إلا هالك» وفي رواية «فعليكم بما عرفتم من سنتي». وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال «مامن نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره؛ ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون مالا يفعلون ويفعلون ما لايؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل، ولأحمد عن مجاهد باسناد جيد قال: كنا مع ابن عمر رضي الله عنهما في سفر بمكان فحاد عنه، فسئل لم فعلت؟ فقال: رأيت رسول الله ﷺ فعل هذا ففعلت. وله عن الحسن بن جابر قال: سمعت المقدام بن معد يكرب رضي الله عنه يقول: حرّم رسول الله ﷺ يوم خيبر أشياء ثم قال «يوشك أحدكم أن يكذبني وهو متكيء على أريكته يحدّث بحديثي فيقول بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدناه فيه من حلال استحللناه وماوجدنا فيه من حرام حرمناه، إلا وإنما حرّم رسول الله ﷺ مثل ماحرم الله » وعنه أيضا قال: قال رسول الله ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه، ألا يوشك رجل ينثني شبعان على أريكته يقول: عليكم القرآن، فما وجدتم فيه من حلال فأحلوه وماوجدتم فيه من حرام فحرموه، ألا لا

يحل لكم لحم الحمار الأهلى ولاكل ذى ناب من السباع، ألا ولا لقطة من مال معاهد إلا أن يستغنى صاحبها، ومن نزل بقوم فعليهم أن يقروه، فإذا لم يقروهم فعليهم أن يعقبوهم بمثل قراهم » ورواه أبو داود والترمذى وابن ماجه، واسناد أحمد جيد، وسكت عليه أبو داود وحسنه الترمذى، ولأحمد عن أبى هريرة نحوه، والأحاديث فى هذا الباب كثيرة وفيما أشرنا إليه كفاية.

(الفصل الثانى) فى تحريم القول على الله بلا علم، وتحريم الافتاء فى دين الله بما يخالف النصوص **﴿ قل إنما حرم ربى الفواحش ماظهر منها ومابطن والإثم والبغى بغير الحق وأن تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله مالا تعلمون ﴾** وقال تعالى **﴿ وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا ﴾** وقال تعالى **﴿ ولاتقف ماليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا ﴾** وقال تعالى **﴿ يا أيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم ﴾** وقال تعالى **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولاتكن للخائنين خصيما ﴾** وقال تعالى **﴿ اتبعوا ما أنزل اليكم من ربكم ولاتتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون ﴾** وقال تعالى **﴿ إن الحكم إلا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ﴾** وقال **﴿ له غيب السماوات والأرض أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى ولايشرك فى حكمه أحدا﴾** وقال تعالى **﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون - ومن لم يحكم بما أنزل فأولئك هم الظالمون - ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون ﴾** وقال تعالى **﴿ وهذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه واتقوا لعلكم ترحمون. أن تقولوا إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين ﴾** الآيات، وقال تعالى **﴿ وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون ﴾.**

وفى الصحيح عن ابن مسعود رضى الله قال كنت مع النبى ﷺ فى حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمر بنفر من اليهود فقال بعضهم: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لاتسألوه لئلا يسمعكم ماتكرهون، فقاموا إليه فقالوا: يا أبا القاسم حدثنا عن الروح، فقام ساعة ينظر، فعرفت أنه يوحى إليه، فتأخرت عنه حتى صعد الوحى ثم قال **﴿ ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾** وفيه من حديث ابن عباس رضى الله عنهما فى قصة المتلاعنين لما جاءت به على النعت المكروه فقال النبى ﷺ «لولا مامضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن» وفيه عن جابر رضى الله عنه قال «مرضت فجاءنى رسول الله ﷺ يعودنى[1] وأبو بكر وهما ماشيان، فأتانى وقد أغمى على، فتوضأ

(١) رواه الشيخان والنسائى والترمذى .

رسول الله ﷺ ثم صب وضوءه على فأفقت فقلت: يارسول الله كيف أقضى فى مالى كيف أصنع فى مالى؟ قال فما أجابنى بشيء حتى نزلت آية الميراث، وعلى هذا ترجم البخارى رحمه الله تعالى: باب ماكان النبى ﷺ يسأل مما لم ينزل عليه الوحى فيقولا لا أدرى، أو لم يجب حتى ينزل عليه الوحى ولم يقبل برأى ولابقياس لقوله تعالى ﴿ بما أراك الله ﴾ الآية. وترجم رحمه الله تعالى: باب مايذكر من ذم الرأى وتكلف القياس ﴿ ولاتقفُ ماليس لك به علم ﴾ ثم ذكر فيه حديث عبد الله بن عمر وقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «إن الله تعالى لاينزع العلم بعد أن أعطاهموه انتزاعاً، ولكن ينتزعه منهم مع قبض العلماء بعلمهم، فيبقى ناس جهال يستفتون فيفتون برأيهم فيضلون ويضلون».
وحديث سهل بن حنيف قال: ياأيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم، لقد رأيتنى يوم أبى جندل لو أستطيع أن أرد أمر رسول الله ﷺ لرددته الخبر. وفى خطبه ﷺ مالا يحصى أن يقول «أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وإن أفضل الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل بدعة ضلالة، وروى أبو داود عن يزيد بن عميرة وكان من أصحاب معاذ بن جبل قال: كان لايجلس مجلسا للذكر حين يجلس إلا قال: اللهحكم قسط، هلك المرتابون فقال معاذ بن جبل يوما: إن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يأخذه المؤمن والمنافق والرجل والمرأة والصغير والكبير والعبد والحر، فيوشك قائل يقول: ماللناس لايتبعونى وقد قرأت القرآن؟ ماهم بمتبعى حتى أبدع لهم غيره فإياكم وما ابتدع، فإن ما ابتدع ضلالة. وأحذركم زيغة الحكيم فإن الشيطان قد يقول كلمة الضلالة على لسان الحكيم، وقد يقول المنافق كلمة الحق. قال قلت لمعاذ: مايدرينى رحمك الله أن الحكيم قد يقول كلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق؟ قال: بلى اجتنب من كلام الحكيم المشتهرات التى يقال لها ماهذه ولايثنيك ذلك عنه فإنه لعله أن يراجع، وتلق الحق إذا سمعته فإن على الحق نورا. وله من طرق عن سفيان الثورى قال: كتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز سأله عن القدر، فكتب: أما بعد أوصيك بتقوى الله والاقتصاد فى أمره واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدث المحدثون بعد ماجرت به سنته وكفوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة. ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلا قد مضى ماهو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنة إنما سنها من قد علم، أما فى خلاف من الخطأ والزلل والحمق والتعمق فارض لنفسك مارضى به القوم لأنفسهم، فانهم على علم وقعوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ماكانوا فيه أولى. فإن كان الهدى ماأنتم عليه لقد سقبوكم إليه. ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون فقد تكلموا فيه بما يكفى ووصفوا

منه مايشفى، فما دونهم من مقصر. ومافوقهم من محسر، وقد قصر قوم من دونهم فجفوا، وطمح عليهم أقواما فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم. كتبت تسأل عن الاقرار بالقدر، فعلى الخبير بإذن الله وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة ولاابتدعوا من بدعة هى أبين أثرا، ولا أثبت أمر من الاقرار بالقدر. لقد كان ذكره فى الجاهلية الجهلاء. لايتكلمون به فى كلامهم وفى شعرهم يعزّون به أنفسهم على مافاتهم، ثم لم يزده الإسلام بعد إلا شدة. ولقد ذكره رسول الله ﷺ فى غير حديث ولاحديثين، وقد سمعه منهم المسلمون فتكلموا به فى حياته وبعد وفاته يقينا وتسليما لربهم وتضعيفا لأنفسهم أن يكون شيء لم يحط به علمه ولم يحصه كتابه ولم يمض فيه قدره، وإنه مع ذلك لفى محكم كتابه، منه اقتبسوه ومنه تعلموه. ولئن قلتم لم أنزل آية كذا، ولم قال كذا؟ لقد قرأوا منه ماقرأتم، وعلموا من تأويل ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله:بكتاب وقدر، وكتبت الشقاوة، ومايقدّر يكن، وماشاء كان ومالم يشأ لم يكن، ولانملك لأنفسنا ضرا ولانفعا، ثم رغبوا ذلك ورهبوا. والأحاديث فى هذا الباب كثيرة جدا.

(الفصل الثالث) فى عظم إثم من أحدث فى الدين ماليس منه. قال تبارك وتعالى **﴿ ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء مايزرون ﴾** وقال تبارك وتعالى **﴿ ليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون ﴾** وفى الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «ليس من نفس تقتل ظلما إلا كان على ابن آدم الأول كفل منها، لأنه أول من سن القتل» ولأحمد ومسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «من سن سنة ضلال فاتبع عليها كان عليه مثل أوزارهم من غير أن ينقص من أوزارهم شيء، ومن سن سنة هدى فاتبع عليها كان له مثل أجورهم من غير أن ينقص من أجورهم شيء. ولأحمد باسناد جيد عن حبيب بن عبيد الرحبى عن غضيف بن الحارث الثمالى رضى الله عنه قال: بعث إلى عبد الملك بن مروان فقال: يا أبا أسماء إنا قد جمعنا الناس على أمرين. قال: وماهما؟ قال: ترفع الأيدى على المنابر يوم الجمعة، والقصص بعد الصبح والعصر. فقال: أما إنهما أمثل بدعتكم عندى، ولست مجيبك إلى شيء منهما. قال: لم؟ قال لأن النبى ﷺ قال «ما أحدث قوم بدعة إلا رفع مثلها من السنة» فتمسك بسنة خيرمن إحداث بدعة. وفى حديث الحوض عن جماعة من الصحابة تقدم أكثرهم قال «ليردن علىّ الحوض رجال ممن صحبنى ورآنى حتى إذا رفعوا إلى ورأيتهم اختلجوا دونى فلأقولن: ربى أصحابى، فيقال: إنك لاتدرى ما أحدثوا بعدك. وفى بعضها زيادة «فأقول سحقا سحقا لمن بدل بعدى» وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية

﴿ **هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله ، والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا، ومايذكر إلا أولو الألباب** ﴾ قالت: قال رسول الله ﷺ «فإذا رأيت الذين يتبعون ماتشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم» . وعن جرير بن عبد الله قال: جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله ﷺ عليهم الصوف، فرأى سوء حالهم قد أصابتهم حاجة، فحث الناس على الصدقة، فأبطأوا عنه حتى رؤى ذلك في وجهه، قال: ثم إن رجلا من الأنصار جاء بصرّة من ورق، ثم جاء آخر، ثم تتابعوا حتى عرف السرور في وجهه فقال رسول الله ﷺ «من سن فى الإسلام سنة حسنة فعمل بها بعده كتب له مثل أجرمن عمل بها، ولاينقص من أجورهم شيء. ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعمل بها بعده كتب عليه مثل وزر من عمل بها، ولاينقص من أوزارهم شيء» . ورواه الترمذى بلفظ: قال رسول الله ﷺ «من سن سنة خير فاتبع عليها فله أجره ومثل أجور من اتبعه غير منقوص من أجورهم شيئا، ومن سن سنة شر فاتبع عليها كان عليه وزرها ومثل أوزار من اتبعه غير منقوص من أوزارهم شيئا» . وله عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده أن النبى ﷺ قال لبلال بن الحارث «اعلم» قال أعلم يارسول الله، قال «إنه من أحيا سنة من سنتى قد أميتت بعدى كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيئا، ومن ابتدع بدعة ضلالة لايرضاها الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لاينقص ذلك من أوزار الناس شيئا» قال هذا حديث حسن. والأحاديث فى هذا كثيرة وفى هذا كفاية.

(الفصل الرابع والخامس) مافى هذه الأبيات:

﴿ وكل ماخالف للوحيين فإنه رد بغير مين ﴾
﴿ وكل مافيه الخلاف نصبا فرده إليهما قد وجبا ﴾
﴿ فالدين إنما أتى بالنقل ليس بالأوهام وحدس العقل ﴾

(وكل ما) أى أمر كان (خالف للوحيين) نصوص الكتاب والسنة لأن السنة وحى ثان أيضا كما قال تعالى ﴿ **ماضل صاحبكم وماغوى، وماينطق عن الهوى، إن هو إلا وحى يوحى، علمه شديد القوى** ﴾ وقال النبى ﷺ «أوتيت القرآن ومثله معه» الحديث (فانه) أى ذلك الأمر المخالف (رد) أى مردود على مبتدعه من كان (بغير مين) بدون شك، قال الله تبارك وتعالى﴿ **ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه** ﴾ ودين الإسلام هو الذى أنزل الله تعالى به كتابه على رسوله ليبينه للناس، فتلاه الرسول ﷺ على أمته وبينه لهم

بسنته من أقواله وأفعاله وتقريراته ﷺ، وتقدم في الأحاديث قوله ﷺ «وإياكم ومحدثات الأمور فان كل بدعة ضلالة» وقال تعالى ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ﴾ وقال تعالى ﴿ ومن أحسن دينا ممن أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا ﴾ وقال تعالى ﴿ أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السماوات والأرض طوعا وكرها ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلا ماتذكرون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ الآيات وقال تعالى ﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون ﴾ وقال تبارك وتعالى ﴿اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله﴾ آلاية، وقال تعالى ﴿ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله ﴾ الآية وغير ذلك من الآيات. وفي الصحيحين من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من أحدث في أمرنا هذا ماليس منه فهو رد» وفي رواية مسلم «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال ﷺ « لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها، لايزيغ عنها بعدى إلا هالك» وفي السنن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[1] وفيها عن معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أنه قال: ألا إن رسول الله ﷺ قام فينا فقال «ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملة، وانه هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين: ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة - زاد في رواية - «وانه سيخرج من أمتي أقوام تتجارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب لصاحبه» وفي لفظ «بصاحبه، لايبقى منه عرق ولامفصل إلا دخله». وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال «لاتقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع» فقيل: يارسول الله كفارس والروم؟ فقال «ومن الناس إلا أولئك». وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال«لتتبعهن سنن من كان قبلكم شبرا شبرا وذراعا بذراعا حتى لو دخلوا جحر ضب لتبعتموهم» فقيل يارسول الله اليهود والنصارى؟ قال «فمن». والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

ثم اعلم أن البدع كلها مردودة ليس منها شيء مقبولا، وكلها قبيحة ليس فيها حسن، وكلها ضلال ليس فيها هدى، وكلها أوزار ليس فيها أجر، وكلها باطل ليس فيها

---

(١) رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد في المسند .

حق. ومعنى البدعة هو شرع مالم يأذن الله به ولم يكن عليه أمر النبي ﷺ ولا أصحابه، ولهذا فسر النبي ﷺ البدعة بقوله «كل عمل ليس عليه أمرنا» ووصف الطائفة الناجية من الثلاث والسبعين فرقة بقوله «هم الجماعة» وفي رواية «هم من كان مثل ما أنا عليه وأصحابي».

ثم البدع بحسب اخلالها بالدين قسمان: مكفرة لمنتحلها، وغير مكفرة فضابط البدعة المكفرة من أنكر أمرا مجمعا عليه متواترا من الشرع معلوما من الدين بالضرورة من جحود مفروض أو فرض مالم يفرض أو إحلال محرم أو تحريم حلال أو اعتقاد ماينزه الله ورسوله وكتابه عنه من نفي أو إثبات، لأن ذلك تكذيب بالكتاب وبما أرسل الله به رسله ﷺ كبدعة الجهمية في إنكار صفات الله عز وجل والقول بخلق القرآن، أو خلق أي صفة من صفات الله، وإنكار أن يكون الله تعالى اتخذ ابراهيم خليلا وكلم موسى تكليما وغير ذلك، وكبدعة القدرية في إنكار علم الله عز وجل وأفعاله وقضائه وقدره، وكبدعة المجسمة الذين يشبهون الله تعالى بخلقه، وغير ذلك من الأهواء. ولكن هؤلاء منهم من علم أن عين قصده هدم قواعد الدين وتشكيك أهله فيه فهذا مقطوع بكفره بل هو أجنبي عن الدين من أعدى عدو له. وآخرون مغرورون ملبس عليهم، فهؤلاء إنما يحكم بكفرهم بعد إقامة الحجة عليهم وإلزامهم بها، والقسم الثاني البدع التي ليست بمكفرة وهي مالم يلزم منه تكذيب بالكتاب ولابشيء مما أرسل الله به رسله كبدع المروانية التي أنكرها عليهم فضلاء الصحابة ولم يقروها عليها ولم يكفروهم بشيء منها ولم ينزعوا يدا من بيعتهم لأجلها كتأخيرهم بعض الصلوات إلى أواخر أوقاتها، وتقديمهم الخطبة قبل صلاة العيد، وجلوسهم في نفس الخطبة وغيرها وسبهم كبار الصحابة على المنابر ونحو ذلك مما لم يكن منهم على اعتقاد شرعية، بل بنوع تأويل وشهوات نفسانية وأغراض دنيوية. كما روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه عن أبي عمر الجوني قال: سمعت أنس بن مالك رضي الله عنه يقول: ما أعرف شيئا اليوم مما كنا عليه على عهد رسول الله ﷺ، قال قلنا: فأين الصلاة؟ قل أو لم تصنعوا في الصلاة ماقد علمتم؟ وله عن ثابت البناني باسناد نير قال: قال أنس ابن مالك رضي الله عنه: ما أعرف فيكم اليوم شيئا كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ، ليس قولكم لا إله إلا الله. قال قلت: يا أبا حمزة الصلاة؟ قال قد صليت حين تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ؟ وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يخرج يوم الفطر والأضحى إلى المصلى فأول شيء يبدأ به الصلاة، ثم ينصرف فيقوم مقابل الناس والناس جلوس على صفوفهم فيعظهم ويوصيهم ويأمرهم، فان كان يريد أن يقطع بعثا قطعه أو يأمر بشيء أمر به ثم ينصرف. قال

أبو سعيد: فلم يزل الناس على ذلك حتى خرجت مع مروان وهو أمير المدينة فى الأضحى أو الفطر فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فاذا مروان يريد يرتقيه قبل أن يصلى، فجبذت بثوبه، فجبذنى فارتفع فخطب قبل الصلاة، فقلت له: غيرتم والله، فقال: أبا سعيد قد ذهب ماتعلم. فقلت: ما أعلم والله خير مما لا أعلم. فقال: إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة. وفى رواية مسلم: فلما رأيت ذلك منه قلت أين الابتداء بالصلاة؟ فقال: يا أبا سعيد قد ترك ماتعلم، قلت كلا والذى نفسى بيده لاتأتون بخير مما أعلم – ثلاث مرات – ثم انصرف وروى أحمد وأبو داود وابن ماجه عن أبى سعيد رضى الله عنه أيضا قال: أخرج مروان المنبر فى يوم عيد فبدأ بالخطبة قبل الصلاة، فقام رجل فقال: يامروان خالفت السنة، أخرجت المنبر فى يوم عيد ولم يكن يخرج فيه، وبدأت الخطبة قبل الصلاة ولم يكن يبدأ بها. فقال أبو سعيد الخدرى: من هذا؟ قالوا فلان ابن فلان، فقال: أما هذا فقد قضى ماعليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول «من رأى منكرا فاستطاع أن يغيره بيده فليغيره بيده، فان لم يستطع فبلسانه، فان لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان». قلت: والمرفوع من قول النبى ﷺ فى صحيح مسلم، ولعل تغيير هذا الرجل على مروان كان تارة أخرى فى غير المرة التى غير فيها أبو سعيد بيده ولسانه، لأن تغيير أبى سعيد كان عند أول ما ابتدع ذلك ابتداء والله أعلم. وفى صحيح مسلم عن جابر ابن سمرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يخطب قائما ثم يجلس، ثم يقوم فيخطب قائما، فمن نبأك أنه كان يخطب جالسا فقد كذب، فقد والله صليت معه أكثر من ألفى صلاة وفيه عن كعب بن عجرة رضى الله عنه قال: دخل المسجد وعبد الرحمن بن أم الحكم يخطب قاعدا، فقال انظر إلى هذا الخبيث يخطب قاعدا، وقال الله تعالى ﴿ **وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها وتركوك قائما** ﴾. وفيه عن عمار بن رويبة قال: رؤى بشر بن مروان على المنبر رافعا يديه فقال: قبح الله هاتين اليدين، لقد رأيت رسول الله ﷺ مايزيد على أن يقول بيده هكذا، وأشار بأصبعه المسبحة. وتقدم فى فضائل الصحابة نصيحة سعد ابن أبى وقاص وسهل بن سعد وغيرهم من الصحابة وعظته إياهم عن سب الصحابة. وعن عامر بن سعد رأى جماعة عكوفا على رجل فأدخل رأسه من بين اثنين فاذا هو يسب عليا وطلحة والزبير فنهاه عن ذلك فلم ينته فقال ادعو عليك، فقال الرجل تتهددنى كأنك نبى، فانصرف سعد فدخل دار آل فلان فتوضأ وصلى ركعتين ثم رفع يديه فقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقواما قد سبق لهم منك سابقة الحسنى وأنه قد أسخطك سبه إياهم فاجعله اليوم آية وعبرة. قال فخرجت بختية نادرة من دار آل فلان لايردها شيء حتى دخلت بين أضعاف الناس فافترق الناس فأخذته بين قوائمها فلم تزل

تتخبطه حتى مات، قال فلقد رأيت الناس يستعدون وراء سعد يقولون: استجاب الله دعاءك يا أبا إسحاق. وعن مصعب نحوه. وروى حماد بن سلمة عن على بن زيد عن سعيد بن المسيب نحوه، وغير ذلك من انكار الصحابة عليهم، وكان الصحابة رضى الله عنهم لايخافون فى الله لومة لائم. رضى الله عنهم وأرضاهم آمين.

فصل. ثم تنقسم البدع ماتقع فيه إلى بدعة فى العبادات، وبدعة فى المعاملات. فالبدع فى العبادات قسمان أيضا الأول التعبد بما لم يأذن الله تعالى أن يعبد به البتة، كتعبد جهلة الصوفية بآلات اللهو والرقص والصفق والغناء وأنواع المعازف وغيرها مما هم فيه مضاهئون فعل الذين قال الله تعالى فيهم ﴿ **وماكان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية** ﴾. والثانى التعبد بما أصله مشروع ولكن وضع فى غير موضعه، ككشف الرأس مثلا هو فى الإحرام عبادة مشروعه، فاذا فعله غير المحرم فى الصوم أو فى الصلاة أو غيرها بنية التعبد كان بدعة محرمة، وكذلك فعل سائر العبادات المشروعة فى غير ماشرعت فيه كصلوات النفل فى أوقات النهى، وكصيام الشك والعيدين ونحو ذلك، وفى الصحيح عن أنس فى الرجل الذى رآه النبى ﷺ يمشى بين ابنيه فقال ﷺ «إن الله لغنى عن تعذيب هذا نفسه». وفيه عن ابن عباس رضى الله عنهما أن النبى ﷺ مر وهو يطوف بالكعبة بانسان يقود إنسانا بخزامة فى أنفه فقطعها النبى ﷺ بيده ثم أمره أن يقود بيده. وفيه عنه رضى الله عنه قال: بينا النبى ﷺ يخطب إذ هو برجل قائم فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل، نذر أن يقوم ولايقعد ولايستظل ولايتكلم ويصوم، فقال النبى ﷺ « مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه» فأمره النبى ﷺ باتمام الصوم الذى هو عبادة مشروعة وضعت فى محلها، وإلغاء قيامه وسكوته لكونه وإن كان عبادة فى بعض الأحوال لكن ليس هذا محله، وأمره بالاستظلال لكون عدمه ليس بعبادة مشروعة. وفيه عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما سئل عن رجل نذر أن لايأتى عليه يوم إلا صام فوافق يوم الأضحى أو الفطر فقال ﴿ **لقد كان لكم فى رسول أسوة حسنة** ﴾ لم يكن يصوم يوم الأضحى والفطر ولايرى صيامهما. وعن زياد بن جبير قال: كنت مع ابن عمر رضى الله عنهما فسأله رجل فقال: نذرت أن أصوم كل يوم ثلاثاء أو أربعاء ماعشت، فوافقت هذا اليوم يوم النحر، فقال: أمر الله بوفاء النذر ونهينا أن نصوم يوم النحر، فأعاد فأعاد عليه، فقال مثله لايزيد عليه. والمعنى أن النذر قربة من القربات إذا كان مشروعا كصوم مالم ينه عنه من الأيام، فان نذر صوم يوم منهى عنه كان ناذرا معصية لاطاعة، وقد قال ﷺ «لانذر فى معصية الله » [1] وقال ﷺ « من نذر أن يعصى الله فلا يعصه». وعن عطاء أن ابن عباس رضى الله عنهما أرسل إلى ابن الزبير فى أول مابويع

(١) رواه النسائى .

له: إنه لم يكن يؤذن بالصلاة يوم الفطر، وإنما الخطبة بعد الصلاة. قال ذلك رداً لبدعة المروانية فى ذلك. وفيه عن البراء بن عازب قال: قال النبى ﷺ «ان أول مانبدأ فى يومنا هذا أن نصلى، ثم نرجع فننحر. فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن نحر قبل الصلاة فانما هو لحم قدمه لأهله، ليس من النسك فى شيء. الحديث. وفيه عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: جاء ثلاثة رهط إلى نساء النبى ﷺ يسألون عن عبادة النبى ﷺ، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها فقالوا: وأين نحن من النبى ﷺ قد غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر، فقال أحدهم أما أنا فإنى أصلى الليل أبدا، وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول ﷺ فقال «أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى، وقال ﷺ «ليس من البر الصيام فى السفر» وقال ﷺ للذين صاموا بعد أمره بالإفطار «أولئك العصاة، أولئك العصاة» وغير ذلك من الأحاديث فى هذا الباب مالا يحصى، وهذا مثال يدل على مابعده.

ثم البدعة الواقعة فى العبادة قد تكون مبطلة للعبادة التى تقع فيها لمن صلى الرباعية خمسا، أو الثلاثية أربعا، أو الثنائية ثلاثا وماشابه ذلك. وقد تكون معصية ولاتبطل العمل الذى تقع فيه كالوضوء أربعا أربعا، لأن النبى ﷺ قال فى الوضوء المشروع «فمن زاد على هذا فقد أساء وتعدى وظلم» ولم يقل فقد بطل وضوؤه، وكذا قراءة القرآن راكعا أو ساجدا منهى عنه شرعا ولايبطل الصلاة.

والبدعة فى المعاملات كاشتراط ماليس فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ كما فى الصحيح عن عائشة رضى الله عنها قالت: جاءت بريرة رضى الله عنها فقالت: إنى كاتبت أهلى على تسع أواق فى كل عام أوقية فأعينينى، فقالت عائشة رضى الله عنها: إن أحب أهلك أعدها لهم عدة واحدة وأعتقك فعلت ويكون ولاؤك لى، فذهبت إلى أهلها فأبوا ذلك عليها فقالت عرضت ذلك عليهم فأبوا إلا أن يكون الولاء لهم، فسمع بذلك رسول الله ﷺ فسألنى فأخبرته فقال «خذيها فأعتقيها واشرطى لهم الولاء فانما الولاء لمن أعتق» فقالت عائشة: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال «أما بعد فما بال رجال منكم يشترط شروطا ليست فى كتاب الله ، فأيما شرط ليس فى كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط، فقضاء الله حق وشرط الله أوثق. ما بال رجال منكم يقول أحدهم أعتق يا فلان ولى الولاء، إنما الولاء لمن أعتق » وأمثاله كثيرة.

(وكل مافيه الخلاف) بين الصحابة فمن بعدهم (نصبَ) من فروع العبادات والمعاملات (فرده) أى المختلف فيه من ذلك (اليهما) أى إلى الكتاب والسنة (قد وجبَ)

على المعتبر، قال الله تبارك وتعالى ﴿ **يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم، فان تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول ذلك خير وأحسن تأويلا** ﴾ والرد إلى الله تعالى هو الرد إلى كتابه وإلى الرسول إلى سنته بعد انقطاع الوحى، فما وافقهما قبل وماخالفهما رد على قائله كائنا من كان (فالدين) الاسلام وشرائعه (انما أتى) حصل بيانه (بالنقل) عن الله ورسوله (ليس) هو (بالأوهام) من آحاد الأمة (وحدس) تخمين (العقل) ، قال الله تعالى لرسوله ﷺ وهو أرجح الخلائق عقلا وأولاهم بكل صواب ﴿ **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله** ﴾ الآيات، ولم يقل بما رأيت. ولم يقل بما رأيت. ويقول الله تعالى له ﴿ **ولاتقفُ ماليس لك به علم** ﴾ وقال تعالى له ﴿ **فاستمسك بالذى أوحى إليك إنك على هدى مستقيم** ﴾ وأمثال هذا من الآيات مالايحصى، وتقدم فى الأحاديث جملة واحدة، وأنه ﷺ لايقول فى التشريع إلا عن الله عز وجل، ولهذا لم يجب اليهود فى سؤالهم إياه عن الروح، ولا جابرا فى سؤاله عن ميراث الكلالة، والمجادلة فى سؤالها عن حكم الظهار حتى نزل عليه القرآن بتفصيل ذلك وبيانه، وأمثال هذا كثير ﴿ **ولايأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيرا**﴾ وفى قصة عمر رضى الله عنه لما قال لرسول الله ﷺ وفيه قال: فعملت لذلك أعمالا، وقال عثمان بن حنيف: اتهموا الرأى فى دينكم، لقد رأيتنى يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أردَّ أمر رسول الله ﷺ لرددته. وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: لو كان الدين بالرأى لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله ﷺ يمسح على ظاهر خفه. وأفتى عمر السائل الثقفى فى المرأة التى حاضت بعد أن زارت البيت يوم النحر أن لاتنفر، فقال له الثقفى: إن رسول الله ﷺ أفتانى فى مثل هذه المرأة بغير ما أفتيت به، فقام إليه عمر يضربه بالدرة ويقول له: لمَ تستفتين فى شىء قد أفتى رسول الله ﷺ ؟ وكان ابن مسعود أفتى بأشياء فأخبره بعض الصحابة عن النبى ﷺ بخلافه، فانطلق عبد الله إلى الذين أفتاهم فأخبرهم أنه ليس كذلك. وقال عمر بن عبد العزيز: لا رأى لأحد مع سنة سنها رسول الله ﷺ والآثار فى هذا عن الصحابة والتابعين لاتحصى. وقال الشافعى رحمه الله تعالى. أجمع الناس على أن من استبانت له سنة عن رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس. وصح عنه أنه قال: لاقول لأحد مع سنة رسول الله ﷺ. وقال رحمه الله : إذا وجدتم فى كتابى خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بسنة رسول الله ﷺ ودعوا ماقلت. وفى لفظ: فاضربوا بقولى عرض الحائط. وقال رحمه الله : إذا وجدتم سنة رسول الله ﷺ خلاف قولى فخذوا بالسنة ودعوا قولى فانى أقول بها. وقال رحمه الله تعالى: كل مسألة تكلمت فيها صح الخبر فيها عن النبى ﷺ عند أهل النقل بخلاف ماقلت فأنا راجع عنها فى حياتى

وبعد موتي. وقال رحمه الله تعالى - وروى حديثا فقال له رجل: تأخذ بهذا يا أبا عبد الله؟ فقال: متى رويت عن رسول الله ﷺ حديثا صحيحا فلم آخذه به فأشهدكم أن عقلي قد ذهب. وأشار بيده على رءوسهم. وسأله رجل عن مسألة فأفتاه وقال: قال النبي ﷺ كذا، فقال الرجل: أتقول بهذا؟ قال: أرأيت في وسطي زنارا؟ أتراني خرجت من الكنيسة؟ أقول قال النبي ﷺ وتقول لي أتقول بهذا! أروى عن النبي ﷺ ولاأقول به! وفي لفظ: فارتعد الشافعي رحمه الله واصفرّ لونه وقال: ويحك؟ أي أرض تقلني وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ شيئا فلم أقل به. نعم على الرأس والعينين. وقال رحمه الله تعالى: مامن أحد إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ وتعزب عنه، فمهما قلت من قول وأصّلت فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ماقلت فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي. وجعل يردد هذا الكلام. وقال الشافعي رحمه الله أيضا: لم أسمع أحد نسبته العامة أو نسب نفسه إلى علم يخالف في أن فرض الله تعالى اتباع أمر رسول الله ﷺ والتسليم لحكمه، فان الله لم يجعل لأحد بعده إلا اتباعه، وأنه لا يلزم قول رجل قال إلا بكتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ وأن ما سواهما تبع لهما، وان فرض الله علينا وعلى من بعدنا وقبلنا في قبول الخبر عن رسول الله ﷺ واحد لايختلف فيه. وقال الربيع سألت الشافعي عن الطيب قبل الإحرام بمايبقى ريحه بعد الإحرام وبعد رمي الجمرة والحلاق وقبل الافاضة، فقال: جائز وأحبه ولا أكرهه، لثبوت السنة فيه عن النبي ﷺ والأخبار عن غير واحد من الصحابة. فقلت وما حجتك فيه؟ فذكر الأخبار فيه والآثار ثم قال: أخبرنا ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن سالم قال: قال عمر رضي الله عنه: من رمى الجمرة فقد حل له ما حرم عليه الا النساء والطيب. فقال سالم وقالت عائشة رضي الله عنها: طيبت رسول الله ﷺ بيدي. وسنة رسول الله ﷺ أحق أن تتبع قال: وهكذا ينبغي أن يكون الصالحون وأهل العلم، فأما ماتذهبون إليه من ترك السنة وغيرها وترك ذلك لغير شيء بل لرأى أنفسكم فالعلم إذا إليكم تأتون منه ماشئتم وتدعون ماشئتم. وقال رحمه الله تعالى: من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن خلط فتركها خالفته. صاحبي الذي لا أفارق الملازم الثابت مع رسول الله ﷺ وإن بعد، والذي أفارق هو من لم يقل بحديث رسول الله ﷺ وإن قرب.

وقال رحمه الله تعالى في خطبة كتاب (إبطال الاستحسان): الحمد لله على جميع نعمه بماهو أهله وكما ينبغي له، وأشهد أن لا إله إلا وحده لاشريك له وأن محمدا عبده ورسوله بعثه بكتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد، فهدى بكتابه ثم على لسان رسوله، ثم أنعم عليه وأقام الحجة على خلقه لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وقال ﴿ **ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة** ﴾

وقال تعالى ﴿ **وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس مانزل إليهم** ﴾ وفرض عليهم اتباع ما أنزل إليهم وسن رسول الله ﷺ فقال تعالى ﴿ **وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا** ﴾ فاعلم أن معصيته فى ترك أمره وأمر رسول الله ﷺ ولم يجعل لهم إلا اتباعه، وكذلك قال لرسول الله ﷺ ﴿ **ولكن جعلناه نورا نهدى به من شاء من عبادنا، وانك لتهدى إلى صراط مستقيم صراط الله** ﴾ مع ماعلم نبيه. ثم فرض اتباع كتابه فقال ﴿ **فاستمسك بالذى أوحى إليك** ﴾ وقال ﴿ **وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولاتتبع أهواءهم** ﴾ وأعلمهم أنه كمل لهم دينهم فقال عز وجل﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الإسلام دينا** ﴾ إلى أن قال: ثم من عليهم بما آتاهم من العلم فأمرهم بالاقتصار عليه وأن لايقولوا غيره إلا ماعلمهم فقال لنبيه ﴿ **وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا ماكنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** ﴾ وقال لنبيه ﷺ ﴿ **قل ماكنت بدعا من الرسل وما أدرى مايفعل بى ولابكم** ﴾ وقال لنبيه ﷺ ﴿ **ولاتقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله** ﴾ ثم أنزل على نبيه أنه غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ورضوانه عنه وأنه أول شافع ومشفع يوم القيامة وسيد الخلائق وقال لنبيه ﷺ ﴿ **ولاتقف ماليس لك علم** ﴾ وجاءه رجل فى امرأة رجل رماها بالزنا فقال له يرجع، فأوحى الله إليه آية اللعان فلاعن بينهما، وقال ﴿ **قل لايعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله** ﴾ وقال ﴿ **إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافى الأرحام** ﴾ الآية، وقال لنبيه ﷺ ﴿ **يسألونك عن الساعة أيّان مرساها، فيم أنت من ذكراها** ﴾ فحجب عن نبيه علم الساعة، وكان من عدا ملائكة الله المقربين وأنبيائه المصطفين من عباده أقصر علما من ملائكته وأنبيائه، والله عز وجل فرض على خلقه طاعة نبيه ولم يجعل لهم من الأمر شيئا. وكلامه رحمه الله تعالى فى هذا الباب كثير مشهور مذكور. وهذا الذى قاله من تحكيم نصوص الكتاب والسنة وطرح ماخالفهما هو الذى نطقا به وصرحت به نصوصهما وأجمع عليه الصحابة والتابعون فمن بعدهم كما حكى إجماعهم هو وغيره وكما هو المشهور من سيرتهم فى الأقوال والأفعال، ونصوصهم فى هذا الباب ملء الدنيا، وتصانيفهم فى ذلك قد طبقت مشارق الأرض ومغاربها، ولو رأوا ماعليه مقلدوهم فى هذا الوقت لتبرأوا منهم ومقتوهم أشد المقت، فانهم ليسوا على ماكانوا عليه، ولااهتدوا إلى ما أرشدهم إليه، بل اختلفوا اختلافا شديدا وافترقوا بعيدا، وكل منهم يحصر الحق فى إمامه ويرى ماخالفه باطلا، ويرى سائر أهل العلم مفضولين وإمامه فاضلا، واذا خالف مذهبه نصا ضرب له الأمثال، وتكلف له التأويل المحال، ويقابله الآخر بمثل ذلك، فهم بين رادّ ومردود وحاسد ومحسود، وكان فيهم شبه من الذين قال الله

تعالى فيهم **﴿ من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون ﴾**، ولم يعلم هؤلاء المساكين أن سلفهم الصالح الذين يزعمون الاقتداء بهم كانوا أبعد من هذه الصفة بعدما بين المشارق والمغارب، بل كانوا رضى الله عنهم وأرضاهم أجل شأنا وأكمل إيمانا من أن يقدموا بين يدى الله ورسوله، بل هم تبع له فى أوامره ونواهيه، ولنصوص الشرع أعظم عندهم من أن يقدموا عليها آراء الرجال، وهى أجل قدرا فى صدورهم من أن تضرب لها الأمثال، وأعلى منزلة من أن تدفع بالأقيسة والتأويل المحال، وانما المقتدى بهم على الحقيقة من اقتفى أثرهم واتبع سيرهم وحفظ وصيتهم وأحيا سنتهم فى طلب الحق وأخذه أين وجده، والوقوف عند كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما بلغته، فكما كان اجتهاد السلف رحمهم الله فى جمع الأدلة واستنباط الأحكام منها فالواجب عند الخلاف تتبع تلك الأدلة والاستنباطات والأخذ بالأصح منها مع أى من كان وبيد من وجد، فان الحق واحد لايجزئه الاختلاف، وكل واحد من أولئك الأئمة يدأب فى طلبه جادا مجتهدا إن أصابه فله أجران وإن أخطأه فله أجر والخطأ مغفور، وهذه أقوالهم مدونة فى كتبهم، كلها تذم الرأى فى الدين، وتحث من بعدهم اقتفاء أثرهم فى طلب الحق أين ماكان، ولم يدع أحد منهم إلى تقليده، ولم يكن أحد منهم معصوما ولاادعى ذلك ولا قال إن الحق معى لايفارقنى فتمسكوا بما أقول وأفعل. ولا كان لأحد منهم التزام قول أحد من آحاد الأمة لامن هو مثلهم ولامن هو أفضل منهم فضلا عمن هو دونهم، ولم يكن لهم أن يلتزموه فيما خالف النص الذى لم يبلغه أو لم يستحضره، ولو كان ذلك خيرا لسبقونا إليه، بل كان إمام الجميع محمد رسول الله ﷺ الذى بين للناس مانزل اليهم، ويتبعون آثاره من الأفعال والأقوال والتقريرات يتلقنونها من حفاظها من كانوا وأين كانوا وبيد من وجدوها وقفوا عندها ولم يعدوها إلى غيرها. وكانت طريقتهم فى تلقى النصوص أنهم يردون المتشابه إلى المحكم ويأخذون مايفسر لهم المتشابه ويبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة المحكم وتوافق النصوص بعضها بعضا ويصدق بعضها بعضا، فانها كلها من عند الله وماكان من عند الله فلا اختلاف فيه ولاتناقض، وانما الاختلاف والتناقض فيما كان من عند غيره، قال الله تعالى **﴿ أفلا يتدبرون القرآن، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ﴾**.

﴿ ثم الى هنا قد انتهيتُ ... وتم ما بجمعه عُنيتُ ﴾
﴿ سميته بسلم الوصول ... الى سما مباحث الأصول ﴾
﴿ والحمد لله على انتهائى ... كما حمدت الله فى ابتدائى ﴾
﴿ أسأله مغفرة الذنوب ... جميعها والستر للعيوب ﴾
﴿ ثم الصلاة والسلام أبدا ... تغشى الرسول المصطفى محمدا ﴾
﴿ ثم جميع صحبه والآل ... السادة الأئمة الأبدال ﴾

﴿ تدوم ســـــرمــــــدا بلا نفـــــاد   مـــــاجـــــرت الأقـــــلام بالمداد ﴾
﴿ ثم الدعـــا وصـــيـــــة القـــراء   جـمـيـعـهـم من غـيـر مااسـتـثناء ﴾
﴿ أبيـــاتهـــا «يســـر» بعـــدّ الجـــمل   تأريخها «الغفران» فافهم وادع لي ﴾

(ثم إلى هنا) الإشارة إلى آخر الكلام على الاعتصام بالكتاب والسنة، وناسب جعل ذلك هو الخاتمة بكون الآية التى فيها الاشارة إلى ذلك هى من آخر مانزل وهى قوله تعالى ﴿ **اليوم أكملت لكم دينكم** ﴾ بل السورة كلها من آخر مانزل، وروى أنها نزلت جملة، ومن جهة أنها الاعتصام بها آخر ما أوصى به النبى ﷺ فى خطبته فى حجة الوداع ثم فى خطبته فى غدير خم ثم كان من آخر ماتكلم به عند خروجه من الدنيا (قد انتهيت) أى اقتصرت على هذا القدر، وفيه إن شاء الله تعالى كفاية، (وتم) أى قضى (ما) أى الذى (بجمعه) فى نظمى (عنيت) اهتممت له. (سميته) حين تم (بسلم) أى المرقاة التى يصعد فيها لأجل (الوصول إلى سما) بتثليث السين (مباحث) جمع مبحث وهو مايحصل به فهم الحكم (الأصول) جمع أصل وهو مايبنى عليه، والمراد بها عند الاطلاق أصول الدين، وهو مايجب اعتقاده فيه وهو المراد هنا، وأما إذا أضيفت فهى بحسب المضاف إليه: فأصول الحديث علم الاصطلاح الذى يبحث فيه عن تفاصيل أحوال السند والمتن وأحكامها. وأصول الفقه علم يبحث فيه عن الدليل والمدلول وحال المستدل وغير ذلك. وأصول العربية والنحو والصرف والمعانى والبديع كل بحسبه وتعريفه فى فنه. وقولنا «سما مباحث الأصول» وصف له بالسمو وهو العلو إشارة إلى أنه أعلى العلوم وأهمها وأوجهها وألزمها لأنه معرفة ماخلق الله له الخلق والدنيا والآخرة والجنة والنار، وبه أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، وفيه وله شرع الجهاد، وعليه يترتب الجزاء من الثواب والعقاب وغير ذلك، فحقيق بعلم هذا قدره أن يكون هو أو مايهتم به العبد وأعظم مايبذل فيه جهده وينفق فيه عمره حتى يموت على ذلك؛ وناسب تسمية الشرح بمعارج القبول لان الخروج هو الصعود والمعارج المصاعد فكأن القارئ فى هذا الشرح يصعد فى هذا السلم. واضيفت المعارج إلى القبول لمناسبة الوصول لأن من لم يقبل لم يصل بل يرد أو ينقطع (والحمد لله على) جزيل النعمة التى منها أن قدر (انتهائى) أى إتمامى هذا المتن المشتمل على معرفة الله تعالى ودينه ورسوله ﷺ (كما حمدت الله فى ابتدائى) فى نظمه كما تقدم، وذلك اقتداء بكلام الله تعالى حيث افتتح ذكر الخلق بالأمر فقال ﴿ **الحمد لله الذى خلق السموات والأرض** ﴾ وختم ذكرهم فيما ينتهون إليه من الدارين بالحمد فقال ﴿ **وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين** ﴾، وقال تعالى ﴿ **وآخر دعواهم أن الحمد لله**

رب العالمين ﴾. (أسأله) أي أسأل الله (مغفرة) أى مغفرته تعالى (الذنوب) ذنوبى وجميع المسلمين، والمغفرة ستر الذنب فى الدنيا والآخرة والعفو عنه وعدم المؤاخذة به (جميعها) من صغائر وكبائر، والاستغفار من أعلى أنواع الذكر (والستر) منه تعالى (للعيوب) منى ومن جميع المسلمين. (ثم) عطف على الحمد والاستغفار (الصلاة والسلام)تقدم معناهما (تغشى الرسول المصطفى محمدا) تغمره من ربه عز وجل (ثم) تغشى (جميع صحبه والآل) تقدّم تعريفهما (السادة) جمع سيد وهو النقيب المقدم (الأئمة) المقتدى بهم فى الدين (الابدال) أى الأولياء لله تعالى (تدوم) متواصلة متواترة (سرمدا) تأكيدا للدوام يفسره (بلا نفاد) فناء وانقطاع (ماجرت الأقلام بالمداد) أى عدد ماجرت به. (ثم الدعا) لجامع هذا العقد متنا وشرحا (وصية) منه يلتمسه من (القراء) أن يدعوا له بخيرى الدنيا والآخرة (جميعهم) شاهدهم وغائبهم معاصريه ومن يأتى بعد عصره (من غيره ما) صلة أى من غير (استثناء) إخراج أحد منهم من هذه الوصية. (أبياتها) أى عدتها رمز حروف (يسر) وذلك مائتان وسبعون (بعدّ الجمَّل) الحروف الابجدية المعروفة عند عامة العرب، وبما زدت فيها أقوال (أبياتها المقصود) أى الذى فيه لأحكام والمسائل (يسر فاعقل) عنى. (تأريخها) الذى ألفت فيه رمزه حروف (الغفران) وذلك ألف وثلاثمائة واثنان وستون، أى عامئذ. نسأل الله الغفران (فافهم) مافى ذا المعتقد (وادع لى) بصالح الدعوات فى أوقات الإجابة كما أوصيتك، فان ذلك من أعظم الصدقات ﴿ إن الله يجزى المتصدقين﴾.

اللهم ياحى ياقيوم ياذا الجلا والإكرام، يابديع السموات والأرض، برحمتك نستغيث. اللهم رحمتك نرجو فلا تكلنا إلى أنفسنا ولا إلى أحد من خلقك طرفة عين، وأصلح لنا شأننا كله، لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين. اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبنا، ورحمتك أرجى عندنا من أعمالنا، فاغفر لنا وارحمنا إنك الغفور الرحيم. اللهم ماكان فى هذا السِّفْر من حق وصواب فبتعليمك وإلهامك، وفضلك وإنعامك، أنت أهله ومويله، فلك الحمد كما أنت أهله، فانفعنا اللهم بتفهمه، وارزقنا العمل بما علمنا وجميع المسلين. وما كان فيه من خطأ وزلل فمن نفسى وشيطانى، فألهمنى اللهم رشدى، وأعذنى من شر نفسى، وقيض له من يصلحه ويسد خلله، وأعذنى أن أضل عن سواء صراطك المستقيم، أو يضل بخطاى أحد من عبادك، واغفر لى ولوالدىّ ولجميع المسلمين. سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين. وصلِّ اللهم على سيدنا ونبينا محمد عبدك ورسولك سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، وقائد الغرّ

المحجّلين، ورضي الله عن آله وأصحابه وأهل بيته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنا معهم بفضله ورحمته ووالدينا وإخواننا وجميع المسلمين آمين.

وكان الفراغ من تسويده نهار الاثنين بعد صلاة العصر السادس عشر من جمادى الأولى سنة ١٣٦٦ للهجرة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فهـــــرس
الجزء الثانى من (معارج القبول)

الموضوع — الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

تم بحمد الله